تتمة المختصر في أخبار البشر

(تاريخ ابن الوردي)

للأستاذ العلامة الشيخ

زين الدين عمر بن الوردي

اشراف وتحقيق

أحمد رفعت البدراوي

المجلد الثاني

توزيع

دار الباز للنشر والتوزيع

عباس أحمد الباز

مكة المكرمة

Marfat.com

تتمّة المختصر في أخبار البشر

(تاريخ ابن الوردي)

للأستاذ العلّامة الشيخ

زين الدّين عمر بن الوردي

اشراف وتحقيق

أحمد رفعت البدراوي

الجزء الثاني

الناشر

دار المعرفة

بيروت - لبنان

Marfat.com

131618

الطبعة الأولى
١٣٨٩ هـ – ١٩٧٠ م
بيروت

Marfat.com

مقدّمة

تحدّثنا في تقديمنا للجزء الأول من هذا السِّفر القيم عن التأريخ والمؤرخين، وعن مؤلف هذا الكتاب وعلمه وقدره ، حديثاً موجزاً ، وتركنا للكتاب أن يقدم نفسه وأن يعبِّر عن عظم مؤلفه . وفي تقديمنا لهذا الجزء ، الذي يشمل فيما يشمل من تسجيل للحوادث والأخبـار ، ظهور التتار واندفاعهم بجيوشهم الجرارة إلى الغرب ، لغزو الديار الاسلامية والعربية .. نودّ أن نتوقف طويلاً أمام أخبـار التتار وزحفهم ، وما سفكوا من دماء العرب والمسلمين ، ومـا ارتكبوا من فظائع وجرائم ، ومـا مارسوا من وحشية وإرهـاب وبغي ، إلى أن هزموا ، وارتد سيل إجرامهم عن أراضي العروبة والإسلام ..

إن في دراسة التاريخ لعبرة،وإن في دراستنا لأخبار التتار لعبراً كثيرة.. فالجيوش الجرارة المدججة بالسلاح والعتاد ، لم تكن هي عوامل انتصاراتهم الأولى ، واجتياحهم للعواصم والمدن الاسلامية واحدة إثر أُخرى ، فهذه الجيوش الجرارة قد هُزمت فيما بعد ، وتكررت هزيمتها ، وأُبيد بعضها إبادة تامة ولاذ من نجا منها بالفرار ..

انتصر التتر على العرب والمسلمين ، وأذاقوهم الذل والهوان والويلات ، عندما كانت الأمة الاسلامية شيعاً وأحزاباً ، في كل ولاية أو مدينة حاكم أو أمير أو ملك أو سلطان ، يسيطر عليها ويستبد بأهلها ، يكثر من الحرس والمماليك لحماية نفسه ودعم حكمه وتأمين استمرار سيطرته وبطشه ، وينشىء جيشاً يتناسب مع أطماعه وعلاقاته بالولايات أو المدن المجاورة .. وتدور المعارك بين الحرس والشعب ، وبين جيش هذه المدينة وجيش تلك ، ويثب

Marfat.com

هذا الأمير أو القائد أو الوزير أو الحاجب أو الخادم على الحاكم الشرعي ليقتله وليحتل مكانه على كرسي السيطرة فترة قد تطول إلى أعوام وقد تقصر إلى ساعات..قصور ، وحشم ، وخدم ، وجوار ، ومماليك ، وغلمان ، ورشوة ، وبذخ ، وإسراف ، وتآمر ، وتناحر ، وصراع ، وخيانة ، وغدر ، وإهمال للواجب المقدس الذي يحتمه الدين ، كما يحتمه شرف الانتماء الى الوطن ، واجب التعاون والتكاتف والاستعداد لدرء خطر العدو المغير ..

وانهزم التتر ، عندما واجهوا جيشاً موحداً ، بقيادة حكيمة ، مصممة على الدفاع عن دينها وأرضها وتراثها ، مقبلة على الاستشهاد في سبيل الحق ، واثقة من نصر الله .. ولم تُجْد التتر كثرتهم ولا سلاحهم أمام العزيمة والثبات وقوة الإيمان ، وأمام القوّة الموحَّدة للمسلمين ..

إنها لعبرة من عبر التاريخ ، تاريخنا ، لعل في تأملها درساً يفيدنا في مرحلة حاسمة من مراحل حياة أمتنا التي وإن كانت قد مرّت في تاريخها الطويل بفترات من الانحلال والتدهور والتخلف إلا أنها أثبتت دائماً انها قادرة على الصمود والإتحاد أمام كل خطر يهدد كيانها وبقاءها.

وإلى جانب هذه العبر ، والدروس ، يحفل هذا الجزء الثاني من تاريخ ابن الوردي ، بالعديد من تراجم الفقهاء والمحدثين والشعراء ، وأخبار الدول التي قامت وحكمت ثم دالت واندثرت ، في مختلف أرجاء الوطن الإسلامي الكبير ، مما يجعل قراءته متعة مفيدة ..

ونحن ، إذ نقدم هذا الجزء ، نكرر ما ذكرناه في مقدمة الجزء الأول ، من أمل في أن نتمكن من استكمال تحقيق هذا الكتاب تحقيقاً دقيقاً وافياً ، ومن تزويده بمجموعة من الفهارس الموضحة في طبعتنا القادمة باذن الله ..
والله الموفق .

أحمد رفعت

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة تسع وسبعين وأربعمائة :

ذكر وصول ملكشاه الى حلب

كان ابن الحتيتي قد كاتب السلطان في أمر حلب فسار اليها من أصفهان **في جمادى الآخرة** فملك في طريقه حران وأقطعهـــا لمحمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش ، وسار الى الرها وهي بيـــد الروم من حين اشتروها من ابن عطير فحصرها وملكها ، وسار الى قلعة جعبر واسمها الدوسرية ، ثم عرفت بجعبر لطول ملك جعبر إياها، وبها صاحبها سابق الدين جعبر القشيري شيخاً أعمى فأمسكه وأمسك ولديه وكانا يخيفان السبيل .

ثم ملك منبج وقارب حلب فرحـــل أخوه تتش عن حلب على البرية الى دمشق ووصل السلطان الى حلب وتسلمها ، وتسلم القلعة من سالم بن مالك بن بدران العقيلي على أن يعوّضه بقلعة جعبر ، فسلم السلطان اليه قلعـــة جعبر وبقيت في يده ويد أولاده الى أن أخذها منهم نور الدين بن زنكي .

ولما نزل ملكشاه بحلب أرسل اليه الأمير نصر بن علي بن منقـــذ الكناني

Marfat.com

صاحب شيزر بالطاعة وسلم اليه اللاذقية وكفرطاب وفامية فترك السلطان قصده وأقرّ عليه شيزر ، وسلم السلطان حلب إلى قسيم الدولة أقسنقر ورحل إلى بغداد .

وفيها في ربيع الأول توفي بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي صاحب الحلة والنيل وغيرهما ، وكان فاضلاً شاعراً واستقرّ مكانه ابنه صدقة ولقب سيف الدولة.

ملك يوسف بن تاشفين غرناطه وانقراض دولة الصناهجة

فيها عدّى البحر يوسف بن تاشفين أمير المسلمين من سبتة الى الجزيرة الخضراء بسبب استيلاء الفرنج على بلاد الأندلس، واجتمع اليه مثل المعتمد بن عباد وغيره من ملوك الأندلس وقاتلوا الاذفونش جداً فانهزم الفرنج وقتل منهم ما لا يحصى وجمع من رؤوسهم تل أذنوا عليه . وملك يوسف غرناطة من صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس بن حيوس بن ماكس بن بلكين بن زيري الصنهاجي . وأول من حكم من الصناهجة في غرناطة زاوي بن بلكين ثم تركها وعاد الى افريقية سنة عشر واربعمائة فملك غرناطة ابن أخيه حيوس بن ماكس بن بلكين الى أن توفي سنة تسع وعشرين واربعمائة ، وولي بعده ابنه باديس الى أن توفي وولى بعده ابن أخيه عبد الله بن بلكين إلى أن أخذها منه يوسف بن تاشفين في هذه السنة ، ثم عبر يوسف بن تاشفين البحر الى سبتة وأخذ معه عبد الله صاحب غرناطة وأخاه تميماً إلى مراكش فكانت غرناطة أول ما ملكه يوسف من الأندلس .

وفيها سار ملكشاه عن حلب ودخل بغداد في ذي الحجة وهو

Marfat.com

أول قدومه بغداد ثم خرج الى الصيد فصاد فرطاً[1] ثم عاد الى بغداد واجتمع بالخليفة المقتدي وأقام بهـــا الى صفر سنة ثمانين وعاد الى اصفهان .

وفيها أقطع ملكشاه محمد بن مسلم بن قريش الرحبة وأعمالها وحران وسروج والرقة والخابور وزوّجه اخته زليخا ابنة ألب أرسلان .

وفيها كانت زلازل عظيمة .

وفيها توفي الشريف ابو نصر الزينبي العبـاسي نقيب الهاشميين محدث الاسناد .

سنة ثمانون وسنة إحدى وثمانين وأربعمائة :

وفيها توفي الملـــك المؤيد ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان ملكه سنة احدى وخمسين وأربعمائة ، كان حسن السيرة حازماً وملك بعده ابنه مسعود زوج بنت السلطان ملكشاه .

وفيها جمع أقسنقر صاحب حلب عساكره وسار الى قلعـــة شيزر وصاحبها نصر بن علي بن منقذ وضيق علـــيه ونهب الربض ثم صالحه ابن منقذ فعاد عنه .

سنة اثنتين وثمانين واربعمائة :

فيها سار السلطان بجيوش لا تحصى وعبر جيحون الى بخارى وملك ما على طريقـــه من البلاد ثم ملك بخارى ثم سمرقند وأسر صاحبها أحمد خان وأكرمه ، ثم سار الى كاشغر فبلغ الى يوزكند وأرسل الى ملك كاشغر يأمره

---

١ – قوله : فصاد فرطاً : أي شيئاً كثيراً – حتى أنه بنى منارة من قرون الغزلان التي اصطادها كما في الـكامل لابن الأثير .

Marfat.com

بالخطبة والسكة له فأجاب وحضر اليه فعظمه وأعـــاده الى ملكه وعاد الى خراسان .

وفيها عمرت منارة جامـــع حلب قام بعملها القاضي أبو الحسن بن الخشاب ، وكان بحلب بيت نار قديم ثم صار أتون حمام فبنى بحجارته المأذنة فـعي به الى أقسنقر وقيل هذه الحجارة لبيت المال فأحضره أقسنقر وحدّثه في ذلك فقال ابن الخشاب يا مولانا اني عملت بهذه الحجارة معبداً للمسلمين وكتبت عليه اسمك فان رسمت غرمت ثمنها ، فأجابه أقسنقر إلى إتمام ذلك ولا يغرم شيئاً .

وفيها توفي عاصم بن محمد بن الحسن البغدادي الكرخي مطبوع كيس حسن النظم ، فمنه :

ماذا على متـلوّن الاخلاق لو زارني فأبثـــه أشواقي
وأبوح بالشكوى اليه تذللاً وأفض ختم الدمع من آماقي
أسر الفؤاد ولم يرق لموثق ما ضرّه لو منّ بالاطلاق
ان كان قد لسبت عقارب صدغه قلبي فـان رضابه درياقي

ثلاث وثمانين وأربعمائة :

فيها توفي فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير بالموصل في المحرم، ومولده بالموصل سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، وتنقل فخدم بركة بن المقلد حتى قبض على أخيه قرواش ، ثم وزر لمعز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس ، ثم وزر لنصر الدولة أحمد بن مروان صاحب ديار بكر ثم لولده، ثم وزر للخليفة ببغداد ثم صار مع السلطان ملكشاه فأخذ له ديار بكر من بني مروان .

Marfat.com

سنة أربع وثمانين وأربعمائة :

فيها تولى عميد الدولة بن فخر الدولة ابن جهير وزارة الخليفة المقتدي .

وفيها ملك عسكر أمير المسلمين وأميرهم شير بن أبي بكر مرسية من صاحبها أبي عبد الله بن طـــاهر ثم شاطبة ودانية ثم بالنسية ، وقد أخلتها الفرنج وعمرها العسكر ، ثم حصروا اشبيلية وبها صاحبها المعتمد بن عباد فملكوها أيضاً وأرسلوا صاحبها الى امير المسلمين فحبسه بأغمات حتى مات ، ثم ملكوا بطليوس من صاحبها عمر بن الافطس وقتلوا عمر بن الافطس وابنيه الفضل والعباس صبراً ولم يتركوا من ملوك الاندلس سوى بلاد بني هود فان صاحبها المستعين بالله كان يهادي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فرعاه لذلك حتى انه أوصى ابنه علي بن يوسف عند موته بترك التعرض الى بلاد بني هود.

فيها ملك رجاز ملك الفرنج جميع بلاد صقلية ، ومات رجاز قبل سنة تسعين وتولى ابنـــه وسلك طريقة ملوك المسلمين في الجنائب والحجاب وغير ذلك ، وأسكن في الجزيرة الفرنج مع المسلمين وأكرم المسلمين وقرّبهم .

وفيها في رمضان وصل السلطان ملكشاه الى بغـــداد ووصل اليه أخوه تتش من دمشق وأقسنقر من حلب وغيرهم واحتفل هو والناس بالميلاد ببغداد ووصف الشعراء تلك الليلة فأكثروا .

وفيها أمر ملكشاه بعمل الجامع المعروف بجامع السلطان ببغداد ، وعمل قبلته بهرام منجمه وغيره من أصحاب الرصد ، وابتدأ أمراؤه بعمل مساكن لينزلوها إذا قدموا فتفرقوا عن قريب قتلاً وموتاً .

وفيها توفي الأمير أرتق بن أكسك التركماني جدّ أصحـــاب ماردين مالكاً للقدس منذ قدم الى تتش كما مرّ ، واستقرّت القدس لولديه أيل غازي وسقمان ابني ارتق الى أن أخذها منهما الأفضل أمير الجيوش فسارا الى الشرق.

Marfat.com

مقتل أقسنقر

لما عاد تتش من أذربيجان أكثر الجموع، وجمع أقسنقر وأمدّه بركياروق بالأمير كربغا وقاتلوا تتش عند نهـــر سبعين قريباً من تل سلطان عن حلب ستـــة فراسخ ، فصار بعض عسكر أقسنقر مع تتش وانهزم الباقون وثبت أقسنقر فأسر ، فقال له تتش : لو ظفرت بي ما كنت صنعت ؟ قال كنت أقتلك فقتـــله صبراً ، وسار إلى حلب فملكها . وأسر بوزان وقتله ، وأسر كربغا وأرسله الى حمص وسجنه بها ، واستولى على حران والرها ثم على البلاد الجزرية وديار بكر وخلاط ، وسار الى أذربيجان فملكها ثم همدان وأرسل يطلب الخطبة ببغداد فأجيب ، وبلغ بركياروق استيلاء عمه على أذربيجان فسار الى اربل ومنهـــا الى بلد سرخاب بن بدر الكردي الى ان قرب من عسكر عمه تتش ، ولم يكن مع بركياروق غير الف رجل ومع عمه خمسون الفاً فكبست فرقة منهم بركياروق فهرب الى أصبهان ، وكانت تركان خاتون قد ماتت فدخل أصبهان وبهـــا أخوه محمود فاحتاط عليه جماعة من عسكر محمود وأرادوا أن يسملوه فلحق محموداً جدري مات منه سلخ شوّال منها ، ففرج الله بذلك لبركياروق ، ثم جدَّر بركياروق وعوفي واجتمعت عليه العساكر .

وفيها توفي بمصر أمير الجيوش بدر الجمالي وقد جاوز الثمانين ، وقـام بعده في الرجوع الى قوله بمصر ابنه الافضل .

وفيها ثامن ذي الحجة **توفي المستنصر بالله** أبو تميم معدّ بن ابو الحسن علي بن الظاهر بن الحاكم وخلافته ستون سنة وأربعـــة أشهر وعمره سبع وستون ، ولقي شدائد أخرج فيها أمواله إلا سجادة يجلس عليها وهو صابر ، وولي بعده ابنه ابو القاسم أحمد المستعلي بالله .

وفيها توفي أمير مكة محمد بن أبي هاشم الحسيني وقد جاوز سبعين سنة وتولاها بعد ابنه قاسم بن أبي هاشم .

Marfat.com

وفيها في رمضان توفيت تركان خاتون زوجة ملكشاه ولم يكن قد بقي معها غير قصبة أصبهان .

سنة ثمان وثمانين واربعمائة :

فيها نهض القوّاد بسمرقند وقبضوا ملكهم أحمد خان وأقاموا خصوماً ادعوا عليه عند القضاة بالزندقة فأنكر فشهد عليه بذلك جمع فأفتوا بقتله فخنق وجلس ابن عمه مسعود مكانه .

وفيها سار بركياروق لما عوفي من الجدري بالعساكر من أصبهان الى عمه تتش واقتتلوا قرب الريّ فانهزم عسكر تتش وثبت هو فقتل في صفر منها ، واستقامت السلطنة لبركياروق . والله يحكم لا معقب لحكمه .

فأما **رضوان** بن تتش فبلغه قتل أبيه قرب هيت متوجهاً للاستيلاء على العراق فرجع الى حلب وبها من جهة والده أبو القسم حسن بن علي الخوارزمي ولحقه جماعة من قواد أبيه ، ثم لحقه بحلب أخوه دقاق وكان حاضراً مقتل أبيه ، وكان مع رضوان أيضاً أخواه الصغيران أبو طالب وبهرام وكلهم مع أبي القسم الخوارزمي كالضيوف كهو المستولي على البلد ، ثم كبس رضوان أبا القسم الخوارزمي ليلاً واحتاط عليه وطيب قلبه ، وخطب لرضوان بحلب ، وكان مع رضوان ياغي سنان بن محمد التركماني صاحب انطاكية ، ثم سار رضوان بمن معه الى ديار بكر للاستيلاء عليها وقصد سروج فسبقه اليها سقمان ابن أرتق ومنع رضوان عنها فسار رضوان فاستولى على الرها وأطلق قلعتها لياغي سنان المذكور ، ثم اختلف عسكر رضوان بين ياغي سنان وجناح الدولة وكان جناح الدولة زوج أمّ رضوان من أكبر القوّاد ، فعاد رضوان الى حلب وسار ياغي سنان الى انطاكية ومعه ابو القسم الخوارزمي ودخل حلب ، وأما دقاق فكاتبه ساوتكين الخادم الوالي بقلعة دمشق يستدعيه سراً ليملكه دمشق ، فجدّ دقاق في السير اليه سراً فملكه دمشق ووصل اليه طغتكين في جماعة

Marfat.com

سنة خمس وثمانين وأربعمائة :

فيها نزل أقسنقر مساعـداً تتش بأمر ملكشاه على حمص فملك تتش حمص وأمسك صاحبها خلف بن ملاعب وولديه ثم ملك تتش عرقة ثم فامية.

وفيها في رمضان بالقرب من نهاوند ، وقـد انصرف نظام الملك من عند ملكشاه الى خيمة حرمه ، وثب على نظـام الملك صبي ديلمي في صورة مستعطٍ وضربه بسكين فقضى عليـه بتدبير من ملكشاه ، ثم قتل الصبي ، وذلك بعد وحشة بين ملكشاه وبين نظام الملك ، فركب السلطان وسكن شوشة العسكر . ومولده سنة ثمان وأربعمائة ، ومات ملكشاه بعده بخمسة وثلاثين يوماً ببغداد .

وكانت أيام ملكشاه أيام عدل ، بنى الجـــامع المذكور وعمل المصانع بطريق مكة ، وكان يتصدّق بعدد كل وحش يصيده بدينار . وأما نظـام الملك فانه كان من أبناء الدهاقين بطوس ، ماتت أمــه فكان أبوه يطوف به على المراضع فيرضعنه حسبة .

ثم نشأ وتعلم العربية واشتغل بالاعمـــال السلطانية وعلا حتى وزر لطغر لبك ، ولما ملك ألب أرسلان كان نظام الملك مع ابنه ملكشاه الى ان ملك ملكشاه فبلغ ما لم يبلغـــه وزير وقرب العلماء وبنى مدارس الأمصار وأسقط المكوس وحمى الأشعرية من اللعن الذي أمر به عميـد الملك الكندي وأوصافه حسنة رحمه الله تعالى .

ولما مات ملكشاه ، أخفت زوجته تركان خاتون موته وفرّقت الأموال في الأمراء وسارت بهم الى أصفهان واستحلفتهم لولدهـا محمود وعمره أربع سنين وشهور ، وخطب له ببغداد وغيرها ودبر الأمر بين يديها تاج الملك .

وأمّا أخوه بركياروق فهرب من أصفهان خوفاً من تركان خاتون ، وانضم اليه النظامية بغضاً لتاج الملك لسعيه في قتل نظام الملك ، فأرسلت عسكراً

الى بركياروق والنظامية فاقتتلوا قرب بروجرد[1] فانهزم عسكرها وتبعهم بركياروق وحصرهم بأصفهان وأخذ تاج الملك من عسكر الخاتون أسيراً وأراد الإحسان اليه فقتله النظامية .

سنة ست وثمانين وأربعمائة :

وفيها خرج الحسين بن نظام الملك الى بركياروق وهو محاصر أصفهان فاستوزره ولقبه عزّ الملك .

وفيها طلب تتش السلطنة بعد أخيه ملكشاه واتفق معه أقسنقر صاحب حلب وخطب له ياغي سنان صاحب انطاكية وبوزان صاحب الرها، وفتح ومعه أقسنقر نصيبين عنوة وملك الموصل ، وقاتله ابراهيم بن قريش أخو مسلم فأسر ابراهيم وجماعة من أمراء العرب وقتلهم صبراً ، واستناب على الموصل علي بن مسلم بن قريش وأمه ضيفة عمة تتش ، وطلب الخطبة له ببغداد فتوقفوا عنها ثم سار فاستولى على ديار بكر وسار الى أذربيجان، وكان بركياروق قد استولى على كثير منها فسار بركياروق الى عمه تتش ليمنعه فخلى أقسنقر تتش ولحق بركياروق فضعف تتش لذلك وعاد الى الشام .

وفيها ملك عسكر المستنصر العلوي صور .

سنة سبع وثمانين وأربعمائة :

وفيها في رابع عشر المحرم خطب لبركياروق ببغداد .

وفيها توفي الخليفة المقتدي بأمر الله أبو القاسم بن محمد الذخيرة بن القائم بأمر الله فجأة وعمره ثمان وثلاثون سنة وثمانية أشهر وأيام ، وخلافته تسع عشرة سنة و ثمانية أشهر ، وأدركت أمه أرجوان خلافته وخلافة المستظهر بالله ابنه وخلافة المسترشد بالله ابن ابنه . وكان المقتدي قوي النفس عظيم الهمة . وكان بركياروق لما توفي المقتدي ببغداد **فبايع للمستظهر بالله** أبي العباس أحمد وهو ثامن عشريهم وعمره إذن ست عشرة سنة وشهران .

(١) بروجرد ، بضم الباء وكسر الجيم : بلدة قرب همدان .

من خواص تتش ، كان طغتكين مع تتش في الوقعة وأسر ثم خلص فأكرمه دقاق لكونه زوج أمه ، ثم قتل دقاق وطغتكين ساوتكين الخادم ثم جاءهم ياغي سنان من انطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمي فجعله وزيراً لدقاق .

وفيها توفي المعتمد بن عبـــاد صاحب أشبيلية وغيرها من الاندلس مسجوناً باغمات، دخل عليه في السجن بنوه وبناته يهنئونه يوم عيد وعلى بناته أطمار كأنهـــا كسوف وهنّ أقمار وأقدامهن حافية وآثار نعمتهن عافية فقال المعتمد :

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً فجاءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعـة يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
يطأن في الطين والأقدام حافيـة كأنها لم تطـــأ مسكاً وكافورا
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلاً فردّك الدهر منهيـاً ومأمورا
من بات بعدك في ملك يسرّ به فإنمـــا بات بالاحلام مغـرورا

ولله قول أبي بكر بن اللبانة يرثيه بقصيدة منها :

لكل شيء من الاشياء ميقـات وللمنـى من مناياهنّ غـــايات
والدهر في صفة الحرباء منغمس ألوان حالاته فيهـا استحالات
ونحن من لعب الشطرنج في يده وربمـا قرت بالبيـــدق الشاة
من كان بين الندى والبأس أنصله هنديـــة وعطاياه هنيـــدات
رماه من حيث لم تستره سابغـة دهـــر مصيباته نبل مصيبات
لهفـــي على آل عباد فانهم أهلة مالهـــا في الأفق هالات
تمسكت بعرى اللـذات ذاتهم يا بئس ما جنت اللذات والذات
فجعت منها بإخوان ذوي ثقة فاتوا وللدهر في الإخوان آفـات
واعتضت في آخر الصحراء طائفة لغاتهم في جميـع الكتب ملغاة

— يعني البربر ابن تاشفين وعسكره .

Marfat.com

وفيها ترك الغزالي تدريس النظامية لأخيه وتزهد وقصد الشام والقدس ثم عاد .

وفيها توفي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الحميدي الاندلسي من ميورقة مصنف الجمع بين الصحيحين ثقة فاضل مولده قبل عشرين وأُربعمائة ، سمع بالمغرب ومصر والشام والعراق وكان نزهاً .

وفيها توفي علي بن عبد الغني المقري الضرير الحضري القيرواني الشاعر مدح المعتمد وغيره ، وتوفي بطنجة وله من قصيدة :

يا ليل الصب متى غده ... أقيام الساعة موعده
رقد السمار فأرقه ... أسف للبين يردّده
هاروت يعنعن في السحر ... الى عينيك ويسنده
واذا أغمدت اللحظ قتلت ... فكيف وأنت تجرّده

سنة تسع وثمانين وأربعمائة :

ذكر ملك كربوغا الموصل : كان تتش قد حبس كربوغا بحمص لما قتل أقسنقر واستمر حتى ارسل بركيا روق يأمر رضوان صاحب حلب باطلاقه فأطلقه وأطلق أخاه التونتاش، واجتمع على كربوغا البطالون وقصد نصيبين، وبها شرف الدولة محمد بن مسلم بن قريش فطلع محمد الى كربوغا واستحلفه ثم غدر به كربوغا وقبض عليه وملك نصيبين ، وقصد الموصل وقتل في طريقه محمد بن مسلم بن قريش المسيء ، وحصر الموصل وبها علي بن مسلم أخو محمد من حين استنابه بها تتش ، فهرب علي الى صدقة بن مزيد بالحلة وتسلم كربوغا الموصل بعد حصار تسعة أشهر ، ثم قتل كربوغا أخاه التونتاش ثالث يوم أخذ الموصل وأحسن كربوغا السيرة فيها .

وفيها استولى عسكر خليفة مصر على القدس في شعبان من ايل غازي وسقمان ، ابني أرتق .

سنة تسعين واربعمائة :

مقتل أرسلان أرغون : كان للسلطان ملكشاه أخ أسمه ارسلان أرغون فسار بعد موت ملكشاه واستولى على خراسان ، وكان مهيباً فدخل عليه غلام له خالياً فأنكر عليه تأخره عن الخدمة ، فاعتذر الغلام فلم يقبل عذره فوثب على أرسلان أرغون فقتله بسكين في المحرم منها ، فسار بركيا روق فاستولى على خراسان وأقيمت له الخطبة وراء النهر، وسلم خراسان الى أخيه السلطان سنجر بن ملكشاه وجعل وزيره أبا الفتح علي بن الحسين الطغرائي .

ابتداء دولة بيت خوارزم شاه : أولهم محمد خوارزم شاه بن انوش تكين. كان انوش تكين مملوكاً لرجل من غرشستان ولذلك قيل له انوش تكين غرشه فاشتراه بلكابك أمير من السلجوقية ، فعلا انوش تكين بحسن طريقته وصار مقدماً وولد له خوارزم شاه ، ونشأ عارفاً أديباً ، وتقدم بالعناية الأزلية ، فلما قدم الأمير داذ الحبشي إلى خراسان وهو من أمراء بركيا روق ، كان قد أرسله بركيا روق لصلاح خراسان من فتنة الأتراك قتل فيها نائب خوارزم ، فسكن داذ الفتنة واستعمل محمد بن انوش تكين على خوارزم ولقبه خوارزم شاه ، فصرف محمد همته إلى معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها ، وقرب أهل العلم والدين ، فعظم ذكره وأقره السلطان سنجر على خوارزم ، وعظم عنده ، ثم ولى بعده ابنه آتسز فأفاض العدل ، وفيها سار رضوان من حلب ليأخذ دمشق من ابن أخيه دقاق ، ومعه ياغي سنان صاحب انطاكية وجناح الدولة ، فلم ينالوا من دمشق غرضاً . وارتحل رضوان إلى القدس فلم يملكها وتراجعت عساكره فرجع إلى حلب ثم سار ياغي سنان عن رضوان إلى دقاق، وحسن له قصد أخيه رضوان وأخذ حلب منه فالتقيا على قنسرين فانهزم دقاق وعسكره وعاد رضوان منصوراً ، ثم اتفقا على ان يخطب لرضوان بدمشق قبل دقاق .

وفيها خطب الملك رضوان للمستعلي بأمر الله العلوي بمصر أربع جمع ثم قطعها وأعاد الخطبة العباسية خوف العاقبة .

وفيها قتلت الباطنية آرغش النظامي بالريّ ، وكان قد عظم حتى تزوج بنت ياقوتي عم بركيا روق .

وفيها قتلت الباطنية ايضاً الأمير برسق من أصحـــاب طغرل بك أول شحنة السلجوقية ببغداد .

سنة احدى وتسعين واربعمائة :

وفيها حصر الفرنج انطاكية لسبعة أشهر وظهر لياغي سنان شجـــاعة عظيمة ثم هجموها عنوة وخرج ياغي سنان ليلاً مرعوباً فلما أصبح ووعى على نفسه اخذ يتلهف على أهله والمسلمين ، وغشي عليه حتى عجز عن الركوب فتركوه ومر به أرمني يقطع الخشب فقطع رأسه وحمله الى الفرنج بأنطاكية ، ووضع الفرنج السيف في انطاكية في المسلمين ونهبوا . وبلغ كربوغا صاحب الموصل فعل الفرنج بانطاكية فجمع عسكره وسار الى مرج دابق وجـــاءه دقاق من دمشق وطغتكين اتابك وجنـــاح الدولة صاحب حمص زوج ام رضوان فارق رضوان وملك حمص وغيرهم من الأمراء العرب ، ثم حصروا انطاكية والفرنج بها ، فطلبوا من كربوغا ان يطلقهم فامتنع ثم أساء كربوغا السيرة فيمن اجتمع معه وتكبر فخبثت نياتهم له ، وضاق الأمر بالفرنج وقل قوتهم فخرجوا من انطاكية وقاتلوا المسلمين فهرب المسلمون وتقوت الفرنج بالقوت والسلاح وسار الفرنج الى المعرة فاستولوا عليها فقتلوا فيها ما يزيد على مائة الف إنسان وسبوا وأقاموا بالمعرة أربعين يوماً . (**قلت**) وفي ذلك يقول بعض المعريين وما أحسن ما جاءت تورية الاثنين والخميس والأحد :

معرّة الاذكيـــاء قد حردت عنـــا وحق المليحة الحرد
في يوم الاثنين كان موعدهم فـــما نجى من خميسه أحد

والله أعلم . ثم ساروا فصالحهم أهل حمص .

Marfat.com

سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة :

ذكر ملك الفرنج بيت المقدس

كان تتش قد أقطع بيت المقدس للأمير أرتق ثم لولديه ايلغازي وسقمان الى أن استولى عليها عسكر خليفة مصر بالأمان سنة تسع وثمانين واربعمائة ، فسار سقمان وايلغازي فأقام سقمان ببلد الرها وايلغازي بالعراق ، واستمر القدس للمصريين الى أن حصره الفرنج نيفاً وأربعين يوماً وملكوه يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان هذه السنة ، وقتل الفرنج في المسلمين اسبوعاً ، وقتلوا في المسجد الأقصى فوق سبعين الفاً فيهم أئمة وعلماء وعباد وزهاد ممن جاور لشرف الموضع ، وغنموا ما لا يحصر . واختلف الملوك السلجوقية فتمكن الفرنج من البلاد . وللمظفر الأبيوردي في ذلك شعر منه :

مزجنا دماء بالدموع السواجم ... فلم تبق منا عرضة للمراجم
وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هبوات أيقظت كل نائم
واخوانكم بالشام يضحي مقيلهم ... ظهور العذاكي أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم ... تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد أبيحت ومن دمى ... توارى حياء حسنها بالمعاصم
أترضى صناديد الأعاريب بالأذى ... وتقضي على ذل كماة الأعاجم
فليتهم إذ لم يذودوا حمية ... عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم

وفيها قصد محمد بن ملكشاه أخاه لأبيه بركيـــا روق بالري فسار عنه بركيا روق فوجد محمد بها زبيدة خاتون ام اخيه بركيا روق فأخذ خطها بمال ثم خنقها واجتمع اليه هركواس شحنة بغداد وكربوغا صاحب الموصل ، وطلب الخطبة ببغداد فخطب له بها سابع عشر ذي الحجة منها .

Marfat.com

سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة :

وفيها دخل بركيا روق بغداد وأعاد الخطبة له في صفر ، ثم قاتل أخاه محمداً رابع رجب عند النهر الأبيض قرب همدان ، فانهزم بركيا روق وأعاد محمد الخطبة له ببغداد ، وسار برقيا روق الى الري وقصد بجماعته خراسان واجتمع مع الأمير داذ واقتتل مع أخيه سنجر فـــانهزم بركيا روق الى جرجان ثم إلى دامغان .

وفيها جمع ابن الدانشمند – أي معلم التركمان – وهو كمشتكين بن طيلو صاحب ملطيه وسيواس وأوقع بالفرنج قرب ملطيه وأسر ملكهم .

وفيها توفي ابو عيسى يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب صاحب المنهاج في المفردات كان نصرانياً فأسلم ورد في رسالته على النصارى وبيّن عوار مذهبم وأقام الحجـــة على الدين الحق وذكر فيها النصوص من التوراة والانجيل في ظهور النبي ﷺ ، وله كتاب تقويم الأبدان وغيره ، ووقف كتبه وجعلهـا في مشهد أبي حنيفة .

ابتداء دولة بني شاهر من ملوك خلاط : استولى سقمان القطبي التركي ويسمى سكمان علي خلاط كان مملوكاً لإسماعيل صاحب مدينـة مرنـد من اذربيجان ، ولقب إسماعيل قطب الدين وكان من بني سلجوق ، ولذلك قيل لسكمان القطبي ، ونشأ سكمان شهماً كافياً ، وكانت خلاط لبـــني مروان وظلموا واشتهر عدل سقمان ، فاتفق أهل خلاط وكاتبوه فجاء وفتحوها له وسلموها اليه ، واستمر بها حتى توفي سنة ست وخمسمائة وملكها بعده إبنه ظهير الدين ابراهيم .

سنة اربع وتسعين واربعمائة :

وفيها أن بركيا روق بعد هزيمته المذكورة من اخوته إجتمـع عليـــه

أصحابه بخوزستان ، ثم أتى عسكر مكرم فكثر جمعه ثم سار إلى همدان فلحق به الأمير أياز في خمسة آلاف فارس ، ثم قاتل اخاه محمداً في ثالث جمادى منها طول النهار فانهزم محمد وعسكره وأسر مؤيد الملك بن نظام الملك وزير محمد فعاقبه على فعله بوالدته ، وقتله بيده ، وعمر مؤيد الملك خمسون سنة تقريباً، ثم سار بركيا روق إلى الري ، وأما محمد فقصد خراسان وجمع مع اخيه سنجر الجموع وتحالفا وقصدا بركيا روق بالري فسار بركيا روق الى بغداد ، وضاقت امواله فطلب من الخليفة مالاً فحمل اليه خمسين الف دينار ، ومد يده في مال الرعية ومرض مرضاً شديداً ، وأما محمد وسنجر فاستوليا على بلاد اخيهما بركيا روق ، ثم دخلا بغداد وهو مريض قد أيس منه فسار الى جهة واسط ووصل السلطان محمد وسنجر بغداد فشكا اليهما الخليفة المستظهر سوء سيرة بركيا روق وخطب لمحمد ، ثم كان ما سيذكر .

ملك ابن عمار مدينة جبلة :

كان القاضي ابو عبيد الله بن منصور ـ عرف بابن صليحة ـ قد استولى على جبلة وحاصره الفرنج فأرسل الى طغتكين اتابك دقاق صاحب دمشق يطلب منه من يتسلم منه جبلة ويحفظها ، فأرسل اليها طغتكين ابنه تاج الملك بوري فتسلمها وأساء السيرة ، فكاتب أهلها أبا علي بن محمد بن عمار صاحب طرابلس فأرسل عسكراً فاجتمعوا وقاتلوا بوري ، فانهزم أصحابه ، وملك ابن عمار جبلة وأسر بوري فأحسن اليه ابن عمار وسيّره الى ابيه طغتكين ، وأما القاضي ابن صليحة فقصد بأهله دمشق ثم بغداد وبها بركيا روق وقد ضاقت يده فطلب من ابن صليحة مالاً فحمل اليه جملة طائلة .

أخبار الباطنية .. وهم الاسماعيلية :

أول عظمتهم بعد السلطان ملكشاه ، وملكوا قلاعاً منها قلعة أصبهان

13161٤

Marfat.com

مستجدة بناها ملكشاه ، وسبب بنائها أن كلباً هرب منه في الصيد ومعه رسول الروم فصعد الكلب الى موضع القلعة فقـــال الرسول : لو كان هذا الموضع ببلادنا لبنينا عليه قلعة . فبناها السلطان وتواردت عليها النواب حتى ملكها الباطنية وعظم ضررهم ، وبسببها كان يقال « قلعة يدل عليها كلب ويشير بها كافر لا بد وأن يكون آخرها الى شر » . وملكوا قلعة ألموت في نواحي قزوين أرسل بعض ملوك الديلم عقاباً فنزل على موضع أألموت فرآه حصيناً فبناه قلعة وسماها الراموت معنـــاه بلسان الديلم « تعليم العقاب » وذلك الموضع وما يجاوره يسمى طالقان ، وكان الحسن بن الصبـــاح شهماً مهندساً حيسوباً ساحراً، وطاف البلاد ثم استغوى أهل ألموت وملكه ، وملكوا ايضاً طبس وقهستان ثم قلعة رستمكوه قرب ابهر سنة اربع وثمانين واربعمائة ثم قلعـة خالنجان على خمسة فراسخ من اصفهان ، ثم قلعة اردهن ملكها ابو الفتوح ابن اخت الحسن بن الصباح وملكوه قلعـة كرد كوه وقلعة الطنبور وقلعة حلاوخان بين فارس وخوزستان . وامتدوا الى إغتيال الاكابر فعظم صيتهم وخافهم الناس فتتبعهم بركيا روق وقتل كل من عرف منهم .

وفيها ملك الفرنج سروج من ديار الجزيرة قتـــلا وسبياً وأرسوف بساحل عكا وقيسارية .

سنة خمس وتسعين وأربعمائة :

فيها توفي المستعلي بأمر الله ابو القاسم أحمد بن المستنصر العلوي خليفـة مصر لسبع عشرة خلت من صفر ومولده في العشرين من شعبان سنة سبـع وستين واربعمائة ، وخلافته سبـع سنين ونحـــو شهرين ، كان مدبر دولته الأفضل بن بدر الجمالى .

وبويـع لابنه الآمر بأحكام الله ابي علي المنصور ، وعمره خمس سنين وشهر وأيام ، وقام بتدبير دولته الأفضل بن بدر الجمالي .

Marfat.com

وفيها تقابل بركيا روق وأخوه محمد عند الري في جمادى الأولى وهو المصاف الرابع ، فانهزم محمد ونهبت خزانته، ومضى في نفر يسير الى اصبهان . ثم سار بركيا روق فحصر محمداً بأصبهان، وعدم القوت بها الى عاشر ذي الحجة فهرب محمد منها مستخفياً وحرص بركيا روق على تحصيله فلم يظفر به ، ثم سار بركيا روق عن أصفهان الى همدان في ثامن عشر ذي الحجة منها .

فيها مات كربوغا بخويْ من اذربيجان بعثه اليها بركيا روق. واستولى على الموصل موسى التركماني عامل كربوغا على حصن كيفا وكان شمس الدولة جكرمش التركي صاحب جزيرة ابن عمر فقصد الموصل واستولى على نصيبين في طريقه فخرج موسى التركماني من الموصل لقتاله فغدر بموسى عسكره وصاروا مع جكرمش ، فعاد موسى الى الموصل وحصره جكرمش بها طويلاً فاستعان موسى بسقمان وهو في ديار بكر وأعطاه حصن كيفا فاستمر الحصن لسقمان وأولاده الى آخر وقت فسار سقمان اليه، فرحل جكرمش عن الموصل، وخرج موسى ليلقى سقمان فوثب على موسى جماعة من أصحابه فقتلوه عند قرية كواثا ودفن على تل هناك الى الآن يعرف بتل موسى. ورجع سقمان الى حصن كيفا . ثم عاد جكرمش صاحب الجزيرة الى الموصل وحصرها ثم تسلمها صلحاً وأحسن السيرة فيها .

وفيها سار صنجيل الفرنجي في جمع قليل وحصر حصن ابن عمار بطرابلس ، ثم صولح على مال حملوه اليه، ثم فتح صنجيل انطرسوس وقتل بها المسلمين، ثم حصر حصن الأكراد فجمع جناح الدولة صاحب حمص العسكر ليسير اليه، فوثب باطني على جناح الدولة بالجامع فقتله ، وبلغ ذلك صنجيل، فنازل حمص وملك أعمالها .

وفيها قتل المؤيد بن مسلم بن قريش أمير بني عقيل ، قتله بنو نمير عند هيت .

Marfat.com

وفيها توفي منظور بن عمارة الحسيني أمير المدينة ، وقام ابنه مقامه ، وهم من ولد المهنا .

سنة ست وتسعين واربعمائة :

وفيها في جمادى الآخرة كان المصاف الخامس بين الأخوين بركيا روق ومحمد ابني ملكشاه، فانهزم عسكر محمد أيضاً وذلك على باب خوي، وسار بركيا روق الى جبـل كثير العشب فأقام أياماً ثم سار الى زنجان وسار محمد الى أرجيش على أربعين فرسخاً من موضع الوقعة من اعمال خلاط ثم سار الى خلاط .

وفيها ملك دقاق بن تتش الرحبة وقررها وعاد الى دمشق .

سنة سبع وتسعين واربعمائة :

وفيها استولى بلك بن بهرام بن ارتق وهو ابن اخي سقمان وايل غازي على عانة والحديثة من بني يعيش بن عيسى بعد ما ملك الفرنج منه سروج .

وفيها في صفر أغارت الفرنج على قلعة جعبر والرقة فساقوا المواشي وأسروا من وجدوا ، وكانت الرقة وقلعة جعبر لسالم بن مالك بن بدران سلمها اليه ملكشاه كما مر لما تسلم منه حلب .

وفيها في ربيـع الأول اصطلح بركيا روق ومحمد بالتراسل وحلفا على أن لا يذكر بركيا روق في بلاد محمد وأن تكون المكاتبة بين وزيريهما ولكل منهما بلاد مسماة ، ووصلت الرسل الى المستظهر بالصلح فخطب ببغداد لبركيا روق وكان شحنته ببغداد ايلغازي بن أرتق.

وفيها سار صنجيل الفرنجي من البحر وحـاصر طرابلس براً وبحراً وانصرف خاسئاً ، وحاصر جبيل وتسلمها بالأمان ، ثم حاصر عكا براً وبحراً ووليها زهر الدولة نيابة من جهة خليفة مصر فملك الفرنج عكا بالسيف بعـد

Marfat.com

قتال شديد ، وفعلوا بأهلها الأفعال الشنيعة ، وهرب نبـا الى الشام ثم الى مصر ، هذا وملوك الشام مشتغلون بقتال بعضهم بعضاً ، وقصدت الفرنج حران فاجتمع جكرمش وسقمان ومعه التركمان وتحالفا والتقيـا مع الفرنج على نهر البلخ ، فانهزم الفرنج وأسر ملكهم القومص .

وفيها في رمضان توفي دقاق بن تتش بن ألب ارسلان بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق صاحب دمشق فخطب طغتكين الأبابك بدمشق لابن دقاق طفل عمره سنة ، ثم قطع خطبته وخطب ليلتاش بن تتش عم الطفل في ذي الحجة ثم اعاد خطبة الطفل واستقر طغتكين في دمشق .

وفيها سار صدقة بن مزيـد صاحب الحلة فاستولى على واسط وضمـن البطيحة لمذهب الدولة بن ابي الخير بخمسين الف دينار .

وفيها توفي أمير الدولة أبو سعد بن موصلايا فجأة وقد أضر ، وكان بليغاً خدم الخلفاء خمساً وستين سنة وكان نصرانياً فأسلم سنة أربع وثمانـين واربعمائة وترقى حتى ناب عن الوزارة وكان يتصدق ووقف ملكـه على وجوه البر .

سنة ثمان وتسعين واربعماية :

فيهـا في ربيع الاول توفي السلطان بركيـاروق بـن ملكشاه بالسل والبواسير . سار من اصفهان الى بغداد فقوي مرضه في يزدجرد ، فخلف العسكر لابنه ملكشاه وعمره اربع سنين وثمانية اشهر ، وجعل اياز أتابكه وأمرهم بالمسير الى بغداد ، وتوفي بيزدجرد ونقل فدفن باصبهان في تربته وعمره خمس وعشرون سنة وتسمى بالسلطنة إثنتى عشرة سنة واربعة اشهر ، وقاسى حروباً وخلافاً ورخاء وشدة ، وملكا وزواله ، ولما صفا ملكه كدره الموت ، وكان كلما خطب له ببغداد وقع فيها الغلاء ، وكان كثير التجاوز ،

Marfat.com

ودخل أياز ومعه ملكشاه بن بركيا روق بغـداد سابع عشر ربيـع الآخر منها ، وخطب لملكشاه بجوامع بغداد .

ولما بلغ محمداً موت اخيه بركيا روق قصد بغداد ونزل بالجانب الغربي ، وبقي ملكشاه واياز بالشرقي ، وجمع اياز العسكر لقتال محمد ، ثم اشار على اياز وزيره بالصلح ومشى بينهما وحضر الكيا الهراس مدرس النظاميـــة والفقهاء وحلفوا محمداً لأياز والامراء الذين معه ، وحضر أياز بملكشاه عند محمد فأكرمه وصارت السلطنة لمحمد في جمادى الاولى منها. وعمل اياز دعوة عظيمة في ثامن جمادى الآخرة للسلطان محمد في داره ببغداد فحضر اليه وقدم له أياز اموالاً ، وفي ثالث عشر جمادى الآخرة طلب السلطان أيازاً ورتب له في الدهليز جماعة فقتلوه وعمره فوق اربعين وهو من مماليك ملكشاه ، وكان شجاعاً ذا مروءة وأمسك الصفي وزيره ، وقتل في رمضان وعمره ست وثلاثون وكان من بيت رياسة بهمدان .

وفيها توفي سقمان بن ارتق بن اكسك بالخوانيق في القرينين وحمل في تابوت فدفن بحصن كيفا . كان متوجهاً الى دمشق باستدعاء طغتكين ليجعله مقابل الفرنج بحكم مرض طغتكين وقام ابنه ابراهيم موضعه ، وكان له حصن كيفا وماردين أما ملكه لحصن كيفا فتقدم ، وأما ملكه لماردين فهو انه وهب ماردين واعمالها السلطان بركيا روق لانسان مغن. ووقع حرب بين كربوغا وسقمان وكان مع سقمان ابن أخيه ياقوتي وعماد الدين زنكي وهو إذ ذاك صبي فانهزم سقمان وأسر ابن اخيه ياقوتي فحبسه كربوغا صاحب الموصل بماردين الى أن سألت زوجة ارتق كربوغا في إطلاق ابن ابنها ياقوتي فأطلقه ، فأعجب ياقوتي ماردين فأرسل يقول للمغني إن أذنت لي سكنت في ربض قلعتك وحميتها من المفسدين فأذن له بالمقام في الربض فأقام بها ياقوتي ، وجعل يغير من خلاط الى بغداد ومعه حفـّاظ قلعة ماردين وهو يحسن اليهم فاطمأنوا اليه وسار مرة ونزل معه أكثرهم فقبضهم وقيدهم . وأتى الى باب قلعة ماردين وقال لأهلهم ان سلمتم

القلعة إليّ وإلا ضربت اعناقهم، فامتنعوا فضرب عنق واحد فسلموها اليه وأقام بها . وجمع جمعاً وقصد نصيبين ولحقه مرض اعجزه فحمل حتى ركب الفرس وأصابه سهم فسقط ياقوتي ومات منه . ثم ملك مـــاردين بعده أخوه علي مطيعاً لجكرمش صاحب الموصل واستخلف على ماردين من أصحابه شخصاً إسمه علي أيضاً ، فجهز هذا علي يقول لسقمان : إن ابن أخيك يريد أن يسلم ماردين الى جكرمش ، فسار سقمان وتسلم ماردين ، وعوض ابن أخيه عنها بجبل جور ، واستقرت ماردين وحصن كيفا لسقمان الى أن سار إلى دمشق ومات بالقرينين فصارت ماردين لأخيه ايلغازي بن أرتق واستقرت لولده الى يومنا هذا وهو سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

وفيها نهبت الباطنية الحجاج في جوار الريّ ، وهم حجاج الهند ومـــا وراء النهر وخراسان وقتلوهم سحراً .

وفيها تقاتل الملك رضوان بن تتش صاحب حلب وفرنج انطاكية عند يبرين فانهزم المسلمون وقتل منهم وأسر ، وملكت الفرنج ارتاح .

وفيها توفي محمد بن علي بن الحسن بن أبي صقر الشافعي (كانت ولادته نحو سنة سبع وأربعمائة) ، تفقه على أبي إسحـــاق الشيرازي وغلب عليه الشعر . فمن قوله لما كبر :

ابن أبي الصقر افتكر وقال في حال الكبر
والله لولا بولـــة تحرقني وقت السحر
لما ذكرت ان لي ما بين فخذي ذكر

سنة تسع وتسعين وأربعمائة :

وفيها سار سيف الدولة صدقـــة بن مزيد من الحلة فملك البصرة . إتصال ابن ملاعب بملك افامية واستيلاء الفرنج عليها: كان خلف بن ملاعب

Marfat.com

الكلابي صاحب حمص وأصحابه يقطعون الطريق ، فعظم الضرر به فأخذ تتش صاحب دمشق منه حمص، وتقلبت بخلف الأحوال الى أن أقام بمصر . واتفق أن متولي أفامية من جهة رضوان بن تتش صاحب حلب كان شيعياً فكاتب خلفاء مصر ليرسلوا من يسلم اليه أفامية فطلب ابن ملاعب ذلك فأرسلوه وتسلم أفامية وقلعتها ، فلما استقر خلع طاعة المصريين وأقام بها يقطع الطريق ، فاتفق قاضي أفامية وجماعة منها وكاتبوا رضوان ليرسل جمعاً يكبسون أفامية بالليل ويسلموهـا اليهم ، ففعل رضوان ذلك فأصعد القاضي وجماعته المبعوثين بالحبال الى القلعة فقتلوا ابن ملاعب وبعض اولاده وهرب البعض واستولوا على قلعة أفامية ، ثم سار اليها الفرنج وحاصروها وملكوا البلد والقلعة ، وقتلوا القاضي المذكور .

حال طرابلس مع الفرنج : كان صنجيل قد ملك جبلة ثم حصر طرابلس وبنى بقربها حصناً وبنى تحته ربضاً ويعرف بحصن صنجيل ، فخرج الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس وأحرق الربض ، فـــانهدم بعض السقوف المحترقة بصنجيل فمرض عشرة أيام ومات ونقل إلى القدس .

قلت :

نقلوا صنجيل من نار إلى نار تضرم قبره إن كان في القدس ففي وادي جهنم

والله أعلم .

ودام الحرب بين أهـــل طرابلس وبين الفرنج خمس سنين وصبر صاحبها ابن عمار صبراً عظيماً، وقلت بها الأقوات وافتقرت الاغنياء .

سنة خمسمائة :

وفيها توفي يوسف بن تاشفين أمير المسلمين، ملك المغرب والأندلس. كان

حسن السيرة ، طلب من المستظهر التقليد فأرسله اليه وهو باني مراكش ، وملك بعده ابنه علي وتلقب بأمير المسلمين ايضاً .

وفيها قتل فخر الملك ابو المظفر علي بن نظـام الملك يوم عاشوراء وكان أكبر أولاد نظام الملك ، وزر لبركيا روق ثم لأخيه سنجر وقتل صائماً بنيسابور ورأى في المنام الحسين بن علي يقول : عجل الينا وليكن افطارك عندنا ، فقال لأصحابه : قد اشتغل فكري ولا محيد عن قضاء الله ، فقالوا الصواب ان لا تخرج اليوم فأقام يومه يصلي ويقرأ وتصدق بشيء كثير وخرج العصر يريد دار النساء فسمع صياح متظلم شديد الحرقة فأحضره وقال : ما حالك ؟ فدفع اليه رقعة.. فبينا فخر الملك يتأملها إذ ضربه بسكين فقتله . وأمسك الباطني وحمل الى السلطان سنجر فقرره فأقر على جماعة كذباً فقتل هو والجماعة .

وفيها ملك صدقة بن منصور بن مزيد قلعـة تكريت سلمها اليه كيقباد ابن هزارسب الديلمي ، وكانت لبني معن برهة ثم تنقلت حتى صارت لأقسنقر صاحب حلب ، ثم لكوهر آيين ثم لمجد الملك البلاساني فولى عليها كيقبـاذ حتى سلمها لصدقة .

وفيها أقطع السلطان محمد جاولي سقاو والموصل والاعمال التي بيد جكرمش ، فخرج جكرمش لقتاله في محفة مفلوجاً فانهزم عسكر جكرمش وأسر في محفته ، ثم حصر جاولي الموصل. وكان قد أقام أصحاب جكرمش زنكي بن جكرمش وملك الموصل وله إحدى عشر سنة . وطاف جاولي بجكرمش حول الموصل أسيراً وهو يأمرهم بتسليم البلد فلم يقبلوا منه ومات جكرمش في تلك الحال وعمره نحو ستين ، وهو الذي علّى سور الموصل وحصنها ، وكاتب أهل الموصل قليج ارسلان ابن سليمان بن قطامش السلجوقي صاحب بلاد الروم يستدعونه ، فقصد الموصل فلما وصل نصيبين رحل جاولي

Marfat.com

عن الموصل خوفاً الى الرحبة . وتسلم قليج ارسلان الموصل في الخامس والعشرين من رجب منها ، واستخلف ابنه ملك شاه بها وعمره إحدى عشرة سنة ، واقام معه مدبراً ، وقصد جاولي وكان قد اجتمع الى جاولي رضوان أمير حلب وغيره فاقتتلوا في عشري ذي القعدة على الخابور وقاتل قليج ارسلان بنفسه وانهزم عسكره ، فاضطر قليج ارسلان الى الهرب فألقى نفسه في الخابور فغرق وظهر بعد أيام فدفن بالشمسانية من قرى الخابور ، ثم تسلم جاولي الموصل بالأمان وسار ملك شاه بن قليج ارسلان الى السلطان محمد .

وفيها حاصر السلطان محمد قلعة الباطنية بالقرب من اصبهان التي بناها ملك شاه باشارة رسول الروم واسمها شاه دز ، وطال الحصار ونزل بعضهم بالأمان وبقي صاحبها احمد بن عبد الملك بن عطاش مع جماعة يسيرة فزحف السلطان فقتله وقتل جماعة من الباطنية وملكها وخربها .

وفيها توفي الأمير سرخاب بن بدر بن مهلهل بن أبي الشول الكردي ، وأمواله لا تحصى ، وقام ابنه أبو المنصور مقامه ، وبقيت الامارة فيهم مائة وثلاثين سنة .

سنة احدى وخمسمائة :

وفيها في رجب قتل سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الأسدي أمير العرب في مقاتلته للسلطان محمد ، وحمل رأسه الى محمد وعمر صدقة تسع وخمسون ، وإمارته إحدى وعشرون سنة ، وقتل من اصحابه فوق ثلاثة آلاف ، وكان متشيعاً وهو الذي بنى الحلة بالعراق .

قال المؤلف رحمه الله : تقدم ذكر الحلة قبل وجود صدقة فكيف يكون هو الذي بناها وكان قد اتسع جاهه واستجار به الكبار ، إجتهد في نصح السلطان محمد حتى جاهر بركيا روق بالعداوة ، ثم فسد ما بينه وبين محمد لحماية صدقة كل من خاف من محمد ومنهم ابو دلف سرخاب بن كيخسرو صاحب ساوة استجار

بصدقة ، وطلبه محمد فلم يسلمه اليه ، فقاتله محمد ، فقتل صدقة وأسر إبنة دبيس وسرخاب .

قلت : ولصدقة صنف الشريف أبو يعلى محمد بن محمد بن أحمد بن الهبارية العباسي كتاب « الصادح والباغم » على صفة كليلة ودمنة ألفي بيت وأرسله اليه مع ابنه فأعطاه لكل بيت ديناراً ، ومنه :

وضعتـــه مخترعاً معنـــاه لملك ما خاب من رجـــاه
بحر الندا رب الأيادي والمنن شمس العلى صدر الهدى أبي الحسن
الأسدي المزيدي صدقـــه ومن إذا كذب مدح صدقه
ولم تزل حلتهم معـــاذاً لكل من يهرب من بغدادا

وهي حسنة في بابها وتشتمل على أمثال وحكم . والله أعلم .

وفيها توفي تميم بن المعز باديس صاحب افريقية ، وكان ذكياً حليماً ينظم الشعر، وعاش تسعاً وسبعين سنة، وولايته ست وأربعون سنة وكسر . خلف مائة إبن وستين بنتاً .

وملك بعده إبنه يحيى وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وستة أشهر . **وفيها** توجه فخر الملك أبو علي بن عماد من طرابلس إلى بغداد مستنفراً لمـــا حل بطرابلس وبالشام من الفرنج ، واجتمع بالخليفة المستظهر وبالسلطان محمود فلم يحصل منهما غرض ، فعاد وأقام بدمشق عند طغتكين وأقطعه الزبداني ودخل أهل طرابلس تحت طاعة خليفة مصر وخرجوا عن ابن عمار .

سنة اثنتين وخمسمائة :

وفيها أرسل السلطان محمود عسكراً مع مودود بن الطغتكين ، فحصروا الموصل وتسلمها مودود في صفر ، وهرب منهـــا جاولي الى الرحبة قبل وصولهم ، ثم لحق بالسلطان محمد قرب أصفهان ومعه كفنه فأمنه .

وفيها تولى مجاهد الدين بهروز شحنكية بغداد وعمر دار ملكهـــا بأمر السلطان محمد وأحسن الى الناس .

وفيها في فصح النصارى نزل بنو منقذ من شيزر للتفرج على عيد النصارى فثار جماعة باطنية وملكوا قلعة شيزر ، وبادر أهل المدينة الباشورة فأصعدتهم النساء من الطاقات وأدركتهم بنو منقذ وقاتلوهم فلم يسلم من الباطنية أحد .

وفيها في جمادى الآخرة توفي فجـــأة الخطيب ابو زكريا يحيى بن علي التبريزي إمام في اللغة قرأ على الشيخ أبي العلاء المعري سافر اليه من تبريز ، وسمع الحديث من الفقيه سليم الرازي بصور ومن غيره .

وروى عنه أبو منصور موهوب بن احمد الجواليقي ، وتخرج عليه خلق ، وشرح الحماسة وديوان المتنبي وديوان سقط الزند لأبي العـــلا ، وله اعراب القرآن في أربع مجلدات ، ومقدمـــة عزيزة الوجود في النحو ، وتآليفه حسنة ومفيدة ، وقرأ على ابن بابشاذ بمصر ، وعاد الى بغداد وتوطنها حتى مات ، ومولده سنة إحدى وعشرين واربعمائة .

قلت : وممن قرأ على التبريزي الأدب الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي أعاد الله علينا من بركته ، فأبو العلاء المعري شيخ شيخ عبدالقادر في الأدب والله أعلم .

وفيها توفي أبو الفوارس الحسن بن علي الخـــازن المشهور بجودة الخط ، وله شعر حسن .

سنة ثلاث وخمسمائة :

وفيها في حادي عشر ذي الحجة ملك الفرنج طرابلس ، حصروها براً وبحراً من أول رمضان فأرسل خليفة مصر إليها أسطولاً فردّه الهواء ليقضي

Marfat.com

الله أمراً كان مفعولاً ، فملكوها وقتلوا وسبوا ؛ وكان بعض أهلها قد طلبوا الأمان وقصدوا دمشق قبل فتحها .

سنة أربع وخمسمائة :

وفيها في ربيع الآخر ملك الفرنج صيدا بالأمان ، وفيهـــا سار فرنج انطاكية وملكوا حصن الأثارب بالقرب من حلب بالسيف وقتلوا منه الفي رجل وأسروا الباقين .

ثم ملكوا زردنا ففعلوا كذلك وقصدوا منبج وبالس فوجدوهما خاليتين ، فعادوا وصالح رضوان بحلب الفرنج على اثنين وثلاثين الف دينار يحملها اليهم مع خيل وثياب ، وبذلت أصحاب البلاد للفرنج الأموال وخـــافوهم وصالحهم أهل صور على سبعة آلاف دينار وابن منقذ صاحب شيزر على اربعة آلاف دينار ، وعلي الكردي صاحب حماة على الفي دينار .

وفيها توفي الكيا الهراسي الطبري أبو الحسن علي بن محمد بن علي مولده سنة خمسين واربعمائة من طبرستان ، وتفقه بنيسابور على إمام الحرمـــين ، ثم ولي تدريس نظامية بغداد ، وكان حسن الصورة جهوري الصوت ـ والكيا بالفارسية : الكبير المقدم .

وفيها وقيل سنة إحدى عشرة وخمسمائة قصد بردويـــل الفرنجي مصر وأحرق الفرما وجامعها ومساجدها ، ومنها عاد الى الشام مريضاً فهلك قبل وصوله العريش ، فشق أصحابه بطنه ورموا حشوته هناك وهي ترجم الى اليوم ودفنوا جثته بقمامة والسبخة بالرمل منسوبة اليه ، وكان هو صاحب بيت المقدس وعكا وعدة بلاد من الساحل .

سنة خمس وخمسمائة :

وفيها جهز السلطان محمد عسكراً فيه صاحب الموصل مودود وغـــيره

Marfat.com

لقتال الفرنج بالشام ونزلوا على الرها فلم يملكوها ووصلوا حلب فخافهم رضوان وغلق الابواب دونهم فساروا إلى المعرة ثم افترقوا ولم يحصل بهم غرض .

وفيها في جمادى الآخرة توفي زين الدين حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الغزالي الطوسي ، اشتغل بطوس ثم على إمام الحرمين بنيسابور، وأكرمه نظام الملك وفوض اليه تدريس النظامية ببغداد سنة اربع وثمانين واربعمائة ، وفي سنة ثمان وثمانين واربعمائة ترك الكل وتزهد وحج وأقام بدمشق ثم بالقدس ،واجتهد في العبادة ثم قصد مصر وأقام بالاسكندرية ثم عاد إلى وطنه بطوس ، وكتبه مشهورة مفيدة منها البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة والمنخول والمنخل في علم الجدل وغيرها، ومولده سنة خمسين واربعمائة . وطوس مدينتان من خراسان إحداهما طابران والاخرى نوقان ، والغزالي نسبة إلى الغزال والعجم كذلك ينسبون إلى القصار قصارى وإلى العطار عطاري وتخفيف الزاي وتشديدها من الغزالي مشهور .

قلت : وما احسن قول القائل :

بدر تم أضحى بسيط غرامي فيه يروي عن طرفه الغزالي

والله اعلم .

سنة ست وخمسمائة :

وفيها توفي بسيل الارمني صاحب بلاد الأرمن فقصدها صاحب إنطاكية الفرنجي ليملكها فمات في الطريق وملكها سرخال .

وفيها توفي قراجه صاحب حمص وقام بعده إبنه قرجان .

وفيها توفي سقمان أو سكمان القطبي صاحب خلاط وقام بعده إبنه ظهير الدين إبراهيم إلى أن توفي سنة إحدى وعشرين وخمسمائة فتولاها أخوه أحمد

Marfat.com

إبن سقمان عشرة أشهر وتوفي فحكمت والدتهما إينابح خاتون ابنة أركماز على وزن اقحوان ، واستبدت بالأمر ومعها ولد ولدها سقمان بن إبراهيم بن سقمان وعمره ست سنين ، فقصدت إعدامه لتنفرد بالمملكة فخنقها كبراء الدولة لسوء نيتها فيه سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، واستقل ابنها شاهر بن سقمان في الملك حتى توفي سنة تسع وسبعين وخمسمائة .

سنة سبع وخمسمائة :

وفيها اجتمع المسلمون ، وفيهم مودود صاحب الموصل وتميرك صاحب سنجار وأياز بن ايلغازي وطغتكين صاحب دمشق . واجتمعت الفرنج وفيهم بغدوين صاحب القدس وجوسلين صاحب الجيش . واقتتلوا قرب طبرية ثالث عشر المحرم فهزم الله الفرنج وقتل منهم كثير ودخـــل المسلمون دمشق منصورين في ربيع الاول وصلى مودود وطغتكين الجمعة . وخرجـــا يتمشيان في صحن الجامع فوثب باطني على مودود بن التونتكين وضربه بسكين ، وقتـــل الباطني وأخذ رأسه وحمل مودود الى دار طغتكين وكان صائماً واجتهدوا به ان يفطر فأبى ومات من يومه رحمه الله، وكان خيراً عادلاً ودفن بتربة دقـــاق ثم نقل الى بغداد فدفن بجوار أبي حنيفة ثم نقل الى اصبهان .

قلت :

غزا وصلى صائماً عاكفاً وكمل الظاهر بالباطني
ثلاث حفرات تملت بـه يا شرف المسكن بالساكن

والله أعلم .

وفيها توفي الملك رضوان بن تتش بن ألب ارسلان بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق صاحب حلب ، وملكها بعده ابنه ألب ارسلان الأخرس وهـــو

Marfat.com

ابن ستة عشرة سنة . قتل رضوان قبل موته أخويه وكان يستعين بالباطنية في كثير من أموره لقلة دينه ، واستولى على أمور الأخرس لؤلؤ الخادم وسمي أخرس لتمتمة وحبسة في كلامه وأمه بنت ياغي سنان صاحب انطاكية ، وبمجرد ولايته قتلت الباطنية بحلب ونهبوا .

وفيها توفي اسماعيل بن احمد بن الحسين البيهقي الامام ابن الامام ببيهق ومولده سنة ثمان وعشرين واربعمائة .

وفيها توفي محمد بن احمد بن محمد الابيوردي الأديب الأموي بأصبهان ولله قوله :

تنكر لي دهري ولم يدر انني أعز وأهوال . الزمـــان تهون
وظل يريني الخطب كيف اعتداؤه وبت أريه الصبر كيف يكون

وفيها توفي محمد بن احمـــد بن الحسين بن عمر وكنيته ابو بكر الشاشي الفقيه الشافعي .

تفقه ببغداد على ابي إسحاق الشيرازي وعلى ابي نصر بن الصباغ وصنف للمستظهر بالله كتاب المستظهري ومولده سنة سبع وعشرين واربعمائة .

سنة ثمان وخمسمائة :

وفيها ولى السلطان محمد اقسنقر البرسقي الموصل لقتل مودود رحمه الله وأمر الامراء بالمسير صحبة البرسقي لقتـــال الفرنج ، وجرى بين البرسقي وايلغازي وارتق صاحب ماردين قتال انتصر فيه ايلغازي ، ثم خاف ايلغازي من السلطان ، فاتفق بدمشق مع طغتكين ، وكاتبا الفرنج ، واعتضدا بهم ، ثم عـــاد ايلغازي الى جهة بلاده فلما خرج من حمص في جماعة قليلة خرج قرجان بن قراجه صاحب حمص وأسره مدة ثم تحالفا وأطلقه .

وفيها في شوال توفي الملك علاء الدولة أبو سعد مسعود بن ابراهيم بن

مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وملك في سنة احدى وثمانين واربعمائة. وملك بعده ابنه ارسلان شاه وامسك اخوته إلا بهرام شاه فإنه هرب واستجار بالسلطان سنجر بن ملك شاه صاحب خراسان فشفع فيه فلم يقبل منه، فسار سنجر الى غزنة واقتتلوا قتالاً عظيماً فانهزم ارسلان شاه وعسكره واستولى سنجر على غزنة وأخذ اموالاً وقرر السلطنة لبهرام شاه، وان يخطب للسلطان محمد ثم للملك سنجر ثم للسلطان بهرام شاه المذكور. ثم عاد سنجر الى بلاده، وكان ارسلان شاه قد هرب الى هندستان فجمع جمعاً وعاد الى غزنة فاستنجد بهرام شاه بسنجر ثانيـاً فأرسل له عسكراً فهرب ارسلان شاه بلا قتال، وتبعوه فأمسكوه فخنقه بهرام شاه ودفنه بتربة أبيه بغزنة في سنة إثنتي عشرة وخمسمائة، وعمره سبع وعشرون سنة.

وفيها قتل تاج الدولة ألب أرسلان الأخرس صاحب حلب بن رضوان ابن تتش السلجوقي، قتله غلمانه بقلعة حلب واقاموا أخاه سلطان شاه بتدبير لؤلؤ الخادم.

سنة تسع وخمسمائة :

وفيها ارسل السلطان محمد عسكراً ضخما لقتال طغتكين صاحب دمشق وايلغازي صاحب مـــاردين فعبروا من الرقة وقصدوا حلب فعصت عليهم ثم فتحوا حماة عنوة ونهبوها ثلاثة أيام ثم سلموها الى قرجان بن قراجة صاحب حمص وأقام العسكر بحماة واجتمع بفاميه ايلغازي وطغتكين وملوك الفرنج صاحب انطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم. وأقاموا بفاميه ينتظرون تفرق المسلمين فأقام عسكر المسلمين إلى الشتاء فتفرق الفرنج. وسار طغتكين الى دمشق وايلغازي الى ماردين ثم فتح المسلمون كفرطاب وقتلوا مَن بها مِن الفرنج وساروا الى المعرة وهي للفرنج، ثم ساروا الى حلب فكبسهم صـــاحب انطاكية في الطريق فانهزموا وقتلت الفرنج في المسلمين ونهبوهم وهرب من سلم منهم الى بلاده.

وفيها استولى الفرنج على رفنيه وكانت لطغتكين ثم سار طغتكين من دمشق واسترجعها وقتل من بها من الفرنج .

وفيها توفي يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية يوم عيد الأضحى فجأة وتولى ابنه علي ، وعمّر يحيى إثنتان وخمسون سنة وولايته ثمان سنين وخمسة أشهر وخلف ثلاثين ولداً .

وفيها دخل السلطان محمد بغداد فجاءه طغتكين من دمشق يترضاه فرضي عنه ورده الى دمشق .

وفيها أَخذ السلطان محمد الموصل وما معها من اقسنقر البرسقي وأقطعها للأمير جيوش بك وبقي البرسقي في الرحبة وهي اقطاعه .

سنة عشر وخمسمائة :

وفيها مات جلوي بن سقاوو بفارس ولاه أياها محمد بعد أخذ الموصل .

وفيها وقيل سنة ست عشرة وخمسمائة توفي بمروروذ أبو محمد الحسين ابن مسعود بن محمد الفراء البغوي[1] الفقيه المحدث المفسر بحر العلوم ، له التهذيب في الفقه ، والمصابيح في الحديث ، والجمع بين الصحيحين .

قلت : وله شرح السنة في الحديث ، ومعالم التنزيل في التفسير . وكان لا يلقي الدرس إلا على طهارة . والله أعلم .

سنة احدى عشرة وخمسمائة :

وفيها في الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي السلطان محمد السلجوقي

---

١ - الفراء : نسبة الى عمل الفراء ، والبغوي : نسبة الى بلدة بغشور من خراسان .

Marfat.com

وكان ابتداء مرضه من شعبان ومولده ثامن عشر شعبان سنة أربع وسبعين وأربعمائة فعمره ست وثلاثون سنة وأربعة أشهر وستة أيام ؛ قطعت خطبته مرات ولقي مشاقاً، وعَدَل، وأطلق المكوس في بلاده، وعهد بالملك الى ولده محمود وعمره إذ ذاك يزيد على أربع عشرة سنة ، ولما عهد اليه اعتنقه وقبله وبكى كل منهما وجلس محمود على تخت السلطنة يوم مات أبوه بالتاج والسوارين، وخطب له يوم الجمعة الثامن والعشرين من ذي الحجة .

وفيها قتل لؤلؤ الخادم مستولياً على حلب وعلى أمور الأخرس بن رضوان ثم على أمور سلطان شاه بن رضوان سار لؤلؤ من حلب ليجتمع بسالم بن مالك العقيلي صاحب قلعة جعبر ونزل سبوك، فوثب أصحابه الأتراك وصاحوا : أرنب أرنب ، وقتلوه بالنشاب ونهبوا خزانته وعادوا الى حلب فاستعاد أهل حلب منهم المال وأقام بأتابكية سلطان شاه الخواص يارقطاش شهر ، ثم اجتمعت كبراء الدولة وعزلوه وولوا أبا المعالي ابن الملحي الدمشقي ثم عزلوه وصادروه ثم خافوا من الفرنج فسلموا البلد الى ايلغازي صاحب ماردين فدخلها وسلمها إلى إبنه تمرتاش وعاد ايلغازي الى ماردين .

وفيها جاء سيل غرق سنجار وخلقاً من أهلها ، وهدم المنـــازل ، ومن العجيب أن مهداً فيه طفل علقه السيل فيها بشجرة زيتون ، ونقص الماء عنه فسلم الطفل .

وفيها هجم الفرنج ربض حماه وقتلوا فوق المائة وعادوا .

سنة إثنتي عشرة وخمسمائة :

وفيها عزل السلطان محمود بهروز عن شحنكية بغداد وولاها اقسنقر البرسقي ، وسار بهروز إلى تكريت وهي إقطاعه .

وفيها سار دبيس بن صدقة إلى الحلة بإذن السلطان محمود ، وكان اعتقله من حين قتل أباه ، فاجتمعت عليه العرب والأكراد .

وفيها في سادس عشر ربيع الآخر توفي المستظهر بالله أحمد بن المقتدي

Marfat.com

بأمر الله عبد الله بن الذخيرة محمد بن القائم وعمره إحدى وأربعون سنة وستة أشهر وإيام ، وخلافته أربع وعشرون سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً ، ومن نادر الاتفاق أنه لما توفي السلطان ألب ارسلان توفي بعده القائم ، ولما توفي ملك شاه توفي بعده المقتدي، ولما توفي محمد توفي بعده المستظهر .

قلت :

تبع الخلائق في الوفاة ملوكهم فكأنهم كانوا على ميعـــاد

والله أعلم .

وبويع بعده ابنه المسترشد بالله وهو تاسع عشرهم أبو منصور فضل ، أخذ البيعة له القاضي أبو الحسن الدامغاني .

وفيها توفي أبو زكرياء يحيى بن عبد الوهاب بن منده الاصفهاني المحدث ذو التصـــانيف الحسنة ، وابو الفضل أحمد بن محمد الخـــازن أديب له شعر حسن .

وفيها قتل أرسلان شاه بن مسعود السبكتكيني ، قتله أخوه بهرام شاه ابن مسعود ، وملك غزنة كما مر .

سنة ثلاث عشرة وخمسمائة :

فيها قاتل السلطان سنجر ابن أخيه السلطان محموداً بالري قرب ساوه فانهزم محمود ونزل سنجر في خيامه، ثم اصطلحا على أن يخطب لسنجر وبعده لمحمود ، وأضاف سنجر الري إلى ما بيده وقدم محمـــود إلى عمه سنجر بالري فأكرمه .

وفيها قاتل إيلغازي بن أرتق الفرنج بأرض حلب عند عفرين في نصف

Marfat.com

ربيع الأول فهزمهم وقتل منهم كثيراً ، وممن قتل سرخال صاحب انطاكية وفتح عقيب الوقعة الاثارب وزردنا فقال بعض الشعراء فيه :

قل ما تشاء فقولك المقبول وعليك بعد الخالق التعويل
إستبشر القرآن حين نصرته وبكى لفقد رجاله الإنجيل

قلت : وهذا الشعر لا يعجبني فإن إنجيل عيسى عليه السلام لا يبكي لفقد الكفار المشركين .

وما أحسن قول بعضهم في كسرة النصارى ونصرة المسلمين :

يبكي من المنبر الصليب كما يضحك للمصحف الأناجيل

ويمكن تأويل البيت المذكور ولكن ليس هذا موضعه والله أعلم .

وفيها سار جوسلين بالفرنج صاحب تل باشر ليكبس بني ربيعة ببلد دمشق وأميرهم مر بن ربيعة ، وتأخر جوسلين فضل عن عسكره وأوقعوا بالعرب فنصر الله العرب وقتلوا من الفرنج وأسروا خلقاً .

وفيها أعاد السلطان سنجر شحنة لبغداد .

وفيها ظهر قبر إبراهيم الخليل وإبنيه إسحاق ويعقوب عليهم السلام بالقرب من بيت المقدس ورآهم خلق كثير لم تبل أجسامهم وعندهم في المغارة قناديل من ذهب وفضة ـ قاله حمزة بن أسد التميمي في تاريخه .

سنة أربع عشرة وخمسمائة :

وفيها اقتتل مسعود ومحمود أبناء السلطان محمد عند عقبة استراباذ في منتصف ربيع الاول واشتد القتال فانهزم مسعود وعسكره ثم اختفى في جبل وبعث يطلب من محمود الأمان فأمنه فقدم ، وخرج محمود بالعسكر لتلقيه واعتنقه وبكيا ووفى له وأكرمه ، ثم قدم جيوش بك أتابك مسعود فأحسن اليه محمود أيضاً .

Marfat.com

وكان دبيس بن صدقة سبب الخلف بينهما ليعلو شأنه كما علا أبوه بالخلف بين بركيا روق ومحمد أخيه ، فلما بلغ دبيساً انهزام مسعود نهب وأفسد ، فكاتبه محمود فما التفت ، فقصده السلطان محمود ، فهرب دبيس عن الحلة الى ايلغازي بماردين، ثم اتفق الحال على ان يرهن اخاه منصوراً ويعود الى الحلة.

وفيها خرج الكرج وملكوا تفليس بالسيف وقتلوا في المسلمين ونهبوا نهباً عظيماً .

وفيها التقى ايلغازي والتركمان الفرنج عند دانيث البقل من بلد سرمين وجرى قتال شديد فانهزم الفرنج .

إبتداء أمر محمد بن تومرت
وملك عبد المؤمن

كان محمد بن عبد الله بن تومرت العلوي الحسيني من المصامدة من جبل السوس من المغرب فرحل في طلب العلم الى المشرق واتقن الأصولين والفقه والعربية واجتمع بالغزالي والكيا وبالطرطوشي ، ثم حج وعاد الى المغرب واخذ في انكار المنكر والأمر بالصلوات وغير ذلك ، ووصل الى قرية ملاكه قرب بجاية فاتصل به عبد المؤمن بن علي الكوفي ونفر من بجاية عبد المؤمن وسار معه .

وتلقب ابن تومرت بالمهدي ، ووصل مراكش وشدد في النهي عن المنكر وحسنت الظنون به فكثرت أتباعه فاستحضره أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين فناظر بحضرته الفقهاء فقطعهم ، فأشير على ابن تاشفين بقتله أو تخليده في الحبس فأبى وأخرجه من مراكش ، فسار المهدي الى اغمات ولحق بالجبل فاجتمع عليه الناس، وادعى انه المهدي الذي وعد النبي ﷺ بخروجه، فاستفحل أمره وقام عبد المؤمن بن علي في عشرة أنفس وقالوا له : انت المهدي وبايعوه على ذلك ، وتبعهم غيرهم فأرسل ابن تاشفين اليه جيشاً فهزمهم

Marfat.com

فأقبلت القبائل تبايعه ، وعظم أمره واستوطن جبلاً عند سمليك ورأى في جموعه قوماً خافهم فقال : ان الله أعطاني نوراً أعرف به أهل الجنة من أهل النار . وجمع الناس الى رأس جبل وجعل يقول عن كل من يخافه هذا من أهل النار فيلقى من رأس الشاهق، ويقول عمن لا يخافه هذا من أهل الجنة فيجعل عن يمينه حتى قتل على ما قيل سبعين الفاً ، وأمن على نفسه وسمى مطيعيه الموحدين . وما برح يعلو الى سنة اربع وعشرين وخمسمائة فجهز اربعين الفاً فيهم التونشريشي وعبد المؤمن فحصروا أمير المسلمين بمراكش عشرين يوماً ثم كشف متولي سجلماسه بالعساكر عن مراكش وطلع أهل مراكش وأمير المسلمين واقتتلوا فقتل التونشرشي وصار عبد المؤمن مقدم العسكر فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم عبد المؤمن ليلاً بالعسكر الى الجبل . وبلغ المهدي وهو مريض ذلك فسأل عن عبد المؤمن فقيل انه سالم فقال المهدي لم يمت أحد ، وأوصى أصحابه باتباع عبد المؤمن وعرفهم انه هو الذي يفتح البلاد وسماه امير المؤمنين ، ثم مات في مرضه وعمره احدى وخمسون سنة ، وولايته عشر سنين .

وعاد عبد المؤمن فأقام في تنمتليك يؤلف القلوب الى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، ثم سار عبد المؤمن واستولى على الجبال وجعل علي بن يوسف ابن تاشفين ابنه تاشفين يسير في الوطاءة قبالة عبد المؤمن .

وفي سنة تسع وثلاثين سار عسكر عبد المؤمن الى وهران وسار تاشفين اليهم وقرب الجمعان فلما كان ليلة سبع وعشرين من رمضان من هذه السنة وهي ليلة عادة المغاربة تعظيمها سار تاشفين متخفياً في جماعة يسيرة ليزور مكاناً على البحر فيه متعبدون للتبرك . وبلغ ذلك عمر بن يحيى الهتنائي مقدم جيش عبد المؤمن فأحاط بتاشفين فركب فرسه ليهرب فسقط من جرف فهلك وجعلوه على خشبة وقتل من معه وتفرق عسكره ، وسار عبد المؤمن الى وهران وملكها بالسيف وقتل من المسلمين ما لا يحصى .

Marfat.com

ثم ملك قاروت احدى مدينتي تلمسان وجعل على افادير الثانية جيشاً فحصروها وبين المدينتين شوط فرس. وسار الى فاس فملكها بالأمان في آخر سنة أربعين وخمسمائة ورتب أمرها وفتح سلا سنة إحدى وأربعين وفتح عسكره أفادير بعد حصار سنة وقتل أهلها ، ثم نازل مراكش وقد مات علي بن يوسف صاحبها ، ثم تاشفين بن علي .

ثم ملك أخوه إسحاق بن علي بن ناشفين وهو صبي فحاصرها عبد المؤمن احد عشر شهراً وفتحها بالسيف وأمسك الأمير إسحاق وأُمراءه ، فارتعد إسحاق وسأل العفو وهو يبكي فقال له سير وهـــو من أكبر أُمراء المرابطين تبكي على أبيك أو أُمك اصبر صبر الرجال ، وبصق في وجه إسحاق وقال عن عبد المؤمن هذا رجل لا يدين الله بدين فنهض الموحدون وقتلوا سير . وقدم إسحاق على صغر سنه وضربت عنقه سنة إثنتين وأربعين وخمسمائة . وهو آخر ملوك المرابطين وبه انقرضوا ومدة ملكهم سبعون سنة ولي منهم أربعة يوسف وإبنه علي بن يوسف وتاشفين بن علي واسحـاق بن علي . واستوطن عبد المؤمن مراكش وبنى قصر ملوك مراكش جامعاً وزخرفه وهدم الجامع الذي بناه يوسف بن تاشفين .

وفيها ـ أعني سنة أربع عشرة وخمسمائة ـ أغار جوسلين الفرنجي صاحب الرها على العربان ، والتركمان بصفين فغنم أموالاً ومواشي ، ثم عاد إلى بزاعا فخربها.

وفيها في جمادى توفي أبو سعد عبد الرحيم بن عبـــد الكريم بن هوازن القشيري الامام بن الامام فجلس الناس لعزائه في البلاد البعيدة .

سنة خمس عشرة وخمسمائة :

وفيها توفي الأمير علي بن يحيى بن تميم صاحب أفريقية في ربيع الآخر وإمارته خمس سنين وأربعة أشهر ، وولي بعده ابنه الحسن وعمره إثنتا عشرة

سنة بعهد من ابيه وأقام بتدبيره صندل الحصي مدة ومات ثم دبره القائد أبو عزيز موفق .

وفيها أقطع السلطان محمود الموصل وأعمالهـا كالجزيرة ، وسنجار ، لأقسنقر البرسقي .

وفيها قتل بمصر أمير الجيوش الأفضل بن بدر الجمـــالي وثب عليه ثلاثة بسوق الصياقلة وقد تقدم على أصحابه للغبـار ، وضربوه بسكاكين ، وأدركهم أصحابه فقتلوا الثلاثة وحمل الأفضل الى داره فمات بها ، ونقل الآمر الخليفة من داره الأموال ليلاً ونهاراً أربعين يوماً ، ووجد له من التحف ما لا يحصى ، وعمر الأفضل سبع وخمسون وولايته ثمـان وعشرون سنة ، وقيل ان الآمر جهز عليه وولى الآمر بعده أبا عبد الله البطائحي .

وفيها عصى سليمان بن ايلغازي بن ارتق على أبيه بحلب ؛ حسن له ذلك إنسان من حماه من بني قرناص كان قد قدمه ايلغازي على أهل حلب فجازاه، وبلغ ايلغازي ذلك فسار مجـــداً من ماردين وهجم حلب وقطع يدي ابن قرناص ورجليه وسمل عينيه فمات، وأراد قتل ابنه فلحقته رأفة الوالد فاستبقاه وهرب سليمان الى طغتكين بدمشق، واستناب ايلغازي بحلب سليمان بن أخيه عبد الجبار بن ارتق وعاد .

وفيها أقطع السلطان محمود ميافارقين لإيلغازي .

وفيها كان بين بلك بن بهرام بن ارتق وبين جوسلين حرب أسر فيها جوسلين وابن خالته كليام وجماعة من فرسانه المشهورين وبذل في فداء نفسه أموالاً كثيرة فلم يقبلها بلك وسجنهم خرت برت .

وفيها تضعضع الركن اليماني من البيت الحرام شرفه الله تعـــالى من زلزلة وانهدم بعضه فأصلح .

Marfat.com

وفيها توفي أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري ، ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة ، إمام في النحو واللغة وله عـــدة مصنفات منها المقامات طبقت الأرض شهرة أمره بتصنيفها أنوشروان بن خالد بن محمد وزير السلطان محمود ؛ فان الحريري عمل مقامـــة على وضع البديع فأمره أنوشروان بإتمامها وكان خصيصاً به . قدم بغـــداد ونزل الحريم وهاجاه ابن جكينا :

فمن قوله فيه – وكان الحريري ينتف لحيته عبثاً وفكرة :

شيخ لنا من ربيعة الفرس ينتف عثنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان كما ألجمه في الحريم بالخرس

والحريري بصري المولد والمنشأ من بني ربيعة الفرس وخلف إبنين الواحد عبدالله من رواة المقامات ، والثاني كان متفقهاً .

قلت : وقيل انه وضع المقامات لجلال الدين أبي علي الحسن بن أبي العشر ابن صدقة وزير الخليفة المسترشد كذا وجد بخط الحريري في ظهر كتـــاب المقامات . وكان الحريري من أهل اليسار يقال انه كان له ثماني عشرة ألف نخلة بمشان البصرة وأصله منها ، جاءه شخص يأخذ عنه شيئاً فاستزرى شكل الحريري ففهم الحريري ذلك وكان دميماً فاستملاه فقال أكتب :

ما أنت أول سار غره قمر ورائد اعجبته خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيري انني رجل مثل المعيدي تسمع بي ولا ترني

فخجل الرجل وانصرف .

وللحريري تآليف حسنة ، منها : درّة الغواص في أوهام الخواص ، وديوان رسائل وشعر كثير ، والملحة ، وشرح الملحة ، وكنت قد التقطت من الملحة من بيوت وشطور ما يقارب السبعين ، وضمنتها على وجه بديع ، وسميتها (تحفة الأحباب من ملحة الاعراب) .

Marfat.com

فمنها :

يا سائلي عن الكلام المنتظم ذاك كلام من هويت لا عدم
فكل ما يقول فيه العذل فـــانه منكر يا رجل
في صدغه للحسن آيات تخط وقال قوم انها اللام فقط
رمانه غض متى يمس فرط إذ ألف الوصل متى يدرج سقط
بسيف جفنيه قتلت نفسي فانه مـــاض بغير لبس
قوامه أشبه شيء بالألف كمثل ما تكتبه لا يختلف
لما شكوت صدّه رثى لي وأقبل الغـــلام كالغزال
أسنانـــه كاللؤلؤ المفتن من المفـــاريد لجبر الوهن
قبل ازدياد لامه أكابده ثم أتى بعد التناهي زائده
اعجب لنون حاجبيه تنصر والنون من كل مثنى تكسر
خوّف فيه بالأمير العاذل والصلح خير والأمير عادل
الخد والقوام منه فاعل نحو جرى الماء وجار العامل
أفعاله تكسرني ذا عجب وكل فعل متعـــدٍّ ينصب
يا من رأى منه جبيناً واضحاً يقول قد خلت الهلال لائحا
وان ذكرت فاعلاً منوّنا فابدأ بذكر حاجبين حسنا
فالطرف سيف قتلنا تضمنا فهو كما لو كان فعلاً بيّنا
أوهمته برشف ريق الثغر وغصت في البحر ابتغاء الدر
وان أقمت الواو في الكلام من صدغه نابت مناب اللام
في قدّه ما هو في الأغصان على اختلاف الوضع والمباني
إذا لمست خده والنهدا يقول عندي منوان زبدا
أصبحت منه في ارتقاب الوصل والزرع تلقاء الحيـــا المنهل

ما للصبا يا جسم ذياك الصبي وقيمة الفضة دون الذهب
قلب الذي يحب ليس يبغض وإن بدا بينهما معترض
اذا رأيت عنقه الطويلا وشعره من فوقـــه محلولا
تقول ما أنقى بياض العاج ومـــا أشد ظلمة الدياجي
حاشاه من عيب ومن نقصان أو عاهة تحدث في الأبدان
لا تطلبوا لحسنه مضاهي الله الله عبـــاد الله
يا قائلاً كن مليحاً وانفصل كان وما انفك الفتى ولم يزل
عذاره الرقيم فز بلثمـــه ولا تغير ما بقي عن رسمه
تقول فيه خضرة يسيره كما تقول ناره منـــيره
يا ليته يعطف بالوصـــال والعطف قد يدخل في الأفعال
قلبي وعيني عن سناه لا ترد اذ ما رأى صرفهما قط أحد
إن قلت رشف ريقه ما حللا تَقُل بلا علم ولا تحس الطلا
عيناه أفنت أكثر العشاق وهكذا تصنع في البواقي
قلبي الذي يسكن للتسائي كأمس في الكسر وفي البناء
صورته كالبدر فوق الغصن فانظر اليها نظر المستحسن
وخل عنّي يا عذول العذلا وإن تجد عيباً فسد الخللا
حسبي رثى لي وألان القولا والحمد لله على مـــا أولى

وانما كتبت منهـــا هذا القدر لأني رأيت من الفضلاء ولا سيما من يحفظ الملحة من يستحسن هذه الطريقة معترفاً بقلة البضاعة وقصور الباع في هذه الصناعة . والله أعلم.

وفيها قتل مؤيد الدين الحسن بن علي بن محمد الطغرائي الأصفهـــاني المنشي الديلي من ولد أبي الأسود الدؤلي عـــالم فاضل منش كاتب شاعر ، خدم

Marfat.com

السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان ، وتولى ديوان الطغري ، ثم استوزره السلطان مسعود ، وحارب مسعود أخاه السلطان محمود فانهزم مسعود فأسر الطغرائي وقتل صبراً ، وله لامية العجم :

اصالة الرأي صانتني عن الخطل وحيلة الفضل زانتني لدى العطل

ولله قوله منها :

وإنما رجل الدنيا وواحدهـا من لا يعوّل في الدنيا على رجل

عاش فوق الستين وكان يميل إلى الكيمياء .

قلت : ما كيمياء التبر من اكفـــائه ، فكلامه من كيمياء الجوهر ، والله أعلم .

وفيها بمصر توفي علي بن جعفر بن علي بن محمد المعروف بابن القطاع النحوي العروضي ، امام في الأدب واللغة ، وله مصنفات منها : كتاب نحو صعب يدل على فضل عظيم ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة .

سنة ست عشرة وخمسمائة :

وفيها قتل السلطان محمود جيوش بك في رمضان على باب تبريز سعي به اليه .

وفيها في رمضان توفي ايلغازي بن أرتق بميافارقين ، وملك بعده ابنه تمرتاش قلعة ماردين ، وملك ابنه سليمان ميافارقين ، وكان بحلب ابن أخيه سليمان بن عبد الجبار بن ارتق فحكم بها الى أن أخذها منه ابن عمه بلك ابن بهرام بن أرتق .

وفيها أقطع محمود واسط لأقسنقر البرسقي زيادة على الموصل وأعمالهـا فاستعمل البرسقي على واسط عماد الدين زنكي بن أقسنقر . **وفيها** توفي عبد القـادر بن محمد بن عبد القـادر بن محمد ، ومولده سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، ثقة حافظ للحديث .

Marfat.com

سنة سبع عشرة وخمسمائة :

وفيها كان الحرب بين دبيس بن صدقة وبين الخليفة المسترشد بالله فخرج الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهزم دبيس وعسكره وسار إلى غزية من العرب فلم يطيعوه ، فراح الى المنتفق واتفقوا معه ونهب البصرة ، ثم صار مع فرنج الشام وأطمعهم في ملك حلب .

وفيها سلم سليمان بن عبد الجبار بن أرتق حصن الأثارب إلى الفرنج ليهادنوه على حلب لعجزه عن مقاومتهم . وفيها سار بلك بن بهرام بن أرتق فملك حران ، ثم ملك حلب لعجز سليمان ابن عمه عنها . وفيها استولى الفرنج على خرت برت وكان بها جوسلين الفرنجي وغيره محبوسين فخلصوهم ثم إسترجعها بلك وكانت له منهم .

وفيها توفي قاسم بن هاشم العلوي الحسيني أمير مكة ، ووليها إبنه أبو فليته .

وفيها سار طغتكين صاحب دمشق إلى حمص ونهبها وحصر صاحبها قرجان بن قراجة بالقلعة ثم عاد .

وفيها سار محمود بن قراجة صاحب حماة فهجم ربض أفامية فأصابه في يده سهم من القلعة فمات من ذلك واستراحت حماه من ظلمه وبلغ ذلك طغتكين فأرسل عسكراً ملك حماه وصارت من بلاده

وفيها توفي أحمد بن محمد بن علي الخياط الدمشقي الشاعر ، ومن شعره :

سلوا السيف ألحاظه الممتشق أعند القلوب دم للحدق
من الترك ما سهمه إذ رمى بأفتك من طرفه إذ رشق
وللحب ما عز مني وهان وللحسن ما جل منه ودق

ولد سنة خمسين وأربعمائة بدمشق .

قلت : استماح من ابن جيوش بحلب شيئاً من بره لما كان رقيق الحال بقوله:

لم يبق عندي ما يباع بحبة وكفاك مني منظري عن مخبري
إلا بقية ماء وجه صنتها عن أن تباع وأين أين المشتري

Marfat.com

فقال ابن جيوش : لو قال وأنت نعم المشتري لكان أحسن .

سنة ثمان عشرة وخمسمائة :

وفيها قتل بلك بن بهرام بن أرتق صاحب حلب وسببه أنه قبض على الأمير حسان البعلبكي صاحب منبج وسار إلى منبج فملك المدينة وحصر القلعة، فبينا هو يقاتل إذ أتاه سهم فقتله لا يدري من رماه، فتفرق عسكره وخلص حسان صاحب منبج وعاد اليها وملكها وكان في جملة عسكر بلك إبن عمه تمرتاش بن ايلغازي بن أرتق صاحب ماردين فحمل بلك قتيلاً إلى حلب وتسلمها واستقر تمرتاش صاحباً لحلب في عشري ربيع الأول منها ورتب أمرها وعاد إلى ماردين .

وفيها ملك الفرنج صور بعد حصار طويل ، وكانت لخلفاء مصر ملكوها بالأمان ، وخرج المسلمون منها في العشرين من جمادى الأولى بما قدروا على حمله من أموالهم .

وفيها اجتمعت الفرنج وانضم اليهم دبيس بن صدقة وحاصروا حلب وأخذوا في بناء بيوت لهم في ظاهرها فعظم الأمر على أهلها ولم ينجدهم صاحبها تمرتاش رفاهة ودعة فكاتبوا اقسنقر البرسقي صاحب الموصل في تسليمها اليه ، فاستقرت في ملك البرسقي مع الموصل وغيرها .

وفيها مات الحسن بن الصباح مقدم الاسماعيلية صاحب ألموت، وهو الذي أظهر بدعة الطائفة الإسماعيلية . قال الشهرستاني : واستظهر المذكور بالرجال وتحصن بالقلاع وكان بدء صعوده على قلعه ألموت في شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ؛ وهو الذي دعا الناس إلى تعيين إمام صادق ومنع العوام من الخوض في العلوم ومنع الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة .

سنة تسع عشرة وخمسمائة :

وفيها ملك البرسقي كفرطاب من الفرنج ، وسار إلى عزاز وكانت

Marfat.com

لجوسلين فاجتمع الفرنج لقتاله واقتتلوا فانهزم البرسقي وقتل مسلمون كثيرون.

وفيها مات سالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب صاحب قلعة جعبر وملكها بعده إبنه مالك .

سنة عشرين وخمسمائة :

وفيها قتلت الباطنيـــة اقسنقر البرسقي قسيم الدولة صاحب الموصل يوم الجمعة في الجامع بها وهو في الصلاة، وثب عليه بضعة عشر نفساً . كان مملوكاً تركياً شجاعاً ديناً من خيار الولاة . ولما بلغ ابنه عز الدين مسعود بحلب ذلك سار الى الموصل فاستقر في ملكها .

وفيها اجتمع المسلمون وطغتكين مع الفرنج في مرج الصفر عنـــد قرية شقحب في ذي الحجة ، واشتد القتال فانهزم طغتكين والخيـــالة وتبعهم الفرنج ، وكان معه رجالة تركمان فما أمكنهم الهرب ولكنهم نهبوا مخيم الفرنج، وقتلوا من وجدوه من الفرنج وسلموا بذلك ، وعاد الفرنج ورأوا أثقالهم قد نهبت فانهزموا أيضاً .

وفيها ملك الفرنج رفنيه .

وفيها توفي ابو الفتوح أحمد بن محمد بن محمد أخو الغزالي ، فقيه غلب عليه الوعظ ، وله كرامات ، اختصر كتاب الأحيـــاء لأخيه في مجلد وسماه لباب الأحياء .

سنة احدى وعشرين وخمسمائة :

وفيها ولى السلطان محمود شحنكية العراق عماد الدين زنكي بن اقسنقر ، مضافاً إلى ما بيده من ولاية واسط .

وفيها سار السلطان محمود عن بغداد .

وفيها مات صـــاحب الموصل مسعود بن اقسنقر البرسقي واستولى على

Marfat.com

الرحبة ومرض محاصراً لها ، ومات يوم تسليمه الرحبة فقام بالأمر مملوكه جاولي وأقام أخا مسعود صغيراً في الملك فلم يوافقه السلطان محمود على ذلك، وولى على الموصل عماد الدين زنكي فسار زنكي من بغداد ورتب الموصل وأقطع جاولي مملوك البرسقي الرحبة . ثم استولى زنكي على نصيبين وسنجار وحران وجزيرة ابن عمر، وتولى شحنكية بغداد بعد مسير زنكي مجاهد الدين بهروز.

وفيها توفي محمد بن عبدالملك بن ابراهيم الفرضي الهمداني ، صاحب التاريخ.

وفيها توفي ظهيرالدين بن سكمان صاحب خلاط .

وملك بعده أخوه أحمد وبقي عشرة أشهر وتوفي ، فحكمت والدة ابراهيم وأحمد اينانج خاتون بنت أركماز وأقامت ابن ابنها سكمان ابن ست سنين كما مر .

سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة :

ذكر ملك زنكي حلب

كانت حلب للبرسقي وبها ولده مسعود فلما قتل البرسقي استخلف مسعود الأمير قيماز بحلب وسار الى الموصل .

ثم استخلف على حلب قتلغ بعد قيماز ، فاستولى على حلب ، وبعد موت مسعود على الرحبة أساء قتلغ بحلب السيرة . وكان سليمان بن عبد الجبار بن أرتق الذي كان صاحبها أولا مقيماً بحلب . واجتمع أهل حلب اليه وملكوه المدينة وقتلغ في القلعة ، وسمع الفرنج اختلافهم فجاءهم جوسلين فصانعوه بمال فرحل ، فأرسل عماد الدين زنكي صاحب الموصل عسكراً مع القائد قراقوش الى حلب ومعه توقيع السلطان محمود بالشام فأجاب أهل حلب اليه وتقدم عسكر زنكي الى سليمان وقتلغ بالمسير الى زنكي فأجابا ، فلما وصلا الموصل أصلح زنكي بين سليمان وقتلغ ولم يرد واحداً منهما إلى حلب ، وسار زنكي إلى حلب وملك في طريقه منبج وبراعة وتلقاه أهل حلب ودخل

Marfat.com

ورتب الأمور ، ثم كحل قتلغ فمات ، وكان ملك زنكي حلب وقلعتها في المحرم منها .

وفيها سار السلطان سنجر من خراسان الى الري ومعه دبيس بن صدقة مستجيراً به ، واستدعى ابن أخيه السلطـــان محمود فحضر اليه بالري ، فأجلسه معه على السرير وأمره بالاحسان إلى دبيس وأعـــاده الى بلاده ، فامتثل وعاد سنجر إلى خراسان .

وفيها في صفر مات ظهيرالدين طغتكين صاحب دمشق من مماليك تتش ابن ألب أرسلان، كان طغتكين عاقلاً خيراً وملك دمشق بعده ابنه تاج الملوك بوري بعهده، وبوري أكبر أولاده .

سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة :

وفيها عاود دبيس العصيان على السلطان والخليفة ، وترددت الرسل فلم يحصل صلح فسار السلطان محمود الى بغداد وجهز جيشاً كثيفاً في أمر دبيس فعبر دبيس البرية بعد أن نهب البصرة وأموال الخليفة والسلطان .

قتل الاسماعيلية وحصر الفرنج دمشق

سار بهرام الاسماعيلي بعد قتل خاله ابراهيم الأسد آبادي ببغداد الى الشام، ودعا بدمشق الى مذهبه وأعانه وزير بوري طاهر بن سعد المزدغاني وسلم الى بهرام قلعة بانياس فعظم بهرام وملك بالشام عدة حصون بالجبال ، وقاتل أهـــل وادي التيم فقتل بهرام وقام مقامه بقلعة بانياس رجل منهم يسمى اسماعيل ، وأقام الوزير المزدغاني عوض بهرام بدمشق رجلاً اسمه أبو الوفا . وعظم أبو الوفا حتى صار الحكم له بدمشق ، فكاتب الفرنج ليسلم اليهم دمشق ويعوضوه بصور وجعلوا موعدهم يوم الجمعة ليجعل أصحابه على باب الجامع ، وعلم بوري بذلك فقتل المزدغاني وأمر الناس فثاروا بالاسماعيليـة فقتل بدمشق ستة آلاف إسماعيلي، ووصل الفرنج إلى الميعاد وحصروا دمشق فلم يظفروا بشيء ، واشتد الشتاء فرحلوا كالمنهزمين وتبعهم بوري بالعسكر

Marfat.com

فقتلوا عدة كثيرة ، وسلم اسمـــاعيل الباطني قلعة بانيس الى الفرنج وصار معهم .

وفيها ملك زنـكي حماة فإن سونج بن بوري كان نائب أبيه بحماة وكان قد سار زنـكي من الموصل الى الشام ، وعبر الفـرات واستنجد ببوري على الفرنج فأمر بوري سونج بالمسير من حماة الى زنـكي فغدر زنـكي بسونج وارتكب أمراً شنيعاً من القبض عليه ، ونهب عسكره وخيامه ، واعتقله في جماعة من مقدمي عسكره بحلب ، وسار من وقته فملك حماة لخلوها من الجند .

ثم حاصر حمص مدة وكان قد غدر ايضاً بصاحبها قرجان بن قراجـه وقبض عليه وأحضره صحبته الى حمص ، وأمره ان يأمر ابنه وعسكره بتسليم حمص فأمرهم فلم يلتفتوا اليه ، فلما أيس زنـكي منها عاد الى الموصل بسونج وأمراء دمشق واستمرهم معتقلين ، وبذل له بوري أموالاً في ابنه سونج فلم يتفق حال.

وفيها ملك الفرنج القدموس .

وفيها توفي أبو الفتح أسعد بن ابي نصر الشافعي مدرس النظامية ، وطريقته مشهورة في الخلاف ، وكان له قبوٌل عظيم عند الخليفة والناس .

وفيها توفي الشريف حمزة بن هبة الله بن محمد العلوي الحسيني النيسابوري، سمع الحديث الكثير ورواه ، جمع بين شرف النفس والنسب والتقوى ، وكان زيدي المذهب ، ومولده سنة تسع وعشرين واربعمائة .

سنة اربع وعشرين وخمسمائة :

فيها اشتد ضرر الفرنج بحصن الاثارب على المسلمين حتى قاسموا أهل حلب على أعمالها الغربية حتى طاحون الغربية ، فسار عماد الدين زنـكي من الموصل ونازله ، وجمع الفرنج وقصدوه ، فترك الحصار وقاتلهم أشد قتال ، فانهزم الفرنج وأسر كثير من فرسانهم وقتل كثيراً ، ثم عاد زنـكي فأخذ الأثارب عنوة وقتل وأسر كل من فيه ، وجعل الحصن دكا الى الآن .

Marfat.com

وفيها في ذي الحجة توفي الآمر بأحكام الله منصور بن المستعلي بن المستنصر العلوي صاحب مصر . وثب عليه في المنتزه الباطنية فقتلوه وولايته تسع وعشرون سنه وخمسة اشهر وخمسة عشر يوماً ، وعمره اربع وثلاثون سنة ، وهو العاشر من ولد المهدي ، وهو العاشر من الخلفاء العلويين . ولما قتل لم يكن له ولد فولي ابن عمه الحافظ عبد المجيد بن أبي القاسم بن المستنصر صورة نائب ، عسى أن يظهر للآمر حمل ، واستوزر أبا علي أحمد بن الأفضل ابن بدر الجمالي فتغلب على الحافظ ونقل ما بالقصر الى داره واستمر كذلك الى أن قتل أبو علي كما سيأتي .

وفيها كان الرصد بالدار السلطانية شرقي بغداد ، تولاه البديع الاسطرلابي ولم يتم .

وفيها ملك السلطان مسعود قلعة ألموت .

وفيها توفي إبراهيم بن عثمان بن محمد الغزي ، ودفن ببلخ ، وهو من غزة ، ومولده سنة إحدى وأربعين ، وهو من الشعراء المجيدين ، له قصيدة في مدح الترك منها :

أمط عن الدرر الزهر اليواقيتا واجعل لحج تلاقينا مواقيتا
في فتية من جيوش الترك ما تركت للرعد كراتهم صوتاً ولا صيتا
قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة حسناً وإن قوتلوا كانوا عفاريتا

ثم ترك الشعر وقال :

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب البواعث والدواعي مغلق
خلت البلاد فلا كريم يرتجى منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب إنه لا يشترى ويخان فيه مع الكساد ويسرق

قلت : وله قد كبر وضعف :

طول حياة ما لها طائل نغص عندي كل ما يشتهى
أصبحت مثل الطفل في ضعفه تناسب المبدأ والمنتهى

Marfat.com

ولله قوله :

خذ ما صفا لك فالحياة غرور والدهر يعدل تارة ويجور
هـــو مذنب وعلاك من حسناته كالنار محرقة وفيها النور
بادر فان الوقت سيف قاطـــع والعمر جيش والشباب أمير

وقوله :

قالوا نزلت فقلت الدهر أقسم بي لا وجه للرفع في المجرور بالقسم

وقوله :

أما الخيال فما قبلت منه فمـــاً بل كان حظي من إلمامه ألماً
وافى عبوساً فما استوفيت رؤيته باللحظ حتى تلاه الفجر مبتسماً

والله أعلم .

سنة خمس وعشرين وخمسمائة :

أسر دبيس بن صدقة : سببه مسيره من العراق إلى صرخد ، فإن صاحب صرخد الحصني توفي فاستولت سريته على قلعتها بما فيها ، واستدعت دبيساً للتزوج به إستدامة للجاه . فضل الدليل بدبيس فنزل بناس من كلب شرقي الغوطة ، فحملوه إلى بوري صاحب دمشق في شعبان منها فحبسه بوري ، وبلغ ذلك زنكي فأرسل يطلبه منه ويطلق عوضه إبنه سونج وأصحابه حسبما مر ، فأجابه بوري الى ذلك وأطلق زنكي المذكورين وتسلم دبيساً فأيقن دبيس بالهلاك لكثرة ما وقع منه في حق زنكي ، فعامله زنكي بخلاف ظنه وأكرمه وحمل اليه الأموال والسلاح والدواب ، وقدّمه على نفسه ، وبعث المسترشد الخليفة يطلب منه دبيساً مع سديد الدولة بن الأنباري وأبي بكر بن بشر الجزري ، فأمسكهما زنكي وأوقع بابن بشر مكروهاً ، ثم شفع المسترشد في ابن الأنباري فأطلقه ، واستمر دبيس عند زنكي ، وسيأتي باقي خبره .

وفيها : في شوال **توفي السلطان محمود** بن محمد بن ملك شاه بن ألب

Marfat.com

أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بهمدان ، وعمره نحو سبع وعشرين سنة ، وكسر فأجلس وزيره أبو القاسم النسابادي ابنه داود بن محمود في السلطنة وصار أتابكه أقسنقر الأحمديلي ، وكان حليماً عاقلاً .

وفيها وثبت الباطنية على تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق فجرحوه جرحين برأ أحدهما وتنسر الآخر فأضعفه .

وفيها توفي حماد بن مسلم الرحي الدباس الزاهد المشهور له كرامات وسمع الحديث ، وله تلاميذ كثيرون ولا مبالاة بثلب أبي الفرج بن الجوزي له .

سنة ست وعشرين وخمسمائة :

فيها قتل أبو علي بن الأفضل الجمالي وزير الحافظ العلوي كان قد حجر على الحافظ حتى خطب لنفسه خاصة ، وقطع من الأذان «حي على خير العمل» فنفرت الشيعة منه وقتلته المماليك في لعب الكرة ، ونهبت داره ، وخرج الحافظ من الاعتقال ونقل ما في دار أبي علي الى القصر ، وبويع الحافظ يوم قتله واستوزر أبا الفتح يانس الحافظي ، ومات يانس بعد قليل فاستوزر ابن نفسه الحسن وخطب له بولاية العهد .

ثم قتل الحسن سنة تسع وعشرين وخمسمائة فإنه تغلب على الأمر ، وصادر الناس ، فسمّه أبوه واستوزر بهرام النصراني فتحكم واستعمل الأرمن على الناس . وسيأتي ذكره .

وفيها طلب مسعود أخذ السلطنة من ابن أخيه داود بن محمود ، وكذلك طلب سلجوق بن محمد صاحب فارس السلطنة وقدم سلجوق بغداد واتفق مع الخليفة ، واستنجد مسعود بزنكي فسار الى بغداد لقتال الخليفة وسلجوق ، فقاتله قراجه اتابك سلجوق فانهزم زنكي الى تكريت وكان الدزدار بها نجم الدين أيوب فأقام له المعابر فعبر عماد الدين زنكي وسار الى بلاده ، وهذا

Marfat.com

سبب اتصال نجم الدين أيوب بزنكي . ثم وقع الاتفاق على ان السلطنة لمسعود وولاية العهد لسلجوق وعادوا الى بغداد ونزل مسعود بدار السلطان وسلجوق بدار الشحنكية وكان اجتماعهم في جمادى الأول منها . ثم أقبل سنجر من خراسان ومعه طغرل بك ابن أخيه السلطان محمد لأخذ السلطنة من مسعود، وجرى المصاف بينه وبين مسعود وسلجوق ، فانهزم مسعود ، ثم أمن سنجر مسعوداً فحضر عنده وقبله وعاتبه وأعاده الى كنجه ، وأجلس الملك طغرل بك في السلطنة ، وخطب له ثم عاد سنجر الى خراسان .

وفيها سار زنكي ومعه دبيس بن صدقة فقاتل الخليفة بحصن البرامكة في السابع والعشرين من رجب فهزم زنكي ميمنة الخليفة وحمل الخليفة بنفسه وبقية العسكر فانهزم دبيس ثم زنكي .

وفيها : توفي تاج الملوك بوري بسبب جرح الباطنية حسبما مر في الحادي والعشرين من رجب ، وإمارته اربع سنين ، وكسر ووصى بالملك لابنه شمس الملوك اسماعيل ، ووصى ببعلبك وأعمالها لولده شمس الدولة محمد ، ثم استولى محمد على حصني الرأس واللبوة فكاتب اسماعيل أخاه محمداً في إعادتها فأبى فافتتحها اسماعيل وقررهما وحصر اخاه ببعلبك وملك المدينة وحصر القلعة . فسأله محمد الصفح فأجابه وأبقى عليه ببعلبك وعاد الى دمشق.

سنة سبع وعشرين وخمسمائة :

فيها سار شمس الملوك اسماعيل بن بوري في غفلة ، وفتح مدينة بانياس بالسيف ، ثم قلعتها بالامان من أيدي الفرنج .

وفيها جرى بين مسعود ومعه ابن أخيه داود وبين أخيه طغرل بك قتال شديد انهزم فيه طغرل بك واستولى مسعود على الباطنية وطرد طغرل بك حتى الى الري فاقتتلا ثانياً فانهزم طغرل بك ايضاً وأسر جماعة من امرائه.

وفيها حصر الخليفة المسترشد الموصل ثلاثة أشهر ، وكان زنكي قد خرج منها الى سنجار ، ثم عاد الخليفة ولم يظفر بها .

Marfat.com

وفيها : حاصر اسماعيل بن بوري حماة وهي لزنكي من حين غدر بسونج ، وقاتل من بها يوم عيد الفطر وعاد ولم يملكها ، ثم بكر وزحف من جنباتها فملكها عنوة وأمن أهلها وحصر القلعة ولم تكن حصينة لأن تقي الدين عمر ابن أخي الناصر صلاح الدين قطع جبلها فيما بعد ، وعملها على هيئتها الآن ، فعجز النائب عن حفظها فسلمها الى اسماعيل وما بها من ذخائر في شوال منها ، ثم حاصر قلعة شيزر فصانعه صاحبها بمال فعاد عنها .

وفيها اجتمع التركمان الى نحو طرابلس فخرج فرنجها واقتتلوا فانهزم الفرنج وسار القومص صاحب طرابلس ومن معه وانحصروا في حصن بعرين ، وحصرهم التركمان فيه ، ثم هرب القومص من الحصن في عشرين فارساً وجمع الفرنج وقصدوا التركمان فعادت التركمان عنهم .

وفيها اشترت الإسماعيلية حصن القدموس من صاحبه ابن عمرون .

وفيها في ربيع الآخر وثب على شمس الملوك اسماعيل بعض مماليك جده طغتكين بسيف فلم يعمل فيه وقبضوا الواثب فقال : أردت راحة المسلمين من ظلمك ، وأقر من الضرب على جماعة فقتلهم من غير تحقيق وقتل مع ذلك الشخص أخاه سونج بن بوري ، فنفرت القلوب من اسماعيل بقتل أخيه .

وفيها توفي علي بن يعلى بن عوض الهروي الواعظ . أكثر من سماع الحديث ، وله ذكر بخراسان .

وفيها توفي أبو فليتة أمير مكة فولاها أبو القاسم .

سنة ثمان وعشرين وخمسمائة :

وفيها في المحرم سار شمس الملوك صاحب دمشق وتغلب على حصن الشقيف وأخذه من الضحاك بن جندل رئيس وادي التيم فعظم على الفرنج ورفعت الهدنة بينهم وبين شمس الملوك .

وفيها استولى عماد الدين زنكي على قلاع الأكراد الحميدية منها العقر وشوش ، ثم قلاع الهكارية وكواشي .

Marfat.com

وفيها أوقع ابن الدانشمند صاحب ملطية بفرنج الشام فقتل منهم كثيراً. وفيها إصطلح الخليفة وعمادالدين زنكي .

سنة **تسع وعشرين وخمسمائة :**

وفيها من المحرم مات السلطان طغرل بن السلطان محمد بعد هزيمته من أخيه مسعود ، وقد استولى على بلاد الجبل ومولده سنة ثلاث وخمسمائة في المحرم .

وكان خيراً عاقلاً وبلغ أخاه ذلك فسار نحو همدان وأقبلت العساكر اليه فاستولى على همدان وأطاعه البلاد جمعاً .

وفيها في ربيع الآخر قتل شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق ، ومولده سنة ست وخمسمائة ؛ وقيل كرهت أمه ظلمه الرعية فوافقت على قتله ، وقيل اتهمت بشخص من أصحاب أبيه اسمه يوسف بن فيروز فخافته ، فسرّ قتله الناس ، وملك بعده أخوه شهاب الدين محمود بن بوري ، وحلف له الناس

وفيها بعد قتل شمس الملوك حاصر زنكي دمشق فلم يجد فيها مطمعاً فعاد إلى بلاده .

وفيها كانت الحرب بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود في عاشر رمضان فصار غالب عسكر الخليفة مع مسعود وانهزم الباقون وأسر الخليفة ، وسار مسعود من همدان الى مراغة في شوال لقتال ابن أخيه داوود بن محمود وأنزل الخليفة في خيمة منفردة ، واتفق وصول السلطان سنجر فركب مسعود والعساكر لتلقيه فوثبت الباطنية على المسترشد في الخيمة فقتلوه ومثلوا به وجدعوا أنفه وأذنيه في يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة وعمره ثلاث وأربعون ، وأم المسترشد أم ولد ، وكان فصيحاً حسن الخط شجاعاً .

ثم بويع ابنه الراشد بالله وهو الثلاثون منهم أبو جعفر منصور بن المسترشد فضل بن المستظهر مع عهد سبق من أبيه ، وذلك في السابع والعشرين من

Marfat.com

ذي القعدة منها ، وكتب مسعود الى بغداد بذلك فحضر بيعته أحد وعشرون من أبناء الخلفاء .

وفيها **قتل السلطان مسعود دبيس** بن صدقة بظاهر خويّ ، وكان ابنه صدقة بالحلة فلما بلغه الخبر إجتمع عليه عسكر أبيه .

وفيها استولى الفرنج على جزيرة جربه من اعمال افريقية ، وهرب وأسر من بها من المسلمين .

وفيها صالح المستنصر بن هود الفرنج على حصن زوطه من الأندلس الى صاحب طليطلة الفرنجي .

سنة ثلاثين وخمسمائة :

وفيها في ربيع الأول تسلم شهاب الدين محمود بن بوري صاحب دمشق حمص وقلعتها من أولاد الأمير قرجان لضجرهم من كثرة تعرض زنكي اليها وعوضهم بتدمر، فتابع زنكي الغارات عليها إلى ان صالحه محمود بن بوري فكفّ زنكي حينئذ عنها ، وفيها سارت عساكر زنكي الذين بحلب وحماه ومقدمهم أسوار نائب زنكي بحلب الى الفرنج في نواحي اللاذقية ، وأوقعوا بالفرنج وامتلأوا كسباً وأسراً وعادوا .

خلع الراشد وولاية المقتفي[1]

كان الراشد قد اتفق مع زنكي وغيره على خلاف السلطان مسعود وطاعة داود بن السلطان محمود ، فجمع مسعود العساكر وحصر بغداد نيفاً وخمسين يوماً فلم يظفر بهم ، فارتحل الى النهروان ثم وصل طرنطاي بسفن كثيرة فعاد مسعود الى بغداد وعبر الى غربي دجلة واختلف عسكر بغداد فعاد الملك داود الى بلاد اذربيجان في ذي القعدة ، وسار الخليفة الراشد مع

---

١ – كان الحادي والثلاثون منهم .

Marfat.com

عماد الدين زنكي الى الموصل فسار مسعود الى بغداد ، واستقر بهـــا في منتصف ذي القعدة ، وجمع القضاة والاكابر وخلع الراشد لكونه عاهده أن لا يقاتله ، ومتى خالف فقد خلع نفسه ، فكانت خلافـة الراشد أحد عشر شهراً وأحد عشر يوماً ، ثم بايع المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر. والمقتفي عم الراشد هو والمسترشد ابنا المستظهر وليا الخلافة . وكذا السفاح والمنصور اخوان . وكذا المهدي والرشيد اخوان . وكذلك الواثق والمتوكل .

وأما ثلاثة ولوا الخلافة :فالأمين والمأمون والمعتصم أولاد الرشيد، وكذا المقتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد ، والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر، وأما أربعة ولوها : فالوليد ، وسليمان ، ويزيد ، وهشام بنو عبد الملك لا يعرف غيرهم .اهـ. وعمل بخلع الراشد محضراً أرسله الى الموصل .

وزاد المقتفي في اقطاع زنكي وألقابه ، وحكم بالمحضر قاضي القضـــاة الزينبي بالموصل ، وخطب للمقتفي في الموصل في رجب سنة إحدى وثلاثين .

سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة :

وفيها عزل الحافظ وزيره بهرام النصراني الأرمني لتوليتـــه الأرمن ، ثم ترهب بهرام ، واستوزر الحافظ مكانه رضوان بن الوكخشي ، وكان اكبر الآنفين من تولية بهرام ،ولقب رضوان الملك الأفضل فهو أول وزير للمصريين لقب بالملك ، ثم وجد الحافظ من رضوان فهرب منـــه ، وفي الآخر قتله ولم يستوزر بعده .

وفيها نازل زنكي حمص وبها صاحبها معين الدين أنز ، أقطعه إياها محمود ابن بوري، فإن أنز مملوك جده، فما ظفر بها زنكي فارتحل عنها في العشرين من شوال الى بعرين وحصر الفرنج بقلعتها، وجمع الفرنج وجاؤوه ليدفعوه عنها ، فاقتتلوا شديداً فانهزم الفرنج ودخل كثير من مـلوكهم الهاربـــين الى حصن بارين ، فعاود زنكي الحصار لهم فطلبوا الامان فقرر عليهم تسليم الحصن ، وخمسين الف دينار يحملونها اليه فأجابوا فأطلقهم وتسلم الحصن والذهب .

Marfat.com

وكان زنكي في مدة مقامه على بارين قد فتح المعرة وكفرطاب اخذهما من الفرنج وحضر أهل المعرة وطلبوا تسليم أملاكهم التي كان قد اخذتهـــا الفرنج ، فطلب كتب أملاكهم فذكروا انها عدمت فكشف من ديوان حلب عن الخراج وأفرج عن كل ملك كان عليه الخراج لأصحابه .

قلت وفي تاريخ ابن خلكان: أن الفرنج ملكوا معرة النعمان في المحرم سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، واستمرت بأيدي الفرنج الى ان فتحها عماد الدين زنكي بن أقسنقر سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، ومنّ على أهلها بأملاكهم . والتفاوت بين التاريخين يسير لكنه مختلف . والله أعلم .

سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة :

فيها في المحرم ملك زنكي حصن المجـــدل من صاحب دمشق وأرسله مستحفظ بانياس وأطاعه ، وحاصر حمص ثم رحل عنها الى سلميـــة لنزول الروم على حلب كما سيأتي .

ثم عاد ونازل حمص فتسلم المدينة والقلعة وأرسل زنكي وخطب أم شهاب الدين محمود صاحب دمشق وتزوجها ، وهي زمرد خاتون بنت جـــاولي التي قتلت إبنها اسماعيل ، وهي التي بنت المدرسة المطلة على وادي الشقرا ظاهر دمشق ، وحملت اليه في رمضان وتزوجها طمعـاً في دمشق فلما خاب أمله أعرض عنها .

قلت : وعوقبت بالحاجة إلى أن تزوجت بباقلاني ، فكان إذا غضب عليها لطمها فتقول له لو عرفتني ما لطمتني . والله أعلم .

فعل ملك الروم بالشام

خرج ملك الروم من بلاده سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة فاشتغل بقتال الأرمن وصاحب انطاكية وغيره .

Marfat.com

وفي هذه السنة وصل إلى الشام وحاصر بزاعة وملكها بالأمان وهي بين حلب ومنبج في نصف الطريق في الخـــامس والعشرين من رجب ، ثم غدر بأهلها فقتل وسبى وأسر، وتنصر قاضيها ونحو أربعمائة نفس خوفاً من القتل، ثم رحل عنها بعد عشرة أيام بمن معه من الفرنج إلى حلب ونزل على قونق وجرى بينه وبين أهل حلب قتال كثير، فقتل من الروم بطريق عظيم فعادوا خاسرين ، وبعد ثلاثة أيام رحلوا إلى الأثارب وملكوها وتركوا بها سبايا بزاعة ، وعندهم من الروم من يحفظهم ، وسار ملك الروم بمجموعة نحو شيزر فخرج أسوار نائب زنكي بحلب بمن عنده وأوقع بالروم في الأثارب وقتلهم واستفلت أسرى بزاعة وسباياها ، ونصب ملك الروم على شيزر ثمانية عشر منجنيقاً فاستنجد صاحب شيزر أبو العساكر سلطان بن علي بن مقلد بن نصر ابن منقذ الكناني . زنكي ، فسار زنكي ونزل على العاصي بين حماة وشيزر ، فكان زنكي كل يوم يركب في عسكره ويشرفون على الروم ، ويرسل السرايا فيأخذون كل ما ظفروا به منهم إلى أربعة وعشرين يوماً ثم رحلوا عنهـــا خائبين ، وتبعهم زنكي فظفر بكثير من المتخلفين منهم .

وفيه يقول مسلم بن خضر بن قسيم الحموي :

بعزمك أيهـــا الملك العظيم تذل لك الصعـــاب وتستقيم
ألم تر أن كلب الروم لمـــا تبين أنـــه الملك الرحيم
وقد نزل الزمان على رضاه ودان لخطبه الخطب الجسيم
فحين رميته بك عن خميس تيقن فوت ما أمسى يروم
كأنك في العجاج شهاب نور توقد وهو شيطـــان رجيم
أراد بقـــاء مهجته فولى وليس سوى الحمام له حميم

مقتل الراشد :

ثم أن الراشد بعد خلعه وذهابه مع زنكي إلى الموصل سار إلى مراغة،

Marfat.com

واتفق مع الملك داود بن محمود وملوك تلك الأطراف على قتال السلطان مسعود رجاء العود إلى الخلافة ، فسار اليهم مسعود واقتتلوا فانهزم داوود وغيره ، وبقي مسعود وحده لاشتغال أصحابه بالكسب فحمل عليه الأميران يوزا به وعبدالرحمن طغايرك ، فـــانهزم مسعود منهما ، وقبض يوزا به على على جماعة من أمرائه وعلى صدقة بن دبيس صاحب الحلة ثم قتلهم أجمعين ، والراشد إذ ذاك بهمدان ، وسار الملك داود إلى فـــارس ، وبقي الراشد وحده فسار إلى أصفهان ، ففي الخـــامس والعشرين وثب عليه نفر من الخراسانية الذين معه فقتلوه وهو يريد القيلولة وهو من أثر مرض ، ودفن بشهرستان وجلسوا لعزائه في بغداد يوماً واحداً .

وفيها ملك تمرتاش صاحب ماردين قلعة الهنـــاخ من ديار بكر من آخر ملوك بني مروان .

وفيها قتل السلطان مسعود البخشي شحنة بغداد .

وفيها زلزل الشام والعراق وغيره فهلك خلق بالخراب والردم .

سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة :

وفيها في المحرم سار سنجر بجموعه إلى خوارزم شاه أتسز بن محمد أنوش تكين فتقاتلا بخوارزم، فانهزم أتسز خوارزم شاه، واستولى سنجر على خوارزم واستناب بها وعاد إلى مرو في جمادى الآخر منها، وبعد عوده استولى عليها أتسز.

وفيها في شوال **قتل شهـــاب الدين محمود** بن بوري بن طغتكـــين صاحب دمشق قتله على فراشه ثلاثة من خواص غلمانه وهربوا من القلعة فنجى أحدهم وصلب الاثنان ، واستدعى معين الدين أنز أخاه جمال الدين محمد بن بوري وكان صاحب بعلبك وملكه دمشق .

وفيها في ذي القعدة حاصر زنكي بعلبك ونصب عليهـــا أربعة عشر

منجنيقياً ثم أمن المدينة وتسلمها ثم أمن القلعة وتسلمها ، ثم غدر بهم فأمر بهم فصلبوا فاستقبح الناس ذلك منه وحذر ، وكانت بعلبك لمعين الدين أنز أعطاه إياها جمال الدين محمد لما ملك دمشق ، وكان أنز قد تزوج بأم جمال الدين محمد صاحب دمشق ، وله جارية يحبها فأخرجها أنز الى بعلبك ، فلما ملك زنكي بعلبك تزوج تلك الجارية ودخل بها في حلب ، وبقيت حتى قتل زنكي على قلعة جعبر فأرسلها إبنه نور الدين محمود بن زنكي إلى أنز فكانت أعظم الأسباب في مودتهما .

وفيها توالت زلازل الشام وخربت ولا سيما في حلب فإنهم فارقوا بيوتهم الى الصحراء ، ودامت من رابع صفر الى تاسع عشره .

سنة اربع وثلاثين وخمسمائة :

وفيها حصر زنكي دمشق ، وبذل لصاحبها جمال الدين محمد بعلبك وحمص فلم يأمنوه لغدره بأهل بعلبك ، نزل على داريا من ثالث عشر ربيع الأول منازلاً لدمشق فمرض جمال الدين محمد بن بوري صاحب دمشق ومات في ثامن شعبان، فشدد زنكي القتال طمعاً لذلك فلم ينلها وأقام معين الدين أنز في الملك مجيرالدين أبق بن محمد بن بوري بن طغتكين، واستمر أنز يدبر الدولة، ثم رحل زنكي ونزل غدا من المرج وأحرق في قرى المرج وعاد الى بلاده .

وفيها ملك زنكي شهر زور من صاحبها قبجق بن أرسلان شاه التركماني، وبقي قبجق من عسكر زنكي .

وفيها قتلت الباطنية المقرب جوهراً من كبراء عسكر سنجر ومن جملة إقطاعه الري وقفوا له في زي النساء .

وفيها توفي هبة الله بن الحسين بن يوسف البديع الأسطرلابي ، له في الآلات الفلكية اليد الطولى ، وله شعر جيد .

Marfat.com

قلت : ومنه :

أهدي لمجلسه الكريم وإنما أهدي له ما حزت من نعمائه
كالبحر يمطره السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه

والله أعلم .

سنة خمس وثلاثين وخمسمائة :

وفيها وصل رسول السلطان سنجر ومعه بردة النبي ﷺ ، والقضيب أخذا من المسترشد وأعيدا الى المقتفي .

وفيها ملك الاسماعيلية حصن مضيات بالشأم ، تسلقوا على والي بني منقذ وقتلوه وملكوه .

وفيها توفي الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان قتيلاً في فنـــدق بمراكش ، فاضل في الأدب ، له قلائد العقيان أجاد فيه .

سنة ست وثلاثين وخمسمائة .

فيها كان المصاف العظيم بين الترك الكفار من الخطا وبين السلطان سنجر ، فانهزم عسكر سنجر وأُسرت زوجته ، وكان خوارزم شاه مع الكفار لكون سنجر قتل ابنه ، ثم سار خوارزم شاه اطسز الى خراسان ونهب أموال سنجر وغيرها ، واستقرت دولة الخطا والترك الكفار بما وراء النهر .

سنة سبع وثلاثين وخمسمائة :

وفيها فتح جيش زنكي قلعة أشب العظيمة من أيدي الأكراد الهكارية وخربوها ، وبنى القلعة العمادية عوضها ، وكان حصناً خراباً .

وفيها حصرت فرنج البحر طرابلس الغرب ثم عادوا .

Marfat.com

وفيها توفي محمد بن الدانشمند صاحب ملطية والثغر وملك بلاده الملك مسعود بن قلج أرسلان السلجوقي صاحب قونيه .

سنة ثمان وثلاثون وخمسمائة :

وفيها كان الصلح بين السلطان مسعود وزنكي .

وفيها فتح زنكي طنزه وأسعرد وحيزان وحصن الدوق وحصن مطليس وحصن باتسية وحصن ذي القرنين وأخذ من يد الفرنج حملين والموزر وتل موزر وغيرها من حصون جوسلين .

وفيها حصر السلطان سنجر أطسز بخوارزم ، فأطاعه أطسز ، فعاد عنه سنجر . وفيها ملك زنكي عانه . وفيها قتل داود بن السلطان محمود ابن ملك شاه غيلة ولم يعرف قاتله .

وفيها توفي أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي ، الزمخشري ، ومولده في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة ، وزمخشر من قرى خوارزم . إمام عصره غير مدافع متظاهر بالاعتزال ، حنفي المذهب افتتح كشافه في التفسير بالحمد لله الذي خلق القرآن ثم أصلح بعده بالحمد لله الذي أنزل القرآن ، وله المفصل في النحو ، وكم له من كتاب . قدم بغداد وناظر بها وجاور بمكة سنين فسمي جار الله .

ومن شعره يرثي شيخه أبا مضر منصوراً :

وقائلة ما هذه الدرر التي تساقط من عينيك سمطين
فقلت لها الدر الذي كان قد حشا أبو مضر أذني تساقط من عيني

وله :

فإنا اقتصرنا بالذين تضايقت عيونهم والله يجزي من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر

Marfat.com

قلت وقد أذكرني هذا بيتين لي وهما :

سل الله ربك من فضله اذا عرضت حاجة مقلقة
ولا تقصد الترك في حاجة فأعينهم أعين ضيقـــة

والله أعلم .

سنة تسع وثلاثين وخمسمائة :

وفيها فتح زنكي الرها من الفرنج بالسيف بعد حصار نحو شهر وسروج وسائر ما بيد الفرنج شرقي الفرات ، وحاصر البيرة ثم رحل عنها بسبب قتل نائبه بالموصل نصير الدين جقر ، وسبب قتله أن ألب أرسلان بن السلطان محمد بن محمد السلجوقي كان عند زنكي وكان زنكي متولياً هذه البلاد التي بيد الملك ألب أرسلان وأتابكه ولذلك قيل الأتابك زنكي ، وكان جقر يقوم بوظائف خدمة ألب أرسلان بالموصل فحسّن بعض المناحيس لألب أرسلان حتى قتل جقر طمعاً في أخذ البلاد من زنكي ، فاجتمعت كبراء دولة زنكي ، وأمسكوا ألب أرسلان فترك زنكي البيرة لذلك وخشي الفرنج بالبيرة من عوده فسلموها إلى نجم الدين صاحب ماردين وصارت للمسلمين.

وفيها خرج اسطول الفرنج من صقلية إلى ساحل افريقية فملكوا مدينة برسك قتلاً وسبياً .

سنة أربعين وخمسمائة :

وفيها هرب علي بن دبيس بن صدقة من السلطـــان مسعود فاستولى على الحلة وتقوى .

وفيها اعتقل الخليفة المقتفي أخاه أبا طالب وغيره من أقـــاربه . وفيها ملك الفرنج شنترين ومـــاجه وماردة وأشبونه والمعاقل المجاورة لهـــا من الأندلس . وفيها توفي مجاهدالدين بهروز الخصي الأبيض ، حكم بالعراق نيفاً وثلاثين سنة .

Marfat.com

وفيها توفي الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمـــد الجواليقي اللغوي ومولده ذو الحجة سنة خمس وستين وأربعمائة أخذ عن التبريزي وأم بالمقتفي وكان محققاً يفكر، ثم يقول : وكم قال لا أدري . أخذ عنـــه الكندي وأبو البقاء ، وعبد الوهاب بن سكنبة .

وفيها توفي أبو بكر يحيى بن عبد الرحمان بـن بقي الاندلسي القرطبي الشاعر ، له الموشحات البديعة ومن شعره :

يا أفتك الناس ألحاظاً وأطيبهم ريقاً متى كان فيك الصاب والعسل
في صحن خدك وهو الشمس طالعة ورد يزينك فيـــه الراح والخجل
إيمـان حبك في قلبي يجـــدّده من خدك الكتب أو من لحظك الرسل
إن كنت تجهل اني عبد مملكة مرني بمـا شئت آتيـه وأمتثل
لو اطلعت على قلبي وجدت به من فعل عينيك جرحاً ليس يندمل

سنة إحدى واربعين وخمسمائة :

وفيها حصر الفرنج طرابلس الغرب ، وفي ثالث يوم أرادت طائفـة من أهلهـــا تأمير رجل من الملثمين وطائفة تقديم بني مطروح فاقتتلوا فخلت الأسوار، فانتهز الفرنج الفرصة وصعدوا بالسلاليم وملكوها في المحرم وسفكوا ثم أمنوا من بقي وتراجع ناسها وحسن حالها .

حصار قلعة جعبر ومقتل زنكي : وفيها حصر زنكي قلعـــة جعـبر وصاحبها علي بن مالك بن سالم بن بدران بن المقلد بن المسيب العقيلي ، وحصر عسكره قلعة فنك جوار جزيرة ابن عمر وصاحبها حسام الدولة البشنوي ، ولما طال على زنكي منازلة قلعة جعبر ارسل مع حسان البعلبكي الذي كان صاحب منبج يقول لصاحب قلعة جعبر من يخلصك مني ؟ فقـــال لحسان : يخلصني منه الذي خلصك من مالك بن بهرام بن ارتق. وكان مالك قد حاصر منبج فجاءه سهم فقتله . فرجع حسان الى زنكي ولم يخبره بذلك ، واستمر

Marfat.com

زنكي منازلاً لقلعة جعبر فوثب عليه جماعة من مماليكه فقتلوه في خامس ربيع الآخر منها ليلا وهربوا الى قلعة جعبر ، فأعلم أهل القلعة العسكر بقتله فدخل أصحابه اليه وبه رمق ، وكان عماد الدين زنكي أسمر حسناً مليح العينين وخطه الشيب وجاوز الستين ، ودفن بالرقة . ملك الموصل وما معها والشام خلا دمشق وكانت الاعداء محيطة بمملكته وهو ينتصف منهم ، فأخذ ابنه نور الدين محمود الخاتم من يده وهو قتيل ، وسار فملك حلب .

وكان صحبة زنكي ألب ارسلان السلجوقي فركب يوم قتل زنكي واجتمعت عليه العساكر فحسن له بعض اصحاب زنكي الأكل والشرب وسماع اللهو ، فسار ألب ارسلان الى الرقة وانعكف على ذلك. وأرسل اكابر دولة زنكي الى سيف الدين غازي بن زنكي يعلمونه بالحال وهو بشهرزور ، فسار وملك الموصل وبلادها ، ثم تحرك ألب ارسلان فحبسه غازي بالموصل .

قلت : كان أبو الحسين بن منير يعير ابن القيسراني بأنه ما صحب أحداً إلا نكب فغنى مغن عند زنكي وهو على قلعة جعبر قول الشاعر :

ويلي من المعرض الغضبان إذ نقل الواشي اليه حديثاً كله زور
سلمت فازورّ يزوي قوس حاجبه كأنني كأس خمر وهو مخمور

فاستحسنها زنكي ، وسأل لمن هي ؟ فقيل : لابن منير ، فطلب من حلب ، فليلة وصل ابن منير قتل زنكي . فقال ابن القيسراني هذا بجميع ما كنت تبكتني به. والله أعلم .

وفيها أرسل عبد المؤمن بن علي جيشاً فملك من جزيرة الاندلس ما فيها من بلاد المسلمين .

وفيها بعد قتل زنكي قصد صاحب دمشق مجير الدين أبق حصن بعلبك وحصره وبه نجم الدين أيوب بن ساري مستخفياً ، فخاف ان أولاد زنكي

Marfat.com

لا يمكنهم سرعة انجاده ، فسلم القلعة اليه على اقطاع ومال وقرى ، وانتقل أيوب فسكن دمشق .

سنة إثنتين وأربعين وخمسمائة :

وفيها دخل نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب بلاد الفرنج ففتح منها أرتاح بالسيف وحصن مامولة وكفرفوث وكفرلاثا .

سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة :

وفيها جهز رجال الفرنجي صاحب صقلية مائتين وخمسين شينياً رجالاً وسلاحاً مقدمهم جرجي فأشرفوا على المهدية وبها الحسن بن علي بن يحيى ابن تميم بن المعز باديس صاحب افريقية. وكان الغلاء عظيماً ، وقد أكل بعض الناس بعضاً من سنة سبع وثلاثين ، فاتفق الحسن بن علي وأكابر البلد أن يرحلوا من المهدية بما خف حمله والريح يمنع الأسطول من الوصول .

استيلاء الفرنج على المهدية : ثم دخل الفونج المهدية ثلثي النهار بلا مانع وليس بها ممن عزم على الخروج أحد ، ودخل جرجي قصر الإمارة فوجده مملوء الخزائن ذخائر وغرائب وحظايا الحسن بن علي ، وسار الأمير حسن بأهله فأقام عند بعض أمراء العرب ، وكان يحسن اليه . وخاف من الطريق فانقبض عن المسير إلى الخليفة بمصر ، وسار الى ملك بجاية يحيى ابن العزيز فوكل يحيى به وبأولاده من يمنعهم من التصرف ولم يجتمع يحيى بهم وأنزلهم في جزائر بني مزغنان الى أن ملك عبدالمؤمن بجاية سنة سبع وأربعين وخمسمائة وجميع ممالك بني حماد فأحسن الى الأمير حسن الى أن فتح المهدية فأقام فيها والياً من جهته وأمره أن يرجع الى رأي الأمير حسن ، وكان عدة من ملك من بني باديس من أريزي الى الحسن تسعة ملوك ، ثم بذل جرجي الأمان لأهل المهدية فتراجعوا من شدة الجوع .

Marfat.com

فشل الألمان في حصار دمشق : وفيهـــا سار ملك الألمان من وراء القسطنطينية وحصر دمشق في جمع عظيم وصاحبها مجير الدين أبق بن محمد ابن بوري بن طغتكين والحكم إنما هو لمعين الدين أنز مملوك جدّه طغتكين .

وفي سادس ربيع الأول زحفوا على دمشق ونزل ملك الالمان بالميدان الأخضر ، وسار سيف الدين غازي صاحب الموصل لينجد دمشق ومعه أخوه نورالدين بعسكره ، فلما وصلوا حمص فت ذلك في أعضاد الفرنج وأرسل أنز الى فرنج الشام يبذل لهم قلعة بانياس فتخلوا عن الألمان ، فخافت الألمان فرحلوا عن دمشق الى بلادهم ، وسلم أنز قلعة بانياس الى الفرنج حسبما شرط.

وفيها هزم العادل نورالدين محمود الفرنج عند يغرى فقتل وأسر وأرسل من الأسرى الى أخيه سيف الدين صـــاحب الموصل . وفيها ملك الفرنج طرطوشة وقلاعها وحصون لارده من الاندلس .

وفيها عم الغلاء المشارق والمغارب .

وفيها في ربيع الأول قتـــل نور الـــدولة شاهنشاه بن أيوب أخو صلاح الدين لأبويه ، قتله الفرنج في المصاف في منازلتهم لدمشق وهو أبو المظفر عمر صاحب حماة وأبو فرخ شاه صاحب بعلبك .

سنة أربع وأربعين وخمسمائة :

وفيها توفي **سيف الدين غازي** بن زنكي صاحب الموصل وولايته ثلاث سنين وشهر وعشرون يوماً ، ولد سنة خمسمائة ، وخلف إبناً أحسن نورالدين تربيته ، وتوفي شاباً ، وانقرض بموته عقب غـــازي ، وكان غازي حسن الصورة كريماً يصنع لعسكره كل يوم طعـــاماً بكرة وعشياً . وهو أول من حمل على رأسه السنجق في ركوبـــه ، وأمر الجند أن يركبوا بالسيوف في أوساطهم ، والدبوس تحت ركبهم .

Marfat.com

ولما توفي غازي كان أخوه قطب الدين مودود بن زنكي مقيماً بالموصل . فاتفق الوزير جمال الدين وأمير الجيوش زين الدين على تمليكه فحلفاه وحلفا له ، وأطاعته بلاد أخيه غازي . ثم تزوج الخاتون ابنة تمرتاش صاحب ماردين ، مات عنها أخوه غازي قبل الدخول وهي أم أولاد قطب الدين .

وفيها في جمادى الآخرة توفي الحافظ لدين الله بن الأمير أبي القاسم بن المستنصر العلوي صاحب مصر وخلافته عشرون سنة إلا خمسة أشهر ، وعمره نحو سبع وسبعين ، وما ولى منهم من ليس أبوه خليفة غير الحافظ والعاضد .

وبويع بعده ابنه **الظافر بأمر الله** أبو منصور اسماعيل بن الحافظ عبد المجيد ، واستوزر ابن مصال وبقي أربعين يوماً ، وحضر من الاسكندرية العادل بن السلار فأرسل العادل ربيبه عباس بن أبي الفتوح بن يحيى بن تميم ابن المعز بن باديس الى ابن مصال وقد خرج في طلب بعض المفسدين فقتله الربيب وعاد . فاستقر العادل في الوزارة ولم يكن للظافر الخليفة معه حكم الى أن قتله ربيبه عباس المذكور وتولى الوزارة .

وكان أبو الفتوح والد عباس قد فارق اخاه علي بن يحيى صاحب افريقية وتوفي بمصر فتزوج العادل بن السلار أم العباس وهو معها صغير فأحسن تربيته ثم جازاه بقتله وسيأتي ذكره .

وفيها حصر العادل نور الدين حصن حارم فجمع البرنس صاحب انطاكية وقاتله فانهزم الفرنج وقتل البرنس .

قلت : وفي قتل البرنس وحمل رأسه إلى حلب ، وأسر اصحابه يقول ابن منير الطرابلسي :

أقوى الضلال وأقفرت عرصاته وعلا الهدى وتبلجت قسماته
وانتاش دين محمد محموده من بعد ما علت دما عشراته
ردّت على الاسلام عصر شبابه وثباته من دونه وثباته

Marfat.com

صدم الصليب على صلابة عوده فتفرقت أيـــدي سبا خشباته
وسقى البرنس وقد تبرنس ذلة بالروح مما قد جنت غدراتـه
فانقاد في خطم المنية أنفـــه يوم الحطيم وأقصرت نزواته
فجلوتـــه تبكي الأصادق نحبه بـدم إذا ضحكت له شماته
تمشي القناة برأسه وهو الذي نظمت مدار النيرين قنـــاته

والله أعلم .

وملك بعد البرنس ابنه بيمند وهو طفل وتزوجت أمـــه برجل آخر وتسمى بالبرنس . ثم أن نور الدين غزاهم غزوة اخرى فهزمهم وقتل وأسر ، وأسر البرنس الثاني زوج أم بيمند فتمكن بيمند في ملك انطاكية .

وفيها كانت زلزلة عظيمة .

وفيها توفي معين الدين أنز نائب صاحب دمشق ، واليه ينسب قصر معين الدين بالغور . وفيها توفي أبو المظفر يحيى بن هبيرة وزير الخليفة المقتفي يوم الأربعاء رابع ربيع الآخر وكان قبل ذلك صاحب ديوان الزمام . وفيها توفي القاضي ناصح الدين احمد بن محمـــد بن الحسيني قاضي تستر وأرجان من أعمالها .

ومن شعره الفائق :

ولما بلوت الناس أطلب عندهم أخا ثقة عند اعتراض الشدائد
فلم أر فيما ساءني غير شامت ولم أر فيما سرني غير حاسد

وله :

أعيناي كفا عن فؤادي فإنه من البغي سعي اثنين في قتل واحد

قلت : كان ينوب عن القضاة تارة بتستر ، وتارة بعسكر مكرم وفي ذلك يقول :

Marfat.com

ومن النـــوائب انني في مثل هـذا الشغل نائب
ومن العجائب ان لي صبراً على هذي العجائب

وأرجان تخفف راؤها وتشدد. وله–ويروى للغزي– مما يقرأ طرداً وعكساً:

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودتـــه تدوم

والله أعلم .

وفيها توفي القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي بمراكش ، ومولده بسبته سنة ست وسبعين وأربعمائة ، أحد الأئمة الحفـــاظ المحدثين الأدباء ، وتآليفه وأشعاره شاهدة بذلك ..

وله : الاكمال شرح مسلم ، ومشارق الأنوار في غريب الحديث .

قلت : وله الشفاء . استقضى بسبتة طويلاً فحمد . ثم ولي غرناطة فلم تطل مدته .

ومن شعره :

أنظر الى الزرع وجـــاماته تحكي وقد ماست أمام الرياح
كتيبـــة خضراء مهزومـــة شقائق النعمان فيهـــا جراح

والله أعلم .

سنة **خمس وأربعين وخمسمائة** .

وفيها في المحرم أخذت العرب الحجاج بين مكة والمدينة فلم يسلم منهم إلا القليل .

وفيها حصر نور الدين قلعـــة أفامية وتسلمها من الفرنج وحصنهـــا بالرجال والذخائر .

قلت : وفي ذلك يقول أبو الحسين بن منير الطرابلسي :

Marfat.com

أنشرت يا محمود مـــلة أحمد من بعد مـــا شمل البلى آثارها
أدركت ثارك في البغاة وكنت يا مختار أمة أحمد مختارهـــا
والله أعلم .

وفيها حاصر الأذفونش صاحب طليطلة قرطبة ثلاثة أشهر ولم يملكها .
وفيها مات علي بن دبيس بن صدقة صاحب الحلة .

سنة ست وأربعين وخمسمائة :

منّ الله تعالى على نور الدين بأسر جوسلين ، وكان من أشجع الفرنج ، وهزم نور الدين مرة ، وأسر وقتل في أصحـــابه حتى أخذ سلاح نور الدين وأرسله الى مسعود بن قلج أرسلان صاحب قونية وآقسرا ، وقال : هذا سلاح زوج بنتك ، وسآتيك بعده بما هو أعظم منه . فبذل نور الدين الوعود فيه فأسره التركمان فصانعهم على مال كثير فأجابوه الى إطلاقه إذا أحضر المال، فبلغ الخبر ابن الداية نائب حلب فسير عسكراً فكبسوا التركمان وأحضروه الى نور الدين فرآه من أعظم الفتوح ، وأصيب به دين الصليب كافة .

قلت :

لهجوا سنـــين بجوسلين فانه قد كان علجاً عـــالياً في كفره
ما وحده أسروه إذ أسروه بل أسروا الصليب بأسره في أسره
والله أعلم .

انتصارات نور الدين : ثم سار نور الدين بعد أسره وملك قلاعه وبلاده وهي تل باشر وعينتاب ودلوك وعزاز وتل خالد وقورس والراوندان وبرج الرصاص وحصن البـــارة وكفرسود وكفرلاثا ومرعش ونهر الجوز في مدة يسيرة ، وبقي كلما فتح موضعاً حصنه رجالاً وذخائر .

قلت وفي ذلك يقول أبو الحسين بن منير لنور الدين :

Marfat.com

طلعت عليك بجوسلين ذريعـــة لا سحل أنشأهـــا ولا امرار
ما زلت تنعم ثم يكفر عـــاتياً والله يهدم ما بنى الكفـــار
حتى أتاح لقومه مـــا جرّه لثمود من عقر الفصيـــل قدار

وبذل جوسلين لنور الدين في فدائه أموالاً لا تحصى فاستشار أمراءه فلم يوافقوا على إطلاقه فخالفهم وتسلم المال وأطلقه، فمات قبل أن يخرج من الشام وانتفع المسلمون بالمال ، وعدّ ذلك من كرامات نور الدين والله أعلم .

سنة سبع وأربعين وخمسمائة :

وفيها ملك عبد المؤمن بجاية وأخذ من يحيى بن العزيز آخر مـــلوك بني حماد جميع ممالكهم ، وكان يحيى مولعاً بالصيد واللهو فانهزم وتحصن بقلعة قسطنطينة من بلاد بجاية ، ثم أمنه عبد المؤمن وأرسله الى بلاد المغرب وأجرى عليه شيئاً كثيراً .

وقد ذكرنا في تاريخ القيروان : ان ملك عبد المؤمن تونس وافريقية سنة أربع وخمسين وخمسمائة .

وفيها في أول رجب توفي السلطان مسعود بهمدان ، ومولده سنة إثنتين وخمسمائة في ذي القعدة ، ومات معه سعادة البيت السلجوقي ، كان مزاحاً كريماً عفيفاً ، وعهد الى ابن أخيه ملك شاه بن محمـود فخطب له ، وكان المتغلب على المملكة الأمير خاص بك ، أصله تركماني ثم قبض هذا على ملك شاه وسجنه وأحضر أخاه محمد بن محمود من خوزستان ، فتولى وجلس على السرير ، ونوى خاص بك إمساكه والخطبـــة لنفسه فبدره محمد ثاني يوم وصوله فقتله وقتل زنكي الخزينة دار وألقى برأسيهما فتفرق أصحابهما .

وفيها جمعت الفرنج وقاتلت نور الدين وهو محاصر دلوك فعظم القتال وانهزم الفرنج وقتل فيهم وأسر ثم ملك دلوك .

Marfat.com

ومما مدح به في ذلك :

أعدت بعصرك هذا الجديد فتوح النبي وأعصارها
وفي تل باشر باشرتهم بزحف تسوَّر أسوارهـــا
وإن دالكتهم دلوك فقد شددت فصدَّقت اخبارها

قلت : وهذا من قول ابن منير ايضاً وهي قصيدة طويلة . والله أعلم .

ظهور الملوك الغورية
وانقراض دولة آل سبكتكين

أول ملوك الغورية محمد بن الحسين صاهر بهرام شاه بن مسعود صاحب غزنة من آل سبكتكين ثم قتله بهرام شاه خشية من غدره ، وقد جاءه يظهر الطاعة ويبطن الغدر، فولى بعده ملك الغورية أخوه سورى، وسار الى غزنة في طلب ثأر أخيه وقاتل بهرام شاه فظفر به وقتله أيضاً .

ثم ملك اخوهما علاء الدين الحسين بن الحسين ، وسار الى غزنة فانهزم عنها بهرام شاه فاستولى عليها علاء الدين الحسين وأقام بغزنة اخاه سيف الدين شاه ، ورجع الى الغور فكاتب اهل غزنة بهرام شاه فقاتل سيف الدين الغوري فظفر بسيف الدين فقتله وملك بهرام شاه غزنة ، ثم توفي بهرام شاه .

الاستيلاء على غزنة : وملك ابنه خسرو شاه وتجهز عـــلاء الدين ملك الغورية الى غزنة سنة خمسين وخمسمائة فلما قاربها سار صاحبها خسرو شاه الى لهاور ، وملك علاء الدين الحسين غزنة ، ونهبها ثلاثـــة ايام ، وتلقب بالسلطان المعظم ، وحمل الجنز على عادة السلاطين السلجوقية ، ثم استعمل على غزنة ابني أخيه سام وهما غياث الدين محمد وشهاب الدين محمـــد، ثم جرى بينهما وبـــين عمهما علاء الدين الحسين حرب أسرا فيه عمهما وأطلقاه

وأجلساه على التخت ووقفا في خدمته ، وزوج ابنته من غياث الدين وولاه عهده ، ومات علاء الدين الحسين بن الحسين سنة ست وخمسين فملك غياث الدين محمد بن سام وخطب لنفسه في الغور وغزنة .

ثم استولى الغز على غزنة خمس عشرة سنة ، ثم أرسل أخاه شهاب الدين وهزم الغز ، وقتل كثيراً واستولى على غزنة وما يجوارها مثل كرمان وسنوران وماء السند وقصد لها وروبها خسرو شاه بن بهرام شاه فملكها شهاب الدين سنة تسع وسبعين وخمسمائة بعد حصار ، وأمن خسرو شاه فأكرمه ، وبلغ غياث الدين ذلك فطلب من شهاب الدين خسرو شاه فأمره بالتوجه اليه، فقال خسرو شاه :أنا ما اعرف اخاك . فطيب خاطره وأرسله، وأرسل ابن خسرو شاه ايضاً معه مع عسكر يحفظونهما . فرفعهما غياث الدين الى بعض القلاع ولم يرهما ، فكان آخر العهد بهما .

آخر ملوك آل سبكتكين : وخسرو شاه بن بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين هو آخر ملوك آل سبكتكين ، إبتداؤها سنة ست وستين وثلاثمائة ، وملكوا مائتي سنة وثلاث عشرة سنة تقريباً ، فانقراض دولتهم سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، كانوا من أحسن الملوك سيرة ، ولما استقر ملك الغورية باللهاور كتب غياث الدين الى اخيه شهاب الدين بالخطبة له بالسلطنة وتلقب بمعين الاسلام وقسيم أمير المؤمنين .

الاستيلاء على الهند : ثم اجتمع شهاب الدين بأخيه غياث الدين وسارا الى خراسان وحصرا هراة وسلم غياث الدين بالأمان، ثم سارا الى فوشنج فملكها ، ثم عادا فملك بادغيس ، وكالين وأبيورد .

ثم رجع غياث الدين الى بلدة فيروز كوه وشهاب الدين الى غزنة ، ثم قصد شهاب الدين الهند وفتح مدينة آجرة . ثم عاد ثم قصد الهند فذلل صعبها وفتح وبلغ ما لم يبلغه ملك من المسلمين ، فاقتحمت ملوك الهنود

واجتمعت وقاتلوه قتالاً عظيماً ، فانهزم المسلمون وجرح شهاب الدين واستخفى بين القتلى .

ثم اجتمع اصحابه وحملوه الى مدينة آجرة واجتمعت عساكره وجاءه مدد اخيه غياث الدين، ثم اجتمعت الهنود وتنازل الجمعان وبينهما نهر فكبس المسلمون الهنود وتمت هزيمتهم فقتل من الهند مـــا يفوق الحصر ، وقتلت ملكتهم ، وتمكن شهاب الدين بعد هذه الوقعة من الهند فأقطع مملوكه قطب الدين أيبك مدينة دلهي من كراسي ممالكهم فأرسل أيبك عسكراً مقدمه محمد ابن بختيار فملكوا مواضع لم يصلها مسلم قبله حتى قاربوا الصين .

وفيها توفي حسام الدين تمرتاش بن أيلغازي صاحب ماردين ، وميافارقين، وولايته نيف وثلاثون سنة ، وولي بعده إبنه نجم الدين البي .

سنة ثمان واربعين وخمسمائة :

وفيها انهزم السلطان سنجر من الأتراك الغز من المسلمين ، كانوا وراء النهر فلما ملكه الخطا أخرجوهم فأقاموا بنواحي بلخ طويلا ، ثم قاتلهم قمـــاج مقطع بلخ ليخرجهم عنه فهزموا قماج وتبعوه يقتلون ويأسرون ، واسترقوا النساء والاطفال ، وخربوا المدارس وقتلوا الفقهاء . ووصل قماج منهزماً الى سنجر فسار اليهم في مائة الف فارس فأرسل الغز يعتذرون عما وقع ، وبذلوا كثيراً ليكف عنهم فأبى وقصدهم واقتتلوا فانهزمت عساكر سنجر وقتل قماج وأُسر السلطان سنجر وجماعة من امرائه .

الغز ينهبون نيسابور : فأما سنجر فلمـــا أسروه اجتمع الغز وقبّلوا الارض بين يديه وقالوا نحن عبيدك وبقي معهم شهرين أو ثلاثة ، ودخلوا معه الى مرو كرسي خراسان فطلبها منه بختيار إقطاعاً وهو من أكبر أمراء الغز ، فقال سنجر : هذه دار الملك ولا يجوز ان تكون إقطاعاً لأحـــد . فضحكوا منه وحبق له بختيـار بفمه . فنزل سنجر عـن سرير الملك ودخـل

خانقاه مرو وتاب عن الملك ، واستولى الغز على البلاد فنهبوا نيسابور وقتلوا الكبار والصغار والقضاة والعلماء والصلحاء بتلك البلاد فقتل الحسين بن محمد الارسابندي والقاضي علي بن مسعود والشيخ محيي الدين محمد بن يحيى الشافعي ولم يكن في زمانه مثله رحلة المشرق والمغرب ،وغيرهم . وما سلم من النهب غير هراة ودهستان لحصانتهما .

ثم اجتمع عسكر سنجر على مملوكه آي به المؤيد فاستولى المؤيد على نيسابور وطوس ونسا وأبيورد وشهرستان والدمغان وأزاح الغز عنها ، واستولى على الري مملوك آخر لسنجر إسمه ايتاخ ، وهادي الملوك ، واستقرت قدمه ، وعظم شأنه .

وفيها قتل العادل بن السلار وزير الظافر قتله ربيبه عباس كما تقدم .

وفيها كان بين عبد المؤمن وبين العرب حرب نصر فيها عبد المؤمن .

وفيها مات رجار الفرنجي ملك صقلية بالخوانيق وعمره نحو ثمانين ، وملكه نحو عشرين . وملك بعده ابنه غليالم .

وفيها في رجب توفي بغزنة بهرام شاه ، وولي ابنه خسرو شاه ، وقد تقدم . **وفيها** اختلفت الأهواء في مصر بقتل العادل ، فتمكن الفرنج من عسقلان وحاصروها وملكوها من المصريين .

قلت: وفيها بدمشق توفي الشيخ أبو عبد الله محمد بن نصر بن صفير بن داغر المعروف بابن القيسراني من قيسارية الشام الخالدي من الشعراء الأدباء المجيدين، وله علم بالهيئة ، وسمع منه الحافظان أبو القاسم بن عساكر ، وأبو سعد بن السمعاني وأبو المعالي الخطيري وبينه وبين ابن منير وقائع ونوادر وله حين بلغه ان منير هجاه :

ابن منير هجوت مني حبراً أفاد الورى صوابه
ولم تضيق بذاك صدري لأن لي أسوة بالصحابه

Marfat.com

وما أحسن قوله :

هذا الذي سلب العشاق نومهم أما ترى عينه ملأى من الوسن

وقوله :

وأرشف خمره والكأس ثغر وأقطف ورده والغصن قد
وكم بالغور من ثمرات در جناها بعد قرب الدار بعد
ومن عقد ينافس فيه ثغر ومن ثغر ينافس فيه عقد
ورمان وتفاح حلاه لعين المجتني نهد وخد

واجتاز بالمعرة فكتب عند قبر أبي العلاء :

نزلت فزرت قبر أبي العلاء فلم أر من قرى غير البكاء
ألا يا قبر احمد كم جلال تضمنه ثراك وكم ذكاء

وفيها ـ أعني في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ـ توفي أبو الحسين أحمد بن منير بن مفلح الاطرابلسي بحلب ، كان أبوه يغني في الأسواق ، ونشأ هو وحفظ القرآن العظيم ، وتعلم اللغة والادب وقال الشعر ، وقدم دمشق ، وكان رافضياً هجّاء خبيث اللسان وسجنه بورى لذلك وعزم على قطع لسانه ثم شفع فيه فنفاه ، وله في حبيبه ابن العفريت :

لا تخالوا خاله في خده قطرة من صبغ جفن نطفت
تلك من نار فؤادي جذوة فيه ساخت وانطفت ثم طفت

والله أعلم .

وفيها نهبت مراكش صقلية تنيس بالديار المصرية.

وفاة الشهرستاني :

وفيها توفي أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني المتكلم الأشعري الفقيه . وله نهاية الاقدام في علم الكلام ، والملل والنحل، والمناهج، وتلخيص الاقسام لمذاهب الأنام .

Marfat.com

ولد بشهرستان سنة سبع وستين وأربعمائة ودخل بغـــداد سنة عشر وخمسمائة وتوفي بها ، وشهرستان إسم لثلاث مدن : الاولى شهرستان خراسان وهو منها ، بناها عبد الله بن طاهر أمير خراسان ـ الثانية شهرستان بأرض فارس. الثالثة مدينة جوين باصفهان بينها وبين اليهودية مدينة اصفهان نحو ميل. ومعنى هذه الكلمة مدينة الناحية بالعجمي : شهر المدينة، واستان الناحية .

سنة تسع وأربعين وخمسمائة :

وفيها في المحرم قتل الظافر بالله ابو منصور اسماعيل بـن الحافظ العلوي ، قتله وزيره عباس الصنهاجي . أحب الظافر ابنه فحسن مؤيد الدولة أسامة بن منقذ لعباس قتله، ونخاه على ابنه فدعا ابنه الظافر إلى بيته وقتلاه ولم يسلم ممن معه إلا خادم صغير فأعلم أهل القصر بذلك ، ثم اتهم عبـــاس يوسف وجبريل اخوي الظافر بقتله وقتلهما .

الملك الصالح :

ثم حمل عباس الفائز بنصر الله أبا القاسم عيسى بن الظافر ثاني يوم قتل الظافر على كتفه وأجلسه على السرير وعمره خمس سنين ، وبايع له الناس. وأخذ عباس من القصر مالاً لا يحصى وجواهر نفيسة، فثارت الجند والسودان عليه وأرسل أهل القصر يستغيثون بطلائع بن زربك والي منية بن خصيب وكان شهماً فجمع وقصد عباساً فهرب منه عباس الى نحو الشام بما معه من الاموال والتحف التي لا يوجد مثلها فقتله الفرنج في الطريق وأخذوا ما معه وأسروا ابنه نصراً . وكان قد استقر طلائع بن زربك بعد عبـاس في الوزارة ولقب بالملك الصالح فأرسل الصالح بن زربك الى الفرنج وبذل لهم مالاً وأحضر نصر بن عبـــاس إلى القصر فقتل وصلب على باب زويلة .

وأما أسامة بن منقذ فانه كان مع عباس فلمـــا قتل هرب أسامة إلى الشام ، وأباد الصالح بن زربك الأعيان قتلا وهربا .

Marfat.com

وفيها حصر المقتفي لأمر الله الخليفة بعساكر بغداد تكريت ، ونصب مجانيق فلم يظفر بها .

وفيها تغلب الفرنج بناحية دمشق بعد ملكهم عسقلان حتى استعرضوا كل مملوك وجارية بدمشق من النصارى ، فأطلقوا منهم كل من أراد الخلاص قهراً فخشي نور الدين أن يملكوا دمشق ، فاستمال اهلها في الباطن ، ثم حاصرها ففتح له الباب الشرقي ، فملك المدينة وحصر مجير الدين أبق بن بوري بن طغتكين في القلعة وبذل له اقطاعاً من جملتها حمص ، فسلم اليه واعطاه عوض حمص بالس فلم يرضها ، وسار عنها وأقام ببغداد وبنى داراً قرب النظامية وسكنها حتى مات .

وفيها أو التي بعدها ملك نور الدين قلعة تل باشر من الفرنج .

سنة خمسين وخمسمائة :

وفيها حصر الخليفة المقتفي دقوقاً وبلغه حركة عسكر الموصل اليه فرحل عنها . وفيها هجم الغز نيسابور بالسيف ، وقيل كان معهم سنجر وله من السلطنة إسمها يدخر طعام وقت الى وقت لتقصيرهم في حقه .

سنة إحدى وخمسين وخمسمائة :

وفيها لم تبق من افريقية مع الفرنج سوى المهدية وسوسة .

وفيها قبض زين الدين علي كوجل نائب قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل على الملك سليمان شاه السلجوقي ، وكان سليمان قد قدم بغداد ، وخطب له بالسلطنة هذه السنة ، وقلده المقتفي وخلع عليه وخرج بعسكر الخليفة ليملك بلاد الجبل ، فاقتتل هو وابن عمه السلطان محمد بن محمود بن ملك شاه ،فانهزم سليمان شاه يريد بغداد فمر على شهر زور فأسره علي كوجل بعسكر الموصل ، وحبسه بقلعة الموصل مكرماً حتى كان منه ما سيذكر سنة خمس وخمسين .

Marfat.com

وفاة خوارزم شاه: وفي تاسع جمادى الآخرة توفي خوارزم شاه أطسز بن محمد بن أنوش تكين قلج فاستعمل شديد الحرارة فهلك ، ومولده سنة تسعين وأربعمائة وكان حسن السيرة ، وملك بعده ابنه ارسلان .

وفيها توفي الملك مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن ارسلان ابن سلجوق صاحب قونية والروم ، وملك بعده ابنه قلج ارسلان.

وفيها في رمضان هرب سنجر السلطان من أمير الغز الى قلعة ترمذ ثم الى جيحون ووصل دار ملكه بمرو فمدة أسره من سادس جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين الى رمضان سنة إحدى وخمسين وخمسمائة .

وفيها بايع عبد المؤمن لولده محمد بولاية العهد وكانت لأبي حفص عمر من أصحاب ابن تومرت من أكبر الموحدين ، فأجاب الى خلع نفسه وولاية ابن عبد المؤمن .

وفيها استعمل عبد المؤمن إبنه عبد الله على بجاية ، وابنه عمر على تلمسان وابنه علياً على فاس ، وابنه أبا سعيد على سبته والجزيرة الخضراء ومالقه وكذلك غيرهم .

وفيها سار الملك محمد بن محمود السلجوقي من همدان بعساكر وحصر بغداد ، وحصن المقتفي دار الخلافة واعتدّ للحصار واشتد الأمر على أهل بغداد ، فبلغ محمداً أن أخاه ملك شاه وايل دكر صاحب بلاد أران ومعه الملك أرسلان بن طغر بك بن محمد وايل دكر ، كان متزوجاً بأم ارسلان ، قد دخلوا همدان ، فرحل الملك محمد عن بغداد نحوهم في ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة .

وفيها احترقت بغداد حتى دار الخلافة وغيرها . **وفيها** توفي أبو الحسن ابن الخل شيخ الشافعية في بغداد من أصحاب الشاشي عالم عامل ، وتوفي ابن الآمدي الشاعر من النيل في طبقة الغزي والارجاني ، وعمره فوق التسعين .

Marfat.com

وفيها قتل في الحمام مظفر بن حماد صاحب البطيحة وتولاها إبنه .

وفيها توفي الوأواء الحلبي الشاعر المشهور . وفيها توفي أبو جعفر بن محمد البخاري باسفراين عالم بالفلسفة .

سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة :

أخبار بني منقذ والزلازل

قال ابن الأثير : فيها في رجب زلزل الشام فخربت حماة وشيزر وحمص وحصن الأكراد ، وطرابلس وانطاكية وغيرها من مجاوراتهـــا ، ووقعت الأسوار والقلاع ، فقام نور الدين أتم قيام وتدارك بالعمارة ، وأغـــار على الفرنج ليشغلهم عن الإسلام ، وهلك ما لا يحصى حتى أن معلم كتاب بحماه فارق المكتب وجاءت الزلزلة فسقط المكتب على الصبيـــان فلم يحضر أحد يسأله عن صبي ، وكان بعض أمراء نور الدين بالقرب من شيزر فصعد اليها خربة وتسلمها نور الدين وعمر أسوارها ، وكان بنو منقذ الكنانيين يتوارثونها من أيام صالح بن مرداس .

وقال ابن خلكان وابن أبي الدم : استولى بنو منقذ على شيزر سنة أربع وسبعين وأربعمائة أخذها من الروم علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ، وكتب إلى بغداد : كتابي من حضرة شيزر رحماها الله تعالى وقد رزقني الله عز وجل من الاستيلاء على هذا العقل العظيم ما لم يأت لمخلوق في هذا الزمان ، وإذا عرف الأمر على حقيقته علم أني هاروت هذه الأمة وسليمان الجن والمردة ، وانني أفرق بين المرء وزوجه وأستنزل القمر من محله ، أنا أبو النجم وشعري شعري نظرت الى هذا الحصن فرأيت أمراً يذهل الألباب يسع ثلاثة آلاف رجل بالأهل والمال ، ويمسكه خمس نسوة فعمدت الى تل بينه وبين حصن الروم يعرف بالجراص ، ويسمى هذا التل تل الجسر فعمرته حصناً وجمعت

Marfat.com

فيه أهلي وعشيرتي ونفرت نفرة على حصن الجراص فأخذته بالسيف من الروم، ومع ذلك فلما أخذت من به من الروم وأحسنت اليهم وأكرمتهم ومزجتهم بأهلي وخلطت خنـــازيرهم بغنمي ونواقيسهم بصوت الأذان ، فرأى أهل شيزر فعلي ذلك فأنسوا بي ووصل إليّ منهم قريب نصفهم فبـــالغت في إكرامهم ، ووصل اليهم مسلم بني قريش العقيلي فقتل من أهـــل شيزر نحو عشرين رجلاً فلما انصرف مسلم عنهم سلموا الحصن إليّ .

وكان ما قاله إبن الأثير أولى لأن حماه وشيزر فتحتا على يد أبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه .

واستمر الشام للمسلمين الى حدود سنة تسعين وأربعمائـــة فملك الفرنج غالب الشام لقتال بعض ملوك المسلمين بعضاً ، ولم يذكر ملكهم لشيزر .

قال ابن الأثير : فلما انتهى ملك شيزر الى نصر بن علي بن نصر بن منقذ، إستمر فيها إلى أن مات سنة إحدى وتسعين وأربعمائة .

وعند موته إستخلف أخاه مرشد بن علي على حصن شيزر فقال مرشد والله لأولينه ولأخرجن من الدنيا كما دخلتها .ومرشد والد مؤيد الدولة أسامة فولاها نصر أخاه الصغير سلطان بن علي واستمر مرشد مع أخيه سلطان على أجمل صحبة مدة .

وكان لمرشد أولاد نجباء وليس لسلطان ولد فلما جـــاء لسلطان أولاد خشي عليهم من أولاد أخيه مرشد وسعى بينهما فتغير كل منهما على الآخر ، فكتب سلطان الى مرشد يعاتبه . وكان مرشد شاعراً فأجابه :

شكت هجرنا والذنب في ذاك ذنبها فيا عجباً من ظالم جاء شاكيـــا
وطاوعت الواشين فيّ وطالمـــا عصيت عذولا في هواها وواشيا
ومـــال بهاتيه الجمال الى القلى وهيهات أن أمسي لها الدهر قاليا

Marfat.com

ولمـــا أتاني من قريضك جوهر جمعت المعاني فيه لي والمعاليـــا
وكنت هجرت الشعر حينـــاً لأنه تولى برغمي حـين ولى شبـــابيا
وقلت أخي يرعى بنيّ وأسرتي ويحفظ عهـــدي فيهم وذمـــاميا
فما لك لما ان حنى الدهر صعدتي وثلم مني صارماً كان ماضيا
تنكرت حتى صار برك قسوة وقربك مني جفوة وتنـــائيا
على انني مـــا حلت عمـــا عهدته ولا غيرت هذي السنون ودادیـــا

وفاة مرشد : وتماسك الأمر بينهما الى أن توفي مرشد سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ، فأظهر سلطان التغير على أولاد مرشد وجاهرهم بالعداوة ففارقوا شيزر ، وقصد أكثرهم نور الدين وشكوا اليه عمهم ، فغاظه ذلك ، ولم يمكنه قصده لاشتغاله بالفرنج وبقي سلطان كذلك الى أن توفي وولي أولاده .

ولما خربت القلعة بالزلزلة في هذه السنة لم ينج من بني منقذ بها أحد . فإن صاحبها منهم ختن ولده ودعـــا الناس وجميع بني منقذ إلى داره فأسقطت الزلزلة الدار عليهم فهلكوا عن آخرهم إلا واحـــداً منهم طلب باب الدار فرفسه حصان بالباب لصاحب شيزر منهم فقتله .

قلت :

إذا ما قضى الله أمراً فمن يرد القضاء الذي ينفذ
عجبت لشيزر إذ زلزلت فما لبـــني منقذ منقذ

وقد أذكرني هذا شيئاً وهو أن القاضي فخر الدين عثمان بن البارزي الحموي قاضي القضاة بحلب ، كان رحمه الله تعالى ولاني الحكم بشيزر فلمـــا دخلتها صرعتني بزفرة هوائها ، وأرسلت إلى الوخم على فترة من مـــائها ، وزارتني الحمى غباً حتى ازددت للموت حباً ، فكتبت اليه عاتباً عليه :

أيا باعثي أقضي بشيزر ما الذي أردت قضي أشغالهم أم قضي نحبي
حكيت بها الناعور حالاً لأنني بكيت على جسمي وردت على قلبي

Marfat.com

وكتبت الى ابنه كمال الدين محمد :

قيل لي شيزر نار وبها القاضي مخلد
قلت لا أمكث فيها أنا من حزب محمد

فلما وقف على ذلك أعفاني منها . والله أعلم .

وفاة السلطان سنجر : في ربيع الآخر توفي السلطان سنجر السلجوقي بالقولنج ثم الاسهال ، وكان مهيباً كريماً ، ولما وصل خبره الى بغداد قطعت خطبته واستخلف سنجر على خراسان الملك محمود بن محمد بن بغداخان ابن أخت سنجر فأقام خائفاً من الغز .

وفيها استولى أبو سعيد عبد المؤمن على غرناطة من الملثمين وانقرضت دولة الملثمين ولم تبق لهم غير جزيرة ميورقه ، ثم فتح أبو سعيد المرية من الفرنج بعد ملكهم لها عشر سنين .

وفيها أخذ نور الدين بعلبك من ضحاك البقاعي، ولاه أياه صاحب دمشق.

وفيها قلع الخليفة المقتفي باب الكعبة وعمل عوضه بابا مصفحاً بالفضة المذهبة ، وعمل لنفسه من الباب تابوتاً يدفن فيه .

وفيها مات محمد بن عبد اللطيف بن محمد الخجندي رئيس الشافعية بأصبهان مقدم عند السلاطين .

سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة :

وفيها قصد ملك شاه بن محمود السلجوقي قم وقاشان ونهبهما ، وكان أخوه السلطان محمد بعد رحيله عن حصار بغداد قد مرض طويلاً فأرسل إلى أخيه ملك شاه أن يكف عن النهب ، ويجعله ولي عهده فلم يقبل ملك شاه ذلك ، ثم سار ملك شاه الى خوزستان وأخذها من صاحبها شملة التركماني .

Marfat.com

وفيها توفي بميافارقين معين الدين أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين ابن محمد الخطيب الحصكفي ، ومولده بطنزة . ومن شعره :

وخليع بت أعـــذله ويرى عـذلي من العبث
قلت ان الخمر مخبثة قال حاشاهـــا من الخبث
قلت فالارفاث تتبعها قال طيب العيش في الرفث
قلت منها القيء قال أجل شرفت عن مخرج الحدث
وسألوهما فقلت متى قال عند الكون في الجدث

قلت :

نشأ بحصن كيفا ، وقرأ الأدب على التبريزي ببغداد وأجاد في الفقه على مذهب الشافعي ، ثم ولي خطابة ميافارقين ، وكان اليه أمر الفتوى واشتغل عليه الناس .قال فيه العماد الاصفهاني في الخريدة ، كان علامة الزمان في علمه ومعري الأصل في نثره ونظمه .

أنشد له بعضهم خمسة أبيات كالخمسة السيارات وهي :

أشكو الى الله من نارين واحدة في وجنتيه وأخرى منه في كبدي
ومن سقامين سقم قد أحل دمي من الجفون وسقم حل في جسدي
ومن نمومين دمعي حين أذكره يذيع سرّي وواش منه بالرصد
ومن ضعيفين صبري حين اذكره وودّه ويراه الناس طوع يدي
مهفهف رق حتى قلت من عجب أخصره خنصري أم جلده جلدي

ومن مليح شعره يهجو مغنياً :

ومسمـع غنـــاءه يبـدل بالفقر الغنى
أبصرتـه فـلم تخب فراستي لمـــا دنـا
وقلت من ذا وجهـــه كيف يكون محسنا
ورمت أن أروّج الظن بـــه ممتحنا

Marfat.com

فقـــلت من بينهم هات أخي غن لنـــا
فاشتال منـه حاجب وحاجب منـه انحنى
وامتـــلأ المجلس من فيه غثـــاء منتنـا
وصاح صوتـــاً منكراً يخرج عن حـد البنا
فـــذا يسد أنفه وذا يسد الأذنـــا
ومنهم جمـاعـــة تستر عنـــه الأعينا
فقلت يا قوم اسمعوا إمـا المغني أو أنـا
وحين ولى شخصه قرأت فيهم معلنـــا
الحمـد لله الذي أذهب عنا الحزنـا

وقد ذكرت بهذا بيتين لي في هجو مغن ، وهما :

غنى لنـــا يوم فمـات بدار رفاقي
يا ليتنـا في حجـاز إذا شدا في العراق

وبيتين لي أيضاً في مدح مغن وهما :

ومغن إن شداكم منشدا أعذب الغيّ وأغوى العذبا
كالصبا هبت بأغصان الصبا تطرب الحيّ وتحيي الطربا

والله أعلم .

سنة اربع وخمسين وخمسمائة :

ذكر فتح المهدية

نازل عبد المؤمن المهدية واخذها من الفرنج يوم عاشوراء سنة خمس وخمسين وخمسمائة وملك جميع افريقية وأعاد اليها الحسن بن علي الصنهاجي صاحبها أولاً ورحل الى المغرب .

وفيها توفي السلطان محمد بن محمود بن محمد ملك شاه السلجوقي في ذي الحجة بالسل بباب همدان ، ومولده سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وكان كريماً عاقلاً، ولما حضره الموت أودع ابنه الصغير عند اقسنقر الاحمديلي علماً أن العساكر لا تطيع مثله فرحل به الى بلده مراوغة ، ولما مات طلبت طائفة من الأمراء تمليك أخيه ملك شاه وطلبت طائفة سليمان شاه بن محمد ابن ملك شاه الذي كان معتقلاً بالموصل وهم الأكثر وطلبت طائفة أرسلان ابن طغر بك الذي مع ايل دكر وسار أخوه ملك شاه الى أصبهان فملكها .

وفيها مرض نور الدين بن زنكي مرضاً أرجف له بموتـــه بقلعة حلب فحضر أخوه أمير ميران قلعة حلب وسار شيركوه من حمص ليستولي على دمشق وبها أخوه نجم الدين أيوب ، فأنكر أيوب ذلك وقـــال : أهلكتنا . وأشار على شيركوه فعاد إلى حلب مجداً ، وجلس نور الدين في شبـاك فرآه الناس فتفرقوا عن أخيه أمير ميران واستقام الحال .

وفيها أزال علي بن مهدي ملك بني نجاح كما مر . وعلي من قرية العنيزة من سواحل زبيد ، كان أبوه مهدي صالحاً ، ونشأ علي كأبيـــه متمسكاً بالصلاح ، ثم حج وتعرف بالعراقيين ، ثم صار واعظاً عالماً بالتفسير ، حافظاً يتحدث في شيء من أحواله المستقبلات فيصدق، فمالت اليه القلوب ، واستفحل أمره ، فسار وأقام بالجبال الى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .

ثم عاد إلى أملاكه وكان يقول في وعظه : دنا الوقت أزف الأمر كأنكم بما أقول لكم وقد رأيتموه عياناً .

مقتل آخر ملوك بني نجاح : ثم عاد الى حصن الشرف بالجبال لبطن من خولان فأطاعوه وسماهم الأنصار وسمى من صعد معه من تهـــامة المهاجرين ، وأقام سبا على خولان والتويتي على المهاجرين وسمى كلا منهما شيخ الإسلام وجعلهما نقيبين على الطائفتين لا يخاطبه غيرهمـــا ، وهما يوصلان كلامه إلى

Marfat.com

الطائفتين ، وكلام الطائفتين وحوائجها اليه ، وشن الغارات حتى أخلى البوادي وقطع الحرث والقوافل، واستمر يحاصر زبيد حتى قتل فاتك بن محمد آخر ملوك بني نجاح ، قتله عبيدة وجرى بين ابن مهدي وعبيد فاتك حروب كثيرة ، وآخرها انه انتصر واستقر في دار الملك بزبيد يوم الجمعة رابع عشر رجب من هذه السنة أعني سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، وبقي في الملك شهرين وأحد عشر يوماً ، ومات في شوال فملك اليمن إبنه مهدي ثم إبنه عبد النبي بن مهدي ، ثم خرجت المملكة عن عبد النبي المذكور الى أخيه عبدالله ثم عادت إلى عبد النبي واستمر إلى أن فتح اليمن توران شاه بن أيوب من مصر سنة تسع وستين وخمسمائة ، وأسر عبد النبي وهو آخرهم .

وكان مذهب علي بن مهدي الكفير بالمعاصي ، وقتل من يخالف اعتقاده من أهل القبلة واستباحة وطء نسائهم ، واسترقاق ذراريهم وقتل من شرب الخمر وسمع الغناء .

وكان حنفي الفروع ، وأصحابه يعتقدون فيه فوق ما يعتقده الناس في الأنبياء عليهم السلام .

سنة خمس وخمسين وخمسمائة :

ذكر مسير سليمان شاه الى همدان وقتله

لما مات محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه أرسلت الأمراء وطلبوا عمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه ليولوه السلطنة ، وكان قد اعتقل بالموصل مكرماً فجهزه قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل بجهاز يليق بالسلطنة ، وسار معه زين الدين علي كجك بعسكر الموصل إلى همدان وأقبلت العساكر اليهم ، وكان عند سليمان تهوّر وإدمان شرب حتى في رمضان فأهمله العسكر وصاروا لا يحضرون بابه ، وكان قد رد الأمور إلى شرف الدين

Marfat.com

كردبازو من مشايخ الخدام السلجوقية وعنده دين وتدبير ، فشرب سليمان يوماً بالكشك ظاهر همدان فحضر كردبازو ولامه ، فكشف بعض مساخر سليمان له سوأته فحقد كردبازو وعمل له دعوة عظيمة في داره وقبضه فيها وحبسه مدة ثم أرسل اليه من خنقه ، وقيل سممه .

فلما مات سار أيلدكر في عشرين الفاً ومعه ارسلان شاه بن طغر بك بن محمد ملكشاه بن الب ارسلان ووصل همدان فلقيه كرد بازو وأنزله في دار المملكة وخطب له بالسلطنة ، وكان لأيلدكر من أم ارسلان شاه أولاد منهم البهلوان محمد وقزل ارسلان عثمان فبقي أيلدكر اتابك ارسلان ، والبهلوان اخو ارسلان لأمه حاجبه ، وهذا أيلدكر كان قد اشتراه السلطان مسعود ثم أقطعه أران من بلاد أذربيجان فعظم ، ولما خطب لأرسلان شاه في تلك البلاد طلب أيلدكر أن يخطب له أيضاً ببغداد على عادة السلجوقية فلم يجب الى ذلك .

وفاة الفائز خليفة مصر : وفيها توفي الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى ابن اسماعيل الظافر خليفة مصر ، وخلافته ست سنين ونحو شهرين ، ولي وعمره خمس سنين ، ولما مات دخل الصالح بن زريك القصر وسأل عمن يصلح فأحضر له منهم إنسان كبير السن فقال بعض اصحاب الصالح له : لا يكون عباس أحزم منك حيث اختار الصغير فأحضر العاضد لدين الله أبا محمد عبد الله بن الأمير يوسف بن الحافظ مراهقاً ، وبايع له وزوّجه الصالح ابنته ونقل معها ما لا سمع بمثله .

وفاة الخليفة المقتفي : وفيها ثاني ربيع الاول توفي المقتفي لأمر الله الخليفة أبو عبد الله محمد بن المستظهر بعلة التراقي ، ومولده ثاني ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأمه أم ولد، وخلافته أربع وعشرون سنة وثلاثة اشهر وستة عشر يوماً ، وكان حسن السيرة ، أقام حشمة الدولة العباسية

Marfat.com

وقطع عنها طمع السلاطين وبذل الأموال لأصحاب الاخبار حتى كان لا يفوته شيء .

وبويع ابنه يوسف المستنجد بالله الثاني والثلاثون منهم ، وأمه طاووس أم ولد ، وبايعه أهله وأقاربه ، فمنهم عمه أبو طالب وأخوه أبو جعفر بن المقتفي ، وكان اكبر من المستنجد .

ثم بايعه الوزير ابن هبيرة ، وقاضي القضاة وغيرهم .

وفيها في رجب **توفي خسرو شاه** بن بهرام شاه صاحب غزنة وكان عادلاً .

وملك بعده ابنه ملكشاه ، وقيل توفي خسرو شاه في حبس غياث الدين الغوري ، وانه آخر ملوك بني سبكتكين حسبما مر سنة سبع وأربعين وخمسمائة والله أعلم بالصواب .

وفيها توفي ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان بأصفهان مسموماً . وفيها حج أسد الدين شيركوه بن شادي مقدم جيش نور الدين محمد ابن زنكي .

سنة ست وخمسين وخسمائة :

وفيها في ربيع الآخر توفي علاء الدين الحسين بن الحسين ملك الغور ، وكان عادلاً .

وملك بعده ابن أخيه غياث الدين محمد كما مر سنة سبع وأربعين وخمسماية.

خراب نيسابور : وفيها تقدم المؤيد آي به بامساك أعيان نيسابور كانوا رؤساء للحرامية ، وأخذ المؤيد يقتل المفسدين فخربت نيسابور حتى مسجد عقيل مجمع العلماء والكتب الوقف وسبع عشرة مدرسة شافعية ،

Marfat.com

وأحرق ونهب عدة من خزائن الكتب ، وأمر باصلاح سور الشاذياخ ، وسكنها هو والناس ، فلم يبق بنيسابور أحد .

بنى الشاذياخ عبدالله بن طاهر أمير خراسان للمأمون ثم خربت ثم جددت أيام الب ارسلان السلجوقي ثم تشعثت حتى أصلحها آي به .

مقتل الملك الصالح : وفيها في رمضان قتل الملك الصالح طلائع بن زريك الارمني وزير العاضد العلوي ، جهزت عليه عمة العاضد من قتله وهو داخل القصر بالسكاكين وحمل الى بيته جريحاً ، وعتب على العاضد فتبرأ وحلف وأرسل عمته اليه فقتلها ، وسأل من العاضد تولية إبنه زريك ، فولاه الوزارة ولقبه العادل .

وللصالح طلائع شعر حسن ، فمنه في الفخر :

أبى الله إلا أن يدين لنا الدهر ويخدمنا في ملكنا العز والنصر
علمنا بأن المال تفنى ألوفه ويبقى لنا من بعده الأجر والذكر
خلطنا الندى بالبأس حتى كأننا سحاب لديه البرق والرعد والقطر

وفيها : ملك عيسى بن قاسم بن أبي هاشم مكة ، وكان أميرها قاسم ابن أبي فليتة بن قاسم فصادر المجاورين وأعيان مكة وهرب ، فلما وصل الحاج رتب أمير الحاج مكانه عمه عيسى المذكور ، ثم جمع قاسم وقصد عيسى فرحل عيسى عنها فملكها قاسم فكاتب العرب عيسى فقدم اليهم ، وهرب قاسم إلى جبل أبي قبيس فسقط عن فرسه فقتله أصحاب عيسى فغسله عيسى ودفنه بالمعلاة عند أبيه أبي فليتة واستقرت مكة لعيسى .

وفيها عبر عبد المؤمن المجاز الى الأندلس وبنى على جبل طارق مدينة حصينة أقام بها أشهراً ثم عاد إلى مراكش .

وفيها ملك قرا أرسلان صاحب حصن كيفا قلعة شاتان من الأكراد وخربها وأضاف عملها إلى حصن طالب .

Marfat.com

سنة سبع وخمسين وخمسمائة :

وفيها نازل نور الدين حارم ، وبها الفرنج وعاد ولم يملكها . وفيها سار الكرج في جمع عظيم وملكوا أردوين ونهبوها فجمع ايلدكر صاحب أذربيجان وغزاهم .

وفيها : وقع قتال بين صاحب مكة وأمير الحاج فرحل الحاج ولم يقدر بعضهم على الطواف[1] .

وفيها مات الكيا الصباحي ألموت الاسماعيلي ، وقام ابنه مقامه فأظهر التوبة . وفيها في المحرم توفي الشيخ عدي بن مسافر الزاهد ببلد الهكارية من أعمال الموصل ، أصله من بلد بعلبك وانتقل الى الموصل ، وتبعه أهل السواد والجبال وأحسنوا به الظن .

قلت :

قال الشيخ الامام نور الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن جرير بن معضاد ابن فضل اللخمي رحمه الله تعالى في كتابه بهجة الأسرار ومعدن الأنوار ان شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر الجيلي كان ينوه بذكر عدي ويثني عليه كثيراً وشهد له بالسلطنة وقال : لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها عدي بن مسافر .

وعن الشيخ أبي محمد عبدالله البطايحي قال :

كان الشيخ عدي إذا سجد سمع لخه في رأسه صوت كصوت وقع الحصاة

١ – قال ابن الأثير : وكان ممن حج ولم يطف جدته أم أبيه فوصلت بلادها على احرامها فاستفتت الشيخ أبا القاسم بن البرزي فأفتى انها اذا دامت على ما بقي من احرامها الى قابل وطافت كمل حجها ، ثم تفدي وتتحلل ثم تحرم احراماً ثانياً وتقف بعرفات وتكمل مناسك الحج فتصير لها حجة ثانية ففعلت كما قال فتم حجها الأول والثاني .

Marfat.com

في القرعة اليابسة من شدة المجاهدة ، وأقام في أول أمره في المفازات والجبال والصحارى مجرداً وسائحاً يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات ، وكانت الجبـــال تألفه والهوام والسباع تألفه فيها . وهو أحد من تصدر لتربيـــة المريدين الصادقين ببلاد الشرق ، وانتهى اليه تسليكهم وكشف مشكلات أحوالهم ، وغسل تاج العارفين أبا الوفاء رحمة الله عليه وهو شاب .

وعن الشيخ أبي محمد عبدالله بن كامل الحسيني البيساني قال :

سمعت الشيخ العارف أبا محمد شاور السيني المحلى بها يقول : صنع الخليفة ببغداد وليمة ودعا اليها جميع مشايخ العراق وعلمائها، فحضروا كلهم إلا الشيخ عبدالقادر والشيخ عديا والشيخ أحمد بن الرفاعي رحمة الله عليهم ، فلما انصرف الناس قال الوزير للخليفة : إن الشيخ عبد القادر والشيخ عديا والشيخ احمد لم يحضروا؟ فقال الخليفة : فكأن لم يحضر إذن أحد، ثم أمر حاجبه أن يأتي الشيخ عبد القادر فيدعوه . وأن ينطلق الى جبل الهكار وإلى أم عبيـدة ليحضر الشيخ عديا والشيخ احمد . قال فقال لي الشيخ عبد القادر قبل أن يقوم الحاجب من مجلس الخليفة وقبل أن تسطر البطاقات : يا شاور إذهب الى المسجد الذي بظاهر باب الحلبة تجد فيه الشيخ عدي بن مسافر ومعه اثنان فادعهم إليّ. ثم اذهب الى مقبرة الشونيزي تجد فيها الشيخ احمد بن الرفاعي ومعـه اثنان فادعهم إليّ ، قال :

فذهبت الى المسجد الذي بظاهر الحلبة فوجدت الشيخ عديا ومعه إثنان فقلت : يا سيدي أجب الشيخ عبد القادر . فقال : سمعاً وطاعـة ، وقاموا فذهبت معهم فقال لي الشيخ عدي : يا شاور ألا تذهب الى الشيخ أحمد كما أمرك الشيخ ؟ قلت بلى، فأتيت مقبرة الشونيزي فوجدت الشيخ أحمد ومعه إثنان فقلت : يا سيدي أجب الشيخ عبد القادر فقال : سمعاً وطاعة .

وقاموا فتوافى الشيخان في باب رباط الشيخ عبد القادر وقت المغرب .

Marfat.com

فقام اليهم الشيخ وتلقاهم فما لبثوا غير يسير حتى جاء الحاجب الى الشيخ فوافاهما عنده فأسرع الى الخليفة وأخبره باجتماعهم ، فكتب الخليفة اليهم بخطه يسألهم الحضور وبعث اليهم ولده وحاجبه فأجابوه وذهبوا ، وأمرني الشيخ بالمسير معه .

فلما كنا بالشط إذا الشيخ علي بن الهيتي رحمة الله عليه ، فتلقاه المشايخ وسار معهم فأتى بنا الى دار حسنة وإذا الخليفة فيها قائم مشدود الوسط ومعه خادمان وليس في الدار سواهم، فتلقاهم الخليفة وقال لهم: « يا سادة ان الملوك إذا اجتازوا برعاياهم بسطوا لهم الحرير ليطؤوه» ، ووضع لهم ذيله وسألهم أن يمشوا عليه ففعلوا ،وانتهى بنا الى سماط مهيأ فجلسوا وأكلوا وأكلنا معهم .

ثم خرجوا وأتوا الى زيارة قبر الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وكانت ليلة شديدة الظلمة ، فجعل الشيخ عبد القادر كلما مر بحجر أو خشبة أو جدار أو قبر أشار بيده اليه فيضيء كضوء القمر ويمشون في نوره إلى أن ينتهي ضوءه فيشير الشيخ الى آخر فيضيء ، وما زالوا يمشون في النور وليس فيهم من يتقدم الشيخ عبد القادر إلى قبر الإمام أحمد، فدخل المشايخ الأربعة يزورون ووقفنا على باب المزار حتى خرجوا فلما أرادوا أن يتفرقوا قال الشيخ عدي للشيخ عبد القادر : أوصني ، قال : أوصيك بالكتاب والسنة . ثم تفرقوا .

وعن خادم الشيخ عدي قال :

خدمته سبع سنين ، وشهدت له خارقات إحداها أني صببت على يديه يوماً ماء فقال لي : ما تريد ؟ فقلت أريد تلاوة القرآن فاني لا أحفظ منه سوى الفاتحة وسورة الأخلاص وحفظه عليّ عسير جداً. فضرب بيده في صدري فحفظت القرآن كله في وقتي .

وقلت له يوماً : يا سيدي أرني شيئاً من المغيبات فأعطاني منديله وقال :

ضعه على وجهك ، فوضعته ، ثم قال لي : إرفعه ، فرفعته فرأيت الملائكة الكاتبين ورأيت ما يسطرونه من أعمال الخلائق فأقمت على هذه الحالة ثلاثة أيام فتكدر عليّ عيشي فاستغثت اليه ، فوضع ذلك المنديل على وجهي ثم رفعته فاستتر عني ذلك الأمر كله .

قال: ووصف لي يوماً الشيخ عقيلاً المنبجي وهو شيخ الشيخ عدي فأطنب في ذكره فقلت : يا سيدي هل لك ان ترينيه . فأعطاني مرآة وأمرني أن انظر فيها فنظرت شخصي ثم توارى عني شخصي وظهر لي شخص أراه ولا يخفى عني من وجهه شيء . فقال لي الشيخ عدي : تأدب فانه الشيخ عقيل . ودمت ساعة طويلة أنظره كذلك ثم توارى عني وظهر لي شخصي

وهو الشيخ شرف الدين أبو الفضائل عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى ابن مروان بن الحسن بن مروان بن الحكم بن مروان الأموي [1] .

سنة ثمان وخمسين وخمسمائة :

وفيها في صفر وزر شاور للعاضد العلوي. كان يخدم الصالح طلائع بن زريك فولاه الصعيد ثم عزله الوزير العادل بن الصالح بن زريك فجمع شاور جموعه وقصده فهرب وطرده وأمسكه وقتله وانقرضت به دولة بني زريك .

وفيه يقول عمارة اليمني :

ولت ليالي بني زريك وانصرمت والمدح والشكر فيهم غير منصرم
كأن صالحهم يومـــاً وعادلهم في صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقم

ووزر شاور وتلقب بأمير الجيوش وأخذ أموال بني زريك ، ثم جمـــع

---

١ -- كما جاء في هذا الكتاب « بهجة الأسرار ومعدن الأنوار » : ان اصله من حوران ، وانه توفي سنـــة ثمان وخمسين وخمسمائة بلاكش .
وكان فقيهاً عالماً فصيحاً رحمة الله عليه وعلينا به . ولعمري ما انصف المؤلف في ترجمته . والله اعلم . « المؤلف » .

Marfat.com

الضرغام ونازعه في الوزارة في رمضان ، فانهزم شاور واستنجد بنور الدين ، وتمكن ضرغام وقتل كثيراً من أمراء المصريين ، فضعفت الدولة بذلك حتى خرجت البلاد من أيديهم .

وفيها في جمادى الآخرة توفي عبد المؤمن بن علي في سلا واخبر عند موته أن إبنه محمداً لم يصلح وأن ابنه يوسف يصلح فقدموه وبايعوه ، وولاية عبد المؤمن ثلاث وثلاثون سنة وكسر ، وكان سائساً سفاكاً للدم على الذنب الصغير معظماً للدين والصلاة وجمع الناس على فروع مالك وأصول الأشعري .

وفيها ملك المؤيد أي به قومس فأرسل اليه ارسلان بن طغر بك خلعة وألوية فلبس المؤيد الخلع وخطب له في بلاده . **وفيها** كبس الفرنج نور الدين في البقيعة تحت حصن الاكراد فركب نور الدين فرساً وفي رجـــله الشجة فقطعها كردي ، فنجا نور الدين وقتل الكردي فوقف على مخلفيه الوقوف وسار الى بحيرة حمص وتلاحقه المسلمون .

وفيها أجلى المستنجد بني أسد اهل الحلة المزيدية فقتـــل منهم وهرب الباقون وتشتتوا لفسادهم وسلمت بلادهم الى ابن معروف . **وفيها** توفي سديد الدولة محمد بن عبد الكريم بن ابراهيم بن الأنبـاري كاتب انشاء الخلافة ، فاضل أديب عمره نحو تسعين .

سنة تسع وخمسين وخمسمائة :

وفيها بذل شاور الهارب من ضرغام لنور الدين ثلث أموال مصر بعـد رزق جندها إن أعاده الى الوزارة؛ فأرسل معه أسد الدين شيركوه بن شاذي في عسكر فوصل مصر وهزم عسكر ضرغام عند قبر السيدة نفيسة ، وعاد شاور وزيراً للعاضد ثم لم يقم شاور لنور الدين بشيء من شرطه ، فسار أسد الدين واستولى على بلبيس والشرقية ، فاستنجد شاور بالفرنج مع عسكر مصر ، وحصروا شيركوه ببلبيس ثلاثة اشهر،وبلغ الفرنج حركة نور الدين، وأخذه حارم فصالحوا شيركوه ، فرجع الى الشام بعسكره سالماً .

Marfat.com

وفيها في رمضان فتح نور الدين قلعة حارم من الفرنج وقاتلهم فانتصر وقتل وأسر ، وممن أسر البرنس صاحب انطاكية ، والقومس صاحب طرابلس .

وفيها في ذي الحجة فتح نور الدين بانياس من الفرنج كانت بيدهم من سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة .

وفاة **جمال الدين أبو جعفر** : وفيها توفي جمال الدين أبو جعفر محمد بن ابي منصور الاصبهاني وزير مودود بن زنكي صاحب الموصل مقبوضاً عليه من جهة مخدومه في شعبان من سنة ثمان وخمسين .

وكان قد تعاهد الوزير وشير كوه أن من مات منهما نقله الآخر الى المدينة الشريفة ، فنقله شير كوه ، ورتب من يقرأ القرآن عند شيله وحطه ونودي في كل بلد نزلوه بالصلاة عليه ، ولما أرادوا الصلاة عليه بالحلة صعد شاب على موضع مرتفع وأنشد :

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما سرى جوده فوق الركاب ونائله
يمر على الوادي فتثني رماله عليه وبالنادي فتثني أرامله

وطيف به حول الكعبة ودفن بالمدينة في رباط بناه لنفسه ، وبين قبره وقبر النبي صلى الله عليه وآله نحو خمسة عشر ذراعاً .

وهذا جمال الدين هو الذي جدد مسجد الخيف بمنى ، وبنى الحجر بجانب الكعبة وزخرف الكعبة وبذل جملة طائلة لصاحب مكة وللمقتفي حتى مكنه من ذلك ، وبنى المسجد الذي على عرفات وعمل الدرج اليه وعمل بعرفات مصانع الماء ، وبنى سوراً على المدينة ، وبنى على دجلة جسراً عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد ، والرصاص ، والكلس ، فقبض قبل أن يفرغ ، وبنى الربط وغيرها .

وفيها توفي نصر بن خلف ملك سجستان وعمره فوق المائة وملكه ثمانون سنة ، وملك بعده ابنه أبو الفتح أحمد .

Marfat.com

وفيها توفي الامام عمر الخوارزمي خطيب بلخ ومفتيها والقاضي أبو بكر المحمودي ذو التصانيف ، وله مقامات فارسية .

سنة ستين وخمسمائة :

وفيها في ربيع الأول توفي شاه مازندران رستم بن علي بن شهريار ابن قارن ، وملك بعده ابنه علاء الدين الحسن . وفيها ملك المؤيد آي به هراة .

وفيها : كان بين قلج أرسلان بن مسعود صاحب قونية وغيرها وبين باغي أرسلان بن الدانشمند صاحب ملطية حروب انهزم فيها قلج أرسلان واتفق موت باغي أرسلان في تلك المدة فملك ملطية ابن أخيه ابراهيم بن محمد ابن الدانشمند واستولى ذو النون بن محمد بن الدانشمند على قيسارية .

وملك شاهان شاه بن مسعود أخو قلج أرسلان مدينة انكورية ، واصطلحوا على ذلك .

وفيها توفي عون الدين بن هبيرة الوزير واسمه يحيى بن محمد بن المظفر ، ودفن بمدرسته الحنبلية بباب البصرة ، كان يعظمه المقتفي ، ولما مات قبض على أولاده وأهله[1] .

وفيها توفي الشيخ الامام أبو القاسم عمر بن عكرمة بن البرزي الشافعي تلميذ الكيا ،أوحد في الفقه ، من جزيرة ابن عمر .

وفيها توفي أبو الحسن هبة الله بن صاعد بن هبة الله بن التلميذ وقد ناهز المائة، كان طبيب الخلافة حظي عند المقتفي، وكان حاذقاً أديباً مصيب الفكر قسيساً للنصارى يتعجب منه الفضلاء كيف حرم الإسلام ، وكان بينه وبين أبي

---

١ – هذا مشكل ، فالمقتفي توفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، والوزير توفي هذه السنة وان كان الوزير هو الذي قبض على أولاد المقتفي وأهله فأين النقل به؟ والله أعلم. (المؤلف)

Marfat.com

البركات هبة الله بن ملكان الحكيم تنافس على العادة، وكان أبو البركات يهودياً فأسلم شيخاً وجذم فتداوى وبرأ منه ، لكنه عمي ، وكان متكبراً وابن التلميذ متواضع ، فقال ابن التلميذ فيه :

لنا صديق يهودي حماقته إذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب أعلى منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه

ولابن التلميذ أيضاً :

يا من رماني عن قوس فرقته بسهم هجر على تلافيه
أرض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنب عقابه فيه

وله أقراباذين وحواشي كليات القانون وشيخه في الطب أبو الحسن هبة الله ابن سعيد صاحب المغني في الطب وصاحب الاقناع .

سنة احدى وستين وخمسمائة :

وفيها في ربيع الآخر توفي الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ببغداد ومولده سنة سبعين وأربعمائة وهو حنبلي المذهب .

قلت : هو الشيخ محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست بن أبي عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون [1] بن عبد الله المحض المجل [2] بن الحسن المثنى بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، سبط أبي عبد الله الصومعي ينسب إلى جيل

---

١ – قوله في النسب الجون : هو لقب لموسى ، وكان آدم اللون ، وله تقول أمه هند بنت أبي عبيدة :

انك ان تكون جوناً أنزعا أجدر أن تضرهم أو تنفعا

٢ – المحض لقب لعبد الله بمعنى الخالص لأن أباه الحسن بن الحسن بن علي وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي فنسبه من أبويه خالص لسلامته من الموالي وانتهائه الى علي كرم الله وجهه ، والمجل بضم الميم وفتح الجيم من الاجلال إسم مفعول من أجللته .

بلاد متفرقة وراء طبرستان[1] ، والصومعي المذكور من جلة مشايخ جيلان ، له الأحوال والكرامات ، وأمه أم الخير أمة الجياد فاطمة إبنة أبي عبد الله الصومعي ، لها أحوال وكرامات ، قالت غير مرة لما وضعت ابني عبد القادر كان لا يرضع ثدييه في نهار رمضان ، وغمَّ على الناس هلال رمضان فأتوني وسألوني عنــه فقلت : لم يلتقم اليوم ثدياً . ثم اتضح ان ذلك اليوم كان من رمضان .

وحملت به وهي بنت ستين سنة ، ويقال : لا تحمل لستين سنة إلا قرشية ولا لخمسين إلا عربية. وأم ابنه عبد الله ام سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم .

وفاطمة هذه خلف عليها بعد الحسن بن الحسن ، **عبد الله المطرف** بن عمرو بن عثمان بن عفان [2] وولد له محمد الديبـــاج لقب به لحسنه ، وأم المطرف حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم .

وكان الشيخ نحيف البدن ربع القامة عريض الصدر واللحية طويلها اسمر مقرون الحاجبين حفياً ذا صوت جهوري ، كان يجلس لوعظه رجلان وثلاثة ، ثم تسامعوا وازدحموا فجلس في المصلى بباب الحلبة ثم ضاق بهم الوسع فحمل الكرسي إلى خارج البلد وجعل في المصلى ، وجاء الناس على الخيل والبغال والحمير والجمال يقفون بمدار المجلس كالسور ، وكان يحضر مجلسه نحو من سبعين الفاً ، وان الأولياء والملائكة ليزدحمون في مجلسه ، ومن لا يرى فيـــه اكثر ممن يرى .

وعن الشيخ أبي زكريا يحيى بن أبي نصر بن عمـــر البغدادي المشاء

---

١ -- يقال لها جيل أو جيلان ، كما يقال كيل أو كيلان .
٢ — لقب ابوه بالمطرف لجماله . والمطرف بضم الميم وفتح الراء من أطرفته بكذا .

الصحراوي قال : سمعت أبي يقول استدعيت الجان مرة بالعزائم وأبطأت عليّ إجابتهم اكثر من عادتي ثم أتوني وقالوا لي : لا تعد تستدعينا إذا كان الشيخ عبد القادر يتكلم على الناس ، فقلت : ولم؟ قالوا بالحضرة . قلت وأنتم ايضاً؟ قالوا : ان إزدحامنا بمجلسه أشد من إزدحام الانس ، وان منا طوائف كثيرة أسلمت وتابت على يديه .

وعن أبي البقاء عبد الله بن الحسين إلحنبلي العكبري قال : سمعت يحيى ابن نجاح الاديب يقول : قلت في نفسي اريد أحصي كم يقص الشيخ عبد القادر شعراً من الثواب في مجلس وعظه ، فحضرت المجلس ومعي خيط فكلما قص شعراً عقدت عقدة تحت ثيابي في الخيط وأنا في آخر الناس وإذا به يقول : أنا أحل وأنت تعقد .

وعن الخضر الحسيني الموصلي أن الشيخ كان يتكلم في أول مجلسه بأنواع العلوم وكان إذا صعد الكرسي لا يبصق احد ولا يتمخط ولا يتنحنح ولا يتكلم ولا يقوم هيبة له إلى وسط المجلس ، فيقول الشيخ مضى القال وعطف الحال فيضطرب الناس إضطراباً شديداً ويتداخلهم الحال والوجد ، وكان يعد من كراماته ان اقصى الناس في مجلسه يسمع صوته كما يسمعه أدناهم منه على كثرتهم ، وكان يتكلم على خواطر أهل المجلس ويواجههم بالكشف .

وكان الناس يضعون أيديهم في مجلسه فتقع على رجال بينهم يدركونهم باللمس ولا يرونهم ويسمعون وقت كلامه في الفضاء حساً وصياحاً ، وربما سمعوا وجبة ساقطة من الجو الى أرض المجلس وذلك رجال الغيب وغيرهم .

وعن الحافظ أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي الرازي قال : حضرت مجلس الشيخ عبد القادر الجيلي ببغداد سنة سبع وخمسين وخمسمائة فسمعته يقول : إنما كلامي على رجال يحضرون مجلسي من وراء جبل قاف أقدامهم في الهواء وقلوبهم في حضرة القدس ، تكاد قلانسهم وطواقيهم تحترق من شدة شوقهم إلى ربهم عز وجل . وكان إبنه عبد الرزاق إذ ذاك جالساً

على المنبر تحت رجل أبيه فرفع رأسه الى الهواء فشخص ساعة ثم غشي عليه واحترقت طاقيته وزيقه فنزل الشيخ وأطفأها ، وقال : وأنت أيضاً يا شيخ عبد الرزاق منهم ، قال : فسألت عبد الرزاق ما أغشاه ؟ فقال : لما نظرت إلى الهواء رأيت رجالاً واقفين مطرقين منصتين لكلامه وقد ملأوا الافق وفي لباسهم وثيابهم النار ، ومنهم من يصيح ويعدو في الهواء ومنهم من يسقط إلى أرض المجلس ومنهم من يرعد في مكانه . وكان يكتب ما يقول في مجلسه أربعمائة محبرة عالم وغيره . قاله في بهجة الأسرار .

وكان رضي الله عنه كثيراً ما يخطو في الهواء في مجلسه على رؤوس الناس خطوات ثم يرجع إلى الكرسي ، وكم مات في مجلسه من رجل ، وكان يحضره مثل الشيخ بغابن بطو والشيخ أبي سعد القيلوني والشيخ علي بن الهبتي والشيخ نجيب الدين عبد القادر السهروردي والشيخ أبي حكيم بن دينار والشيخ ماجد الكردي والشيخ مطر الباذراني والقاضي أبي يعلى محمد بن الفراء والقاضي أبي الحسن علي بن الدامغاني والامام أبي الفتح بن المنى .

وكان الشيخ عدي بن مسافر غير مرة يخرج من زاويته بلاكش إلى الجبل ويدير دارة بعكازة ويدخلها ويقول: من أراد أن يسمع كلام الشيخ عبد القادر فليدخل هذه الدارة فيدخلها أكابر أصحابه ويسمعون كلامه وربما كتب بعضهم ما يسمعه وأرخ ذلك اليوم ، ثم يأتي بغداد ويقابل ما كتبه بما كتبه أهل بغداد من كلام الشيخ في ذلك اليوم فيتفقان .

وكان الشيخ عبد القادر يقول : في الوقت الذي يدخل فيه الشيخ عدي الدارة لأهل مجلسه عبر الشيخ عدي بن مسافر فيكم .

وقال الشيخ علي الفرنتي : رأيت أربعة من المشايخ يتصرفون في قبورهم كتصرف الأحياء : الشيخ عبد القادر والشيخ معروف الكرخي والشيخ عقيل المنبجي والشيخ حياة بن قيس رضي الله عنهم .

وقدم رضي الله عنه بغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وقرأ القرآن

Marfat.com

وأتقنه ، وتفقه على كثيرين مذهباً وخلافاً وأصولاً ، وسمع الحديث من خلق أكابر ، وقرأ الأدب على أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي تلميذ أبي العلاء المعري، وصحب الشيخ العارف أبا الخير قدوة المحققين حماداً الدباس وأخذ عنه علم الطريقة وأخذ الخرقة الشريفة من يد القاضي أبي سعد المخرمي ، ولقي جماعة من أعيان زهاد الزمان وعظماء العارفين بالعجم والعراق .

ولقد كان الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية الحنبلي رحمه الله يقول : كرامات الشيخ عبد القادر ثابتة بالتواتر . والمؤلف رحمه الله قصر في ترجمته وأطال القول في ذكر من قد لا يعبأ الله به . والله أعلم .

سنة اثنتين وستين وخمسمائة :

وفيها عاد شيركوه بألفي فارس إلى الديار المصرية من عند نور الدين فاستولى على الجيزة فاستنجد شاور بالفرنج والتقوا على الايوان فهزمهم شيركوه.

ثم ملك الاسكندرية وجعل فيها ابن أخيه صلاح الدين يوسف ، واجتمع عسكر مصر والفرنج وحصروا صلاح الدين بالاسكندرية ثلاثة أشهر ، فسار شيركوه اليهم فصالحهم على تسليم الاسكندرية اليهم ويحملون له مالاً فعاد عنهم واصطلح الفرنج والمصريون على شحنة للفرنج بالقاهرة ، وتكون أبوابها بيد فرسانهم ، ولهم من دخل مصر كل سنة مائة الف دينار .

وفيها فتح نور الدين صافيثا والعريمة .

وفيها عصّى غازي بن حسان منبج على نور الدين فسير اليه عسكراً فحصروه وأخذ منه منبج وأقطعها لقطب الدين نيال أخي غازي المذكور ، إلى أن أخذها منه صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة إثنتين وسبعين وخمسمائة.

وفيها توفي فخر الدين قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا ، وملك بعده إبنه نور الدين محمود .

قلت : وفيها تقريباً توفي الشيخ ماجد الكردي بجبل حمرين من العراق ،

Marfat.com

وكانت له كرامات ظاهرة وأحوال فاخرة ، تخرج بصحبته أعيان ، وقصد من كل أفق ومكان .

ومن كلامه : الصمت عبادة من غير عناء ، وزينة من غير حلي ، وهيبة من غير سلطان ، وحصن من غير سور ، وراحة الكاتبين ، وغنية عن الإعتذار ، وكفى بالمرء علماً أن يخشى الله تعالى ، وكفى به جهلاً أن يعجب بنفسه ، والعجب فضل حمق يغطي به صـــاحبه عيوب نفسه ، فلم يدر أين يذهب به فصرفه الى الكبر ، وما خلق الله سبحانه من عجيبة إلا ونقشها في صورة الآدمي ، ولا أوجد أمراً غريباً إلا وسلكه فيها ، ولا أبرز سراً الا وجعل فيه مفتاح علمه ، فهو نسخة مختصرة من العالم .

وعن الشيخ ذي الكرامات مكارم القوساني ذي الشهرة العظيمة بقوسان ، قال : جاء رجل من أصحابنا إلى الشيخ ماجد الكردي مودعاً حاجاً في غير أشهر الحج على قدم التجريد بلا زاد ولا رفيق ، فأخرج له الشيخ مـــاجد ركوته وقال هذه ماء ان أردت الوضوء ولبن إن عطشت وسويق إن جعت. فوجد منها الرجل كل ما قاله الشيخ سفراً وإقامة بالحجـــاز ورجوعاً إلى العراق . والله أعلم .

سنة ثلاث وستين وخمسمائة :

وفيها فارق زيد الدين علي كجك بن بكتكين نائب مودود بن زنكي مخدومه ، واستقر في إربل اقطاعه واقتصر عليها لعماه وطرشه .

وفيها توفي عبد الكريم أبو سعد محمد بن المنصور بن أبي بكر المظفر السمعاني[1] الفقيه المروزي الشافعي مكثر من سماع الحديث ، سافر في طلبه

---

١ – مولد السمعاني في شعبان سنة ست وخمسمائة ، وهو إمام ابن إمام ابن إمام أبو إمام، فان ابنه أبا المظفر عبد الرحيم كان رحلة أيضاً ، ونسبته أيضاً إلى سمعان بطن من تميم .

Marfat.com

إلى بلاد يطول ذكرها ، تزيد شيوخه على أربعة آلاف ، وله كتاب الأنساب ثمانية مجلدات ، وذيل تاريخ مرو .

وكان ابن الجوزي يقول : انه كان يأخذ الشيخ ببغداد ويغربه إلى ما فوق نهر عيسى، ويقول: حدثني فلان بما وراء النهر، وهذا بارد ، فأي حاجة للسمعاني الى هذا التدليس ، وقد سافر إلى مـــا وراء النهر وذنبه عند ابن الجوزي انه شافعي ، فابن الجوزي لم يبق على أحد غير الحنابلة .

سنة أربع وستين وخمسمائة :

وفيها ملك نور الدين قلعة جعبر من صاحبها شهاب الدين مالك بن علي ابن مالك بن سالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب العقيلي ، كانت بأيديهم من أيام السلطان ملك شاه ولم يقدر نور الدين عليها إلا بعد أن أسرت بنو كلاب صاحبها فاستحضره واجتهد به على تسليمها فأبى ، فأرسل عسكر مقدمه فخر الدين مسعود بن أبي علي الزعفران وردفه بعسكر مقدمـــه مجد الدين ابي بكر بن الداية رضيع نور الدين وحصروها فما نالوها ، وفي الآخر عوضه عنا سروج وأعمالها والملوحة وعشرين الف دينار معجلة ، وناب في بزاعة وتسلمها .

الشيخ علي بن الهيتي

قلت : وفيها توفي الشيخ علي بن الهيتي ببلدة زريران من اعمال نهر الملك وقد زاد على مائة وعشرين سنة وقبره بها يزار .

وكانت له كرامات ظاهرة وأفعال خارقة ، وهو أحـــد من تذكر عنـــه القطبيـــة وأحد الاربعة الذين تسميهم مشايخ العراق البروة على معنى انهم يبرؤون الأكمه والأبرص وهم الشيخ عبد القادر الجيلي ، والشيخ علي بن الهيتي ، والشيخ بقاء ابن بطو ، والشيخ أبو سعد القليوبي .

Marfat.com

وكان قد اعترى الصمم الشيخ محمد الخياط الواعظ البغدادي وجرى ذكر البروة فقال : اللهم بحرمتهم عاف سمعي ، فزال صممه في الحال . قال أبو الفرج الصرصري وأنا رأيته أصم ، ورأيته يسمع التناجي ، وألبس أبو بكر الصديق رضي الله عنه ابا بكر بن هوار في اليوم خرقتين ثوباً وطاقيـــة ، فاستيقظ فوجدهما عليه وأعطاهما لمريده الشيخ أبي محمد الشنبكي وأعطاهما الشنبكي لمريده تاج العارفين أبي الوفاء، واعطاهما تاج العارفين لمريده الشيخ علي ابن الهيتي واعطاهـــا ابن الهيتي لمريده الشيخ علي بن ادريس، ثم فقدتا من بعده ، وابن الهيتي الذي أتاه الخطاب : يا ملكي تصرف في ملكي .

وقال عبد القادر : كل من دخل بغداد من الأولياء من عالم الغيب ، أو الشهادة ، فهو في ضيافتنا ، ونحن في ضيافه الشيخ علي بن الهيتي ، وكان يتمثل بهذه الأبيات :

إن رحت أطلبه لا ينقضي سفري أو جئت أحضره أوحشت في الحضر
فما أراه ولا ينفك عن نظري وفي ضميري ولا ألقاه في عمري
فليتني غبت عن جسمي برؤيته وعن فؤادي وعن سمعي وعن بصري

وفي بهجة الأسرار أنه قال : لو دنت نملة دهماء في ليلة ظلماء على صخرة سوداء من جبل قاف ولم يعلمني بها ربي منه إليّ بلا واسطة ، ويطلعني عليها ، لتفطرت مرارتي .

وركب مرة دابته وأتى بلدة من أعمـــال نهر الملك ونزل عنـــد رجل فاحتفل به فقال له الشيخ : إذبح هذه الدجاجة وهذه وهذه . ففعل فخرج من بطونها حبات ذهب ، وكانت أخته قد فقدت عنبرية من ذهب فاتهمهـــا أهلها وهموا بقتلهـــا تلك الليلة ، فقال : إن الله أطلعني على ما في نفوسكم واستأذنت ربي في أن اكشف لكم عن هذه القضية ، وأنقذكم من الهلكة ، فأذن لي . وكراماته كثيرة مشهورة . والله أعلم .

Marfat.com

ذكر ملك شير كوه مصر ، وقتل شاور
وإبتداء الدولة الأيوبية [1]

في ربيع الأول سار أسد الدين شير كوه بن شاذي بالعسكر النوري الى مصر، وكان قد أرسل العاضد الخليفة يستغيث بنور الدين ، وأرسل في الكتب شعور النساء لأن الفرنج ملكوا بلبيس قتلاً وسبياً ونهباً ، وحصروا القاهرة في عاشر صفر ،وآحرق شاور مصر لئلا يملكها الفرنج ، وأمر اهلها بالانتقال الى القاهرة ، وبقيت النار تحرقها أربعة وخمسين يوماً ، وصانع شاور الفرنج على الف الف دينار .

وممن أرسل نور الدين مع شير كوه الى مصر ابن أخيـــه صلاح الدين يوسف كارهاً . أحب نور الدين مسيره وفيه ذهاب الملك من بيته ، وكره صلاح الدين المسير وفيه ملكه – وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم .

ومن جملة ما اعطى نور الدين شير كوه لهذه الحركة مائتي الف دينار سوى الثياب والدواب والسلاح وانفقت في العسكر، فلما قارب شير كوه مصر رحل عنها الفرنج الى بلادهم ووصل القاهرة في رابع ربيع الآخر واجتمع بالعاضد ، وخلع عليه وعاد الى خيامه ، وأجرى على شير كوه الاقامات . وماطله شاور فيما كان بذل لنور الدين من تقرير المال وإفراد ثلث المال وصار يعده ويمنيه ويركب اليه وعزم على عمل دعوة يقبض فيها على شير كوه فمنعه إبنه الكامل ابن شاور ، فعزم العسكر النوري على الفتك بشاور ولا سيما صلاح الدين ، وجرد بك ، فنهاهم شير كوه عنه .

واتفق ان شاور ركب الى شير كوه على عادته فلم يجده وكان قد مضى لزيارة قبر الإمام الشافعي فسار صلاح الدين وجرد بك مع شاور الى شير كوه،

---

١ – تابع أحداث سنة أربع وستين وخمسمائة .

ووثب صلاح الدين وجرد بك ومن معهما على شاور والقوه الى الارض وأمسكوه في سابع ربيع الآخر فهرب أصحابه ، ثم لم يمكن شيركوه إلا اتمام ذلك، وبلغ العاضد ذلك فطلب منه إرسال رأس شاور فقتله وأرسل إلى العاضد برأسه ، ثم دخل شيركوه القصر فخلع عليه العاضد خلع الوزارة ، ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش ، وكتب منشوره بالانشاء الفاضلي ، وكتب العاضد بخطه على طرته: هذا عهد لم يعهد لوزير بمثله فتقلد أمانة رآك أمير المؤمنين أهلاً لحملها وخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة واسحب ذيل الفخار بأن اعتزت خدمتك الى بنوة النبوة .

وفيه يقول العماد الكاتب من قصيدة أرسلها من الشام اليه :

بالجدّ أدركت ما أدركت لا اللعب كم راحة جنيت من دوحة التعب
يا شيركوه بن شاذي الملك دعوة من نادى فعرف خير ابن بخير أب
تمل من ملك مصر رتبة قصرت عنها الملوك فطالت سائر الرتب

وفي شيركوه وقتل شاور يقول عرقلة الدمشقي :

لقد فاز بالملك العقيم خليفة له شيركوه العاضدي وزير
هو الأسد الضاري الذي جل خطبه وشاور كلب للرجال عقور
طغى وبغى حتى لقد قال صحبه على مثلها كان العنيز يدور
فلا رحم الرحمان تربة قبره ولا زال فيها منكر ونكير

وأما الكامل بن شاور فلما قتل أبوه دخل القصر فكان آخر العهد به، ولما بلغ شيركوه الأمنية أتته المنية فتوفي يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة منها ، فولايته شهران وخمسة أيام .

شيركوه وأيوب :

إبنا شاذي من بلد دوين من الأكراد الروادية قصدا العراق وخدما بهروز شحنة السلجوقية ببغداد .

Marfat.com

وكان أيوب أكبر من شيركوه فجعله بهروز مستحفظاً على قلعة تكريت . ولما كسر عسكر الخليفة زنكي ومر على تكريت خدماه ، ثم قتل شيركوه انساناً بتكريت فأخرجهما بهروز من تكريت فلحقا بزنكي فأقطعهما اقطاعات جليلة ثم جعل أيوب مستحفظاً لقلعة بعلبك لما فتحها ، ولما حاصره عسكر دمشق بعد موت زنكي سلمها اليهم على اقطاع كثير شرطوه له، وبقي أيوب من أكبر أمراء دمشق وبقي شيركوه بعد زنكي مع نور الدين ؛ وأقطعه حمص والرحبة وقدمه على العسكر لشجاعته .

ولما أراد نور الدين ملك دمشق أمر شيركوه فكاتب أخاه أيوب فساعد على ذلك ، وبقيا مع نور الدين إلى أن أرسل شيركوه إلى مصر مرة بعد أخرى حتى ملكها .

ولما توفي شيركوه طلب جماعة من الامراء النورية التقدم على العسكر ، وولاية الوزارة العاضدية منهم عز الدولة الياروقي ، وقطب الدين نيال بن حسان المنبجي ، وسيف الدين علي بن أحمد المشطوب الهكاري ، وشهاب الدين محمود الحارمي خال صلاح الدين فأحضر العاضد صلاح الدين وولاه الوزارة ، ولقبه بالملك الناصر فلم يطعه المذكورون .

وكان مع صلاح الدين الفقيه عيسى الهكاري فاستمال الى صلاح الدين المشطوب والحارمي ، وقال للحارمي : هذا ابن اختك وملكه لك ، وكذا فعل بالباقين فمالوا اليه إلا الياروقي قال : أنا لا أخدم يوسف ، وعاد الى نور الدين بالشام وثبت قدم صلاح الدين على انه نائب نور الدين .

وكان نور الدين يكاتب صلاح الدين بالأمير الاسفهسلار وعلامته على رأس الكتاب تعظماً عن ان يكتب إسمه . وكان لا يفرده بكتاب بل الى الأمير صلاح الدين وكافة الامراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا . ثم ارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين أباه ايوب وأهله فأرسلهم فأعطاهم بمصر الاقطاعات

Marfat.com

وتمكن من البلاد ، وضعف أمر العاضد وهجر صلاح الدين الشرب واللهو ، وتقمص الجد .

قال ابن الأثير : رأيت كثيراً ممن ابتدأ الملك ينتقل الملك الى غير عقبه، تغلب معاوية وملك فانتقل الى بني مروان بعده ، وملك السفاح فانتقل الى عقب اخيه المنصور ، وملك نصر بن احمد الساماني فانتقل الى أخيه اسماعيل وعقبه ، ثم ملك عماد الدولة بن بويه فانتقل الى عقب اخيه ركن الدولة .

ثم ملك طغر بك السلجوقي فانتقل الى عقب أخيـــه داود ، ثم ملك شيركوه فانتقل الى ابن أخيه ، ثم لم يبق في عقب صلاح الدين بل انتقل الى اخيه العادل وعقبه ،ولم يبق لأولاد صلاح الدين غير حلب. وسبب ذلك كثرة قتل من يتولى أولاً ، وأخذه الملك وعيون أهله وقلوبهم متعلقة به فيحرم عقبه ، ثم ان صلاح الدين قتل مؤتمن الخلافة ، وكان مقدم السودان حفاظ القصر فجرى بينه وبينهم بين القصرين وقعة عظيمة انهزم فيهـــا السودان وتبعهم صلاح الدين فأجلاهم قتلا وتشريداً ، وحكم على القصر وأقام فيه بهاء الدين قره قوش الأسدي الخصي الأبيض وبقي لا يجري في القصر صغيرة ولا كبيرة إلا بأمر صلاح الدين .

وفيها كسر ايلدكز اينانج صاحب الري ، وأطمع ايلدكز غلمان اينانج في الاقطاعات إن قتلوه فقتلوه فلم يف لهم ولحق بعضهم وهو القاتل بخوارزم شاه فصلبه لخيانته استاذه .

وفيها توفي الشيخ أبو محمد الفارقي احد الزهاد ذوي الكرامات المتكلمين على الخواطر وكلامه مجموع مشهور .

وفيها توفي ياروق ارسلان مقدم كبير تركماني عظيم الخلقة سكن بظاهر حلب وعمائر اتباعه بظاهر قونق يعرف باليباروقية .

قلت : **وفيها** توفي الشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق بن حميد بن سلامة

Marfat.com

القرشي الحنبلي بمصر، ودفن بالقرافة شرقي قبر الشافعي وقبره معروف . أفتى بمصر ،ودرس وناظر وخرج وأملى وقصده الطلبة .

وله كرامات ظاهرة ، ومن كلامه : الطريق الى معرفة الله تعالى وصفاته الفكر والاعتبار بحكمه وآياته ، ولا سبيل للألباب الى معرفة كنه ذاته . ولو تناهت الحكم الالهية في حد العقول ، أو انحصرت القدرة الربانيـــة في درك العلوم لكان ذلك تقصيراً في الحكمة ونقصاً في القدرة ولكن: احتجبت أسرار الأزل عن العقول كما استترت سبحات الجلال عن الأبصار ، فقد رجع معنى الوصف في الوصف ، وعمي الفهم عن الدرك ، ودار الملك في الملك ، وانتهى المخلوق الى مثله وأسند الطلب إلى شكله ، وخشعت الأصوات للرحمان ، فلا تسمع إلا همساً ، فجميع المخلوقات من الذرة الى العرش سبل متصـــلة الى معرفته ، وحجج بالغة على أزليته ، والكون جميعه ألسن ناطقة بوحدانيته ، والعالم كله كتاب يقرأ حروف أشخاصه المتبصرون على قدر بصائرهم .

قيل : انه كان من أوتاد مصر ، وزاد النيل سنة زيادة عظيمـة وخيف الغرق فاستغاث الناس به فأتى الى شاطىء النيل وتوضأ منه فنقص في الحال نحو ذراعين ونزل حتى زرع الناس في اليوم الثاني . ولم يطلع النيل سنة وغلا السعر وفات أكثر وقت الزرع وخيف الهلاك فتوضأ في شاطىء النيل بابريق كان مع خادمه فزاد النيل في ذلك اليوم ، وتتـــابعت زيادته حتى انتهى الى حده وبورك في زرع تلك السنة ببركة الشيخ . وكان يطوى له البعيد ، وكراماته مجموعة . والله أعلم .

سنة خمس وستين وخمسمائة :

وفيها حصر الفرنج دمياط ، وكانت مشحونة بالرجال والذخائر من جهة صلاح الدين خمسين يوماً ، وأغار نور الدين على بلادهم فرحلوا وما ظفروا بها، قال صلاح الدين : ما رأيت أكرم من العاضد أرسل إلي مدة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها .

Marfat.com

وفيها حاصر نور الدين الكرك ثم رحل عنها . **وفيها** زلزل الشام عظيماً فاشتغل كل من المسلمين والفرنج بعمارة ما خرب عن الحرب .

وفيها في ذي الحجة مات قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل بالحمى المحرقة وعمره أربعون تقريباً ، وملكه إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر ونصف . وكان حسن السيرة ، وصرف أرباب الدولة الملك عن إبنه عماد الدين زنكي بن مودود الى سيف الدين غازي بن مودود وهو الأصغر فسار زنكي إلى عمه نور الدين مستنصراً به .

وفيها توفي طغر بك ابن قاروت بك صاحب كرمان ، وملك بعده ابنه بهرام شاه ونازعه أخوه أرسلان شاه فاتفق موت أرسلان شاه .

وفيها توفي مجد الدين أبو بكر بن الداية رضيع نور الدين مقطـــع حلب وحارم وقلعة جعبر فأقر نور الدين أخاه علياً على ذلك .

وفيها توفي محمد بن محمد بن طغر بحماة مكابداً للفقر، وله : سلوان المطاع ، وكتاب نجباء الأبناء ، وشرح مقامات الحريري ، ومولده بصقلية .

قلت : وله ينبوع الحياة في تفسير القرآن العظيم ، وله خير البشر بخير البشر . وغير ذلك . والله أعلم .

سنة ست وستين وخمسمائة :

وفيها تاسع ربيع الآخر توفي **المستنجد بالله** أبو المظفر يوسف بن المقتفي ابن المستظهر بالله ، ومولده مستهل ربيع الآخر سنة عشر وخمسمائة .

كان أسمر ، تام القامة ، طويل اللحية ، مرض وخشيه أستاذ داره عضد الدولة أبو الفرج بن رئيس الوزراء ، وقطب الدين قيماز ، فوصف له الطبيب دخول الحمام باشارتهما ليهلك ، فدخلها وأغلق عليه الباب فمات .

وأحضر عضد الدولة وقطب الدين **المستضيء بأمر الله** وهو الثـــالث

والثلاثون منهم ابن المستنجد ، وشرطا عليه أن يكون عضد الدولة وزيراً ، وإبنه كمال الدين أستاذ الدار وقطب الدين أمير العسكر فأجابهم فبايعوه يوم موت أبيه بيعة خاصة وفي غده بيعة عامة . وكان حسن السيرة أطلق كثيراً من المكوس وشدد على المفسدين ، وإسمـــه الحسن وكنيته أبو محمد ولم يل الخلافة من إسمه الحسن غير الحسن بن علي والمستضيء .

وفيها انتزع نور الدين الموصل من غازي ابن أخيه وقررها وأطلق مكوسها ثم وهبها لسيف الدين غازي ، وأعطى زنكي بن مودود سنجار .

وفيها غزا صلاح الدين الفرنج قرب عسقلان وعاد إلى مصر ثم حصر أيلة بحراً وبراً وهي على ساحل البحر الشرقي ، وفتحها من الفرنج في ربيع الآخر واستباح أهلها وما فيها .

وعاد وهدم صلاح الدين دار الشحنة وتسمى دار المعونة بمصر وبناهـــا مدرسة للشافعية ، وبنى دار العدل مدرسة للشافعية ، وعزل القضاة الشيعة ، ورتب قضاة شافعية ، وذلك في العشرين من جمادى الآخرة .

وكذلك اشترى تقي الدين عمر بن أخي صلاح الدين منازل العز ، وبناها مدرسة للشافعية . **وفيها** توفي القاضي ابن الجلال من اعيان كتـــاب المصريين وصاحب ديوان الانشاء بها .

سنة سبع وستين وخمسمائة :

ذكر الخطبة العباسية بمصر
وانقراض الدولة العلوية

فيها في ثاني جمعة من المحرم قطعت خطبة العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله ابن الأمير يوسف بن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بن أبي القاسم

Marfat.com

محمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله أبي الحسن علي ابن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد بن المنصور بالله أبي الظاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن المهدي بالله أبي محمد عبيد الله أول الخلفـاء العلويين من هذا البيت .

وسبب ذلك : أن نور الدين أرسل الى صلاح الدين يأمره حتماً جزماً بقطع الخطبة العلوية وإقامة الخطبة العباسية فراجعه خوف الفتنة ، فأصر نور الدين ومرض العاضد ، فأمر صلاح الدين بالخطبة للمستضيء وقطع خطبة العاضد فلم ينتطح فيه عنزان ، فاشتد مرض العاضد ولم يعلمه بذلك أحد من أهله فتوفي في يوم عاشوراء ولم يعلم بقطع خطبته . فجلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصر الخلافة وعلى نفائسه وتحفه وكتبه وما لا يحصى ، فمنه جبل ياقوت وزنه سبعة عشر درهماً ، وكان بالقصر طبل للقولنج إذا ضرب به الانسان حبق فكسر بلا علم ، ونقل أهل العاضد إلى موضع من القصر ووكل بهم من يحفظهم ، وتصرف في العبيد والاماء بيعاً وعتقاً وهبة .

وكان العاضد في المرض قد طلب صلاح الدين فظنها خديعة فلم يمض اليه ، فلما توفي ندم لتخلفه عنه. وجميع من خطب له بالخلافة منهم أربعة عشر: المهدي والقائم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي والآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد ، ومدتهم من ظهور المهدي بسجلماسة في ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين الى أن توفي العاضد في هذه السنـــة مائتان وإثنان وسبعون سنة تقريباً .

ولما وصل خبر الخطبة العباسية بمصر الى بغداد ضربت البشائر أياماً ، وسيرت الخلع مع عماد الدين صندل من خواص الدولة المقتفوية الى نور الدين وصلاح الدين والخطباء ، وسيرت الأعلام السود .

وكان العاضد قد رأى في منامه أن عقرباً خرجت من مسجد بمصر معروف

بالعاضد ولدغته ، فاستيقظ واستدعى معبراً فعبر له بأذى يصله من شخص بالمسجد، فتقدم باحضار من فيه فأحضر شخص صوفي إسمه نجم الدين الخوبشاني فاستخبره العاضد عن مقدمه وسبب مقامه بالمسجد فأخبره بالصحيح في ذلك. ورآه العاضد أضعف من أن يناله بمكره ، فوصله بمال وقال له : أدع لنا يا شيخ وأمره بالانصراف . فلما أراد صلاح الدين إزالة الدولة العلوية والقبض عليهم . كان نجم الدين الخوبشاني من جملة من بالغ بالافتاء بمساويهم وسلب الايمان عنهم فصحت الرؤيا .

وفيها جرى بين نور الدين وصلاح الدين الوحشة باطناً فان صلاح الدين نازل الشوبك وهي للفرنج ، ثم رحل خوفاً أن يأخذه فلم يبق لنور الدين ما يعوقه عن مصر ، وبلغ ذلك نور الدين فكتمه وجمع صلاح الدين بمصر اقاربه واكابره ، وقال : بلغني أن نور الدين يقصدنا فما الرأي ؟ فقال تقي الدين عمر ابن أخيه نقاتله ، فأنكر نجم الدين أيوب أبوهم ذلك ، وقال : أنا والدكم لو رأيت نور الدين نزلت وقبّلت الارض بين يديه . اكتب اليه لو جاءني من عندك إنسان واحد وربط المنديل في عنقي وجرني اليك سارعت الى ذلك . وانفضوا ثم خلا أيوب بابنه وقال : لو قصدنا نور الدين أنا كنت أول من يمنعه ويقاتله ، ولكن إذا أظهرنا ذلك يترك نور الدين جميع ما هو فيه ويقصدنا ولا ندري ما يكون من ذلك ، وإذا أشهرنا له الطاعة تمادى الوقت بما يحصل به الكفاية من عند الله . فكان كما قال .

وفيها توفي الأمير محمد بن مردبيس صاحب شرقي الأندلس مرسيه وبلنسيه وغيرهما ، فسلم أولاده بلاده ليوسف بن عبد المؤمن فسر بذلك وتزوج أختهم وأجزل لهم وكان قد قصدهم في مائة ألف فارس فكفي القتال.

وفيها عبر الخطا نهر جيحون ، فسار خوارزم شاه أرسلان بن أطسز بن محمد بن أنوشتكين إلى لقائه ، فرجع خوارزم شاه لمرضه ، وأرسل عسكراً

Marfat.com

فقاتلوا الخطا فانهزم عسكر خوارزم شاه وأسر مقدمهم ورجع الخطا إلى بلادهم .

وفيها اتخذ نور الدين الحمام الهوادي المناسيب لتصل الأخبار اليه في يومه . **وفيها** عزل المستضيء وزيره عضد الدولة ابن رئيس الرؤساء مكرهاً من جهة قيماز . **وفيها** مات يحيى بن سعدون الأزدي الأندلسي القرطبي إمام في القراءة والنحو وغيره بالموصل . **وفيها** توفي أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب البغدادي ، تضلع من الأدب والنحو والتفسير والحديث قليل الإكتراث بالمأكل والملبس .

وفيها توفي نصرالله بن عبدالله بن مخلوف بن علي بن عبد النور بن قلاقس الشاعر الاسكندري في مدح القاضي الفاضل ، وفي كثرة أسفاره يقول :

والناس كثر ولكن لا يقدَّر لي الا مرافقة الملاح والحادي

قلت : وماأحسن قول ابن عنين في كثرة أسفاره في المشرق :

أشقق قلب الشرق حتى كأنني أفتش في سودائه عن سنا الفجر

والله أعلم .

سنة ثمان وستين وخمسمائة :

وفيها توفي خوارزم شاه أرسلان بن أطسز بن محمد بن أنوش تكين ، وقد عاد من قتال الخطا مريضاً .

وملك بعده إبنه الصغير سلطان شاه محمود بتدبير والدته ، ولما بلغ إبنه الكبير علاء الدين تكش وهو مقيم في اقطاعه خبر ذلك ، استنجد بالخطا وطرد سلطان شاه ، واستنجد سلطان شاه بملوك الأطراف ، وطرد تكش ، وكان الحرب بينهم سجالاً حتى مات سلطان شاه سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، واستقر تكش في ملك خوارزم . وفي تلك الحروب قتل المؤيد آي به ، قتله تكش صبراً ، وملك بعده طغان شاه بن المؤيد آي به .

Marfat.com

وفيها سار شمس الدلة توران شاه بن أيوب من مصر إلى النوبة للتغلب عليها فلم تعجبه فغنم وعاد .

وفيها توفي شمس الدين ايلدكز بهمدان . وملك بعده محمد البهلوان ، وكان ايلدكز مملوكاً للكمال السميرمي وزير محمود ، فلما ولي مسعود كبره حتى ملك أذربيجان وأصبهان والري ، وكان عسكره خمسين ألفاً ، وخطب في بلاده بالسلطنة لأرسلان طغر بك اسماً ، وكان حسن السيرة .

وفيها سار طائفة من الترك من مصر مع قراقوش مملوك تقي الدين عمر بن شاهنشاه إلى إفريقية ، وحاصروا طرابلس الغرب ثم فتحها قراقوش ، وملك كثيراً من تلك البلاد .

وفيها غزا يوسف بن عبد المؤمن من بـــلاد الفرنج بالأندلس . **وفيها** إستولى نور الدين على مرعش وبهسنا ومرزبان وسيواس من بلاد قلج أرسلان فأرسل يستعطفه فقال نور الدين : لا أرضى حتى ترد ملطية على ذي النون بن الدانشمند فبذل له سيواس مصالحة عنها ، فلما مات نور الدين أخذ قلج أرسلان سيواس من ابن الدانشمند .

وفيها حصر صلاح الدين الكرك وواعد نور الدين بالاجتماع عليها فلما قارب نور الدين الكرك خافه صلاح الدين ، فعاد الى مصر وأرسل تحفاً الى نور الدين واعتذر بمرض أبيه والخوف من ذهاب مصر لو مات ، فعـــذره نور الدين ظاهراً ووجد صلاح الدين أباه قد مات بوقوعه عن فرس نفرت به في السابع والعشرين من ذي الحجة منها .

وفيها توفي أبو نزار حسن بن أبي الحسن صافي بن عبـــد الله بن نزار النحوي ملك النحاة وقد ناهز الثمانين ، كان معجبـــاً بنفسه يسخط على من يخاطبه بغير ذلك . قرأ الفقه على مذهب الشافعي والأصولين والخلاف ، وبرع في النحو وسافر الى خراسان وكرمان وغزنة واستوطن دمشق .

Marfat.com

سنة تسع وستين وخمسمائة :

ملك توران شاه اليمن

أراد صلاح الدين تحصيل مملكة غير مصر بحيث ان قاتلهم نور الدين وهزمهم التجأوا إلى تلك المملكة ، فجهز أخاه شمس الدولة توران شاه في هذه السنة بعسكر إلى اليمن فجرى بينه وبين عبد النبي المقدم ذكره قتال ، فانهزم عبد النبي وملك توران شاه زبيدا وأسر عبد النبي .

ثم ملك عدن وأسر صاحبها ياسراً، واستولى على اليمن وأموال عبد النبي وياسر ، وصارت اليمن لصلاح الدين .

وفيها في رمضان صلب صلاح الدين جماعة قصدوا الوثوب عليه وإعادة الدولة العلوية ؛ منهم عبد الصمد الكاتب والقاضي العويرس وداعي الدعاة وعمارة بن علي اليمني الفقيه الشاعر .

ومن شعره في أحوال المصريين :

رميت يا دهر كف المجد بالشلل ... وجيده بعد حسن الحلى بالعطل
لهفي ولهف بني الآمال قاطبة ... على فجيعتها في أكرم الدول
يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة ... لك الملامة إن قصرت في عذلي
تالله زر ساحة القصرين وابك معي ... عليهما لا على صفين والجمل
وقل لأهلهما والله ما التحمت ... فيكم جروحي ولا فرحي بمندمل
ماذا ترى كانت الإفرنج فاعلة ... في نسل آل أمير المؤمنين علي
وقد حصلتم عليها واسم جدكم ... محمد وأبوكم خير منتعل
مررت بالقصر والأركان خالية ... من الوفود وكانت قبلة القبل
والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم ... ولا نجا من عذاب النار غير ولي
أئمتي وهداتي والذخيرة لي ... إذا ارتهنت بما قدمت من عملي

Marfat.com

وله فيهم :

غصبت أمية إرث آل محمـــد سفهـاً وشنت غارة الشنآن
وغدت تخالف في الخلافة أهلها وتقابل البرهان بالبهتـــان
لم تقتنـــع حكامهم بركوبهـم ظهر النفاق وغارب العدوان
وقعودهم في رتبـــة نبويـــة لم يبنهـــا لهم أبو سفيان
حتى أضافوا بعد ذلك انهم أخذوا بثار الكفر في الايمان
فأتى زياد في القبيح زيادة تركت يزيد يزيد في النقصان

وفاة نور الدين :

وفيها : توفي الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بـــن أقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة وغير ذلك يوم الاربعاء حادي عشر شوال بالخوانيق بقلعة دمشق .

كان أسمر طويل القامة ، ليس له لحية إلا في حنكه ، حسن الصورة ، متسع الملك ، خطب له بالحرمين واليمن ومصر ، ومولده سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وكان من الزهد والعبادة على قدم عظيم ، يصلي كثيراً من الليل ، عادلاً كاسمه ، كما قيل :

جمع الشجاعة والخشوع لربه ما أحسن المحراب في المحراب

قلت : وفي نور الدين يقول أبو الحسين بن منير :

عقد الحق ألسن المدعينا أنت خير الملوك دنيا ودينا
بسط الرزق في البسيطـــة كفاك فكلتا يديك تلقي يمينا
فيد تحسم النوائب عنـــا ويد تقسم الرغائب فينـــا

والله أعلم .

وكان عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة وليس عنده تعصب ، بنى أسوار مدن الشام مثل دمشق وحمص وحماه وحلب وشيزر وبعلبك لما هدمتهـــا

Marfat.com

الزلازل ، وبنى المدارس الحنفية والشافعية والمشاهد والرباطات ، ولا يحتمل هذا المختصر ذكر فضائله .

ولما توفي قام إبنه الملك الصالح إسمـــاعيل بالملك بعده ، وعمره إحدى عشرة سنة ، وحلف له العسكر بدمشق وأقام بها وأطـــاعه صلاح الدين ، وخطب له بمصر ، وضرب السكـــة باسمه ، ودبر دولته الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم . وبلغ موت نور الدين سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي ؛ فسار من الموصل وملك البلاد الجزرية .

سنة سبعين وخمسمائة :

وفيها إجتمع على رجل من أهل الصعيد يقال له « الكنز » جمع كثير ، وأظهر الخلاف على صلاح الدين فأرسل اليه صلاح الدين عسكراً ، فاقتتلوا ، فقتل الكنز وجماعة وانهزم الباقون ، **وفيها** سلخ ربيع الأول :

ملك صلاح الدين دمشق وحمص وحماه

وسببه أن شمس الدين بن الداية أرسل سعد الدين كمشتكين يستدعي الملك الصالح بن نور الدين إلى حلب فأجابه إلى ذلك ، ولمـــا استقر بحلب وتمكن كمشتكين قبض على ابن الداية وأخوته ، وعلى الرئيس ابن الخشاب وأخوته . واستبد كمشتكين بتدبير الملك الصالح فخـــافه الأمراء بدمشق ، فاستدعوا صلاح الدين ليملكوه عليهم فوصل اليهم في جريدة سبعمائة فارس فالتقاه العسكر وخدموه ونزل بدار والده أيوب المعروفة بدار العقيقي ، وعصت عليه القلعة وفيها الخادم ريحان من جهة الصالح ، فاستمالة فسلم اليه القلعة فصعدها وأخذ ما فيها من الأموال وقرر الأمور ، واستخلف بها أخاه سيف الإسلام طغتكين . وسار إلى حمص مستهل جمـــادى الأولى ، وكانت حمص وحماة وقلعة بارين وسلمية وتل خالد والرها في اقطـــاع فخر الدين مسعود بن الزعفراني ، فلما مات نور الدين لم يمكن مسعود المقـــام بحماة وحمص لسوء سيرته مع الناس .

Marfat.com

وكانت هذه البلاد له ولنور الدين في قلاعها نواب حكمها اليهم إلا بارين فان قلعتها كانت له ، ونزل صلاح الدين على حمص في حـــادي عشر جمادى الأولى وملك المدينة ، وعصت عليه القلعة فترك من يضيق عليهـا ورحل إلى حماة فملك مدينتها مستهل جمادى الآخرة من هذه السنة .

وكان بقلعتها الأمير عز الدين جرد بك النوري فامتنع في القلعة ، فذكر له صلاح الدين أن غرضه حفظ بلاد الصالح عليه وهو نائبه وقصده من جرد بك المسير إلى حلب في رسالة ، فاستحلفه جرد بك على ذلك .

وسار برسالة صلاح الدين إلى حلب ،واستخلف بقلعة حماة أخاه فلما وصل جرد بك إلى حلب سجنه كمشتكين وبلغ ذلك أخـــاه فسلم قلعة حماه إلى صلاح الدين، ثم حصر حلب وبها الصالح بن نور الدين فقاتله عن حلب وصده. وأرسل كمشتكين إلى سنان مقدم الاسماعيلية أموالاً ليقتلوا صلاح الدين فوثب عليه جماعة فقتلوا دونه . وفي مستهل رجب رحل عن حلب لنزول الفرنج على حمص ، ونزل صلاح الدين على حماه ثامن رجب وقصد حمص، فرحل الفرنج عنها وحصر قلعتها ، وملكها في الحادي والعشرين من شعبان .

ثم ملك بعلبك فأرسل الملك الصالح إلى ابن عمه سيف الدين غـــازي صاحب الموصـل يستنجده . فجهز جيشاً صحبة أخيه عز الدين مسعود بن مودود وقدم على الجيش عز الدين محمود سلفندر أكبر أمرائه ، وطلب أخاه الاكبر زنكي سنجار لينجده أيضاً ، فامتنع مصانعة لصلاح الدين فحصره غازي بسنجار ، ووصلت النجدة إلى حلب وساروا هم وعسكر حلب إلى صلاح الدين .فبذل صلاح الدين لهم حمص وحماه لتبقى له دمشق ليكون فيها نائباً للصالح فأبوا وساروا اليه . فاقتتلوا عند قرون حماة ، فانكسر عسكر الموصل وحلب ، وغنم صلاح الدين وعسكره أموالهم وتبعهم حتى حصرهم بحلب ، وحينئذ قطع خطبة الملك الصالح ومنع سكته واستبد بالسلطنـة . فأرسلوا اليه على أن يكون له ما بيده من الشام ، وللصالح ما بقي بيـده منه ، ففعل ورجع عنهم في شوال منها .

Marfat.com

وفي العشر الأول من شوال ملك صلاح الدين قلعة بارين من صاحبهـــا فخر الدين مسعود بن الزعفراني النوري .

وفيها ملك البهلوان بن أيلدكز تبريز من ابن أقسنقر الاحمديلي . **وفيها** مات شملة التركماني صاحب خوزستان وملك إبنه . **وفيها** وقع بين الخليفة وبين قيماز مقدم عسكره فتنة فنهب دار قيماز وهرب إلى الحلة ثم إلى الموصل فعطش فمات هو وأكثر أصحابه قبل وصولهم الموصل ، فحمل ودفن بظاهر باب العمادي ، ولما هرب قيماز خلع الخليفة على عضد الدين الوزير واستوزره.

قلت : **وفيها** تقريباً توفي الشيخ قضيب البان الموصلي بالموصل ، وهو أحد الأولياء المشهورين والنبلاء المذكورين ، له كرامات ظاهرة وأحوال فاخرة . عن الشيخ أبي الحسن علي الفريثي قال : دخلت على قضيب البـــان ببيت له بالموصل فرأيته ملء البيت ، ثم عدت اليه فرأيته في زاوية البيت على قدر العصفور ، فخرجت ثم عدت اليه فرأيته كحاله المعتاد ، فقلت : يا سيدي أخبرني ما الحالة الأولى وما الحالة الثانية ؟ فقال : يا علي أو رأيتهما ؟ **قلت** : نعم . قال : لا بد أن تعمى ، أما الحالة الاولى : فكان عندي بالجمال ، وأما الحالة الثانيـة فكنت عنده بالجـلال . وكف بصو الشيخ الفريثي قبـل موته بيسير .

وعن أبي محمد المارديني ما خلاصته :

أن شارح التنبيه كمال الدين بن يونس وقع في قضيب البان بمدرسة الموصل فدخل عليهم قضيب البان فبهتوا وقال : يا ابن يونس أنت تعلم كل ما يعلمه الله تعالى ؟ قال : لا قال : فإني أنا من العلم الذي لا تعلمه أنت، فلم يدر ابن يونس ما يقول ، فتبعه المارديني فأخذ من الأزقة سبع كسر فأتى باب عجوز فقالت : يا قضيب البان أبطأت علينا . فناولها الكسر وانصرف وأتى باب الموصل وهو مغلق فانفتح له فخرج . والمارديني خلفه . ومشى يسيراً وإذا نهر يجري عنده شجرة فخلع ثيابه واغتسل فيه ولبس ثياباً معلقة على الشجرة ،

Marfat.com

وصلى إلى الفجر . وغلب على المارديني النوم الى أن أيقظه حر الشمس وهو بصحراء مقفرة خاليـــة فتحير ، فمر به ركب فأتاهم وسألهم وقال : أنا من الموصل وخرجت منها الليلة وقت العشاء فأنكروا أمره وقالوا : ما ندري أين يكون الموصل ؟ فاستخبره شيخ منهم ما قصته ، فأخبره فقال : لا يقدر على ردك إلى الموصل إلا الذي جاء بك إلى هنا ، يا أخي أنت ببلاد المغرب وبينك وبين الموصل ستة اشهر ، وساروا فجاء قضيب البان ليلاً وفعل كفعله الاول وعند الفجر نزع تلك الثياب ولبس ثيابه ... ثم قال المارديني :

وسار وتبعته ثم لم نلبث إلا يسيراً حتى جئنا الموصل ، فالتفت إليّ وعرك أذني وقال : لا تعد إلى مثلها ، وإياك وإفشاء الأسرار . وعزم قاضي الموصل أن يقول للسلطان في إخراج قضيب البان من الموصل في سره ، قال : فرأيت قضيب البان مقبلا على هيئته المعروفة فمشى خطوة وإذا هو على هيئة كردي ثم مشى خطوة وإذا هو على هيئة بدوي ، ثم مشى خطوة وإذا هو على هيئة فقيه بصورة غير الصور المتقدمة ، وقال لي : يا قاضي هذه أربع صور رأيتهن فمن هو قضيب البان منهن حتى تقول للسلطان في إخراجه ؟. فلم أتمالك أن اكببت على يديه أقبلهما وأستغفر . والله أعلم .

سنة إحدى وسبعين وخمسمائة :

فيها في عاشر شوال استنجد غازي بن مودود بن زنكي صاحب الموصل بصاحب حصن كيفا وصاحب ماردين واقتتلوا مع صلاح الدين فكسرهم ، ووصل غازي الموصل مرعوباً وقصد بعض القلاع فثبته وزيره ، وأخذ صلاح الدين أثقالهم وحصر بزاعة ثم تسلمها وفتح منبج عنوة وأسر صاحبها نيال بن حسان ، وكان شديد البغض لصلاح الدين وأخذ موجوده ثم أطلقه فأقطعه غازي الرقة .

ثم نازل صلاح الدين عزازا وتسلمها حادي عشر ذي الحجة فوثب اسماعيلي

عليه فجرحه في رأسه ، فقبض صلاح الدين يدي الإسماعيلي وبقي يضرب بالسكين فلا يؤثر حتى قتل الاسماعيلي .

ووثب ثان وثالث فقتلا فذعر وعرض جنده وأبعد من أنكره منهم ، ثم نازل حلب منتصف ذي الحجة وحصرها وبها الصالح بن نور الدين، وانقضت هذه السنة وهو محاصرها ، فسألوا صلاح الدين في الصلح فأجابهم اليه ، واخرجوا إليه بنتاً صغيرة لنور الدين فأكرمها وأعطاها كثيراً ، وعلموها أن تطلب قلعة عزاز فسلمها اليهم . ورحل عن حلب في العشرين من المحرم سنة إثنتين وسبعين وخمسمائة .

وفيها سار أمير الحاج العراقي طاشتكين وأمره الخليفة بعزل صاحب مكة مكثر بن عيسى ، فقاتلهم فانهزم مكثر وأقام أخاه داود مكانه بمكة .

وفيها في رمضان قدم شمس الدين توران شاه بن أيوب من اليمن إلى الشام وكتب إلى أخيه صلاح الدين أبياتاً من شعر ابن المنجم المصري الدار والوفاة، المعري الأصل ، وهو نشأ الملك أبي الحسن علي بن مفرج وهي :

والى صلاح الدين أشكو أنني ... من بعده مضنى الجوانح مولع
جزعاً لبعد الدار عنه ولم أكن ... لولا هواه لبعد دار أجزع
ولأركبن اليه متن عزائمي ... ويخب بي ركب الغرام ويوسع
ولأسرين الليل لا يسري به ... طيف الخيال ولا البروق اللمع
وأقدّمن اليه قلبي مخبراً ... أني بجسمي عن قريب أتبع
حتى أشاهد منه أسعد طلعة ... من أُفقها صبح السعادة يطلع

وفيها توفي الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي نور الدين من أعيان الشافعية والمحدثين له تاريخ دمشق ثمانون مجلداً فيه غرائب ، وولد سنة تسع وتسعين واربعمائة .

قلت : ومن شعره ولا بأس به :

Marfat.com

ألا إن الحديث أجل عـــلم وأشرفــه الأحاديث العوالي
وأنفع كل نوع منـــه عندي وأحسنه الفوائـــد في الأمالي
وانك لـــن ترى للعلم شيئاً تحققــه كأفــواه الرجــال
فكن يا صاح ذا حرص عليه وخذه عن الرجال بلا ملال

ولا تأخذه من صحف فترمى من التصحيف بالداء العضال

والله أعلم .

سنة إثنتين وسبعين وخمسمائة :

وفيها نهب وخرب وأحرق صلاح الدين بلد الاسماعيلية .وحصر قلعـــة مصياف فسأله شهاب الدين الجارمي صاحب حمــاة خال صلاح الدين الصفح عنهم بسؤال سنان ، فرحل عنهم الى مصر وكان بعيد عهد بها، وقد قرر الشام فأمر ببناء السور الدائر على مصر والقاهرة والقلعة على جبل المقطم ، ودور ذلك تسعة وعشرين الف ذراع وثلاثمائة ذراع بالذراع القاسمي ولم يزل العمل فيه حتى مات صلاح الدين .

وفيها بنى صلاح الدين المدرسة على قبر الامام الشافعي بالقرافــة بمصر والمارستان بالقاهرة .

وفيها توفي كمال الدين محمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري قاضي الشام.

سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة :

وفيها وصل صلاح الدين الى عسقلان في جمادى الأولى،وشن الغارات على الفرنج فطلعت الفرنج وهو في بعض العسكر فقاتلهم أشد قتال فقتل أحمد ابن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بعد أثر جيد في الفرنج ، وقاربت حملات الفرنج السلطان فانهزم الى مصر على البرية ومعه من سلم فلقوا مشقة وعطشاً ،

Marfat.com

وهلك دواب كثيرة ، وأسر الفرنج العسكر المتفرق في الاغارة ، وأسر الفقيه عيسى من اكبر أصحاب صلاح الدين ، فافتداه بعد سنين بستين الف دينار ، وكتب بخط يده الى أخيه توران شاه بدمشق يذكر له ذلك ، وفي أوله :

ذكرتك والخطيّ يخطر بيننا وقد نهلت منا المثقفة السمر

ويقول فيه :

لقد أشرفنا على الهلاك غير مر وما ثبتت إلا وفي نفسها أمر

وفيها حصر الفرنج حماة طمعاً بهزيمة صلاح الدين وبعده وبها شهاب الدين الحارمي خال صلاح الدين مريضاً ،وهجموا بعض اطرافها، وكادوا يملكونها، فجد المسلمون في القتال ثم رحلوا عنها الى حارم ، فمات صاحب حماة ومات ابن له جميل قبله بثلاثة أيام .

وفيها قبض الملك الصالح على كمشتكين متغلباً على الأمر ، وكانت له حارم، فعذب كمشتكين وأصحابه فيها يرونه ليسلموا قلعة حارم فأصروا على الامتناع حتى مات من العذاب . ووصل الفرنج من حصار حماه،وحصروا حارم أربعة اشهر ، فداراهم الصالح بمال فرحلوا عنها بعد بلوغ أهلها الجهد ، ثم أرسل الملك الصالح عسكراً حصروها وتسلموها ، فاستناب بقلعتها سرخك مملوك أبيه .

وفيها في المحرم خطب للسلطان طغر بك بن أرسلان بن طغر بك بن محمد بن ملك شاه ، المقيم ببلاد ايلدكز ، وكان أبوه أرسلان المقدم ذكره قد توفي .

وفيها في ذي الحجة عبر عضد الدين محمد بن عبد الله بن هبة الله وزير الخليفة دجلة عازماً على الحج فقتله الاسماعيلية وحمل مجروحاً الى منزله فمات. ومولده سنة أربع عشرة وخمسمائة . **وفيها** توفي صدقة بن الحسين الحداد الذي ذيل تاريخ ابن الزعفراني ببغداد .

Marfat.com

سنة أربع وسبعين وخمسمائة :

وفيها أرسل صلاح الدين الى شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم ليسلم بعلبك إلى توران شاه حسبما سأله ، فعصي بها ، فأرسل صلاح الدين وحصره طويلا ، ثم عوض عنها وسلمها الى توران شاه ، وفيها كان غلاء وتبعه وباء . **وفيها** : سير صلاح الدين إبن أخيه تقي الدين عمر الى حماه ، وابن عمه محمد بن شير كوه الى حمص فاستقرا بهما .

وفيها توفي سعد بن محمد بن سعد الحيص بيص الشاعر .

ولله قوله :

لا تلمني في شقائي بالعلا رغد العيش لربات الحجال
سيف عز زانه رونقه فهو بالطبع غني عن صقال

قلت : تفقه بالري وتكلم في الخلاف ، وغلب عليه الأدب وأخذ الناس عنه أدباً وفضلاً كثيراً ، وكان يلبس زي العرب ويتقلد سيفاً ، وفيه تيه فعمل فيه ابو القاسم بن ابي الفضل :

كم تبارى وكم تطوّل طرطوراً وما فيك شعرة من تميم
فكل الضب واقرط الحنظل اليابس واشرب ما شئت بول الظليم
ليس ذا وجه من يضيف ولا يقري ولا يدفع الأذى عن حريم

فأجابه :

لا تضع من عظيم قدر وإن كنت مشاراً اليه بالتعظيم
ولع الخمر بالعقول رمى الخمر بتنجيسها وبالتحريم
فالشريف الكريم ينحط قدراً بالتجري على الشريف الكريم

وعمل فيه خطيب الحويزة البحيري :

لسنا وحقك حيص بيص من الأعارب في الصميم
ولقد كذبت على بحير كما كذبت على تميم

Marfat.com

وكتب الحيص بيص الى الوزير ابن هبيرة وقد طلب منه أن يحضر مائدته في شهر رمضان :

صن منكبي عن زحام ان نصبت له تمكن الطعن من عقلي ومن خلقي
وإن رضيت به فالذل منقضة وكم تكلفتـــه عمـــداً ولم أطق
وهبه بعض عطاياك التي سلفت فـــالجود بالعز فوق الجود بالورق
وإن توهم قوم انـــه حمق فطالمـــا شبه التوقـــير بالحمق

والله أعلم .

وفيها ماتت شهدة بنت أحمد بن عمر الابري . سمعت من السراج وطراد. وقاربت مائة سنة . وسمع عليها خلق لعلو إسنادها .

سنة خمس وسبعين وخمسمائة :

وفيها فتح صلاح الدين حصناً كان بناه الفرنج عند بانياس وبيت يعقوب.

وفيه يقول بهاء الدين علي بن الساعاتي الدمشقي :

أتسكن أوطان النبيين عصبة تمين لدى إيمانها وهي تحلف
نصحتكم والنصح للدين واجب ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

وفيها كان حصن رعبان بيد شمس الدين بن المقدم فطمع فيه قلج ارسلان ابن مسعود بن قلج ارسلان صاحب الروم فأرسل نحو عشرين الفاً ليحصروه فسار اليهم تقي الدين عمر بن شاهنشاه في الف فارس فهزمهم .

وفيها ثاني ذي القعدة **توفي المستضيء بأمر الله** الحسن بن المستنجد وأمه أم ولد أرمنية ، وخلافته نحو تسع سنين وسبعة أشهر ، ومولده سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وكان حسن السيرة ، حكم في دولتـــه الظهير أبو بكر ابن العطار بعد قتل الوزير عضد الدين ، فأخذ ابن العطار بعده البيعة لابنه الناصر لدين الله . وهو الرابع والثلاثون منهم ، فحكم أستاذ الدار مجد الدين أبو الفضل فقبض في سابع ذي القعدة على ظهير الدين بن العطـــار ونقل إلى

التاج وأخرج ميتاً على رأس حمال ليلة الأربعاء ثاني عشر ذي القعدة ، فألقته العامة عن رأس الحمال ، وسحب بحبل في ذكره ، ووضعوا في يده مغرفة مغموسة في العذرة ويقولون : وقع لنا يا مولانا هذا . مع حسن سيرته وعفته عن أموالهم . ثم خلص ودفن .

قلت :

إذا نلت العلى راع الرعايا فان القوم أعداء المعالي
يرون علا الفتى ذنباً عظيما وإن أمنوه في نفس ومال

والله أعلم .

وفيها عوض صلاح الدين أخاه توران شاه بالاسكندرية عن بعلبك حسب سؤاله . وأقطع بعلبك لفرخشاه بن أيوب . وأقام توران شاه بالاسكندرية وبها مات .

سنة ست وسبعين وخمسمائة :

وفيها ثالث صفر **توفي سيف الدين غازي** بن مودود بن زنكي صاحب الموصل والجزيرة بالسل وعمره نحو ثلاثين وولايته عشر سنين وكسر ، وكان مليح الثياب أبيض عاقلا عادلاً عفيفاً غيوراً وأوصى بالملك إلى أخيه مسعود ، وأعطى ابنه سنجر شاه بن غازي الجزيرة وقلاعها ، وكان مدبر الدولة مجاهد الدين قيماز .

وفيها وصل صلاح الدين رعبان فصالحه قلج أرسلان صاحب الروم ، فرجع عنه وشن الغارات على بلاد ابن لبون الأرمني ، فصالحه على مال وأسرى . **وفيها** توفي توران شاه بالاسكندرية ، وكان له مع الاسكندرية أكثر اليمن ، مات وعليه مائتا الف دينار غير ما كان يحمل اليه من اليمن ، ودخل الاسكندرية لسخائه ، فقضى صلاح الدين دينه لما عاد الى مصر في شعبان منها . واستخلف صلاح الدين بالشام ابن أخيه فرخشاه بن شاهنشاه ابن أيوب صاحب بعلبك .

Marfat.com

سنة سبع وسبعين وخمسمائة :

وفيها عزم البرنس صاحب الكرك على المسير الى المدينة ،حرسها الله تعالى، فأغار فرخشاه على بلاده وأقام مقابله ففرّق البرنس جموعه وثنى عزمه .

قلت :

قصد البرنس مكيدة عظمت فانحاز عنها خاسراً خاسي
أيخاف خير الخلق من أحد والله يعصمـــه من النـــاس

والله أعلم .

وفيها استولى عسكر صلاح الدين على اليمن لاختلاف نائبي توران شاه فيه بعد موته ، وهما عز الدين عثمان بن الزنجبيلي بعدن وحطان بن كامل ابن منقذ بزبيد .

وفيها في رجب **توفي الملك الصالح** اسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب ،وعمره نحو تسع عشرة سنة بالقولنج ، وصف له الخمر فمات ولم يستعمله ، ولم يعرف له شيء مما يتعاطاه الشبان . وكان حليماً عفيف الفرج واليد واللسان ملازماً لأمور الدين . وأوصى بملك حلب الى ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل فسار اليها بعد موت الصالح ومعه قيماز ، واستتر في ملكها ، فكاتبه أخوه زنكي صاحب سنجار أن يعطيه حلب ويأخذ سنجار ، وأشار قيماز بذلك ، فأجاب وعـــاد مسعود الى الموصل .

وفيها في شعبان توفي أبو البركات عبد الرحمان بن أبي سعد النحوي بن الأنباري . له في النحو تصانيف حسنة ، كان فقيهاً .

سنة ثمان وسبعين وخمسمائة :

وفيها في خامس المحرم قصد صلاح الدين الشام ، وخرج الأعيان لوداعه، وقال كلٌّ في فراقه شيئاً ، فأنشد معلم لبعض أولاده :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

Marfat.com

فتطير السلطان وتنكد الحاضرون فلم يعد صلاح الدين الى مصر مع طول المدة .وأغار صلاح الدين في طريقه على الفرنج وغنم. ووصل دمشق في حادي عشر صفر . واجتمع الفرنج قرب الكرك ليكونوا على طريقه لما سار فانتهز فرخشاه الفرصة وفتح بعسكر الشام الشقيف وأغار على ما يجاوره .

وفيها سير السلطان أخاه سيف الاسلام طغتكين الى اليمن . وبها حطان بن منقذ الكناني وعز الدين عثمان الزنجبيلي عادا الى ولايتهما لوفاة نائب صلاح الدين الذي عزلهما ، فتحصن حطان في قلعة فأنزله طغتكين بتلطف وأحسن صحبته ، ثم قبض عليه وأخذ ماله ، ومن جملته سبعون غلافاً زردية مملوءة ذهباً عيناً ، ثم سجنه في قلعة ، فكان آخر العهد به . وأما الزنجبيلي فهرب نحو الشام وأرسل أمواله في البحر فصادفتهم مراكب فيها أصحاب طغتكين فأخذوها وصفت اليمن لسيف الإسلام طغتكين ، وفيها نزل صلاح الدين قرب طبرية ، وشن الغارات على مثل بيسان وجينين والغور من بلاد الفرنج فغنم وقتل . ثم عاد إلى دمشق ، ثم حصر بيروت وأغار ثم عاد ثم عبر الفرات من البيرة فصار معه مظفر الدين كوك بوري بن علي بن بكتكين صاحب حران .

انتصارات صلاح الدين

واستمال صلاح الدين ملوك الأطراف فصار معه نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب حصن كيفا ، وحاصر الرها وملكها وسلمها الى كوك بوري ثم أخذ الرقة من ينال بن حسان المنبجي ، فسار ينال الى مسعود صاحب الموصل ،ثم ملك صلاح الدين قرقيسيا وماكسين وعرابان والخابور جميعاً . ثم ملك نصيبين ثم قلعتها وأقطعها لأبي الهيجاء السمين ، ثم حصر الموصل وبها صاحبها عز الدين مسعود ومجاهد الدين قيماز ، وقد شحنت رجالاً وسلاحاً وأقام منجنيقاً فأقاموا من داخل تسعة مجانيق وضايقها ، ونزل السلطان قبالة باب كندة وصاحب حصن كيفا على باب الجسر وبوري على باب العمادي

Marfat.com

في رجب منها ، وجرى القتال فرأى في الأمر طولاً ، فرحل وحـــاصر سنجار وملكها ، واستناب بهـــا سعد الدين بن معين الدين أنز من أحسن الأمراء صورة ومعنى ، ثم قصد حران وعزل في طريقه أبا الهيجاء السمين عن نصيبين .

وفيها سير البرنس صاحب الكرك أسطولاً في بحر ايلة فرقتين ، فرقـــة حصرت حصن ايلة ، وفرقة نحو عيذاب يفسدون في السواحل بغتـــة ، ولم يعهد بهذا البحر فرنج قط ، فعمر العادل أبو بكر نائب الناصر بمصر أُسطولاً في بحر عيذاب ، وأرسله مع حسام الدين لؤلؤ الحاجب متولي الأسطول بمصر فأوقع لؤلؤ بمحاصري ايلة فقتل وأسر ، ثم طلب الفرقة الثانية وقد عزموا على دخول المدينة ومكة ، حرسها الله تعالى ، فبلغ رابـغ فأدركهم بساحل الحوراء وقاتلهم أشد قتال فقتل أكثرهم وأسر الباقين،وأرسل بعضهم الى منى لينحروا بها وعاد بالباقين فقتلوا عن آخرهم بمصر .

قلت :

لقد طمع البرنس بمستحيل فجرّ لقومه سفك الدماء
ولو ترك النبي بلا دفـــاع لدافع عنه أملاك السماء

والله أعلم .

وفيها توفي عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك وكان شجاعاً شاعراً ، وبلغ صلاح الدين وهو بالجزيرة موته ، فأرسل شمس الدين محمد بن المقدم ليكون بدمشق وأقر بعلبك على بهرام شاه بن فرخشاه .

وفيها توفي أبو العباس الشيخ أحمد بن علي بن أحمد بن الرفاعي من سواد واسط ، وكان صالحاً ذا قبول عظيم عند الناس ، وله من التلامذة ما لا يحصى.

قلت : ومن كلامه : لو تكلم الرجل في الذات والصفات ، كان سكوته أفضل . ولو خطى من قاف إلى قاف كان جلوسه أفضل .ولو أكل ملأ البيت طعاماً ثم تنفس عليه فأحرقه ، كان جوعه أفضل .

قال ابن خلكان : كان الشيخ أحمد فقيهاً شافعياً ، أصله من المغرب ، ولأتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيات وهي حية ،والنزول الى التنانير وهي تتضرم بالنار فيطفؤونها .ويقال انهم في بلادهم يركبون الأسود. ولم يعقب الشيخ أحمد وإنما العقب لأخيه . وكراماته مشهورة والله أعلم .

وفيها توفي بقرطبة خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي الأنصاري من علماء الأندلس ، له تصانيف مفيدة، ومولده سنة أربع وتسعين وأربعمائة . وفيها توفي بدمشق قطب الدين مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري الفقيه الشافعي، إمام في العلوم الدينية ،صنف عقيدة لصلاح الدين فأقرأها أولاده الصغار .

سنة تسع وسبعين وخمسمائة :

وفيها ملك صلاح الدين آمد وسلمها الى نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا ، ثم ملك تل خالد من عمل حلب ، ثم عينتاب سلمها اليه صاحبها ناصر الدين محمد أخو الشيخ اسماعيل النوري فأقره عليها وبقي معه ومن أمرائه ، وتسلم بعد المحاصرة حلب من زنكي في صفر ، وعوضه عنها بسنجار ونصيبين ، والخابور والرقة وسروج. وكان زنكي قد ضجر من اقتراحات أمراء حلب عليه فناداه السفلة بحلب « يا حمار بعت حلب بسنجار » . ومن عجيب الاتفاق : أن محيي الدين بن الزنكي قاضي دمشق مدح السلطان بقصيدة منها :

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

ففتح القدس في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .

وممن قتل على حصار حلب تاج الدين بوري أخو السلطان الأصغر . وعمل عماد الدين زنكي للسلطان دعوة حافلة فبينا هو فيها إذ أسرّه شخص بموت

Marfat.com

أخيه بوري ،فأمر بتجهيزه سراً ولم يظهر ذلك لئلا ينكد عليهم ، وكان يقول ما وقعت حلب علينا رخيصة بموت بوري ، ووثب أهل قلعة حـــارم على سرخك نائب الصالح بها ، وقبضوا عليه وسلموها للسلطان بعد امتناعه عن التسليم ومكاتبة الفرنج ، وقرر صلاح الدين بلاد حلب وأقطع عزازا لسليمان ابن حيدر .

وفيها قبض مسعود صاحب الموصل على قيماز نائبه . وفيها قرر السلطان ابنه الملك الظاهر غازي بحلب ، ثم سار وتجهز من دمشق فأحرق بيسان ، وشن الاغارات على تلك النواحي ، وأرسل الى نائبه أخيه العادل بمصر أن يلاقيه الى الكرك ، فاجتمعا عليها وحصراها ، ثم رحلا عنها ، وأرسل ابن أخيه المظفر عمر نائباً الى مصر موضع العادل ، ووصل دمشق وأعطى العادل حلب وقلعتها وأعمالها في رمضان منها ، وأحضر الظاهر منها .

وفيها في جمادى الآخرة توفي محمد بن بختيار بن عبد الله الشاعر المعروف بأبله . وفيها توفي شاهر بن سكمان بن ظهير الدين ابراهيم بن سكمان القطبي صاحب خلاط وعمره أربع وستون سنة ،وملكها بعده بكتمر مملوك أبيه صاحب ميافاقين إختاره اكثر أهل خلاط وكاتبوه فحضر وملك .

سنة ثمانين وخمسمائة :

وفيها سار أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن في جمع عظيم وحصر شنترين ومرض فمات في ربيع الأول وحمل الى إشبيلية . ومدة ملكه إثنتان وعشرون سنة وشهور ، استقام ملكه لتدبيره الجيد . وبويع بعده إبنـه يعقوب ، وكنيته أبو يوسف يوم وفاة أبيه لقربهم من العدو ، فأقام راية الجهاد .

وفيها غزا صلاح الدين الكرك ، وأحضر عساكر مصر معه ، وملك ربضها ، فاجتمع الفرنج وقصدوه ، فخرج عنها بالعسكر ليتلقاهم فوجدهم في وعر ، فسار وأحرق نابلس ، ونهب تلك النواحي ، وأسر وقتـــل وسبى

Marfat.com

فأكثر ، ثم استنقذ ما في سبصطية التي بها مشهد زكريا من أسرى المسلمين ، ثم سار الى جينين ثم الى دمشق .

وفيها مات قطب الدين ايلغازي بن نجم الدين البي بن تمرتاش بن ايلغازي ابن أرتق صاحب ماردين ، وقام بعده إبنه حسام الدين بولق أرسلان وكان هو واخوته صغاراً ودبره مملوك أبيه نظام الدين البقش حتى كبر . وكان به هوج فمات بولق وأقام البقش بعده أخاه الأصغر ناصر الدين أرتق أرسلان ابن ايلغازي صورة ، وكان لؤلؤ مملوك البقش قد تغلب عليه إلى سنة إحدى وستمائة فمرض البقش، وأتاه ناصر الدين يعوده ، فلمـــا خرج خرج معه لؤلؤ فقتـــله ناصر الدين بسكين ، ثم عـــاد إلى البقش فقتله وهو مريض واستقر بماردين بلا منازع .

وفيها توفي شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن اسماعيل بن أبي سعيد أحمد. سار برسالة الخليفة ومعه شهاب الدين بشير ليصلحا بين صلاح الدين وبين عز الدين مسعود صاحب الموصل ، فلم ينتظم حال ومرضا بدمشق ، ثم سارا إلى العراق في الحر ، فمات بشير في السبخة ، ومات شيخ الشيوخ في الرحبة ، ودفن بمشهد البوق ، وكان أوحد عصره ، جمع بين رياسة الدين والدنيا .

وفيها في المحرم أطلق مسعود صاحب الموصل مجاهد الدين قيماز من الحبس وأحسن اليه .

سنة إحدى وثمانين وخمسمائة :

وفيها حصر السلطان الموصل ثانياً ، فأرسل اليه عز الدين مسعود والدته وابنة عمه نور الدين وجماعة من النساء يطلبون منه ترك الموصل وما بأيديهم ، فردّهم واستقبح منه ذلك ، وحاصرها ، وبلغه وفاة شاه أرمن صـــاحب خلاط في ربيع الآخر منها ، فسار اليها باستدعاء أهلها ليملكها .

وفيها توفي نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود صـــاحب الحصن

Marfat.com

وآمد ، وملك بعده إبنه قطب الدين سقمان صغيراً ودبره القوام بن سماقا الأسعردي ، وحضر سقمان الى صلاح الدين وهو على ميافارقين فأقره وأقام معه أميراً من أصحاب أبي سقمان ، وحاصر ميافارقين وكانت لصاحب ماردين المتوفى وبها من يحفظها من جهة شاه أرمن صاحب خلاط المتوفى . وملكها صلاح الدين في جمادى الأولى ثم رجع عن قصد خلاط إلى الموصل فجاءته رسل مسعود في الصلح . واتفق مرض السلطان ، فسار من كفرزمار عائداً إلى حران ، فلحقته رسل الموصل بالاجابة إلى ما طلب وهو أن تسلم اليه شهرزور وأعمالها وولاية الري بل وما وراء الزاب ، ويخطب له وتضرب السكة باسمه ، وتسلم السلطان ذلك وتم الصلح ووصل إلى حران مريضاً حتى أيس منه ، ثم عوفي وعاد إلى دمشق في المحرم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة .

وفيها ليلة عيد الأضحى شرب بحمص صاحبهـــا ناصر الدين محمد بن شيركوه وأصبح ميتاً . قيل دس السلطان عليه سماً لمكاتبته أهل دمشق في مرضه .وأقر السلطان موضعه إبنه شيركوه وعمره إثنتا عشرة سنة .

وفيها توفي الحافظ محمد بن عمر بن أحمد الأصفهاني المديني .إمام في الحفظ والمعرفة . مؤلف في علوم الحديث له: المغيث . وتكملة غربي الهروي واستدرك عليه . ومولده سنه إحدى وخمسمائة .

قلت : وفيها في جمادى الآخرة **توفي الشيخ حياة بن قيس الحراني** وهو أحد الأربعة الذين يتصرفون في قبورهم كتصرف الأحياء وقد تقدم ذكرهم . جاءه الشيخ رغيب الرحبي زائراً فوافاه بعد الصبح جالساً وبين يديه معزى له ،فسلم عليه، وجلس على دكة بازائه وبينهما أكثر من عشرة أذرع فلم يكلمه. فقال في نفسه : جئت اليه من الرحبة ، واشتغل عني بمعزى . فقال : يا رغيب قد أمرت أن أعطب فيك شيئاً بسبب اعتراضك فاختر إما من ظاهرك وإما من باطنك . فقال : لا يا سيدي بل من ظاهري .فمد الشيخ حياة إصبعه يسيراً فسالت عين الشيخ رغيب على خده فقام وقبل الارض وعاد الى الرحبة

ثم رآوه بعد سنين بمكة صحيح العينين فسُئل فقال : كنت في سماع ببلدنا وفيه رجل من مريدي الشيخ حياة فوضع يده على عيني فردت صحيحة كما ترى. ولما أشار الشيخ باصبعه الى عيني وسالت على خدي إنفتحت في قلبي عين شاهدت بها أسراراً ، وقد زادت عجائب من آيات الله تعالى . وبنى بنجران مسجداً وحضر الشيخ رغيب قبلته فنازعه المهندس في القبلة، فقال له الشيخ : انظر ترى الكعبة بازائك فنظر فإذا الكعبة ليس بينه وبينها شيء يحجبه . فخر مغشياً عليه .

ومن كلامه : قيمة القشور بلبابها ، وقيمة القصور ببنائها ، وقيمة الرجال بألبابها ، وعز العبيد بأربابها ، وفخر الأحبة بأحبابها .

ومن إنشاده :

وإذا الرياح مع العشي تناوحت نبهن حاسده وهجن غيورا
وأمتن ذا بوجود وجد دائم وأقمن ذا وكشفن عنه ستورا

والله أعلم .

سنة إثنتين وثمانين وخمسمائة :

وفيها أحضر السلطان إبنه الأفضل من مصر وأقطعه دمشق، ثم استدعى تقي الدين من مصر وزاده على حماه منبج والمعرة وكفر طاب وميافارقين ، وجعل العادل والعزيز عثمان إبنه بمصر ، وأقطع العادل عوض حلب حران والرها .

وفيها في أولها توفي البهلوان محمد بن ايلدكز صاحب الجبل وهمدان والري واصبهان واذربيجان وغيرها ، وكان حسن السيرة ، وملك بعده أخوه عثمان قزل أرسلان ، وكان السلطان طغر بك السلجوقي مع البهلوان ، وليس له إلا الخطبة ، فتمكن بموته ، واستولى على بعض البلاد ، وجرت بينه وبين قزل حروب . وفيها غدر البرنس صاحب الكرك وأسر قافلة من

Marfat.com

المسلمين فطلبهم السلطان بحكم الهدنة فأبى فنذر السلطان قتله بيده . وفيها توفي أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش بري بن عبد الجبار بن بري المصري بمصر ، إمام في اللغة والنحو ، قرأ عليه الجزولي وغيره ، ومولده بمصر سنة تسع وتسعين وأربعمائة .

سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة :

وفيها ضايق السلطان الكرك خوفاً على الحجاج من البرنس وأغار بعض عسكره على بلد عكا وغنموا ، ثم حصر مدينة طبرية وفتحها بالسيف وكانت للقومص صاحب طرابلس، وكان مهادن السلطان فاجتمع الى الفرنج للحرب .

وقعـــة حطين

ولما فتحت طبرية إجتمعت ملوك الفرنج فارساً وراجـــلا وساروا الى السلطان فركب اليهم من عند طبرية لخمس بقين من ربيع الآخر ، والتقـى الجمعان ، ورآى القومص شدة الأمر فحمل على من قدامه ، وهناك تقي الدين صاحب حماه ففرج له وعطف عليهم ، فنجى القومص الى طرابلس ومات بعد قليل غيظاً . ونصر الله المسلمين، وأحدقوا بالفرنج وأبادوهم قتلا وأسراً ، وأسر ملكهم الكبير ، والبرنس ارياط صاحب الكرك وصاحب جبيل وابن الهنفري ومقدم الداوية وجماعة من الاسبتارية ، وما اصيبوا منذ خرجوا الى الشام سنة إحدى وتسعين وأربعمائة بمثلها ، ولما انقضى المصاف جلس السلطان في خيمته وأجلس ملك الفرنج الى جانبه وقد اشتد عطشه فسقاه السلطان ماء مثلوجاً ، فسقى منه البرنس صاحب الكرك ، فقال السلطان : إن هذا الملعون لم يشرب باذني فيكون أماناً له. ثم ذكر السلطان البرنس بقصده الحرمـين الشريفين، وقام السلطان بنفسه فضرب عنقه فارتعد ملك الفرنج فسكنه السلطان.

ثم عاد وفتح قلعة طبرية بالأمان وعكا بالأمان ، وفتح عسكره الناصرة

Marfat.com

وقيسارية وهيفا وصفورية ومغليثا والغولة وغيرها بالسيف ، ونابلس وقلعتها بالأمان ، وفتح العادل بعد ذلك يافا عنوة .

ثم فتح السلطان تبنين بالأمان ، وتسلم صيدا خالية ، ثم بيروت بعد حصار في السابع والعشرين من جمادى الأولى بالأمان ، وكان من جملة الأسرى صاحب جبيل ، فبذل جبيلاً فأطلق ، وكان عدواً شديداً على المسلمين وما حمدت عاقبة إطلاقه .

وفيها حضر المركيس في سفينة إلى عكا وهي للمسلمين ولم يعلم بذلك. واتفق عدم هبوب الهواء فراسل الملك الأفضل بعكا مراراً ينتظر هبوب الريح ، إلى أن هبت فأقلع إلى صور ، واجتمع عليه الفرنج الذين بها ، وملك صوراً ، وكان وصول المركيس الى صور وإطلاق الفرنج الذين أخذ السلطان بلادهم بالأمان وحملهم إلى صور من أعظم أسباب الضرر وقوة الفرنج ورواح عكا ، ثم حصر السلطان عسقلان أربعة عشر يوماً وتسلمها بالأمان سلخ جمادى الآخرة ، ثم فتح عسكره الرملة والداروم وغزة وبيت لحم وبيت جبريل والنطرون وغيرها ، ثم نازل السلطان القدس وبه من النصارى عدد لا يحصى ، وضايقه بالنقابين واشتد القتال وعلق السور وطلب الفرنج الأمان ، فقال : آخذها مثل ما أخذت من المسلمين بالسيف .فعاودوه فأجاب بشرط أن يؤدي كل رجل عشرة دنانير ، وكل إمرأة خمسة ، وكل طفل دينارين ، ومن عجز أسر ، وتسلم المدينة يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب .

قلت : قال ابن خلكان : وليلته ليلة المعراج المنصوص عليها في القرآن وشهد فتحه كثير من أرباب الخرق والزهد والعلماء من مصر والشام بحيث لم يتخلف منهم أحد . والله أعلم .

ورفعت الأعلام الإسلامية على أسواره ، ورتب على أبوابه من يقبض المال

Marfat.com

المشروط ، فخان المرتبون ولم يحملوا منه إلا القليل .

وكان على رأس قبة الصخرة صليب كبير مذهب فقلع فضج المسلمون فرحاً وسروراً ، وضج الكفار حزناً وثبوراً .

وكان الفرنج قد عملوا في غربي المسجد الأقصى هريا [1] ومستراحا فأزيل ذلك وأعيد إلى التبجيل والتعظيم .

وكان السلطان نور الدين محمود قد عمل منبراً بحلب وتعب عليه وقال هذا لأجل القدس فأحضر السلطان المنبر للجامع الأقصى، وأقام بعد فتحه بظاهره إلى الخامس والعشرين من شعبان ورتب أحواله وتقدم بعمل الربط والمدارس الشافعية .

قلت : وصليت فيه الجمعة يوم فتحه ، وخطب يومئذ بالناس القاضي محيي الدين محمـــد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز علي ابن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن عبد العزيز بن أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنهم القرشي المعروف بابن الزكي قاضي دمشق ، خطب بالخطبة البديعة من تصنيفه المعروفة بالقدسية .

وكتب له القاضي الفاضل الى الإمام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء رسالة تتضمن الفتوح طويلة . **منها** : وقد صارت أمور الاسلام إلى أحسن مصائرها ، وأسست عقائد أهله على أحسن بصائرها ، وتقلص ظل الكافر المبسوط وصدق الله أهل دينه ، فلما وقع الشرط وقع المشروط وكان الدين غريباً فهو الآن في وطنـــه ، والفوز معروضاً ، فقد بذلت الأنفس في ثمنه ، واسترد المسلمون تراثاً كان عنهم آبقاً ، وظفروا يقظة بما لم يصدقوا انهم يظفرون به طبقاً على النأي طارقاً ، واستقرت على الأعلى أقدامهم ، وخفقت على الأقصى أعلامهم وتلاقت على الصخرة قبلهم وشفيت بها وإن كانت صخرة كما يشفى بالماء غللهم .

---

١ – الهري : بضم الهاء وسكون الراء ، بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان .

Marfat.com

ولما قدم الدين عليها عرف سويداء قلبه ، وهنى كفؤها الحجر الأسود بيت عصمتها من الكافر بحزبه . وكان الخادم لا يسعى سعيه إلا لهذه العظمى، ولا يقاسي تلك البؤس إلا رجاء هذه النعمى .

وأقيمت الخطبة يوم الجمعة فكادت السموات يتفطرن للسجود لا للوجوم ، والكواكب منها تنتثر للطرب لا للرجوم ، ورفعت الى الله كلمة التوحيد وكانت طريقهـــا مسدودة ، وطهرت قبور الأنبياء وكانت بالنجاسات مكدودة ، واقيمت الخمس وكان التثليث يقعدهـا ، وجهرت الألسنة بـ الله أكبر ، وكان سحر الكفر يعقدها . والله أعلم .

ثم أن السلطان رحمـــه الله حاصر صوراً تاسع رمضان وطلب الاسطول فوصل اليه في عشر شوان ، فكبسهم الفرنج في الشواني ، وأخـذوا خمس شوان ولم يسلم من المسلمين إلا من سبح ، وطال حصارها فرحل عنها في آخر شوال أول كانون وأقام بعكا ، وأعطى العساكر الدستور فقصدوا أوطانهم ، وبقي بحلقته في عكا وأرسل ففتح هونين بالأمان

وفيها سار شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم أميراً على الحج ليجمع بين الغزاة وزيارة القدس والخليل والحج في سنة فوقف بعرفـــات ، وأراد طاشتكين أمير الحاج العراقي منعه من الإفاضة قبله ، فاتفقوا مع الشاميين فقتل بينهم جماعة وابن المقدم يمنع جماعته من القتال ولو مكنهم لانتصفوا فجرح ومات شهيداً ودفن بمقبرة المعلى رحمه الله تعالى .

وفيها ملك السلطان طغر بك بن ارسلان شاه السلجوقي كثيراً من البلاد وأرسل قزل بن ايلد كز الى الخليفة يستنجده ويخوّفه عاقبة أمر طغر بك . **وفيها** غزى شهاب الدين الغوري الهند . **وفيها** قتل الخليفة الناصر استاذ داره مجد الدين أبا الفضل بن الصاحب ولم يكن للخليفة معه حكم ، وظهر له أموال عظيمة أُخذت كلها .

Marfat.com

وفيها استوزر الخليفة الناصر أبا المطهر عبيد الله بن يونس ولقبه جلال الدين ، ومشى أرباب الدولة في ركابه حتى قاضي القضاة ، وكان يمشي ويقول : لعن الله طول العمر .

وفيها توفي قاضي القضاة الدامغاني ولي القضاء للمقتفي .

سنة أربع وثمانين وخمسمائة :

وفيها شتى السلطان بعكا ، ثم سار وجعل قيماز النجمي يحاصر كوكب . ودخل دمشق ففرح الناس به وسار في نصف ربيع الاول ونزل على بحيرة قدس ، ثم نزل تحت حصن الاكراد ثم انطرسوس فوجدها خالية ثم مرقية كذلك ، ثم نزل تحت المرقب فوجده لا يرام فوصل جبلة في ثامن جمادى الاولى ، وتسلمها وجعل فيها سابق الدين عثمان بن الداية يحفظها ، ثم حصر قلعتي اللاذقية وملكها وسلمها الى ابن اخيه المظفر تقي الدين عمر فحصنها ثم حاصر صهيون وتسلمها بالأمان وسلمها الى الأمير منكورس صاحب أبي قبيس من أصحابه .

ثم ملك عسكره بلاطنس خالياً من الفرنج وحصن العيد وحصن الجماهرتين ، ثم سار السلطان عن صهيون ثالث جمادى الآخرة وحصر الشغر وبكاس خالية .

وتسلم الشغر بالأمان سادس جمادى الآخرة ، وحصر إبنه الظاهر غازي سرمينية وأنزل أهلها على قطيعة ، وهدم الحصن فعفى أثره ، وأطلق من هذه الحصون أسرى المسلمين واعطاهم كسوة ونفقة .

ثم ملك السلطان برزية زحفاً بالسيف في السابع والعشرين من جمادى وسبى وأسر وقتل ، وحكى إبن الأثير هذا كله عن مشاهدة ، ثم نزل السلطان جسر الحديد اياماً .

ثم حاصر دير بساك وأمنهم بثيابهم فقط ، وتسلمها تاسع عشر رجب ثم

Marfat.com

تسلم بغراس بالأمان مثل دير بساك ، وأرسل بيمند صاحب انطاكية يطلب منه الهدنة ويطلق كل أسير عنده فأجابه وصالحه ثمانية اشهر ، ثم دخل السلطان حلب ثالث شعبان ، ثم دخل دمشق وأعطى زنكي بن مودود دستوراً وغيره من المشارقة ، وزار السلطان في طريقه من حلب قبر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بدير سمعان من النقيرة ، وزار الشيخ الصالح أبا زكريا المغربي المقيم هناك ، وله كرامات ، وكان مع السلطان أبو فليتة قاسم بن مهنى الحسيني صاحب مدينة الرسول ﷺ ، حضر معه فتوحاته ، وكان يرجع الى قوله تبركاً بصحبته ، ودخل السلطان دمشق في رمضان المعظم ، فأشير عليه بتفريق العساكر ليريحوا ويستريحوا ، فقال : ان العمر قصير ، والأجل غير مأمون . وكان لما سار الى الشمال قد ترك على الكرك وغيرها من يحصرها وأخوه بتلك الجهات يباشر ذلك فتسلم الكرك بالأمان والشوبك ، وما بتلك الجهات من البلاد ، ثم سار من دمشق فحصر صفد ، وتسلمها بالأمان ثم كوكب وعليها قيماز النجمي فتسلمها بالأمان في منتصف ذي القعدة ، وسير أهلها الى صور وما كان مصلحة ، ثم عيّد الأضحى بالقدس ثم أقام بعكا الى سلخ السنة.

وفيها : ارسل قزل بن ايلد كز يستنجد الامام الناصر على طغر بك السلجوقي ويحذره عاقبته ، فأرسل الخليفة عسكراً اليه والتقوا ثامن ربيع الأول منها قرب همدان ؛ فانكسر عسكر الخليفة وغنم طغر بك منهم وأسر مقدم العسكر جلال الدين عبيد الله وزير الخليفة .

وفيها توفي محمد بن عبد الله الكاتب ابن التعاويذي الشاعر ، وله وقد صودرت جماعة من الكتاب ببغداد من قصيدة :

يا قاصداً بغداد جز عن بلدة للجور فيها زخرة وعباب
إن كنت طالب حاجة فارجع فقد سدّت على الراجي بها الأبواب
والناس قد قامت قيامتهم فلا أنساب بينهم ولا أسباب
والمرء يسلمه أبوه وعرسه ويخونه القرباء والأحباب

لا شافع تغني شفاعته ولا جان له مما جناه متاب
شهدوا معادهم فعاد مصدقاً من كان قبل ببعثه يرتاب
حشر وميزان وعرض جرائد وصحائف منشورة وحساب
ما فاتهم من يوم ما وعدوا به في الحشر إلا راحم وهاب

قلت وما أحسن قوله :

وما لإنسانيتي شاهد عندي سوى أني في خسر

وكتب الى صاحبه العماد الاصفهاني رسالة وقصيدة يطلب منه فروة. منها: قد كلف مكارمه وإن لم يكد للجود عليها كلفه وأتحفه بما وجه اليه من أمله وهو لعمر الله تحفه ، إهداء فروة دمشقية سرية نقية يلين لمسها ويزين لبسها ، دباغتها نظيفة وخياطتها لطيفة طويلة كطوله ،سابغة كأنعمه،حالية كذكره جميلة كفعله واسعة كصدره نقية كعرضه رفيعة كقدره .

وأول القصيدة :

بأبي من ذبت في الحب له شوقاً وصبوة ... والله أعلم .

ومولد ابن التعاويذي سنة تسع عشرة وخمسمائة .

سنة خمس وثمانين وخمسمائة :

وفيها نزل السلطان بمرج عيون وحضر اليه صاحب شقيف أريون **فخادعه** ثم أمسكه وحبسه في دمشق .

حصار عكا

إجتمع بصور أهل البلاد التي أخذها السلطان بالأمان فكثر جمعهم حتى صاروا لا يحصون ، وأرسلوا الى البحر يبكون ويستنجدون وصوروا صورة المسيح وصورة عربي يضرب المسيح وقد أدماه ،وقالوا هذا نبي العرب يضرب

Marfat.com

المسيح . فخرجت النساء من بيوتهن ووصل في البحر فرنج لا يحصون كثرة ، ونازلوا عكا في منتصف رجب منها وأحاطوا بهامن البحر الى البحر ولم يبق للمسلمين اليها طريق . فسار السلطان وقاربهم وقاتلهم في مستهل شعبان ، وباتوا على ذلك وأصبحوا ، فحمل تقي الدين صاحب حماه من ميمنة السلطان فأزالهم عن موقفهم والتصق بالسور ، وانفتح الطريق إلى المدينة يدخل المسلمون ويخرجون وأدخل السلطان الى عكا عسكراً نجدة منهم أبو الهيجاء السمين ، وعاودوا القتال وراوحوه إلى العشرين من شعبان ، ثم كانت الوقعة العظيمة ، وحمل الفرنج على القلب فأزالوه وقتلوا حتى بلغوا خيمة السلطان ، وانحاز السلطان إلى جانب وانضاف اليه جماعة ، وانقطع مدد الفرنج ، واشتغلوا بقتال الميمنة فحمل السلطان على الذين خرقوا القلب وانعطف عليهم العسكر فأفنوهم ، فكانت قتلاهم نحو عشرة آلاف فرنجي ، ووصل المنهزمون من المسلمين إلى طبرية وإلى دمشق . وجافت الأرض بعد هذه الوقعة ، ومرض السلطان ، وحدث له قولنج ، فانتقل من ذلك الموضع ، ورحـــل عن عكا رابع عشر رمضان إلى الخروبة فانبسط الفرنج في تلك الأرض وتمكنوا من عكا . ووصل أسطول المسلمين في البحر مع حسام الدين لؤلؤ فأخذ بطسة كبيرة للفرنج ، فقويت القلوب ودخل بها عكا ووصل العادل بعسكر مصر فازدادت القلوب قوة .

وفيها توفي بالخروبة الفقيه عيسى من أعيان عسكر السلطان؛ فقيه جندي شجاع من أصحاب الشيخ أبي القاسم البزري .

وفيها توفي محمد بن يوسف بن محمد بن فايد موفق الدين الاربلي الشاعر، من أعلم الناس بالعروض والعربية ونقد الشعر وحل كتاب أقليدس ، وهو شيخ أبي البركات بن المستوفي صاحب تاريخ اربل ، أقام بشهرزور ، ثم بدمشق ، ومدح صلاح الدين ، ومدح زين الدين يوسف صاحب اربل بقوله من قصيدة :

رب دار بالحمى طال بلاهـــا عكف الركب عليها فبكاها
كان لي فيها زمان وانقضى فسقى الله زماني وسقاهـــا
قـــل لجيران مواثيقهم كلما أحكمتهـا رثت قواهـا
كنت مشغوفاً بكم إذ كنتم شجراً لا يبلغ الطير ذراهـــا
فاذا مـا طمع أغرى بكم عرض اليأس لنفسي فثنـــاها
فصبـــابات الهوى أولهـا طمـع النفس وهذا منتهاها
لا تظنوا لي اليكم رجعـــة كشف التجريب عن عيني غطاها
ان زين الدين أولاني يداً لم تدع لي رغبة فيما سواها

وكان أبوه يتجر في اللآلىء من مغاص البحرين .

وفيها توفي محمود بن علي بن أبي طالب بن عبدالله الأصبهـــاني المعروف بالقاضي صاحب الطريقة في الخلاف، له التعليقة في الخلاف عمدة ومن لم يدرس منها فلقصوره عنها ، وكان متفنناً واعظاً حسناً .

سنة ست وثمانين وخمسمائة :

وفيها في صفر عاد السلطان عن الخروبة إلى قتال الفرنج على عكا ، وقد عملوا قرب سورها ثلاثة أبرجة طولها ستون ذراعاً ، خشبها من جزائر البحر عملوها طبقات مشحونة رجالاً وسلاحاً ، ولبسوها الجلود والطين بالخل خوف النار فأحرق المسلمون البرج الأول بمن فيه ثم الثاني والثالث ، فـــانبسطت نفوس المسلمين بعد الكآبة وجاءت العساكر الإسلاميـــة من البلاد . وخرج ملك الألمان من وراء القسطنطينية بمائة الف مقاتل فأيس المسلمون من الشام فسلط على الألمـــان الغلاء والوباء فهلك أكثرهم في الطريق ، ونزل ملكهم يغتسل في نهر ببلد الأرمن فغرق وأقاموا ابنه مقامه فرجع منهم طـــائفة وطائفة اختارت أخا الملك ورجعوا أيضاً . ووصل مع ابن ملك الألمان الى عكا تقديراً الف فارس وكفى الله شرهم ، وبقي السلطان والفرنج يتناوشون القتال الى العشرين من جمادى الآخرة ، فخرجت الفرنج من خنادقهم بالفارس

Marfat.com

والراجل ، وأزالوا العـــادل عن موضعه ، ومعه عسكر مصر ، فعطف المسلمون وقتلوا من الفرنج خلقاً ، فعادوا الى خنادقهم ، وانقطع السلطان لمغص حصل له ، ولولاه لكانت الفيصلة .

وفيها لما قوي الشتاء والريح أرسلت الفرنج المحاصرة لعكا مراكبهم إلى صور خوف الريح ، فانفتحت الطريق إلى عكا في البحر ، وأرسل السلطان البدل اليها لكن الخارجون منها أضعاف الداخلين فوقع تفريط .

وفيها في ثامن شوال توفي زين الدين يوسف بن زين الدين علي كوجك صاحب اربل ، وكان مع السلطان بعسكره ، فأقطع أخاه مظفر الدين بوري اربل ، وأضاف اليه شهرزور وأعمالها ، وارتجع ما كان بيد مظفر الدين وهو حران والرها . وسار مظفر الدين إلى اربل وملكها .

وفيها حصر الخليفة الناصر حديثة عانة وفتحها . وفيها أقطع السلطان ما كان بيد مظفر الدين وهو حران والرها وسميساط والموزر الملك المظفر تقي الدين عمر زيادة على ميافارقين وحماه والمعرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم وجبلة واللاذقية وبلاطنس وبكراييل .

سنة سبع وثمانين وخمسمائة :

ذكر استيلاء الفرنج على عكا

واستمر حصار الفرنج عكا إلى هذه السنة وأحاطوا بهـــا من البحر إلى البحر وخندقوا عليهم ، فلم يتمكن السلطان من الوصول اليهم فكانوا محاصرين وكالمحصورين فان السلطان خارجهم ، واشتد حصارهم لعكا ، وطال وضعف من بها عن حفظها وعجز السلطان عن الدفع عنها ، فخرج الأمير سيف الدين علي بن المشطوب ، وطلب الأمان من الفرنج على مال وأسرى يقومون به للفرنج فأجابوهم . وصعدت أعلام الفرنج على عكا يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة منها ، واستولوا على البلد بما فيه ، وحبسوا المسلمين في أمـــاكن ،

Marfat.com

وقالوا : إنما نحبسهم ليقوموا بالمال والأسرى وصليب الصلبوت ، وكتبوا إلى السلطان بذلك ، فحصل ما أمكن من ذلك ، وطلب إطلاق المسلمين فأبوا ، فعلم غدرهم ، واستمر أسرى المسلمين بها ، ثم قتل الفرنج من المسلمين خلقاً وحبسوا الباقين ، وقرروا أمرها ، ورحلوا نحو قيسارية ، والمسلمون يسايرونهم ويتحفظون منهم ، ثم ساروا الى أرسوف فوقع مصاف أزالوا فيه المسلمين عن موقفهم ، ووصلوا إلى السوق فقتلوا من السوقيـــة كثيراً ، ثم ملكوا يافا خالية من المسلمين . وسار السلطان فخرب عسقلان لئلا يكون مثل عكا ، ودكها إلى الأرض ، وثاني رمضان رحل عنها إلى الرملة فخرب حصنها ، وخرب كنيسة لد وسار إلى القدس وقرر أمره وعـــاد إلى مخيمه بالنطرون ثامن رمضان . وتراسل الفرنج والسلطان في الصلح على أن يتزوج العادل أخت ملك الانكلتار ، ويكون له القدس ولزوجتـــه عكا فأنكر القسيسون ذلك إلا أن يتنصر العادل ، فلم يتفق حال .

ثم رحل الفرنج من يافا إلى الرملة ثالث ذي القعدة ، وصار يقع كل يوم بين المسلمين وبينهم مناوشات ، ولقوا من ذلك شدة شديدة ، وأقبل الشتاء وحالت الأوحال وضجرت العساكر ، فأعطاهم الدستور وسار إلى القدس لسبع بقين من ذي القعدة ، ونزل داخل البلد وحصنه وعمره ونقل الحجارة بنفسه ليقتدى به فكان كذلك .

وفاة الملك المظفر

كان المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب سار إلى البلاد المرتجعة من كوك بوري وراء الفرات فامتد إلى مجاوريه ، واستولى على الشويداوجاني والتقى مع بكتمر صاحب خلاط فكسره وحصره فيهـــا ، وتملك معظم البلاد ، ثم نازل ملازكرد وهي لبكتمر وفي صحبته ابنـــه الملك المنصور محمد بن المظفر ، فعرض للمظفر مرض وتزايد حتى توفي يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان منها ، فأخفى المنصور وفاته ووصل به حماه ودفنه

Marfat.com

بظاهرها ، وبنى إلى جانب تربته مدرسة مشهورة .

وكان للمظفر بأس وأدب وشعر حسن ، وتوفي ليلة وفاته حسام الدين محمد ابن لاجين ، وأمه ست الشام بنت أيوب أخت السلطان .

ثم قرر السلطان للمنصور حماه وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم ، وأقطع البلاد الشرقية لأخيه العادل ، ونزل العادل عن اقطاعه بالشام خلا الكرك والشوبك والصلط والبلقا ونصف خاصه بمصر ، والتزم كل سنة الف غرارة من الصلت والبلقا للقدس .

وفيها [1] في شعبان قتل عثمان قزل أرسلان بن ايلدكز ، وكان قد تغلب واعتقل السلطان طغر بك بن أرسلان ، ثم تعصب على الشافعية باصبهان وصلب من أعيانهم جماعة ، وعاد الى همدان وخطب لنفسه فقتله على فراشه من لم يعرف .

وفيها قدم معز الدين قيصر شاه بن قلج أرسلان صاحب الروم الى صلاح الدين ، وسببه أن أباه فرق مملكته على أولاده وأعطى ابنه هذا ملطية فألزم بعض اخوته أباه باسترجاع ملطيه فخاف من ذلك والتجأ الى السلطان فأكرمه وزوّجه بنت اخيه العادل ، وعاد معز الدين الى ملطية فتمكن .

وفيها قتل أبو الفتح يحيى بن حنش بن أميرك شهاب الدين السهروردي الفيلسوف بقلعة حلب ؛ أمر بخنقه الظاهر غازي بأمر والده ؛ قرأ الأصولين والحكمة على مجد الدين الجبيلي شيخ الامام فخر الدين . وكان علمه اكثر من عقله ، فأفتى بإباحة دمه لسوء مذهبه ، وشدد عليه زين الدين ومجد الدين ابنا جهبل .

قال السيد الآمدي : قال لي السهروردي : لا بد أن أملك الارض رأيت في المنام كأني شربت ماء البحر . فقلت : لعله اشتهار علمك .

---

١ – تابع أحداث سنة سبع وثمانين وخمسمائة .

Marfat.com

وعاش ثمانياً وثلاثين سنة ،وله في الحكمة التلويحات والتنقيحات والمشارع والمطارحات والهياكل وحكمة الاشراق ، ونسب الى السيمياء .

ومن شعره :

أبداً تحن اليكم الأرواح ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم وإلى لذيذ لقـــائكم ترتاح
وارحمتـــا للعاشقين تكلفوا ستر المحبـــة والهوى فضاح
وإذا هم كتموا تحدث عنهم عند الوشاة المدمع السحاح
لا ذنب للعشاق إن غلب الهوى كتمانهم فنما الغرام وباحـــوا

سنة ثمان وثمانين وخمسمائة :

وفيها شرع الفرنج في عمارة عسقـلان والسلطان بالقدس . وفيها قتلت الباطنية المركيس صاحب صور في زي الرهبان .

عقد الهدنة مع الفرنج

وسبب ذلك أن ملك الانكتار مرض طويلاً وطال عليه ذلك فكاتب العادل يسأله السعي في الصلح، فأبى السلطان ثم أجاب لضجر العساكر، فتهادنوا ثامن عشر من شعبان وتحالفوا ثاني وعشرين شعبان ، فلم يحلف ملك الانكلتار بل أعطى يده وعاهد واعتذر بأن الملوك لا يحلفون وحلف الكندهري ابن أخيه وخليفته في الساحل وعظماء الفرنج ، ووصل ابن الهنفري وبالیان والمقدمون وأخذوا يد السلطان واستحلفوا العادل أخاه ، والأفضل والظاهر ابنيه والمنصور والمجاهد شير كوه بن محمـــد بن شيركوه صاحب حمص ، والأمجد بهرام شاه بن فرخ شاه صاحب بعلبك ، وبدر الدين دلدرم اليارقي صاحب تل باشر ، والسابق عثمان بن الداية صاحب شيزر ، وسيف الدين علي ابن المشطوب وغيرهم من المقدمين الكبار، وعقدت هدنة عامة في البر والبحر

Marfat.com

ثلاث سنين وثلاثة أشهر أولها ايلول الموافق لحادي وعشرى شعبان ، على أن يستقر للفرنج يافا وقيسارية وحيفا وعكا وتكون عسقلان خراباً .

وأدخل السلطان بلاد الاسماعيلية في هدنته . وأدخل الفرنج صـــاحب انطاكية وطرابلس في هدنتهم وتناصفوا لد والرملة . ثم تفقد السلطان القدس وأمر بتشييد أسواره ، وزاد وقف مدرسته بالقدس ، وتعرف قبل الإسلام بصند حنة قيل فيها قبر حنة أم مريم ، ثم صارت في الإسلام دار علم .

ثم ملك الفرنج القدس سنة إثنتين وتسعين وأربعمائة وأعادوها كنيسة ، كما كانت ، ثم أعادها السلطان مدرسة وولى القـــاضي بهاء الدين بن شداد تدريسها ووقفها وعزم على الحج ، ثم خشي غدر الفرنج فرحل عن القدس لخمس مضين من شوال إلى نابلس ، ثم إلى بيسان ، ثم بات بقلعة كوكب ، ثم إلى طبرية ولقيه بها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي ، وقد خلص من الأسر بعكا ثم لحق بمصر . ثم سار السلطان إلى بيروت فجاءه بيمند صاحب انطاكية حادي عشر شوال فأكرمه وفارقه في الغد ودخل السلطان دمشق لخمس بقين من شوال ، وفرح به الناس بعد غيبة أربع سنين، وعدل وأحسن وأعطى العساكر الدستور فودعه إبنه الظاهر وداعاً لا لقاء بعده في الدنيا وسار إلى حلب ، وبقي عنده بدمشق إبنه الأفضل والقاضي الفاضل .

ويوم الخميس السادس والعشرين من شوال منهـــا توفي الأمير سيف الدين علي بن المشطوب بنابلس اقطاعه فوقف السلطان ثلث نابلس على مصـــالح القدس ، وأقطع الباقي لعماد الدين أحمد بن المتوفي ولأميرين معه .

وفيها في منتصف شعبان **توفي السلطان قلج أرسلان** بن مسعود السلجوقي صاحب الروم ، وملك سنة احدى وخمسين وخمسمائة ، كان مهيباً عـــادلا عارفاً ، وولى كل واحد من بنيه العشرة قطراً من الروم . وأكبرهم قطب الدين ملك شاه ، وتوفي بعد أبيه ، فاستقر كيخسرو بن قلج أرسلان في ملك قونيه وأثبت أنه ولي عهد أبيه .

Marfat.com

ثم أن ركن الدين سليمان أخـــا كيخسرو قوي فأخذ منه قونية فهرب كيخسرو الى الشام مستنجداً بالملك الظاهر صاحب حلب . ثم مات ركن الدين سليمان سنة ستمائة ، وملك بعده ابنـــه قلج أرسلان ، فرجع كيخسرو وملك الروم جميعاً إلى أن قتل . وملك بعده ابنه عز الدين كيكاوس ثم توفي كيكاوس وملك بعده السلطان علاءالدين كيقباد بن كيخسرو.

وتوفي علاء الدين سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وملك بعده ابنه غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين وكسره التتر سنة إحدى وأربعين وستمائة ، وتضعضع حينئذ ملك السلاطين السلجوقية بالروم .

ثم مات غياث الدين بن كيخسرو بن علاء الدين كيقباد بن كيخسرو ابن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان ابن أرسلان بن سلجوق ، وانقرض بموته ملكهم في الحقيقة إذ لم يكن لمن بعدهم سوى الإسم . وخلف كيخسرو ابنين هما ركن الدين وعز الدين فملكا معـــاً مديدة ، ثم انفرد ركن الدين بالسلطنـــة ، وهرب عز الدين إلى قسطنطينية ، وتغلب على ركن الدين معين الدين البرواتاه، والبلاد في الحقيقة للتتر ، ثم قتل البرواتاه ركن الدين وأقام ابناً لركن الدين يخطب له صورة .

وفيها غزى شهاب الدين الغوري الهند فغنم وقتل ما لا يحصى . وفيها خرج السلطان طغر بك بن أرسلان من الحبس بعد قتل قزل أرسلان بن ايلدكز . وفيها توفي راشد الدين سنان بن سليمان بن محمد أبو الحسن صاحب دعوة الاسماعيلية بقلاع الشام وأصله من البصرة .

سنة تسع وثمانين وخمسمائة :

وفاة السلطان صلاح الدين

ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من صفر توفي السلطان صلاح الدين وحضر وفاته القاضي الفاضل ، ووصل القاضي بهاء الدين بن شداد بعد وفاته، وغسله

Marfat.com

الدولعي خطيب دمشق ، وأخرج بعد ظهر الأربعاء في تابوت مسجى بثوب وكفنه الفاضل من جهة حل ، وصلى عليه الناس وغشي الناس لموته حزن لا يوصف وبكاء لا تمكن حكايته ، ودفن بقلعة دمشق في الدار التي مرض بها ، وكان الأفضل عليّ قد حلف له قبل وفاة والده عند شدة مرضه وجلس للعزاء في القلعة، وكتب بوفاته الى أخيه العزيز بمصر وإلى عمه العادل أبي بكر وإلى أخيه الظاهر غازي بحلب .

قلت : وكتب القاضي الفاضل الى الملك الظاهر غازي (بطاقة) بديعة في تلك الحال التي يذهل فيها الانسان عن نفسه مضمونها : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، إن زلزلة الساعة شيء عظيم .

كتبت الى مولانا السلطان الملك الظاهر أحسن الله عزاءه وجبر مصابه ، وجعل في الخلف في الساعة المذكورة، وقد زلزل المسلمون زلزالا شديداً، وقد حفرت الدموع المحاجر، وبلغت القلوب الحناجر ، وقد ودعت أباك ومخدومي وداعاً لا يلاقى بعده، وقبلت وجهه عني وعنك وأسلمته الى الله تعالى مغلوب الحيلة ضعيف القوة راضياً عن الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وبالباب من الجنود المجندة والأسلحة المغمدة ما لم يدفع البلاء ولا ملك يرد القضاء . وتدمع العين ، ويخشع القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنا عليك لمحزونون .

يا يوسف : وأما الوصايا فما نحتاج اليها ،والآراء فقد شغلني المصاب عنها ، وأما لائح الأمر فانه إن وقع الاتفاق فما عدمتم إلا شخصه الكريم وإن كان غيره، فالمصائب المستقبلة أهونها موته، وهو الهول العظيم والسلام . والله أعلم .

ثم ان الملك الأفضل عمل تربة قرب الجامع كانت داراً لرجل صالح ونقل اليها السلطان يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، ومشى الافضل بين يدي تابوته وأخرج من باب القلعة على دار الحديث الى باب البريد وأدخل الجامع ووضع قدام النسر وصلى عليه القاضي محيي الدين بن الزنكي ، ثم دفن وجلس الأفضل في الجامع ثلاثة ايام للعزاء ، وأنفقت ست الشام بنت أيوب اخت السلطان في هذه النوبة أموالاً عظيمة .

نبذة عن حياة صلاح الدين :

مولد صلاح الدين بتكريت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، فعمره تقريباً سبع وخمسون ، وملكه للديار المصرية نحو أربع وعشرين سنة ، وملكـــه للشام نحو تسع عشرة سنة ، وخلف سبعة عشر ابناً وبنتاً واحدة واكبرهم الأفضل نور الدين علي ولد بمصر سنة خمس وستين وخمسمائة ، والعزيز عثمان أصغر منه بنحو سنتين ، والظاهر أصغر منهما ، وبقيت البنت حتى تزوجها ابن عمها الكامل صاحب مصر ، ولم يخلف السلطان في خزانتـه غير سبعـــة وأربعين درهماً ، وجرم واحد صوري ولم يترك داراً ولا عقاراً . أطلق في مقامه بمرج عكا من خيل عراب رأكاديش إثني عشر الف رأس غير ثمن ما أصيب في القتال ، ولم يؤخر صلاة عن وقتها ولا صلى إلا في جماعة .

وكان متوكلا على الله لا يفضل في عزمه يوماً على يوم ، كثير سماع الحديث ، قرأ في الفقه مختصر سليم الرازي .

وكان صبوراً كثير التغافل عن ذنوب أصحابه ، يسمع ما يكره ولا يعلم به أحداً : رمى بعض مماليكه بعضاً بسهم موزة فأخطأته وأخطأت السلطان ، ووقعت قريباً منه فالتفت الى الجهة الاخرى تغافلا عنها .

وكان طاهر المجلس طاهر اللسان ، وقال العماد الكاتب : « مات بموتـــه الرجـال وفات بفواته الأفضال ، وغاضت الايادي ، وفاضت الاعادي وانقطعت الارزاق وادلهمت الآفاق وفجع الزمان بواحده وسلطانه ، ورزىء الاسلام بمشيد أركانه ». واستقر في ملك دمشق ومضافاتها ابنه الافضل نور الدين علي وبمصر الملك العزيز عماد الدين عثمان ، وبحلب الملك الظاهر غازي وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية الملك العـادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب ، وبحماه والمعرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن المظفر تقي الدين عمر ، وببعلبك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب ، وبحمص والرحبة وتدمر شير كوه بن محمد بن شير كوه

Marfat.com

ابن شادي ، وببصرى الملك الظـافر بن صلاح الدين وهو في خدمـة أخيه الافضل .

وأما أمراء الدولة فشيزر وأبو قبيس بيد سابق الدين عثمان بن الداية ، وصهيون وبرز به بيد ناصر الدين منكورس بن حمارتكين ، وتل باشر بيد بدر الدين دلدرم بن بهاء الدين ياروق ، وعجلون وكوكب بيد عز الدين اسامة ، وبارين وكفر طاب وأفامية بيد عز الدين إبراهيم بن شمس الدين المقدم . والافضل هو اكبر أولاد السلطان وهو المعهود اليه بالسلطنـة ، واستوزر ضيـاء الدين نصر الله بن محمد بن الاثير منصف المثل السائر وهو أخو عز الدين بن الاثير مؤلف الكامل في التاريخ فحسن للأفضل طرد أمراء أبيه ففارقوه الى أخويه العزيز ، والظاهر . قال العماد الكاتب : وتفرد الوزير بوزرد ، ومد الجزري في جزره ، وحسنت الأمراء للعزيز الانفراد بالسلطنة ، ووقعوا في اخيه الأفضل ، فمال الى ذلك ، وحصلت الوحشة بين الأخوين .

وفيها [1] بعد موت السلطان قدم العادل من الكرك وأقـام بدمشق وظيفة العزاء على أخيه ثم توجه الى بلاده التي وراء الفرات .

وفيها بعد موت السلطان كاتب مسعود بن مودود بن زنكي بن أقسنقر صاحب الموصل جيرانه الملوك يستنجدهم ، واتفق مع أخيه زنكي صاحب سنجـار وسار الى جهة حران وغيرها فلحقه إسهال فترك العسكر مع أخيه زنكي وعاد الى الموصل وصحبته قيماز فخلف مسعود العسكر لابنه ارسلان شاه ، وزاد به المرض فتوفي في السابع والعشرين من شعبان من هذه السنة ، فبين وفاته ووفاة السلطان نصف سنة ، ومدة ملكـه الموصل ثلاث عشرة سنة ونصفاً . وكان خيراً محسناً أسمر مليح الوجه خفيف العارضين يشبه جده عماد الدين زنكي واستقر ابنه في ملك الموصل بتدبير قيماز .

---

١ — تابع سنة تسع وثمانين وخمسمائة .

Marfat.com

وفيها في جمادى الاولى قتل سيف الدين بكتمر صاحب خلاط بينه وبين موت السلطان شهران . وكان قد شمت بالسلطان ودق البشائر ، وتلقب بالسلطان المعظم صلاح الدين وقلب اسمه بكتمر الى عبد العزيز ، فما أمهل ، وهو من مماليك ظهير الدين شاه أرمن .

وكان له خوشداش إسمه هزاردیناري ، تزوج بنت بكتمر عينا خاتون وجهز على بكتمر من قتله طمعاً في الملك ، وحصل له فإنه ملك خلاط وأعمالها ، وإسم هزاردیناري أقسنقر ، ولقبه بدر الدين ، واعتقل ابن بكتمر ، وابنه السباعي العمر بقلعة ارزاش تموش ، واستمر في مملكة خلاط الى أن مات سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

وفيها شتى شهاب الدين الغوري في پر شاوور ، وجهز مملوكه أيبك الى الهند ففتح وغنم . وفيها توفي سلطان شاه بن ارسلان شاه بن اطسز بن محمد بن انوشتكين وكان قد ملك مرو وخراسان فانفرد أخوه تكش بالمملكة. وفيها مات داود بن عيسى بن محمد بن أبي هاشم أمير مكة وما زالت مكة له تارة ولأخيه مكثر تارة حتى مات .

سنة تسعين وخمسمائة :

قتل طغر بك وملك خوارزم شاه الري

كان طغر بك بن ارسلان السلجوقي قد حبسه قزل ارسلان بن ايلدكز ، وخرج من باب الحبس سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وملك همدان وغيرها وجرى حرب بينه وبين مظفر الدين ازبك بن البهلوان محمد بن ايلدكز ، وقيل بل هو قطلغ اينانج أخو ازبك ، فانهزم ابن البهلوان ثم استنجد بخوارزم شاه علاء الدين تكش وخاف منه فلم يجتمع بخوارزم شاه ، فسار خوارزم شاه تكش وملك الري سنة ثمان وثمانين ، وبلغ تكش أن أخاه سلطان شاه قصد خوارزم فصالح طغر بك السلجوقي ، وعاد إلى خوارزم ، وبقي الأمر كذلك حتى

Marfat.com

مات سلطان شاه سنة تسع وثمانين وخمسمائة فتسلم تكش مملكة أخيه سلطان شاه وخزائنـــه ، وولى محمد بن تكش نيسابور ، وملكشاه بن تكش الأكبر مرو .

وفي سنة تسعين حارب تكش طغر بك بالقرب من الري وحمل طغر بك بنفسه فقتل في الرابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وأرسل تكش رأسه الى بغداد وسار فملك همدان وتلك البلاد ، وسلم بعضها الى البهلوان وأقطع بعضها لمماليكه ورجع إلى خوارزم .

وهذا طغر بك **آخر ملوك العجم السلجوقية** وأول من أزال دولة بني بويه منهم طغر بك بن ميكائيل بن سلجوق ثم ابن أخيه ألب أرسلان بن داود ابن ميكائيل ، ثم ابنه ملكشاه بن ألب أرسلان ثم ابنه محمود بن ملكشاه وكان طفلاً تدبره أمه تركان خاتون ، ومات محمود وهو ابن سبع سنين .

وملك أخوه بركيـــا روق بن ملك شاه ثم أخوه محمد بن ملك شاه ثم ابنه محمود بن محمد ثم ابنه داود بن محمود بن محمد المذكور مدة يسيرة ، ثم عمه طغر بك بن محمد ثم أخوه مسعود بن محمد ثم ابن أخيه ملكشاه بن محمود ابن محمد أياماً ، ثم أخوه محمد بن محمود . وبعد محمد المذكور اختلفوا فقام من بني سلجوق ثلاثة أحدهم ملكشاه بن محمود أخو محمد المذكور ، والثـــاني سليمان شاه بن محمد بن السلطان ملكشاه وهو عم محمد المذكور ، والثالث أرسلان شاه ابن طغر بك بن محمد بن السلطان ملكشاه .

وكان ايلدكز متزوجاً أم أرسلان شاه فقوي عليها سليمان شاه واستقر في همدان سنة خمس وخمسين وخمسمائة . ثم قتل سليمان شاه وكذلك سمّ ملكشاه ابن محمود المذكور ، ومات بأصبهان سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وانفرد بالسلطنة أرسلان شاه بن طغر بك ربيب ايلدكز ، ثم ملك بعده ابنه طغر بك أرسلان شاه بن طغر بك المذكور سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وجرى له مـــا ذكرناه حتى قتله تكش سنة تسعين وخمسمائة ، وانقرضت دولتهم من تلك البلاد .

Marfat.com

وفيها أرسل الامام الناصر عسكراً مع وزيره مؤيد الدين محمد بن القصاب إلى خوزستان بلاد ابن شملة ، وقد مات ابن شملة ، واختلفت أولاده ، فملك عسكر الخليفة تستر سنة إحدى وتسعين ، وغيرها ، وقلعة الناطر ، وقلعة كاكرد ، وقلعة لاموج وغيرها من القلاع والحصون ، وأنفذوا ابني شملة إلى بغداد .

وفيها حصر العزيز الأفضل أخاه بدمشق ، فجاء العادل والظاهر والمنصور وأصلحوا بينهما ، ورجع العزيز إلى مصر وكل إلى موضعه ، وأقبل الأفضل بدمشق على الشرب واللهو ، وفوض أمر المملكة إلى رأي وزيره ضياء الدين ابن الأثير فدبرها برأيه الفاسد ، ثم تاب الأفضل وواظب على الصلوات وشرع في نسخ مصحف بيده .

سنة إحدى وتسعين وخمسمائة :

سار ابن القصاب بعد ملك خوزستان فملك همدان وغيرها من العجم وأخذ يستولي على البلاد للخليفة فتوفي في شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة .

وفيها غزى ملك المغرب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الفرنج بالأندلس وهزمهم من مصاف عظيم وقتل وغنم ما يفوق الحصر . وفيها استولى سيف الدين طغر بك مملوك الخليفة على اصبهان . وفيها قدم مماليك البهلوان عليهم مملوكاً اسمه ككجا معظم ككجا واستولى على الري وهمدان .

وفيها عاد العزيز عثمان صاحب مصر إلى منازلة أخيه الأفضل ونزل الغور من أرض سواد دمشق ، ففارقه بعض الأمراء الأسدية فبادر العزيز مصر بمن بقي معه . وكان الأفضل قد استنجد بعمه العادل ، فلما عاد العزيز سار الأفضل والعادل والأسدية المذكورون طالبين مصر في أثر العزيز ، حتى نزلوا بلبيس وقصد الأفضل مصر فمنعه عمه العادل وقال : مصر لك متى شئت . وكاتب العزيز باطناً وأمره بارسال القاضي الفاضل للصلح ، وكان الفاضل

Marfat.com

قد اعتزلهم لفساد أحوالهم فسأله العزيز حتى توجه فاجتمع بالعادل وأصلحا بينهما وأقام العادل بمصر عبد العزيز بن أخيه ليقرر مملكته وعاد الأفضل إلى دمشق .

وفيها هزم يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الفرنج بالأندلس في حروب .

سنة إثنتين وتسعين وخمسمائة :

وفيها فتح شهاب الدين الغوري قلعة بهنكر العظيمة بالأمان ،وصالح أهل قلعة كواكير وبينهما خمسة أيام على مال ثم غنم وأسر وعاد إلى غزنة . وفيها قتل سنقر الطويل شحنة اصبهان للخليفة صدر الدين بن عبد اللطيف بن محمد الخجندي رئيس الشافعية باصبهان ، وهو الذي سلمها إلى الخليفة لوحشة بينهما.

إنتزاع دمشق من الأفضل

بلغ العادل بمصر والعزيز إضطراب أمور الأفضل فسارا من مصر اليه ، فأرسل اليهما فلك الدين أحد أمرائه أخا العادل لأمه فأكرمه العادل وأظهر الاجابة إلي ما طلب وسارا ونزلا على دمشق وقد حصنها الأفضل ، فكاتبه بعض الأمراء من داخل في تسليمها اليه فزحف العادل والعزيز ضحى الاربعاء السادس والعشرين من رجب منها ، فدخل العزيز من باب الفرج والعادل من باب توما فسلم الأفضل القلعة وانتقل منها وأخرج وزيره ضياء الدين بن الأثير في صندوق خوفاً عليه ، وكان الظافر خضر بن صلاح الدين صاحب بصرى معاضداً للأفضل فأخذت منه بصرى فأقام عند الظاهر بحلب وأعطى الأفضل صرخد فاستوطنها ، ودخل العزيز دمشق يوم الاربعاء رابع شعبان .

ثم سلمها إلى عمه العادل ورحل العزيز منها تاسع شعبان ، فمدة ملك الأفضل لدمشق ثلاث سنين وشهر ، وأبقى العادل السكة والخطبة للعزيز . وكتب الأفضل من صرخد إلى الامام الناصر يشكو عمه أبا بكر وأخاه العزيز عثمان وأول الكتاب :

مولاي إن أبا بكر وصاحبه عثمان قد أخذا بالسيف حق علي
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأول

فكتب الامام الناصر جوابه :

وافى كتابك يا ابن يوسف معلناً بالصدق يخبر أن أصلك طاهر
فاصبر فان غداً عليه حسابهم وابشر فناصرك الامام الناصر

قلت : وفيها توفي الشيخ أبو محمد عبد الرحيم المغربي بقنا من صعيد مصر ، وله كرامات خارقة وأنفاس صادقة ، أطنب صاحب بهجة الأسرار في الثناء عليه نفعنا الله به . والله أعلم .

سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة :

وفيها توفي ملكشاه بن تكش بنيسابور جعل أبوه له الحكم في تلك البلاد، وولاه عهده ، وخلف ملكشاه إبناً إسمه هندوخان فجعل تكش فيها عوضه ابنه الآخر قطب الدين محمد وهو الذي ملك بعد أبيه ، وغير لقبه إلى علاء الدين ، وكان بين ملك شاه ومحمد عداوة مستحكمة .

وفيها توفي سيف الأسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب صاحب اليمن فحضر ابنه الملك المعز اسماعيل من السرين فملك بلاده . وكان سيف الاسلام يضيق على التجار بالبيع والشراء حتى جمع ما لا يحصى .

سنة أربع وتسعين وخمسمائة :

وفيها توفي زنكي بن مودود بن زنكي بن أقسنقر صاحب سنجار والرقة والخابور ، كان يحب التواضع والعدل والعلم ، وعنده شح ، وملك بعده ابنه قطب الدين محمد ودبره مجاهد الدين برتقش مملوك أبيه .

وفيها استولى نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل على نصيبين من ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكي فاستنجد محمد بالعادل،

Marfat.com

فسار العادل إلى الجزيرة ، فعاد ارسلان شاه عن نصيبين إلى الموصل فتسلم قطب الدين محمد نصيبين .

وفيها حاصر خوارزم شاه تكش بخارا وملكها من الخطا . وكان أعور فأخذ أهل بخارا كلباً أعور في مدة الحصار وألبسوه قباء وقالوا للخوارزمية هذا سلطانكم ورموه بالمنجنيق اليهم فلم يؤاخذوهم بذلك .

وفيها استولى الفرنج على قلعة بيروت فنزل العادل تل العجول وأتته نجدة مصر وسنقر الكبير صاحب القدس وميمون القصري صاحب نابلس ، فملك العادل يافا بالسيف ، وقتل المقاتلة ، وهذا ثالث فتح لها . ونازلت الفرنج تبنين فأرسل العادل إلى العزيز صاحب مصر فجاء بنفسه وبباقي عسكره ، واجتمع بالعادل على تبنين فرجعت الفرنج إلى صور خائبين .

ثم عاد العادل إلى مصر وترك غالب العسكر مع عمه ، وجعل اليه الحرب والصلح ، ومدّه في هذه المدة سنقر الكبير فجعل العزيز أمر القدس إلى صارم الدين قتلغ مملوك فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب .

وفي عود العادل إلى مصر ،يقول القاضي ابن سنا الملك قصيدته التي منها:

قدمت بالنصر وبالمغـــنم كذا قدوم الملك المقـــدم
قميصك الموروث عن يوسف ما جاء إلا صادقاً في الدم
أغثت تبنين وخلصتهـا فريسة من ما ضغى ضيغم
شنشنة تعرف من يوسف في النصر لا تعرف من أخزم
مقدمه صار جمادى بـه كمثل ذي الحجة ذا موسم

ثم طاول العادل الفرنج فطلبوا الهدنة ثلاث سنين . وعاد العادل إلى دمشق ثم إلى ماردين وحصرها وصاحبها بولق ارسلان من بني ارتق ، والحكم كله إلى مملوك أبيه البقش .

وفيها توفي بدر الدين هزار ديناري فاستولى على خلاط بعده خشداشه

Marfat.com

قتلغ أرمني الأصل من سناشة ، ثم قتل بعد سبعة أيام ، وأحضر محمد بن بكتمر من القلعة التي اعتقل بها وهي ازراش ... ولقب الملك المنصور وملك خلاط وقام بتدبيره شجاع الدين قتلغ الدواتدار القفجاقي ، واستمر محمد بن بكتمر إلى سنة اثنتين وستمائة فقبض على اتابكه قتلغ وقتله ، فاتفق عز الدين بلبان مملوك شاهرمن مع العسكر وخنقوا محمد بن بكتمر ورموه من القلعة وقالوا : وقع . واستمر بلبان في ملك خلاط ، وقتله قبل سنة بعض أصحاب طغر بك بن قلج ارسلان صاحب أرزن ، وقصد طغر بك تسلم خلاط فلم يجبه أهلها وعصوا فعاد إلى أرزن . ثم وصل الملك الأوحد أيوب ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وملك خلاط نحو ثمان سنين .

سنة خمس وتسعين وخمسمائة :

وفاة الملك العزيز

وفيها ليلة السابع والعشرين من المحرم توفي الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن الناصر ، تقطر في الصيد خلف ذئب وحم فعاد إلى القاهرة ومات باليرقان والقرحة ، ومدة ملكه ست سنين إلا شهراً وعمره سبع وعشرون وكسر .

وكان سمحاً محسناً ، وأقام فخر الدين جهاركس في الملك المنصور محمد بن العزيز ، وأشار القاضي الفاضل بتمليك الافضل وهو بصرخد فاستدعوه وخرج المنصور بن العزيز لتلقيه ، فترجل له الافضل عمه ، ولما وصل الأفضل الى بلبيس تلقاه العسكر فتنكر منه فخر الدين جهاركس ، وسار في عدة من العسكر إلى الشام وكاتبوا العادل وهو محاصر ماردين ، وأرسل الظاهر إلى أخيه الافضل يشير عليه بأخذ دمشق من عمه العادل لاشتغاله بماردين فقصد دمشق . وبلغ العادل ذلك فترك على حصار ماردين ابنه الكامل وسبق الافضل ودخل دمشق قبل الافضل بيومين ، ونزل عليها الافضل ثالث

عشر شعبان منها ، وزحف من الغد وهجمها بعض عسكره فوصل باب البريد ولم يمدهم العسكر فأخرجوا ، ثم تجادل العسكر فتأخر الافضل إلى ذيل عقبة الكسوة ثم وصل اليه اخوه الظاهر فعاد وحاصرهـا ، وقل القوت بدمشق وأشرف على ملك دمشق وعزم العادل على تسليمهـا لولا اختلاف الافضل والظاهر ، وخرجت السنة وهم كذلك ، ثم كان ما سيذكر .

وفيها حاصر المنصور صاحب حماه بارين وبها نواب عزالدين ابراهيم بن شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم . وكان ابن المقدم محصوراً مع العادل بدمشق ، ونصب المنصور عليهـا المجانيق ، وجرح في الزحف ، وفتحها في التاسع والعشرين من ذي القعدة وأصلحها وعاد .

وفيها توفي أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغـرب والاندلس في سلا ، وولايته خمس عشرة سنة . تظـاهر بالظـاهرية ، وتلقب بالمنصور ، وعاش ثمانيـــاً وأربعين سنة . وأقام بعده ابنه محمد ، وتلقب بالناصر ، ومولد محمد سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وعبد المؤمن وبنوه تسموا بأمير المؤمنين .

وفيها رحل عسكر العادل مع ابنه الكامل عن حصار ماردين . **وفيها** كانت فتنة عظيمة في عسكر غياث الدين ملك الغورية وهو بفيروزكوه [1] سببها أن فخر الدين الرازي كان قدم إلى غياث الدين فبالغ في اكرامه ، وبنى له مدرسة بهراة ، فعظم ذلك على الكراميـــة وهم كثيرون بهراة وهم مجسمون مشبهون .

وكان الغورية كرامية فكرهوا فخر الدين لمناقضته مذهبهم وحضرت الكرامية من الحنفية والشافعية بفيروزكوه عند غياث الدين للمناظرة وحضر الرازي والقاضي عبد المجيد بن عمر بن القدوة وهو من الكرامية الهيصمية ، ومحله عظيم لعلمه وزهده .

---

١ – فيروزكوه : قال في تقويم البلدان هي قلعة حصينة دار مملكة جبال الغور .

Marfat.com

وتكلم الرازي فاعترض عليه ابن القدوة ، وطال الكلام فقام غياث الدين،فاستطال الرازي على ابن القدوة وشتمه وابن القدوة يقول لا يفعل مولانا لا واخذك الله، فصعب على الملك ضياء الدين ابن عم غياث الدين وصهره وشكى من الرازي إلى غياث الدين وذمه ونسبه إلى التفلسف والزندقة فلم يصغ غياث الدين إليه ، فلما كان الغد وعظ الناس ابن عم ابن القدوة بالجامع وقال بعد حمد الله والصلاة على نبيه محمد ﷺ : ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول، أيها الناس : انا لا نقول إلا ما صح عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما علم ارسطو ، وكفريات ابن سينا ، وفلسفة الفارابي ، فلا نعلمها ، فلأي حال يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام يذب عن دين الله وسنة نبيه محمد ﷺ . وبكى وبكى الكرامية ، فثار الناس وامتلأ البلد فتنة فسكنوا ووعدوا بإخراج الرازي فأعاد السلطان الرازي إلى هراة .

وفيها في ربيع الاول توفي مجاهد الدين قيماز بالموصل ، وكان إليه الأمر في دولة أرسلان صاحب الموصل ، وكان عاقلا أديباً حنفياً فاضلاً ، بنى جوامع وربطاً ومدارس .

وفيها صار غياث الدين ملك الغورية شافعياً وكان كراميا .

وفيها توفي محمد بن عبد الملك بن زهر الاشبيلي طبيب أديب جده زُهر ، وزير فيلسوف ، وتوفي زُهر بقرطبة سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، وقيل في ابن زهر :

قل للوبا أنت وابن زُهر قد جزتما الحد في النكايه
ترفقا بالورى قليلاً في واحد منكما كفايه

سنة ست وتسعين وخمسمائة :

والأفضل والظاهر ما زالا محاصرين لدمشق . واتفق وقوع الخلف بينهما بسبب مملوك للظاهر اسمه ايبك يحبه ففقد،فأرسل العادل يقول للظاهر: إن محمود

Marfat.com

ابن السكري أفسد مملوكك وحمله إلى اخيك الأفضل . فظهر المملوك عند ابن السكري فتغير على اخيه الأفضل وترك القتال وظهر فشل العسكر فتأخر الأفضل والظاهر عن دمشق إلى مرج الصفر ، ثم سار الأفضل إلى مصر والظاهر إلى حلب ، فتبع العادل من دمشق أثر الأفضل إلى مصر فخرج الأفضل اليه وقد تفرق اكثر عسكره في البلاد للربيع واقتتلا فانهزم الأفضل إلى القاهرة ، ونازله ثمانية ايام فسلمها الأفضل على أن يعوض عنها ميافارقين وحاني وسميساط فأجابه ولم يف له بذلك. ودخل العادل القاهرة في الحادي والعشرين من ربيع الآخر منها .

ثم سافر الأفضل إلى صرخد ، وأقام العادل بمصر على انه اتابك الملك المنصور محمد بن العزيز مديـــدة ، ثم استقل بالسلطنة فأرسل اليه المنصور صاحب حماه يعتذر عما وقع منه بسبب أخذ بارين من ابن المقدم ونزل لابن المقدم عن منبج ، وقلعة نجم عوضاً عن بارين .

وكاتب الظاهر عمه العادل وصالحه ، وخطب له بحلب وضرب السكة باسمه والتزم الظاهر بخمسمائة فارس في خدمة العادل كلما خرج إلى البيكار .

وفيها قصر النيل فلم يبلغ اربعة عشر ذراعاً . **وفيها** توفي القاضي الفاضل عبد الرحيم في سابع عشر ربيع الآخر وقيل : أن مولده سنة ست وعشرين وخمسمائة .

قلت : وهو مجير الدين عبد الرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي بن القاضي السعيد ابي محمد الحسن العسقلاني المولد ذو العلم والبيان واللسن واللسان والقريحة الوقادة والبصيرة النفادة والبديهة المعجزة والبديعة المطرزة ، كان وزير صلاح الدين وتمسكن عنده ، وله من رسالة في قلعة : هـذه القلعة عقاب في عقاب ونجم في سحاب وهامة لها الغمامة عمامة ، وأنملة إذا خضبها الأصيل كان الهلال لها قلامه .

وله رسالة لطيفة يشفع لخطيب عيذاب في توليته خطابة الكرك وهي :

Marfat.com

أدام الله سلطان الملك الناصر ، وثبتـــه وتقبل عمله بقبول صالح وأثبته ، وأخذ عدوه قائلاً أو بيته ، وأرغم أنفه بسيفه وكبته ، خدمة المملوك هذه واردة على يد خطيب عيذاب ولما نبا به المنزل عنها وقل عليه المرفق فيها ومنها وسمع بهذه الفتوحات التي طبق الأرض ذكرها ، ووجب على أهلها شكرها ، هاجر من هجير عيذاب وملحها ساريا في ليلة أمل كلها نهار فلا يسأل عن صبحها .

وقد رغب في خطابة الكرك وهو خطيب ، وتوسل بالمملوك في هـذا الملتمس وهو قريب ، ونزع من مصر إلى الشام ، ومن عيذاب إلى الكرك وهذا عجيب ، والفقر سائق عنيف والمذكور عائل ضعيف ولطف الله بالخلق موجود ومولانا لطيف . ومن شعره عند الفرات مع صلاح الدين :

بالله قل للنيل عني انني	لم أرض عنه بالفرات بديلا
وسل الفؤاد فانه لي شاهد	إن كان جفني بالدموع بخيلا
يا قلب كم خلفت ثم بثينة	فأعيذ صبرك ان يكون جميلا

والله أعلم .

وفيها في رمضان توفي خوارزم شـــاه تكش بن ارسلان بن اطسز ابن محمد بن انوش تكين صاحب خوارزم وبعض خراسان والري وغيرها من البلاد الجبلية بشهرستان ، وولي بعده ابنه محمد ، وتلقب بعلاء الدين بعد قطب الدين .

وكان تكش عادلاً فقيهاً حنفياً أصولياً ، وبلغ غياث الدين الغوري موته ، فترك ضرب النوبة ثلاث أيام وجلس للعزاء مع ما كان بينهما من العداوة بخلاف ما فعـــل بكتمر من الشماتة بصلاح الدين ، وهرب ابن أخي محمد هندوخان بن ملك شاه إلى غياث الدين ملك الغورية يستنصره على عمـه ، فأكرمه ووعده النصر .

Marfat.com

سنة سبع وتسعين وخمسمائة :

وفيها كان العادل بمصر وابنه الكامل نائبه بها . وقد جد الملك الظاهر في تحصين حلب خوفاً من عمه العادل . وبدمشق المعظم عيسى بن العادل نائب أبيه بها وبالشرف الفائز ابراهيم بن العادل . وبميافارقين الأوحد نجم الدين بن أيوب بن العادل .

وفيها توفي عز الدين ابراهيم بن المقدم ، وصارت منبج وقلعة نجم وفامية وكفر طاب بعده لأخيه شمس الدين عبد الملك فحصر الظاهر منبج وملكها وأنزل عبد الملك من قلعتها بالأمان واعتقله ، ثم حصر قلعة نجم وملكها في آخر رجب منها ، وأرسل إلى المنصور بحماه يبذل له منبج وقلعة نجم ، على أن يصير معه على العادل فاعتذر بحلفه للعادل ، فسار الظاهر إلى المعرة واقطع بلادها ، واستولى على كفر طاب وفامية وكانت لابن المقدم وأحضر عبد الملك بن المقدم وضربه قدام نائبه قراقوش بافامية ليسلمها . فضرب قراقوش النقارات بالقلعة لئلا يسمع أهل البلد صراخه ، وخاب الظاهر فرحل عنها إلى حماه وحاصرها وجرح ثم صالح المنصور على ثلاثين ألف دينار صورية ، وسار فنازل دمشق وبها المعظم بن العادل ومع الظاهر أخوه الأفضل وميمون القصري صاحب نابلس وغيره ، فخرج العادل بعساكر مصر وأقام بنابلس ولم يجسر على قتالهما وتعلق النقابون بسور دمشق فاختلف الظاهر والأفضل على من يملك دمشق منهما ، وتخلى الأفضل عن القتال فتخلت الأمراء لتخليه ، فرحل الظاهر عن دمشق في أول محرم سنة ثمان وتسعين ، وسار الأفضل إلى حمص .

وفيها—أي سنة سبع وتسعين—توفي عماد الدين الكاتب محمد بن عبدالله بن حامد الأصفهاني فاضل في الفقه والأدب والتاريخ والنظم والنثر ، كتب لنور الدين وصلاح الدين ، وله البرق الشامي وخريدة القصر وغيرهما ، ومولده سنه تسع عشرة وخمسمائة ، فعمره نيف وسبعون سنة [1] .

---

١ — كان بينه وبين القاضي الفاضل محاورات، لقيه يوماً راكباً فقال له : سر فلا كبا =

Marfat.com

وفيها استولى غياث الدين ملك الغورية على ما كان لخوارزم شاه بخراسان. ولما ملك غياث الدين مرو ، سلمها إلى هندوخان بن ملك شاه بن خوارزم شاه تكش الذي هرب من عمه اليه . ولما استقرت سرخس وطوس ونيسابور وغيرها لغياث الدين عاد إلى بلاده ، وكان معه أخوه شهاب الدين فعاد إلى الهند ففتح وغنم وفتح نهر والة العظيمة .

وفيها في رمضان ملك ركن الدين سليمان بن قلـــج ارسلان ملطية وكانت لأخيـــه معز الدين قيصر شاه ، ثم سار ركن الدين إلى ارزن الروم وكانت لمحمد بن صلتق وهو من بيت قديم ملكوا ارزن الروم من مدة طويلة فطلع صاحبها ليصالحه فقبض عليه وأخذ البلد منه وكان محمـــد هذا آخر ملوك بيته .

وفيها توفي سقمان بن محمـــد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن ارتق صاحب آمد وحصن كيفا ؛ سقط من سطح فمات بها ، فاستولى مملوكه وولي عهده أياس على بلاده ، فكاتب الأكابر أخاه محموداً وكان قد أبعده الى حصن منصور بغضاً فيه فحضر وملك بلاد أخيه سقمان . وفيها كان نقص النيـــل فغلت مصر شديداً كثيراً . وفيها هدمت الزلزلة بالجزيرة والسواحل والشام مدناً كثيرة . وفيها في رمضان توفي أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن الجوزي

= بك الفرس. فقال الفاضل« دام علا العماد »وهذا يقرأ طرداً وعكساً. واجتمعا يوماً في موكب السلطان وقد سد الغبار الفضاء فأنشد العماد :

أما الغبار فانه مما اثارته السنابك
والجـــو منه مظلم لكن أثارتـه السنا بك
يا دهر لي عبد الرحيم فلست أخشى مس نابك

وتوفي بدمشق . وكان إذا دخل عليه عائد ينشد :

أنا ضيف بربعكم أين اين المضيـــف
انكرتني وجوهـــكم مات مني كنت أعرف

والله أعلم . (المؤلف)

Marfat.com

الحنبلي الواعظ ، وتصانيفه مشهورة ومولده سنة عشر وخمسمائة .

قلت :ابن الجوزي عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حماد بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبدالله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق . الفقيه الواعظ الملقب جمال الدين ، علامة وقته في الحديث والوعظ ، له زاد المسير في علم التفسير ، وله في الحديث تصانيف ، وله المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، وله الموضوعات ،وغيرها . وقيل أنه جمعت الكرازيس التي كتبها وحسبت مدة عمره فقسمت الكراريس على المدة فكان ما خص كل يوم تسعة كراريس ، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل ، وجمعت براية أقلامه التي كتب بها الحديث فكانت شيئاً كثيراً ، وأوصى أن يسخن به ماء غسله فكفى وفضل .

ومن شعره :

عذيري من فتية بالعراق قلوبهم بالجفا قلب
يرون العجيب كلام الغريب وقول القريب فلا يعجب
ميازيبهم إن تندّت بخير الى غير جيرانهم تقلب
وعذرهم عند توبيخهم مغنية الحي لا تطرب

سأله السنية والشيعة من أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ ؟ أبو بكر أو علي رضي الله عنهما ؟ فقال أفضلهما من كانت ابنته تحته ، فأرضى الطائفتين . وينتسب الى مشرعة الجوز من محال بغداد . والله أعلم .

سنة ثمان وتسعين وخمسمائة :

وفيها خرب الظاهر قلعة منبج خوفاً من انتزاعها منه [1] ، وأقطعها عماد

---

١ – وكان ذلك بواسطة وزيره بمنبج البرهان بن ابي شيبة ، وعمل موضع القلعة مارستاناً وحمامين متلاصقين وخان سبيل فقال أهل منبج عنه : هتك الحريم وصان الحمير !

Marfat.com

الدين أحمد بن علي بن أحمد بن المشطوب .

وفيها وصل العادل حماه من دمشق فقام المنصور بكلفه كلها، وبلغ الظاهر بحلب أن قصده محاصرته فلاطفه وأهدى اليه ، فوقع الصلح وانتزعت مفردة المعرة منـــه وهي عشرون ضيعة معينة من بلد المعرة ، واستقرت للمنصور وأخذت منه أيضاً قلعة نجيم وسلمت إلى الأفضل،وكان له سروج وسميساط وسلم العادل حران وما معها لولده الأشرف موسى وسيره إلى الشرق ، وكان بميافارقين الأوحد بن العادل، وبقلعة جعبر الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه ابن العـــادل ، ثم عاد العادل وأقام بدمشق ، وقد انتظم له ملك الشام والشرق ومصر خطبة ، وسكة ، وحكماً . وفيها إسترجـع خوارزم شاه محمد بن تكش البلاد التي أخذها الغورية من خراسان. وفيها توفي هبة الله بن علي ابن مسعود المُنَستيري. ومنستير بليدة بافريقية ،ولم يكن في عصره في درجته في علو الاسناد، ثم ابراهيم الأسدي وقصد من الآفاق لعلو إسناده؛ قدم جده من منستر إلى بوصير فعرف هبة الله بالبوصيري ، ومولده سنة ست وخمسمائة .

سنة تسع وتسعين وخمسمائة :

دخلت والعادل بدمشق . وفيها في المحرم توفي ملك الدين سلطـان أخو العادل لأمه وتنسب اليه المدرسة الفلكية بدمشق .

الحوادث باليمن

كان قد تملك اليمن المعز اسماعيل سيف الاسلام بن طغتكين بن ايوب ، وكان مخبطاً فادعى انه قرشي أموي ولبس الخضرة وخطب لنفسه بالخلافة فقاتلته جماعة من مماليك أبيه فانتصر ، ثم قتلوه وأقاموا أخاه الناصر صغيراً وقام بأتابكيته سيف الدين سنقر مملوك أبيه .

ثم مات سنقر بعد اربع سنين وتزوج الأمير غازي بن جبريل أم الناصر وقام بأتابكيته ، ثم سم الناصر في فقاع وتملك اليمن ، ثم قتله جماعة من

Marfat.com

العرب لقتله الناصر وخلت اليمن عن سلطان فتغلبت ام الناصر على زبيـــد وجمعت الأموال إنتظاراً لوصول بعض بني أيوب لتتزوج به وتملكه البلاد .

وكان للمظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب ولد إسمه سعد الدين شاهنشاه ، وكان له ولد إسمه تمتكين فخرج سليمان بن شاهنشاه بن عمر فقيراً. وأرسلت أم الناصر بعض غلمانها إلى مكة في موسم الحاج ليأتيها بأخبار مصر والشام فوجد سليمان فأحضره إلى اليمن فخلعت عليه وملكته اليمن، فملأ اليمن جوراً وأطرحها ولم يرعها ، وكتب إلى السلطان العادل عم جده كتاباً أوله : (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) فاستقل عقله ، ثم كان منه ما سيذكر .

وفيها حاصر الملك الأشرف صاحب ماردين بأمر ابيه العادل ثم صالح الظاهر بينهما على أن يحمل صاحب ماردين مائة الف وخمسين الف دينار وعلى السكة والخطبة له ويجيبه متى طلبه .

وفيها سار المنصور محمد بن العزيز من مصر بوالديه وأهله فأقام بحلب عند عمه الظاهر أخرجه العادل من مصر . وفيها رابط المنصور ببارين الفرنج وأنجده صاحب بعلبك وصاحب حمص ، واتفقوا في ثالث رمضان فانهزم الفرنج فقتل فيهم وأسر ، وفيه يقول بهاء الدين اسعد بن يحيى السنجاري :

ما لذة العيش إلا صوت معمعة ... ينال فيها المنى بالبيض والاسل
يا أيها الملك المنصور نصح فتى ... لم يلوه عن وفاء كثرة العذل
اعزم فلا تترك الدنيا بلا ملك ... وجدّ فالملك محتاج إلى رجل

ثم اجتمع الفرنج من حصن الاكراد والمرقب والسواحل والتقوا مع الملك المنصور ببارين ايضاً ثانياً فانهزمت الفرنج هزيمة شنيعة وأثر فيهم وقتل ، وفيه يقول سالم بن سعادة الحمصي :

أمر اللواحظ ان تفوّق اسهماً ... ريم برامة مـــا رنا حتى رما

Marfat.com

فتانة بالسحر بل قتـــالة ما جار قاضيهن حتى حكما
أصبحت فيها مغرماً بمحمد لما غـدا بالأريحية مغرما

ومنها :

وشننت منتقماً بساحل بحرها جيشاً حكى البحر الخضم عرمرما
أسدلت في الآفاق من هبواته ليـــلا وأطلعت الأسنة أنجما

وفيها ولد الملك المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد صاحب حماه من ملكة خاتون بنت الملك العادل ابي بكر بن ايوب وسمي عمر ثم سمي محموداً ، ولد بقلعة حماه ظهر الثلاثاء رابع عشر رمصان [1] .

وفيها انتزع العادل من الأفضل رأس عين وسروج وقلعة نجم وترك له سميساط فقط ، فتوجهت أم الأفضل ومن حماه توجه معها القاضي زين الدين ابن هندي لتشفع في الأفضل عند العادل فعادت خائبة . قال في الكامل : عوقب البيت الصلاحي بما فعله صلاح الدين لما خرجت اليه نساء بيت الأتابك وفيهن بنت نور الدين يشفعن في إبقاء الموصل على عز الدين مسعود فخيبهن ثم ندم ، فجرى للأفضل بن صلاح الدين مع عمه مثله ، وهذه بتلك . فأقام الأفضل بسميساط ، وقطع خطبة عمه العادل ، وخطب للسلطان سليمان بن قلج ارسلان السلجوقي صاحب الروم .

وفيها في جمـادى الأولى توفي غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام بن ابن الحسين الغوري صاحب غزنة وغيرها . وكان أخوه شهاب الدين بطوس عازماً على قصد خوارزم ، ولم يحسن شهاب الدين الخلافة على محمود بن أخيه الذي تلقب غياث الدين بلقب أبيه ولا على غيره من أهله وقبض على زوجة أخيه غياث الدين ، وكانت مغنية وضربها وصادرها . ولم تنهزم لغياث الدين

---

(١) وفيها ماجت النجوم ببغداد ، وتطايرت شبه الجراد ، ودام ذلك الى الفجر ، وضج الخلق بالابتهال الى الله تعالى . ذكره الذهبي . -- (المؤلف)

راية قط مع الدهاء وحسن العقيدة والخط ، ونسخ مصاحف بخطه لمدارسه وصار شافعياً .

وفيها استولى الكرج على دوين من أذربيجان نهباً وقتلاً فوبخت الأمراء أبا بكر بن البهلوان صاحب أذربيجان على تشاغله عنها بالشرب فلم يلتفت . وفيها توفيت زمرد أم الامام الناصر وكانت كثيرة المعروف .

قلت : وفيها توفي الشيخ أبو عبد الله محمد القرشي في السادس من ذي الحجة ودفن بجبانة ماملا ظاهر بيت المقدس ومولده قريب من سنة أربع وأربعين وخمسمائة بالأندلس ، وله كرامات خارقة وأنفاس صادقة .

ومن كلامه :من لم يراع حقوق الاخوان بترك حقوقه حرم بركة الصحبة .

(ومنه): من لم يكن له مقـــام في التوكل كان ناقصاً في توحيده .

(ومنه) : من ملك الأشياء ولم تملكه تصرف فيها بالخلافة واسترقها بالحرية .

(ومنه) : من علامة الولي إذا طال عمره كثر عمله ، وإذا كثر فقره زاد سخاؤه ، وإذا زاد علمه كثر تواضعه . (ومنه) : الفقر سر لا يعلمه إلا الأنبياء وبعض الصدّيقين . (ومنه) : من صدق بهذا الأمر فهو ولي ، ومن أدرك منه مقاماً أو نال منه حالاً فهو بدل .

عبر يوماً على عرصة العنب فاتصل به أنين بعض الأحمال فوقف وزايد في الحمل ودفع فيه إنسان أكثر من قيمته ، وكان يعصر الخمر فاشتراه الشيخ ودفع ثوبه في قيمته فسكن أنينه .ومناقبه مجموعة مشهورة . والله أعلم .

سنة ستمائة :

والعادل بدمشق . **وفيها** هادن صاحب حماه الفرنج . وفيها : نازل ابن الأون ملك الأرمن انطاكيه فتحرك الظاهر بحلب إلى حارم فرحل اللعين على عقبه . **وفيها** خطب قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود صاحب سنجار للعادل ببلاده فصعب على ابن عمه ارسلان شاه بن مسعود صاحب

Marfat.com

الموصل فاستولى على نصيبين وهي لقطب الدين ، فاستنجد بالأشرف بن العادل فسار اليه واجتمع معه أخوه الملك الأوحـــد صاحب ميافارقين ، والتقوا ببوشره ، فانهزم صاحب الموصل ودخل الموصل بأربعة أنفس فقط ، وهذه الوقعة أول سعادة الأشرف بن العادل فلم تنهزم راية له بعدها ، واستقرت بلاد قطب الدين عليه واصطلحوا أول سنة إحدى وستمائة . وفيها قصد الفرنج بيت المقدس فأقام العادل قبالتهم بالطور إلى آخر السنة .

وفيها استولت الفرنج على قسطنطينية وكانت بيد الروم من قـــديم ثم استعادتها الروم من الفرنج سنة ستين وستمائة . وفيها توفي السلطان ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان بن مسعود السلجوقي سلطان الروم وغدر بأخيه صاحب انكورية وهي انقرة قبل مرضه بخمسة أيام ،وكان يحسن الى الفلاسفة ويقدمهم ، وملك بعده ابنه قلج أرسلان صغيراً فلم يستثبت أمره فكان ما سيذكر .

وفيها كسر ملك الغورية شهاب الدين خوارزم شاه بن تكش فأنجدتـه الخطا فهزم شهاب الدين ، وشاع قتل شهاب الدين فاختلفت مملكته ثم ظهر ووصل غزنة ، فاستقرت الاحوال . وفيها قتل ككجا مملوك البهلوان ملك الري وهمدان والجبل ، قتله خوشداشه ايدغمش مملوك البهلوان وتملك موضعه وأقام ايدغمش ابن استاذه ازبك بن البهلوان في الملك صورة والحكم لأيدغمش . وفيها استولى رجل إسمه محمود بن محمد الحميري على ظفار ومرباط وغيرهما من حضرموت. وفيها استولى اسطول الفرنج على فوّة من ديار مصر فنهبوها خمسة أيام . وفيها زلزلت مصر والشام والجزيرة والروم وصقلية وقبرس والعراق وخربت صور .

سنة احدى وستمائة :

وفيها هادن العادل الفرنج وسلم اليهم يافا ، ونزل عن مناصفـــات لد والرملة ، وأعطى العساكر دستوراً وسار الى مصر وأقام بدار الوزارة . وفيها أغارت الفرنج ووصلوا إلى الرقيطا قرب حماة فامتلأوا كسباً وأسروا

شهاب الدين بن البلاغي ، وكان فقيهاً شجاعاً، تولى بر حماة مرة وسلمية أخرى فهرب من طرابلس وتعلق بجبال بعلبك ووصل الى حماة ثم وقعت الهدنة بين المنصور صاحب حماه وبين الفرنج . وفيها بعد الهدنة توجه المنصور الى مصر مستشعراً من العادل فأكرمه شهوراً وخلع عليه وعاد .

وفيها ملك السلطان غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان بلاد الروم ، وكان لما تغلب أخوه ركن الدين سليمان على البلاد هرب كيخسرو إلى الظاهر بحلب ، ثم سار إلى قسطنطينية فأكرمه صاحبها وأقام بها إلى أن مات سليمان ،وتولى إبنه أرسلان فجاءه كيخسرو وأزال ابن أخيه وملك واستقر . وفيها كانت الحرب بين الأمير قتادة الحسيني أمير مكة حرسها الله تعالى وبين الأمير سالم بن قاسم أمير المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام سجالاً .

سنة اثنتين وستمائة [1] :

ذكر قتل شهاب الدين ملك الغورية

في أول شعبان قتل شهاب الدين أبو المظفر محمد بن سام بن الحسين الغوري ملك غزنة وبعض خراسان بعد عوده من لهاوور بمنزل يقال له دميك قبل العشاء وثب عليه في خركاهه [2] جماعة وقد تفرق الناس لأماكنهم فقتلوه بالسكاكين ، قيل إسماعيلية وقيل من الكوكر من الجبال كان قد فتك فيهم ثم قتل الحرس اولئك .وكان غازياً عادلاً ،ثم سار صاحب باميان بهاء الدين سام بن شمس الدين محمد بن مسعود عم غياث الدين و شهاب الدين ليتملك غزنة فمات بهاء الدين في الطريق فعهد الى ابنه علاء الدين محمد فدخلها ومعه أخوه جلال الدين وتملكها، فسار تاج الدين يلدز مقطع كرمان مملوك غياث الدين وهزم عن غزنة علاء الدين محمداً وأخاه جلال الدين واستولى يلدز عليها ، فسار علاء

---

١ – دخلت سنة ٦٠٢ ، والعادل ما زال حاكماً على مصر .

٢ – خركاه وزان : تذكار فارسي وهوخيمة عظيمة للسلاطين والوزراء وهو بالتركي اوتاغ .

Marfat.com

الدين وجلال الدين إبنا بهاء الدين سام الى باميان وجمعا وعادا الى غزنة وانتصرا وهزما يلدز إلى كرمان، واستقر علاء الدين محمد بن سام ومعه بعض العسكر في ملك غزنة ، وعاد أخوه جلال الدين بباقي العسكر إلى باميان ، ثم أن يلدز بلغه ذلك فجمع من كرمان وغيرها وسار إلى غزنة ، فاستنجد علاء الدين أخاه جلال الدين وحصر يلدز غزنة وبها علاء الدين ، وسار جلال الدين فلما قارب غزنة لقيه يلدز واقتتلا فانهزم عسكر جلال الدين وأخذ أسيراً فأكرمه يلدز واحترمه ، وعاد فحصر علاء الدين بغزنة وعنده بغزنة هندو خان بن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش فاستنزلهما يلدز بالأمان وتسلم غزنة .

وأما غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ملك الغورية فانه لما قتل عمه شهاب الدين كان في بست فسار وتملك فيروز كوه وجلس في دست أبيه وتلقب بألقابه فأحسن وعدل . ولما استقر يلدز بغزنة وأسر جلال الدين وعلاء الدين كتب إلى غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد بن سام بن الحسين بالفتح وأرسل اليه الأعلام وبعض الأسرى .

وفيها توفي مجير الدين طاشتكين أمير الحاج وكان قد ولاه الخليفة خوزستان وكان خيراً صالحاً وكان يتشيع تشيعاً حسناً . وفيها تزوج أبو بكر ابن البهلوان بنت ملك الكرج لاشتغاله باللهو عن التدبير فكف الكرج عنه لذلك .

سنة ثلاث وستمائة :

وفيها نازل العادل في طريقه إلى الشأم عكا فصالحه أهلها على إطلاق الأسرى ، ثم وصل دمشق ثم سار ونزل بظاهر حمص على بحيرة قدس ، وجاءت العساكر من الجهات ، ولما خرج رمضان سار ونازل حصن الاكراد وفتح برج أعناز وأخذ منه سلاحاً ومالاً وخمسمائة رجل، ثم نصب على طرابلس

Marfat.com

المجانيق ، وعاث العسكر في بلادها وقطع قناتها ، وعاد في آخر ذي الحجة إلى بحيرة قدس .

وفيها أرسل غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ملك الغورية يستميل يلدز مملوك أبيه المستولي على غزنة فلم يجبه يلدز، وطلب يلدز من غياث الدين أن يعتقه فأحضر الشهود وأعتقه وأرسل مع عتاقته هدية عظيمة ، وكذلك أعتق ايبك المستولي على الهند وأهدى له فقبل كل منهما ذلك ، وخطب له ايبك ببلاده من الهند دون يلدز ، وخرج بعض العساكر عن طاعة يلدز لعدم طاعته لغياث الدين .

وفيها في ثالث شعبان ملك غياث الدين كيخسرو صاحب الروم انطالية مدينة للروم على ساحل البحر . وفيها قبض عسكر خلاط على صاحبها ابن بكتمر لكونه قبض على أتابكه قتلغ ، وملكوا بلبان مملوك شاهرمن بن سقمان صاحب خلاط كما مر سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

سنة أربع وستمائة :

وفيها [1] ملك الأوحد أيوب بن العادل خلاط من بلبان كما مر سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، فسار الأوحد من ميافارقين وملك موش ، ثم قاتله بلبان فانهزم بلبان واستنجد بمغيث الدين طغر بك شاه بن قلج ارسلان السلجوقي صاحب أرزن الروم فهزما الأوحد، ثم غدر طغر بك شاه ببلبان فقتله ليملك بلاده فلم يسلموا اليه خلاط ولا مناز كرد فرجع إلى بلاده. وكاتب أهل خلاط الأوحد فسار إليهم وملكها وبلادها بعد يأسه منها ، واستقر فيها .

---

١ – عندما دخلت سنة ٦٠٤ ، كان العادل على بحيرة قدس ، ثم هادن صاحب طرابلس ونزل إلى دمشق .

Marfat.com

الخليفة يلقب العادل بملك الملوك

ولما استقر العادل بدمشق وصل اليها التشريف من الامام الناصر صحبة الشيخ شهاب بن السهروردي فبالغ الملك العادل في اكرام الشيخ وتلقاه إلى القصير ، ووصل من صاحبي حمـاه وحلب ذهب لينثر على العادل إذا لبس الخلعة فكان يوماً مشهوداً . والخلعة جبة أطلس أسود بطراز مذهب وعمامة سوداء بطراز مذهب وطوق ذهب مجوهر يطوّق به ، وسيف قرابه ملبس ذهباً يتقلد به ،وحصان أشهب بركاب ذهب ،ونشر على رأسه علم أسود مكتوب فيه بالبياض إسم الخليفة ، ثم خلع رسول الخليفـــة على كل واحد من الملك الأشرف والمعظم ابني العادل وعلى الوزير صفي الدين بن شكر ، وقرىء تقليده بالبلاد التي حكمت تحت حكمه ، وخوطب الملك العادل فيه شاهنشاه ملك الملوك خليل أمير المؤمنين ، ثم توجه الشيخ شهاب بالبر إلى مصر ، ففعل نظير ما فعل بدمشق من الاحتفال ، ثم عاد الشيخ إلى بغداد مكرماً معظماً.

وفيها اهتم العادل بعمارة قلعـــة دمشق ، وألزم كلاً من أهل بيته ببرج منها . وفيها كاتبت ملوك مـــا وراء النهر مثل ملك سمرقند وملك بخارا خوارزم شاه يشكون ما يلقونه من الخطـــا ويبذلون له السكة والخطبة في بلادهم إن دفع الخطا ، فعبر علاء الدين محمد خوارزم شاه بن تكش نهر جيحون وقاتل الخطا دفعات والحرب سجال ، واتفق في بعض الوقعات أن عسكر خوارزم انهزم وأسر خوارزم شاه وأسر معه شخص إسمه فلان ابن شهاب الدين مسعود ولم يعرفهما الخطائي الذي أسرهما ، فقال ابن مسعود لخوارزم شاه : دع الملك وقل إنك غـــلامي واخدمني لتخلص . ففعل ذلك وشرع يخدمه حتى في نزع خفه . فسأل الخطائي ابن مسعود من أنت ؟ فقال: أنا فلان . فقال : لولا أخاف من الخطا أطلقتك ، فقال ابن مسعود أخشى أن ينقطع خبري عن أهلي وأشتهي أن يعلموا بحياتي حتى لا يتقاسموا مالي ، وأشتهي ابعث بغلامي هذا مع رسولك ليصدّقوه ، فأجاب إلى ذلك وراح

Marfat.com

خوارزم شاه مع ذلك الشخص حتى قرب من خوارزم ، فرجع الخطـــائي واستقر خوارزم شاه في ملكه ، وتراجع اليه عسكره[1] .

وكان أخوه علي شاه بن تكش نائبه بخراسان ، فلما بلغه عدم أخيه مع الخطا طلب السلطنة وجرت بخراسان فتن، فلما عاد خوارزم شاه خاف أخوه علي شاه فلحق بغياث الدين محمود ملك الغورية فأكرمه وجعلهعنده بفيروزكوه.

قتل غياث الدين محمود وعلي شاه

ولما بلغ خوارزم شاه فعل أخيه أرسل عسكراً لقتـــال غياث الدين محمود الغوري إلى فيروزكوه ومقدمهم أمير ملك فأرسل محمود يبذل الطاعة فأمنه أمير ملك فخرج اليه محمود ومعه علي شاه فقبض عليهـــما وكتب إلى خوارزم شاه بذلك ، فأمره بقتلهما فقتلهما في يوم واحد ، واستقـــامت خراسان كلها لخوارزم شاه وذلك في سنة خمس وستمائة.ومحمود هذا آخر ملوك الغورية. كان كريماً عادلاً ودولتهم من أحسن الدول. ثم أن خوارزم شاه عبر النهر الى الخطا ، وكانت التتر وراء الخطا في حدود الصين ، وكان ملكهم حينئذ يقال له كشلي خان وبينه وبين الخطـــا عداوة مستحكمة فأرسل كل واحد من كشلي خان ومن الخطـــا يسأل خوارزم شاه أن يكون معه على خصمه فأجابهما بالمغلطة ينتظر ما يكون منهما فلما وقع بين كشلي خان والخطا إنتصر كشلي خان وقتل فيهم ، وفتك فيهم أيضاً خوارزم شاه فلم يبق من الخطا إلا مستسلم أو معتصم بالجبال .

---

١ – لقد كتم خوارزم شاه سره فكتم وخدم من هو دونه ، فخدم وأذل نفسه فعز ودقق الحيلة في المحذ ، شعر :

ملك ويخدم سوقـــة عقـــلا ومكراً مفرطا
لولا اتبـــاع صوابـــه مـــا فاز من أسر الخطا

والله أعلم . – المؤلف.

Marfat.com

سنة خمس وستمائة :

وفيها[1] توجه الأشرف موسى بن العادل من دمشق الى بلاده الشرقية وتلقاه بحلب صاحبها الملك الظاهر وأنزله بالقلعة ، وبالغ في إكرامه وإقامته ، وقدم له التحف والنقد والخيل والبغال والخلع له ولأصحابه شيئاً فرطاً ، ثم سار الأشرف إلى بلاده .

وفيها : أجرى الملك الظاهر القناة من جيلان إلى حلب بأموال عظيمة وبقي البلد يجري الماء فيه . **وفيها** وصل غيـــاث الدين كيخسرو بن قلج ارسلان السلجوقي صاحب الروم إلى مرعش لقصد بلاد ابن الأون الأرمني ، وأنجده الظاهر فعاث كيخسرو في بلاد الارمن ونهب وفتح حصن قرقوس .

مقتل معز الدين سنجر شاه

وفيها قتل معز الدين سنجر شاه بن غازي بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب جزيرة ابن عمر . كان ظالماً قتالاً قطاعاً للأنوف والألسنة والآذان واللحى ، وتعدى ظلمه إلى أولاده وحريمه وحبس ابنيه محموداً ومودوداً في قلعة وحبس ابنه غازيا بدار في المدينة وبالدار هوام فاصطاد غازي حية منها وأرسلها إلى ابيه في منديل ليرق له فازداد قسوة ، فاحتال غازي حتى هرب وله شخص يخدمه فقرر معه أن يسافر ويظهر انه غازي بن معز الدين سنجر شاه ليأمنه أبوه ، فمضى ذلك الشخص إلى الموصل فأعطى شيئاً وسافر منها واتصل الخبر بسنجر شاه فاطمأن . وتوصل غازي حتى دخل دار أبيه واختفى عند بعض سراري أبيه وعلم به جماعة منهم وكتموه بغضاً في سنجر شاه، فشرب سنجر شاه يوماً بظاهر البلد واقترح على المغنين الاشعار الفراقية وهو يبكي ، ودخل داره سكران إلى المحظية التي ابنه مختف عندها ، ودخل الخلا فهجم عليه ابنه غازي فضربه بسكين اربع عشرة ضربة وذبحه وتركه

---

١ — حلت سنة (٦٠٥) والعادل وولداه الأشرف والمعظم بدمشق .

Marfat.com

ودخل الحمام وقعد يلعب مع الجواري ، فلو قدر الله أنــه أحضر الجند واستحلفهم لوقته لتم أمره؛ولكن اطمأن فجمع استاذ الدار الناس وهجم على غازي فقتله وحلف العسكر لأخيه محمود بن سنجر شاه ، وتلقب معز الدين بلقب ابيه ، ووصل معز الدين محمود واستقر بالجزيرة وغرّق جواري ابيه في دجلة ثم قتل اخاه مودوداً .

سنة ست وستمائة :

وفيها سار العادل من دمشق إلى حران ووصل اليه بها الملك الصالح محمود ابن محمد بن قرا ارسلان الأرتقي صاحب آمد ، وحصن كيفا ، وسار العادل فنازل سنجار وبها صاحبها قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود ابن زنكي فحاصرها طويلاً ، وخامرت العساكر عليه ونقض الظاهر صاحب حلب الصلح معه، فرحل عن سنجار إلى حران واستولى على نصيبين والخابور. **وفيها** توفي الملك المؤيد نجم الدين مسعود بن صلاح الدين . **وفيها** توفي الامــام فخر الدين محمد بن عمر خطيب الري ابن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد الفقيه الشافعي ، صاحب التصانيف المشهورة ، ومولده سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ، ومع فضائله كانت له اليد الطولى في الوعظ بالعربي وبالعجمي ، ويلحقه فيه وجد وبكاء ، وكان أوحد في المعقولات والأصول ، قصد الكمال السمعاني ، ثم عــاد إلى **الري** إلى المجــد الجيلي واشتغل عليهما وسافر إلى خوارزم وما وراء النهر ، وجرت الفتنة التي ذكرت واتصل بشهاب الدين الغوري صاحب غزنة وحصل له منه مال طائل ثم حظي في خراسان عند السلطان خوارزم شاه بن تكش، وشدت اليه الرحال وقصده ابن عنين ومدحه بقصائد .

ومن شعر فخر الدين :

نهاية إقــدام العقول عقــال واكثر سعي العــالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيــانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فبادوا والجبال جبـال

وفيها في سلخ ذي الحجة توفي مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير أخو عز الدين علي مؤلف الكامل في التاريخ[1]، وكان عالماً بالفقه والأصولين والنحو والحديث واللغة وكتابته مفلقة . ومولده سنة اربع واربعين وخمسمائة. **وفيها** توفي المجد المطرز النحوي الخوارزمي ، له في النحو تصانيف حسنة .

سنة سبع وستمائة

وفيها عاد العادل من البلاد الشرقية الى دمشق. **وفيها** حصر الكرج ملك الأوحد ابن الملك العادل بخلاط وشرب ملك الكرج فحسن له السكر التقدم الى خلاط في عشرين فارساً وخرج المسلمون اليه فتقطر وأسر فردّ على الأوحد عدة قلاع وبذل خمسة آلاف أسيراً ومائة ألف دينار وهادن ثلاثين سنة وشرط تزويج بنته من الأوحد وأطلق .

وفيها توفي نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل في آخر رجب بمرض طويل ، وملك سبع عشرة سنة وأحد عشر شهراً . كان أسمر حسن الوجه قد أسرع اليه الشيب ، شديد الهيبة ، قليل الصبر ، وملك بعده ابنه الملك القاهر عز الدين مسعود وهو ابن عشر سنين ودبره بدر الدين لؤلؤ مملوك أبيه وأستاذ داره ، وهو الذي ملك الموصل . ولأرسلان شاه ولد آخر أصغر من القاهر إسمه زنكي ملكه أبوه قلعتي العقر وسوس قرب الموصل . **وفيها** وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله الى ملوك الأطراف ان يشربوا له كأس الفتوة، ويلبسوا لها سراويلها وان ينتسبوا اليه في رمي البندق ويجعلوه قدوتهم فيه .

---

(١) لابن الأثير كتاب في أخبار الصحابة ، أشار المؤلف هنا الى انه قد باشر طبعه « على ذمة جمعية المعارف ».

Marfat.com

قلت : وكان بعض الفضلاء قد استفتى في هذه الفتوة بمصر والشام ، وأخذ بتحريمها خطوط العلماء الاعلام ، فمنهم من أجاب على جاري العادة ومنهم من أجاب بنثر أبدعه ونظم أجاده وأحضرها بعد ذلك إليَّ فامتنعت من الكتابة عليها لقصوري فألح عليَّ ، فكتبت ما صورته :

أما بعد : حمداً لله الذي من اتبع ما أنزله قبل ومن خالف كتابه وسنة نبيه خذل، والصلاة على رسوله محمد الذي شريعته هي الفتوة حقاً ، وطريقته هي المروءة صدقاً ، وعلى آله أهل الرأفة والاشفاق وصحبه المأخود عنهم مكارم الأخلاق ، فقد غاظني حتى هاضني وأحنقني حتى خنقني ما أحدثه أهل الجهل والابتداع ، وسكت عنه العلماء حتى شاع في الرعاع وذاع ، وهي البدعة التي يجب إخفاء رسمها ، والمنكرة المعروفة بالفتوة وهي ضد اسمها ، وكيف لا وقد عكف عليها أتباع الضلالة ودعا اليها الحمقى وأهل البطالة يجمعون لها الجموع والانباط ويحضرها المرد وأهل اللواط فمنهم من يتصابى على سنه ومنهم من يمشي على بطنه ومنهم قوم إذا الشر أبدى ناجذيه طاروا اليه وإن تنحنح ذو سطوة اجابوه بسكين وقرؤوا التكاثر عليه. إن اضمرت كلمة الحق ظهروا وإن بني علم الايمان على الفتح استتروا، ما أحقهم بنفي الجنس وما أولاهم بالكسر وجعلهم كأمس .

شعر : جنـــائز مجموعة بعهم كبيع المفلس
لا قبض في صرفهم ما هم خيار المجلس

كبيرهم العاصي يزيد تيهاً على ابن الفرات وهو عند الشريعة صغير ، ويتصدر فيهم بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، يلبسهم لباس شر ولباس التقوى ذلك خير ، ويشد التكة بيده وربما حل به عقيدة الغير خصوصاً إذا كان اللابس نقي خد ، فتلك راية فرح الجماعة والطريق الى ما قد يوجب الحد ، ويسقيهم ماء له بالملح مزاج بئس الشراب ، ولو كان عذباً فراتاً فكيف وهو ملح اجاج يشقيهم بما يسقيهم ويطغيهم بما يعطيهم ، فيضلون بالبدعة جمعاً وهم يحسبون انهم

Marfat.com

يحسنون صنعاً ويمد لهم خواناً يجمع فاسقاً وخوّاناً ، جمع ثمنه من الششم والأنزروت[1] والقرعة والقمار وضرب التخوت والزبل والكنس والحجامة والدبغ والحوك والنجامة ، ومن الزفورية والطرقية وسائر الحرف الدنية. بعداً لها من بدعة سفلى وطريقة غير مثلى؛ جمعها لكونه لا يعقل غير سالم، وفاعلها وإن كان فاعلاً مجرور على وجهه بالأمر الجازم . ما سمعنا بمثلها في أمة ولا ساعد عليها أحد من الأئمة .

شعر : وما كفى ما أتوه من الضلال الجلي
حتى أضافوه جهلا إلى الامام علي

أقسم بالله أغلظ يمين أن مبيحها يكذب ويمين ، الشيطان بغروره دلاه فاشترط شروطاً ليست في كتاب الله ، فوقوف كبيرهم لعلة لا لله ، ودعوته إلى الباطل في الجملة حياً كميت كاذباً على آل البيت .

شعر :

ليس الفتى كل الفتى عندنا إلا الذي ينهى عن الفحش
يأتي إلى الإسلام من بابـه ويتبع الحق بلا غش

ليس الفتى من ضرب بالسكين والسيف ، الفتى من أطعم المسكين والضيف. ليس الفتى من تعصب لأصحابه وعشرائه ، الفتى من جعل الحق بين عينيه والباطل من ورائه . ليس الفتى من أقام الشنائع وشهر على الأمة السلاح ، الفتى من دقق الذرائع وسهر في الكلمة والاصلاح . ليس الفتى من كان من أهل اللياط ، الفتى من أخذ بالورع والاحتياط . ليس الفتى من قال بالشاهد، الفتى من يحاسب نفسه ويجاهد . فان قال أحدهم أنا أقضي دين المدين وأجبر المكسور وأعين المسكين وأحمل الثقل وأطلق المحبوس وأفك المعتقل ، قلنا خصصت به رفاقك وعشائرك وتركت بقية الناس وراءك ، ولو سلم فقـــد أهملت واجب المندوب وأنت بكذبك على علي بن أبي طالب مطلوب .

---

(١) الخوان : لفظ فارسي معرب وهو ما يوضع عليه الطعام ليؤكل . أنزروت : لفظ فارسي معرب الى عنزروت . الششم : فارسي أيضاً ، معرب جشم ، وهو من أدوية العين .

شعر :

كذبت على آل النبي بجرأة ورحت لأفعال الحرام موجها
وأبديت معروفاً تضمن منكراً كمطعمة الأيتام من كد فرجها

فان احتج للفتوة بأخذهـــا عن الخليفة قلنا : إن صح فبدعة أحدثت كتقبيل العتبة الشريفة ، وإنما يصح الاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين أخذ عنهم أئمة الدين فلا تحرم نفسك الجنة بمخالفة الكتاب والسنة ، وتب إلى ربك من هذه الجهالة فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

أتزعم ان الاسلام ناقص وهذه تتمة والله سبحانه قد أكمل لنا ديننا وأتم علينا النعمة .

فالواجب علينا أن تزجر وتهجر والمنكر عليك يؤجر ، والراضي بهذه البدعة كفاعليها ، أعاننا الله على إزالة أزلها وإبطال باطلها ، فانها طريقة مذمومة وفعلة محرمة مسمومة ، كم أفتى بتحريمها عالم ، وكم قال بضعفها ولي ، ولو صحت عن أمير المؤمنين لكانت في القوة كجلمود صخر حطه السيل من علٍ . ولولا خوف التطويل لذكرت ما عليها من دليل ، سماها بعض شياطين الانس فتوة قصر الله عمره فلا حول وأضعفه فلا قوة [1] . والله أعلم .

وفيها سار العادل من مقامه بدمشق إلى مصر . **وفيها** توفي فخر الدين جهاركس كبير الصلاحية . **وفيها** توفي الملك الأوحد أيوب بن العادل فسار أخوه الأشرف وملك خلاط على ما بيده من الشرق فعظم ولقب شاهرمن . **وفيها** قتل غياث الدين كيخسرو صاحب الروم قتله ملك الأشكري وملك بعده ابنه كيكاوس كما مر .

سنة ثمان وستمائة :

وفيها قبض المعظم عيسى بن العادل على عز الدين أسامة صاحب قلعتي كوكب وعجلون بأمر أبيه وحبسه في الكرك إلى أن مات بهـــا . وتسلم

---

(١) انتهت رسالة المؤلف رداً على من سأله عن بدعة الخليفة الناصر ، انظر ص ١٩٠ .

Marfat.com

الحصنين من غلمان أسامة بحصار ، وخربت كوكب ، وعفى أثرهـــا ، وانقرضت الصلاحية بأسامة هذا ، وملك المعظم بلاد جهاركس وهي بانياس وما معها لأخيه شقيقه العزيز بن العادل ، وأعطى صرخد مملوكـــه أيبك المعظمي . وفيها عاد العادل إلى الشام وأعطى إبنه المظفر غازي الرها مع ميافارقين . وفيها أرسل الظـــاهر القاضي بهاء الدين بن شداد فاستعطف العادل وخطب ابنته ضيفة خاتون للظاهر فزوجها منه وتصافيا . وفيها أظهر الكيا جلال الدين حسن صاحب الألموت من ولد الصبـــاح شعائر الإسلام وكتب به إلى قلاع الاسماعيلية بالعجم والشام .

وفاة ابن منعة الفقيه الشافعي :

وفيها توفي أبو حامد محمد بن يونس بن منعة الفقيه الشافعي بالموصل وكان إماماً فاضلاً حسن الأخلاق .

قلت : وله المحيط في الجمع بين المهذب والوسيط وشرح الوجيز ، وعقيدة وتعليقة في الخلاف لم تتم ، وولي خطابة الموصل مع تدريس العزية والنورية والزينية والنقشية والعلائية ، وولي قضاء الموصل ثم انفصل عنه وتقدم عند نور الدين أرسلان شاه ، وسار عنه رسولا إلى بغداد مرات وإلى العـــادل ، وناظر في ديوان الخلافـــة في شراء المكافر العبد المسلم سنة ست وتسعين وخمسمائة، ونقل نور الدين المذكور من مذهب أبي حنيفة إلى المذهب الشافعي وليس في بيت أتابك شافعي سواه مع كثرتهم . والله أعلم .

وفيها توفي القاضي السعيد هبة الله بن جعفر بن سنا الملك السعدي المصري. فاضل متنعم وافر السعادة ، وله نظم فائق ، مدح توران شاه أخا السلطان صلاح الدين بقصيدة مطلعها :

تقنعت لكن بالحبيب المعمم وفارقت لكن كل عيش مذمم

فهجن هذا المطلع وعيب .

Marfat.com

وله :

لا الغصن يحكيك ولا الجؤذر حسنك مما أكثروا أكثر
يا باسماً أهدى لنـــا ثغره عقداً ولكن كلـــه جوهر
قال لي اللاحي أمـــا تستمع فقلت يا لاحي أمـــا تبصر

قلت : وأخذ الحديث عن السلفي ، واختصر كتاب الحيوان للجاحظ وسماه روح الحيوان ، وله ديوان شعر ، وديوان موشحات سماه دار الطراز ، ورسائل . وما أحسن قوله :

ولو أبصر النظام جوهر ثغرها لما شك فيه أنه الجوهر الفرد
ومن قال أن الخيزرانة قدها فقولوا له إياك أن يسمع القد

وله من رسالة بديعة في نقص النيل : وأما أمر الماء فإنه نضبت مشارعه وتقطعت أصابعه وتيمم العمود لصلاة الاستسقاء ، وهمَّ المقياس من الضعف بالاستلقاء . وبلغ القاضي السعيد عن أبي المكارم هبة الله بن وزير بن مقلد الكاتب الشاعر انه هجاه فأحضره وأدبه وشتمه ، فكتب اليه نشو الملك أبو الحسن علي بن مفرج المعري الأصل ، المصري الدار والوفاة ، المعروف بابن المنجم الشاعر المشهور :

قل للسعيد أدام الله نعمتـه صديقنا ابن وزير كيف تظلمـه
صفعته إذ غدا يهجوك منتقما فكيف من بعد هذا ظلت تشتمه
هجو بهجو وهذا الصفع فيه ربا والشرع ما يقتضيه بل يحرمه
فان تقل ما لهجو عنده ألم فالصفع والله أيضاً ليس يؤلمه

والله أعلم .

سنة تسع وستمائة :

وفيها في المحرم عقد الملك الظاهر على ضيفة خاتون بنت العادل ، والصداق خمسون ألف دينار ، واحتفل الظاهر لملتقاها بالنفائس .

وفيها عمر العادل قلعة الطور . وفيها حاصر طغر بك شاه صاحب ارزن الروم ابن أخيه سلطان الروم كيكاوس بسيواس فاستنجد بالأشرف فخاف طغر بك ورحل عنه .

سنة عشر وستمائة :

وفيها قتل كيكاوس عمه طغر بك شاه وأخذ بلاده ،وذبح اكثر أمرائه، وقصد قتل أخيه علاء الدين كيقباد فشفعوا فيه فعفى عنه. وفيها في رمضان توفي بحلب فارس الدين ميمون القصري آخر الامراء الصلاحية ، ينتسب إلى قصر الخلفاء بمصر أخذه منه صلاح الدين . وفيها ولد للظاهر من ضيفة خاتون بنت العادل ابنه العزيز غياث الدين محمد . وفيها قتل منكلي من البهلوانية ايدغمش الغالب على مملكة همدان والجبال ، مملوك البهلوان أيضاً هرب منه آيدغمش إلى الخليفة ، ثم عاد فقتله وملك مكانه .

وفيها في شعبان توفي ملك المغرب محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف ابن عبد المؤمن وتملكه نحو ست عشر سنة . كان أسيل الخد دائم الاطراق كثير الصمت للثغة لسانه ، وملك بعده ابنه المستنصر أبو يعقوب يوسف . وفيها وقيل في التي قبلها توفي علي بن محمد بن علي بن خروف النحوي الأندلسي الاشبيلي شرح كتاب سيبويه وجمل الزجاجي فأجاد .

قلت : وتخرج على أبي طاهر النحوي الأندلسي،المعروف بالخدر، والله أعلم.

وفيها : توفي عيسى بن عبد العزيز الجزولي بمراكش إمام في النحو له فيه مقدمة القانون ، أتى فيها بالعجائب ، واعتنى بها فضلاء ، وكلها رموز يعترف اكثر الفضلاء بالقصور عنها ، قدم مصر على ابن بري النحوي ثم عاد الى المغرب ،ونسبته الى جزولة بطن من البربر وتسمى كزولة أيضاً ، وشرح مقدمته فأغرب وأفاد .

Marfat.com

سنة إحدى عشرة وستمائة :

وفيها توفي دلدرم بن ياروق صاحب تل باشر ، فولاها إبنه فتح الدين . وفيها توفي الشيخ علي بن أبي بكر الهروي [1] وتربته معروفة بحلب ، كان له يد في الشعبذة والسيمياء والحيل ، وتقدم عند الظاهر ودار اكثر المعمور .

وفيها أسرت التركمان ملك الاشكري ،قاتل غياث الدين كيخسرو فحمل الى ابنه كيكاوس فبذل في نفسه اموالاً وسلم الى كيكاوس قلاعاً وبلاداً لم تملكها المسلمون قط . وفيها عاد العادل من الشام الى مصر . وفيها توفي ركن الدين عبد السلام بن الوهاب بن الشيخ عبد القادر الجيلي ببغداد ، وكان قد اتهم بالفلسفة ، فاعتقل ثم شفع فيه والده فأخرج وعاد الى ولاياته حتى مات . وفيها في شوال توفي عبد العزيز بن محمود بن الاخضر وله سبع وثمانون سنة . من فضلاء المحدثين .

سنة إثنتي عشرة وستمائة :

وفيها بعث الكامل بن العادل ابنه الملك المسعود يوسف المعروف باقسيس الى اليمن في جيش فاستولى على اليمن وظفر بسليمان الذي اطرح زوجته التي ملكته ، وبعث به إلى مصر فأجرى له الكامل ما يقوم به إلى أن خرج فقتل شهيداً في المنصورة . وفيها توفي الأمير علي بن الإمام الناصر فأحزن أباه ورثته الشعراء . وفيها قصدت العساكر من بغداد وغيرها منكلي صاحب همدان وأصبهان والري فانهزم وقتل في ساوه ، وتولى بعده اغلمش أحد المماليك البهلوانية أيضاً . وفيها في شعبان ملك خوارزم شاه بن تكش غزنة من يلدز المقدم ذكره فهرب يلدز إلى لهاوور من الهند واستولى عليها ، ثم سار

---

١ – له كتاب الاشارات في معرفة الزيارات والخطب الهروية ، وبنى تربته على قدر الكعبة شرفها الله تعالى وهي في مدرسة بناها له الظاهر.وقد كتب الشيخ على باب كل بيت منها ما يليق به حتى كتب على باب الميضأة بيت المال في بيت الماء . والله أعلم .

Marfat.com

عن لهاوور ليستولي على بعض الهند الداخل تحت حكم قطب الدين أيبك خشداشه فاقتتلا فقتل يلدز ، وكان محسناً إلى الرعية .

وفيها **توفي الوجيه المبارك بن أبي الأزهر** سعيد بن الدهان النحوي الضرير قرأ على ابن الانباري وغيره ، كان حنبلياً فصار حنفياً ثم شافعياً فقال فيه أبو البركات زيد التكريتي :

ألا مبلغ عني الوجيه رسالة وإن كان لا تجدي إليه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل وفارقته إذ أعوزتك المآكل
وما اخترت رأي الشافعي تديناً ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر إلى مالك فافطن لما أنا قائل

قلت : وهذا غير ابن الدهان المعروف بالحمصي ، فذلك أبو الفرج عبد الله ابن أسعد بن علي بن عيسى المنعوت بالمهذب بن الدهان الفقيه الشاعر الذي من شعره السائر :

يضحى يجانبني مجانبة العدا ويبيت وهو إلى الصباح نديم
ويمر بي يخشى الوشاة ولفظه شتم ومعلء جفونه تسليم

وتوفي بحمص سنة إحدى وهو الأصح ، وقيل : إثنتين وثمانين وخمسمائة . والله أعلم .

سنة ثلاث عشرة وستمائة :

وفيها في ثالث عشر جمادى الآخرة توفي الملك الظاهر غازي ، وعمره أربع وأربعون سنة وكسر ، وملكه لحلب من حين وهبها له أبوه إحدى وثلاثون سنة ، كان مقدماً على سفك الدماء ، ثم أقصر عنه . وملك بعده ابنه الصغير الملك العزيز بعهد من أبيه وعمره سنتان وأشهر ودبر أموره شهاب الدين طغر بك الخادم فأحسن السياسة ، وكان عمر الصالح أحمد أخي العزيز

Marfat.com

إثنتي عشرة سنة ، وأوصى الظاهر له بالملك بعد العزيز وأخرج الظافر المشمر قبل موته إلى اقطاعه كفر سود ، وعلم الدين قيصر الظاهري إلى حارم نائباً .

وفيها توفي تاج الدين زيد بن الحسن بن زيد الكندي النحوي اللغوي ، وله الاسناد العالي في الحديث والفنون ، إنتقـــل إلى دمشق ، وهو بغدادي المولد والمنشأ . ومولده سنة عشرين وخمسمائة .

قلت : كتب اليه أبو شجاع الدهان الفرضي :

يا زيد زادك ربي من مواهبه نعمى يقصر عن إدراكها الأمل
لا غيَّر الله حالاً قد حباك بهـا ما دار بين النحاة الحال والبدل
النحو أنت أحق العالمين بـه أليس باسمك فيه يضرب المثل

وامتدحه الشيخ علم الدين السخاوي بقوله :

لم يكن في عصر عمرو مثله وكذا الكندي في آخر عصر
فهما زيد وعمرو إنمـــا بني النحو على زيـد وعمرو

ومن شعر أبي اليمن زيد الكندي المذكور :

دع المنجم يكبو في ضلالته إن ادعى علم ما يجري به الفلك
تفرد الله بالعلم القديم فـــلا الانسان يشركه فيه ولا الملك
أعـد للرزق من اشراكه شركا لبئست الخلتان الشرك والشرك

سنه أربع عشرة وستمائة :

دخلت والعادل بمصر ، وقد وصل الفرنج من البحر إلى عكا في جمع عظيم فجاء العادل إلى نابلس واندفع قدامهم إلى عقبة أفيق لكثرتهم فوصلت غارتهم إلى نوى من السواد وانبثوا فقتلوا وغنموا عظيما وعادوا إلى مرج عكا ، والعادل بمرج الصفر ، وحصروا الطور ثم رحلوا عنه وخرجت السنة وهم بعكا .

Marfat.com

وفيها سار خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش فملك بلاد الجبل[1] وغيرها . وأطاعه ازبك بن البهلوان صاحب اذربيجان وأران ، وخطب له، وسار ليدخل بغداد فكاد الثلج يهلكهم فرجعوا إلى خراسان ، وقطع منها خطبة الإمام الناصر سنة خمس عشرة وستمائة ، وكذلك قطعت خطبة الإمام الناصر فيما وراء النهر .

سنة خمس عشرة وستمائة :

العادل بمرج الصفر والفرنج بعكا ، ثم سار الفرنج إلى دمياط فنزل الكامل بن العادل من مصر إلى قبالتهم مدة اربعة اشهر، ثم اجتمعت عساكر الشام وغيرها عند الكامل فأخذ في قتال الفرنج ودفعهم عن دمياط .

وفيها توفي الملك القاهر عز الدين مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن أقسنقر صاحب الموصل لثلاث بقين من ربيع الأول وملكه سبع سنين وتسعة أشهر ، وانقرض بموته ملكهم ، وله إبنان أكبرهما ارسلان شاه وعمره نحو عشر سنين، فأوصى بالملك له بتدبير مملوكه بدر الدين لؤلؤ فجعل بدر الدين لؤلؤ السكة والخطبة للمذكور ودبر المملكة أحسن تدبير .

ذكر قصد ملك الروم حلب

لما جلس العزيز وهو طفل في مملكة حلب استدعى كيكاوس صاحب الروم الملك الأفضل صاحب سميساط واتفقا أن يفتح حلب وبلادها ويسلمها إلى الأفضل ثم يفتح البلاد الشرقية التي بيد الأشرف بن العادل ويتسلمها كيكاوس، وسار إلى حلب ووصلا رعبان وسلمها إلى الأفضل فمالت اليه قلوب اهل البلاد لذلك ، ثم فتح تل باشر وبها ابن دلدرم وأخذها كيكاوس لنفسه،

---

(١) منها ساوه وقزوين وزنجان وأبهر وهمدان وإصبهان وقم وقاشان .

Marfat.com

فتغير خاطر الأفضل وأهـل البلاد لذلك ، ووصل الاشرف بن العادل إلى حلب للدفع عنها ، ووصل اليه بها الأمير مانع بن حديثة امير العرب في جمع عظيم .

وكان كيكاوس قد تسلم منبج لنفسه ونزل الأشرف بجموعه وادي بزاعة وانقطع بعض عسكره مع مقدمة عسكر كيكاوس، وانهزمت مقدمة عسكر كيكاوس وأسر بعضها ، وبلغ ذلك كيكاوس بمنبج فولى منهزماً ، وتبعـه الأشرف يتخطف أطرافهم ، ثم استرجع الأشرف تل باشر ورعبان وغيرهما ، وتوجه الأفضل إلى سميساط ولم يطلب بعدها ملكاً ، وعاد الأشرف إلى حلب وقد بلغه وفاة أبيه .

ذكر وفاة الملك العادل

كان العادل بمرج الصفر وأرسل العسكر إلى ابنه الكامل بمصر ،ثم نزل بفالقين عند عقبة افيق ، فمرض وتوفي بهـا في سابع جمادى الآخرة منها ، ومولده سنة اربعين وخمسمائة فعمره خمس وسبعون ، وملكه لدمشق ثلاث وعشرون سنة ، ولمصر تسع عشرة سنة .

وكان يقظاً عاقلاً حليما ماكراً صبوراً، واتسع ملكه وكثر أولاده ورأى فيهم ما لا رآه ملك في أولاده ، وقد أجـاد شرف الدين بن عنين حيث يقول فيه :

ماذا على طيف الأحبـة لو سرى وعليهـم لو سامحوني بالكرى

ومنها :

العـادل الملك الذي أسمـاؤه في كل ناحيـة تشرف منبرا
مـا في أبي بكر لمعتقد الهدى شك يريب بأنـه خير الورى
بين الملوك الغـابرين وبينـه في الفضل مـا بين الثريا والثرى
نسخت خلائقه الحميدة مـا أتى في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا

Marfat.com

لا تسمعن بحديث ملك غـــيره يروى فكل الصيد في جوف الفرا
وله المـــلوك بكل أرض منهم ملك يجر إلى الأعـــادي عسكرا
من كل وضاح الجبين تخـــاله بدراً فان شهد الوغى فغضنفرا

وخلف العادل ستة عشر إبناً ومـــات والكل غائبون ، ثم حضر إبنه المعظم عيسى من نابلس وكتم موته وأعاده في محفة إلى دمشق واحتوى على جواهره وسلاحه وخيله وغيرها ، وفي دمشق أظهر موته وحلف النـــاس وجلس للعزاء وكتب إلى الملوك بموته .

وكان في خزانة العادل لما توفي سبعمائة ألف دينار . وبلغ الكامل موت أبيه وهو في قتال الفرنج ، فاختلفت العساكر عليه فتأخر عن منزلته وطمعت الفرنج ونهبت بعض الأثقال . وعزم عماد الدين أحمد بن سيد الدين علي بن أحمد المشطوب ، وكان مقدماً عظيماً في الأكراد الهكارية على خلع الكامل . واختلف العسكر حتى عزم الكامل عن اللحوق باليمن وبلغ ذلك المعظم عيسى بن العادل فسار من الشام اليه ، ونفى ابن المشطوب من العسكر إلى الشام فانتظم أمر الكامل ، وقوى الفرنج مضايقة دمياط وضعف أهلها لفتنة ابن المشطوب .

وفيها توفي علي بن نصر بن هارون النحوي الحلي الملقب بالحجة ، قرأ على ابن الخشاب وغيره . **وفيها** توفي محمد وقيل أحمد بن محمد بن محمد العميدي الحنفي السمرقندي الملقب ركن الدين ، إمـــام في الخلاف خصوصاً الجست وطريقته فيه مشهورة ، وشرحها جماعة منهم القاضي شمس الدين أحمد بن خليل بن سعادة الجويني الشافعي قاضي دمشق ، وبدر الدين الطويل المراغي . وللعميدي أيضاً الارشاد ، واشتغل عليه خلق منهم نظام الدين أحمد بن محمود ابن احمد الحنفي الحصيري الذي قتـــله التتر أول خروجهم سنة ست عشرة وستمائة .

Marfat.com

سنة ست عشرة وستمائة :

دخلت والأشرف بظاهر حلب يدبر جندها وإقطاعها، والكامل بمصر يقاتل الفرنج وهم محدقون بدمياط ، وكتب الكامل متواترة إلى اخوته بالنجدة له.

وفيها توفي نور الدين أرسلان شاه بن القاهر مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن أقسنقر ، وكان به قروح ، ولا يزال مريضاً فأقام بدر الدين بعده أخاه ناصر الدين محمود بن القاهر وعمره نحو ثلاث سنين وهو آخر من خطب له من بيتهم بالسلطنة وأبوه آخر من استقل منهم بالملك. ثم مات هذا الصبي بعد مدة ، **واستقل بدر الدين لؤلؤ** بالملك ومدت مدته في السعادة إلى أن توفي بالموصل بعد أخذ التتر بغداد .

وفيها توفي صاحب سنجار قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود بن زنكي بن اقسنقر فملكها بعده ابنه عماد الدين شاهنشاه شهوراً ثم وثب عليه أخوه محمود فذبحه وملك سنجار ، ومحمود هذا آخر من ملك سنجار منهم .

وفيها خرب المعظم أسوار القدس ، وكانت قد حصنت إلى الغاية : رأى تغلب الفرنج على دمياط وقوتهم فخشي على القدس ، وانتقل من القدس عالم عظيم لما خرب . وفيها هجم الفرنج دمياط وقتلوا وأسروا من بها ، وجعلوا الجامع كنيسة وطمعوا في الديار المصرية ، فحينئذ بنى الملك الكامل المنصورة عند مفترق البحرين الآخذ أحدهما الى دمياط ، والآخر الى اشمون طنـــاج ونزلها بعساكره .

بداية ظهور التتر :

وفيها كان ظهور التتر وفتكهم في المسلمين . ولم ينكب المسلمون بأعظم مما نكبوا فيها ، فمن ذلك مصيبة دمياط ومنه ظهور التتر وتملكهم في المدة القريبة أكثر بلاد الاسلام وسفك دمائهم ، وسبي حريمهم وذراريهم ، ومنذ ظهر الاسلام ما فجعوا بمثلها. وفيها خرجوا على علاء الدين محمد خوارزم شاه بن تكش ، وعبروا نهر سيحون ومعهم ملكهم جنكيز خان لعنه الله فاستولى

Marfat.com

على بخارا رابع ذي الحجة بالأمان ، وحاصروا القلعة وملكوها وقتلوا كل من بها ثم قتلوا أهل البلد عن آخرهم .

تاريخ التتار :

اعلم أن مملكة الصين متسعة دورها ستة اشهر ، وانقسمت قديماً ستة أجزاء كل جزء مسيرة شهر يتولاه خان ، وهو بلغتهم الملك نيابة عن خانهم الأعظم . وكان خانهم الكبير الذي عاصر خوارزم شاه محمد بن تكش يسمى الطرخان ورث الخانية كابراً عن كابر بل كافراً عن كافر ، ومن عادة خانهم الأعظم الاقامة بطوغاج وهي واسطة الصين ، وكان من زمرتهم في عصر المذكور شخص يسمى دوشي خان ، أحد خانات أحد الأجزاء الستة وكان متزوجاً عمة جنكيز خان اللعين ، وقبيلة جنكيز خان اللعين هي المعروفة بقبيلة التمرجي سكان البراري ، ومشتاهم يسمى ارغون وهم المشهورون بين الترك بالشر والغدر ، لم تر ملوك الصين إرخاء عنانهم لفسادهم وطغيانهم ، فاتفق أن دوشي خان زوج عمة جنكيز خان مات ، فزار جنكيزخان عمته معزياً لها، وكان الخانان المجاوران لعمل دوشي خان يسمى أحدهما كشلوخان والآخر فلان خان ، وكانا يليان ما يتاخم اعمال دوشي خان المتوفى من الجهتين فأرسلت امرأة دوشي خان الى كشلي خان والخان الآخر تنعي اليهما زوجها دوشي خان وانه لم يخلف ولداً ، وانه كان حسن الجوار لهما وان ابن أخيها جنكيز خان إن اقيم مقامه يحذو حذو المتوفى في معاضدتهما ، فأجابا الى ذلك ، وتولى جنكيز خان ما كان لدوشي خان من الأمور بمعاضدة الخانين المذكورين . فلما أُنهي الأمر إلى الخان الأعظم الطرخان انكر تولية جنكيز خان واستحقره وانكر على الخانين اللذين فعلا ذلك ، فخلعوا طاعة الطرخان وانضم إليهم عشائرهم ، وقاتلوا الطرخان فهزموه وتمكنوا من بلاده ، ثم صالحهم وأبقوه على بعض بلاده واشترك جنكيز خان والخانان الآخران في الأمر ، فمات الواحد واستقل جنكيز خان وكشلو خان بالأمر ، ثم مات

Marfat.com

كشلو خان وقام ابنه وتسمى كشلوخان أيضاً مقامه فاستضعفه جنكيز خان لصغره وأخل بالقواعد التي كانت بينه وبين أبيه ، ففارقه كشلوخان لذلك وعاداه فجرد جنكيز خان جيشاً مع ولده دوشي خان وسار فقاتل كشلو خان ، فانهزم كشلو خان وتبعه دوشي خان وقتله وعاد برأسه الى جنكيز خان فانفرد جنكيز خان بالمملكة .

ثم أن جنكيز خان راسل خوارزم شاه محمد بن تكش في الصلح فلم ينتظم فجمع عساكره وقاتل خوارزم شاه محمـــد ، فانهزم خوارزم شاه واستولى جنكيز خان على بلاد ما وراء النهر ، ثم تبع خوارزم شاه وهـو هارب بين يديه حتى دخل بحر طبرستان ، ثم استولى جنكيز خان على البلاد ثم كان من هذا وهذا ما سيذكر .

وفيها حلف الملك المنصور صاحب حماه الناس لولده الملك المظفر محمود وجعله ولي عهده ، وجرد منه عسكراً ، والطواشي مرشداً والمنصوري نجدة للكامل بمصر فأكرمـــه الكامل وأنزله في الميمنة منزلة أبيه وجده في الأيام النـــاصرية . وبعد توجه المظفر ماتت والدته ملكة خاتون بنت الملك العادل ، فلبس المنصور الحداد على زوجته .

قال ابن واصل : رأيتـــه وأنا ابن إثنتي عشرة سنة يومئذ ، وقـــد لبس ثوباً ازرق ، وعمامة زرقاء . وفي ذلك يقول حسام الدين خشبر ابن الجندي الكردي قصيدة منها :

الطرف في لجة والقلب في سعر له دخان زفير طار بالشرر

ومنها في لبس المنصور الحداد على زوجته :

ما كنت أعلم ان الشمس قد غربت حتى رأيت الدجى ملقى على القمر
لو كان من مات يفدى قبلها لفدى أم المظفـــر آلاف من البشر

وفيها توفي الملك الغالب عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلج أرسلان

ابن مسعود بن قلج أرسلان صاحب الروم بالسل ، وملك بعده أخوه كيقباد وكان قد حبسه أخوه كيكاوس فـــأخرجه الجند وملكوه . **وفيها توفي** أبو البقـاء عبدالله بن الحسين بن عبد الله العكبري الضرير[1] النحوي اللغوي الحاسب الحنبلي صحب ابن الخشاب وغيره .

وفيها توفي أبو الحسن علي بن القاسم بن علي بن الحسن الدمشقي الحافظ ابن الحافظ ابن الحافظ المعروف بابن عساكر. أكثر من سماع الحديث بخراسان وعاد إلى بغداد وجرحته الحرامية في الطريق، ودخل بغداد جريحاً ومات بها .

سنة سبع عشرة وستمائة :

دخلت ودمياط للفرنج والكامل مرابط بالمنصورة والأشرف في حران، وقد أقطع عماد الدين أحمد بن المشطوب رأس عين فجمع ابن المشطوب جمعاً ، وخرج على الأشرف وحسن لصاحب سنجار محمود بن قطب الدين الخروج عن طاعة الأشرف أيضاً فحصره بدر الدين لؤلؤ بتل أعفر ، وأخذه بالأمان ثم قبض عليه وأعلم الأشرف بقبضه على ابن المشطوب فسر بذلك واستمر ابن المشطوب في الحبس ، ثم سار الأشرف فاستولى على دنيسر وقصد سنجار فأتته رسل صاحبها محمود بن قطب ليعطيـــه الرقة عوض سنجار فسلم إلى الأشرف الرقة وسلم إلى محمود الرقة ، وكان ذلك لسعادة الأشرف فان أباه العادل نازل سنجار بجمع عظيم طويلاً فما ملكها وملكها الأشرف بأهون سعي ، ثم سار الأشرف فوصل الموصل في تاسع جمـــادى الاولى فكان يوماً مشهوداً .

---

١ – لقبه محب الدين . وتوفي ببغداد ، ومولده سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، إشتهر إسمه وبعد وصيته وهو حي . شرح إيضاح الفارسي وديوان المتنبي ومقامات الحريري والخطب النباتية ولمع ابن جني ومفصل الزمخشري وله اعراب القرآن العظيم وإعراب الحديث وإعراب شعر الحماسة وغيرها .

Marfat.com

وكتب إلى مظفر الدين صاحب إربل ليعيد صهره عماد الدين زنكي على بدر الدين لؤلؤ القلاع التي استولى عليها فأعادها إلى العمادية ، واستقر الصلح بين الأشرف وبين مظفر الدين كوكبوري صاحب إربل ، وعماد الدين زنكي ابن أرسلان شاه صاحب العقروسوس والعمادية وبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ثم عاد الأشرف إلى سنجار في أوائل رمضان ، وسلم بدر الدين لؤلؤ قلعة بلعفر إلى الأشرف ، ونقل الأشرف ابن المشطوب مقيداً إلى جب في حران حتى مات سنة تسع عشرة وستمائة ، ولقي بغي خروجه مرة بعد أخرى .

وفيها توفي الملك المنصور صاحب حماه محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بقلعة حماه في ذي القعدة بالحمى وورم الدماغ ، وكان شجاعاً يحب العلماء ، وورد اليه منهم جماعة مثل السيف الآمدي ، وصنف له مصنفات مثل المضمار في التاريخ وطبقات الشعراء ، وبنى الجسر بحماه خارج باب حمص ، وكان له بعد أبيه حماه والمعرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم ، ولما فتح بارين من يد ابن المقدم ألزمه عمه العادل بردها عليه فعوضه بمنبج وقلعة نجم لقرب بارين منه ، وله شعر ، وله مع الفرنج حروب . رحمه الله تعالى .

ذكر استيلاء الملك الناصر على حماه

لما مات المنصور كان إبنه المظفر المعهود اليه بالسلطنة عند خاله الكامل بالديار المصرية مقابل الفرنج وابنه الملك الناصر صلاح الدين قلج أرسلان عند خاله المعظم صاحب دمشق وهو بالساحل في الجهاد .

وقد فتح قيسارية وهدمها ، ونازل عثليث ، فاتفق بحماه زين الدين بن فريج الوزير والكبراء ، واستدعوا الناصر للينه وشدة بأس المظفر ، فمنعه المعظم من التوجه إلا بتقرير مال عليه في كل سنة قيل سبعمائة الف درهم ، فحلف له على ذلك وأطلقه فقدم حماه فاستحلفه مستدعوه على ما أرادوا

Marfat.com

وأصعدوه القلعة ثم ركب منها بالصناجق السلطانية وعمره سبع عشرة سنة ، وبلغ اخاه المظفر ذلك فاستأذن الملك الكامل في المضي إلى حماه واثقاً بالايمان التي في اعناقهم ، فأذن له وسار حتى وصل الغور فوجد خاله المعظم صاحب دمشق هناك فأخبره أن اخاه الملك الناصر ملك حماه ويخشى عليه أن يعتقله ، فقدم دمشق وأقـام بداره المعروفة بالزنجيلي ، وكتب المعظم والمظفر إلى أكابر حماه في تسليمها إلى المظفر ، فما أجابوا ، فقصد المظفر مصر فأقطعه الكامل إقطاعاً بمصر إلى ان كان ما سيذكر .

إستيلاء الملك المظفر غازي بن العادل على خلاط وميافارقين :

كان قد استقر بيـد المظفر المذكور الرها وسروج ، وكانت خلاط وميافارقين بيد الأشرف وليس له ولد فجعل أخاه المظفر غازيا ولي عهده وأعطاه خلاط وميافارقين وبلادها ، وهي أقليم عظيم يضاهي ديار مصر ، وأخذ الأشرف منه الرها وسروج .

وفيها توفي بالموصل شيخ الشيوخ بمصر والشأم صدر الدين محمد بن عمر ابن حموية ، فقيه فاضل من بيت كبير بخراسان ، وخلف أربعة بنين عرفوا بأولاد الشيخ تقدموا عند الكامل ، وسنذكر بعض خبرهم . توجه صدر الدين رسولاً إلى بدر الدين لؤلؤ فمات هناك .

مسير التتر إلى خوارزم شاه وهزيمته وموته :

لمـا ملك التتر سمرقند أرسل جنكيز خان عشرين الف فارس في أثر خوارزم شاه محمد بن تكش وهذه الطائفة تسميها التتر المغرّبة لأنها سارت نحو غرب خراسان، فوصلوا إلى موضع يسمى «بنج آف» وعبروا نهر جيحون وصاروا مع خوارزم شاه في بر واحد ، ولم يشعر خوارزم شاه إلا والتتر معه ، فتفرق عسكره ايدي سبا ورحل خوارزم شاه لا يلوي على شيء في نفر من خواصه ، ووصل نيسابور والتتر في أثره ، ووصل مازندران وهم في

Marfat.com

أثره ، وسار من مازندران إلى مرسى من بحر طبرستان يعرف بأسكون ، وله هناك قلعة في البحر ، فعبر هو وأصحابه اليها ، ووقف التتر على ساحل البحر وأيسوا من لحاقه .

ثم توفي خوارزم شاه بهذه القلعة وهو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش ابن ارسلان بن اطسز بن محمد بن انوش تكين غرشه ، مـدة ملكه إحدى وعشرون سنة وشهوراً . واتسع ملكه من حد العراق إلى تركستان وبعض الهند وبلاد غزنة كلها وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبل وخراسان وبعض فارس وكان عالماً بالفقه والأصول وغيرهما ، صبوراً على التعب والسير .

ولما أيس التتر منه عادوا ففتحوا مازندران وقتلوا أهلها ، ثم فعلوا في الري وهمدان كذلك ثم مراغة في صفر سنة ثماني عشرة وستمائة ، ثم استولوا على خراسان ، ونازلوا خوارزم وقاتلهم أهلها مدة أشد قتال ثم فتحوها . وكان لها سدّ في نهر جيحون ففتحوه وغرق الماء خوارزم وقتلوا أهل تلك البلاد والعلماء والصلحاء والعبـــاد والزهاد ، وخربوا الجوامع ، واحرقوا المصاحف وسبوا الذراري ، وفعلوا ما لم يسمع بمثله ولا قبل الاسلام ، فان بخت نصر ما فعل ببني اسرائيل بعض هذا، فإن كل مدينة من المدن التي خربوا أوسع من القدس بكثير ، وكل أمة قتلوا من المسلمين اضعاف بني اسرائيل الذين قتلهم بخت نصر .

ولمـا فرغ التتر من خراسان عادوا إلى ملكهم فجهز جيشاً كثيفاً إلى غزنة وبها جلال الدين بن علاء الدين محمد خوارزم شاه المذكور مالكاً لها وقد اجتمع اليه جموع من عساكر أبيه ، قيل ستون الفاً ، وكان عـــدد الذين ساروا إليهم من التتر إثنى عشر الفاً ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت التتر وتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاؤوا .

ثم أرسل جنكيز خان عسكراً أكثر من الأول مع بعض أولاده ووصلوا

Marfat.com

إلى كابل ، وقاتـــلوهم فانهزمت التتر ثانياً وقتل المسلمون منهم وغنموا شيئاً كثيراً . وكان في عسكر جلال الدين أمير كبير مقدام هو الذي كسر التتر إسمه بغراق فوقع بينه وبين أمير كبير إسمه خان صاحب هراه له نسب في بيت خوارزم شاه فتنة بسبب الكتب، قتل فيها أخو بغراق، فغضب بغراق وفارق جلال الدين وسار الى الهند وتبعه ثلاثون الف فارس ، ولحقه جلال الدين واستعطفه فلم يرجع فضعف عسكر جلال الدين لذلك .

ثم وصل جنكيز خان بنفسه في جيوشه ، فلم يكن لجلال الدين به قدرة بعد مسير بغراق وجيشه فقصد جلال الدين الهند ، وتبعه جنكيز خان حتى أدركه على نهر السند ، ولم يلحق جـلال الدين ومن معـــه أن يعبروا النهر فاضطروا الى القتال فقاتلوهم قتالاً لم يسمع بمثله ، وصبر الفريقان ثم تأخر كل منهما عن الآخر فعبر جلال الدين النهر الى جهة الهند .

وعاد جنكيز خان فاستولى على غزنة قتلا ونهبـاً ، وكان قـد سار من التتر فرقة عظيمة الى القفجاق فقاتلوهم وهزموهم . واستولوا على مدينـــة القفجاق العظمى وتسمى سوداق ، وكذلك فعلوا بقوم يقال لهم الكزى بلادهم قرب دربند شروان ، ثم سار التتر الى الروس ، وانضم الى الروس القفجـــاق ، وقاتلوهم قتالاً عظيما ، فانتصر التتر وشردوهم قتلاً ، وهرباً في البـلاد .

وفيها في شوال توفي رضى الدين المؤيد بن محمد بن علي الطوسي الأصل النيسابوري الدار المحدث ، أعلى المتأخرين إسناداً ، سمع مسلماً من الفقيه أبي عبد الله محمد بن الفضل الفراوي المتوفى سنة ثلاثين وخمسمائة ، قرأ الفراوي الأصول على إمام الحرمين ، وسمع مسلماً على عبد الغفار الفارسي الإمام في الحديث — المتوفى سنة تسع وعشرين وخمسمائة ،ومولد رضى الدين المؤيد سنة أربع وعشرين وخمسمائة ظناً .

Marfat.com

سنة ثمان عشر وستمائة :

عود دمياط الى المسلمين

تقدم الفرنج الى جهة مصر ووصلوا المنصورة واشتد القتال بين الفريقين براً وبحراً ، وسار المعظم عيسى بن العادل صاحب دمشق إلى أخيه الاشرف ببلاده الشرقية، وطلب منه المسير الى أخيهما الكامل فجمع الأشرف عساكره واستصحب عسكر حلب، واستصحب الناصر صاحب حماة خائفاً على حمادمن الكامل أن يسلم حماه الى المظفر ، فحلف الأشرف للناصر أنه لا يمكن الكامل منه ، واستصحب أيضاً الأمجد صاحب بعلبك والمجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص .

وسار المعظم بعسكر دمشق ووصلوا الى الكامل وهو في قتال الفرنج على المنصورة فركب وتلقاهم وأكرمهم وقويت نفوس المسلمين ، وضعف الفرنج مما شاهدوه من كثرة عساكر الاسلام وتحملهم . واشتد القتال بين الفريقين ورسل الملك الكامل وإخوته مترددة الى الفرنج في الصلح، وبذل لهم المسلمون تسليم القدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وجبلة وجميع ما فتحه صلاح الدين من الساحل الى الكرك والشوبك على أن يصالحوا ويسلموا دمياط ، فأبوا ذلك وطلبوا ثلاثمائة الف دينار عوضاً عن تخريب سور القدس ، وقالوا : لا بد من تسليم الكرك والشوبك .

وبينا الأمر متردد في الصلح والفرنج ممتنعون ، إذ عبر جماعة من عسكر المسلمين في بحر المحلة الى الارض التي عليها الفرنج من دمياط ، فحفروا حفرة عظيمة من النيل في قوة زيادته والفرنج لا خبرة لهم بأمر النيل ، فركب الماء تلك الأرض وصار حائلاً بين الفرنج ودمياط وانقطع عنهم المدد والميرة فهلكوا جوعاً فطلبوا الأمان على أن ينزلوا عن جميع ما بذله المسلمون لهم وعن دمياط ويعقدوا الصلح ، وكان فيهم نحو عشرين ملكاً

Marfat.com

كباراً فاختلفت الآراء بين يدي الملك الكامل فيهم ، فبعضهم قـــال : لا نؤمنهم ونأخذهم ونتسلم بهم ما بقي بأيديهم من الساحل مثل عكا وغيرها ، ثم اتفقوا على أمانهم لطول مدة البيكار ، وضجر العسكر من ثلاث سنين وشهور لهم في القتال ، فأجابهم العادل الى ذلك ، فطلب الفرنج رهينة فبعث الكامل إبنه الصالح أيوب وعمره خمس عشرة سنة الى الفرنج ، وحضر رهينة من الفرنج ملك عكا ونائب البابا صاحب رومية الكبرى، وكندريس، وغيرهم من الملوك ، وذلك سابع رجب منها .

واستحضر الكامل ملوك الفرنج المذكورين ، وجلس مجلساً عظيماً ووقف اخوته وأهل بيته بين يديه ، وتسلم دمياط في تاسع عشر رجب منها وقـد حصنها الفرنج الى غاية ، وولاها السلطان شجاع الدين جلدك مملوك المظفر تقي الدين عمر ودخل دمياط فكان يوماً مشهوداً وهنأه الشعراء .

ثم توجه إلى القاهرة وأذن للملوك في الرجوع إلى بلادهم، فتوجه الأشرف إلى الشرق وانتزع الرقة من صاحبها، وقيل اسمه عمر بن قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود بن زنكي بن اقسنقر قاتل أخيه ، ولقي بغيه لكونه قتل أخاه وأخذ منه سنجار كما مر . ثم أقام الأشرف بالرقة وورد اليه الناصر صاحب حماه مدة وعاد .

وفيها توفي صاحب آمد وحصن كيفا الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق بالقولنج ، وقام بعده ابنه الملك المسعود الذي أخذ منه الكامل آمد ، وكان قبيح السيرة وقيـــل توفي سنة تسع عشرة .

وفيها في جمادى الآخرة خنق قتادة بن ادريس الحسني أمير مكة وعمره نحو تسعين. كان في الأول محسناً واتسعت ولايته ، ثم جدد المظالم والمكوس. وصورة أمره أنه كان مريضاً ، فأرسل عسكراً مع أخيه ومع ابنه الحسن ابن قتادة للاستيلاء على المدينة الشريفة فوثب الحسن بن قتادة على عمه فقتله

في الطريق وعاد الى أبيه بمكة فخنقه . وكان له أخ نائب بقلعة ينبع عن أبيه فاستحضره وقتله أيضاً ، فارتكب من قتلهم أمراً عظيماً ، و استقر في ملك مكة ، ومن شعر قتادة وقد طلبه أمير الحاج ليحضر فامتنع :

ولي كف ضرغام أصول ببطشها وأشري بها بين الورى وأبيـــع
تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها وفي وسطها للمجدبين ربيـــع
أأجعلها تحت الرحا ثم أبتغي خلاصاً لها إني إذاً لرقيـــع
وما أنا إلا المسك في كل بلدة يضوع وأما عندكم فيضيـــع

وفيها توفي جلال الدين صاحب الألموت مقدم الاسماعيلية ، وولي بعـده علاء الدين محمد .

سنة تسع عشرة وستمائة :

وفيها استقل بدر الدين لؤلؤ بملك الموصل ، وتوفي الطفل الذي نصبه وهو ناصر الدين محمود بن القاهر مسعود ، وتسمى لؤلؤ بالملك الرحيم ، وعاضده الاشرف بن العادل ، وقلع لؤلؤ البيت الأتابكي بالكلية ، وملك الموصل نيفاً وأربعين سنة سوى تحكمه أيام استاذه أرسلان شاه وابنه القاهر.

وفيها سار الأشرف وأقام عند أخيه بمصر متنزهاً الى أن خرجت السنة . **وفيها** فوض الأتابك طغر بك الخـــادم مدبر حلب الى الملك الصالح أحمد بن الظاهر أمر الثغر وبكاس والروج ومعرة نصربن ، فسار الصالح واستولى عليها . **وفيها** قصد المعظم صاحب دمشق حماه لأن صاحبها الناصر لم يف له بما التزمه من المال ، وجرى بينهما قتال ثم رحـــل المعظم فاستولى على سلمية وحواصلها ، وولى عليها ثم توجه إلى المعرة ففعل كذلك ثم عاد فأقام بسلمية حتى خرجت هذه السنة على قصد منازلة حماه .

وفيها حج من اليمن الملك المسعود يوسف اطسز وهو إسم تركي ، والعامة تسميه أقسيس ، ووقف بعرفة ، وتقدمت أعلام الخليفة الناصر لترفـع على

Marfat.com

الجبل فمنع المسعود من ذلك ، وقدم أعلام أبيه الكامل على أعلام الخليفة فلم يقدروا على منعه ، ثم عاد إلى اليمن ، وبلغ الخليفة ذلك فأرسل يعتب على الكامل فاعتذر فقبل عذره ، وأقام الملك المسعود باليمن يسيراً ، ثم عاد ليستولي على مكة فقاتله حسن بن قتادة فانتصر المسعود واستمرت مكة له وولى بهـــا وعاد إلى اليمن . **وفيها** توفي الشيخ يونس بن يوسف بن مساعد بالقنية من أعمال دارا وقد ناهز السبعين ، وكان رجلاً صالحاً وله كرامات .

سنة عشرين وستمائة :

فيها رحل المعظم عن سلمية بأمر الملك الكامل صاحب مصر والأشرف وهو عند أخيه الكامل بمصر بعد ، ورجعت المعرة وسلمية للناصر . ثم اتفق الكامل والأشرف وسلما سلمية إلى أخيه المظفر محمود بن الملك المنصورة فأرسل المظفر اليها وهو بمصر نائباً من جهته حسام الدين أبا علي بن محمد بن علي المزباني ، ثم وصل الأشرف من مصر إلى حلب ومعه خلعة وصناجق سلطانية من الكامل ، وأركب الملك العزيز في دست السلطنة ، وعمره عشر سنين ، وأرسل الأشرف منها عسكراً هدموا قلعة اللاذقية إلى الأرض .

ومن أحوال غياث الدين أخي جلال الدين ابني خوارزم شاه **محمد** : كان لجلال الدين أخ يقال له غياث الدين تيرشاه صاحب كرمان ، فلما توجه جلال الدين إلى الهنـــد حسبما مر سنة سبع عشرة تغلب غياث الدين على الري وأصفهان وهمذان وغيرها من عراق العجم ، وهي بلاد الجبل ، فخرج عليه خاله طغان طابسني أكبر امرائه ، فاقتتلا فانهزم طغان طابسني وأقام غياث الدين ببلاده منصوراً .

حادثة غريبة

« مات ملك الكرج فملكوا امرأة بقيت من بيت الملك وأرسل مغيث الدين طغر بك شاه السلجوقي صاحب أرزن الروم يخطبها فأبوا إلا أن يتنصر

Marfat.com

فأمر ولده فسار إلى الكرج فتنصر وتزوجها . وكانت تهوى مملوكاً لها وتكاشر ابن طغر بك شاه فدخل في وقت فوجد المملوك معها في الفراش فلم يصبر وأنكر عليها فاعتقلت زوجها في بعض القلاع ، ثم أحضرت رجلين وصفا لها بالحسن فتزوجت أحدهما ثم فارقته وأحضرت مسلماً من كنجه وهويته وسألته التنصر لتتزوج به فلم يجبها » .

وفيها توفي يوسف المستنصر ملك المغرب بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بعد أن وهن ملكه بانهماكه في اللذات ولم يخلف ولداً فأقيم عم أبيه عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ، ولقب المستضيء ، وكان قد صار فقيراً بمراكش ، وقاسى الدهر فتنعم في المآكل والملابس من غير شرب خمر فخلع بعد تسعة أشهر وقتل .

وملك بعده ابن أخيه عبد الله بن يعقوب المنصور بن يوسق بن عبد المؤمن وتلقب بالعادل .

سنة احدى وعشرين وستمائة :

وفيها وصل التتر الى قرب تبريز ، وأرسلوا الى ازبك بن البهلوان يقولون له : إن كنت في طاعتنا فأرسل من عندك من الخوارزمية الينا ، فقتل بعض الخوارزمية ، وأرسل الباقين اليهم مع تقدمة عظيمة فكفوا عن بلاده ورجعوا الى خراسان . **وفيها** استولى غياث الدين تير شاه أخو جلال الدين بن خوارزم شاه على غالب مملكة فارس من صاحبها الأتابك سعد بن زنكي ، وأقام غياث الدين بشيراز كرسي مملكة فارس ولم يبق مع الأتابك غير الحصون المنيعة ثم اصطلحا على أن يكون لهذا بعض فارس ، ولهذا بعضها .

عصيان الظفر بن غازي بن العادل على أخيه الأشرف :

كان الأشرف قد أعطى أخاه المظفر خلاط ، وهي أقليم أرمينية مملكة عظيمة ، وكان بين المعظم عيسى وبين أخويه الكامل والأشرف وحشة

Marfat.com

لترحيله على سلمية ، وقطع أطماعه عن حماه ، فحسن المعظم لأخيه المظفر صاحب خلاط العصيان على الأشرف فعصي .

وكان قـــد اتفق مع المعظم والمظفر غازي صاحب أربل مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين علي كجك، وكان بدر الدين لؤلؤ منتمياً إلى الأشرف فحصر مظفر الدين صاحب أربل صاحب الموصل عشرة أيام في جمادى الأولى منها ليشتغل الأشرف عن قصد أخيه بخلاط ، ثم رحل عن الموصل لحصانتها فلم يلتفت الأشرف إلى محاصرة الموصل ، وسار فحصر المظفر فسلمت اليه مدينة خلاط وانحصر المظفر في قلعتها ، ونزل ليلا إلى أخيه الأشرف معتذراً فقبل عذره وعفى عنه وأمره على ميافارقين واستعاد باقي البلاد منه وذلك في جمادى الآخرة منها .

سنة إثنتين وعشرين وستمائة :

قلت : فيها سابع رجب توفي زكي الدين أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد ابن رواحة الحموي ، وقيل سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وهـــو منشىء المدرستين الرواحيتين بدمشق وحلب ودفن بدمشق بمقابر الصوفية. والله أعلم .

وفيها قدم جلال الدين من الهند بعد هربه من جنكيزخان إلى كرمان ، ثم إلى أصبهان ، واستولى على عراق العجم ، ثم سار وانتزع فارس من أخيه غياث الدين وأعادها إلى صاحبها أتابك سعد وغياث الدين مطيع لأخيه جلال الدين ، ثم استولى على خوزستان وكانت للخليفة الناصر ، ثم قدم إلى بعقوبا فاستعدت بغداد للحصار ، ونهبت الخوارزمية البلاد وامتلأوا مغانم ، وقوي جلال الدين وعسكره الخوارزمية ، ثم قارب أربل فصالحه صاحبها مظفر الدين ، ثم سار فاستولى على تبريز كرسي مملكة أذربيجان وهرب صاحبها مظفر الدين أزبك بن البهلوان بن ايلدكز ، وكان مشغولاً بالشرب فهرب أزبك إلى كنجه من بلاد اران قريب من برذغة ومتاخمة الكرج .

Marfat.com

واستفحل أمر جلال الدين بملك أذربيجان ، وقاتـــل الكرج وهزمهم وتبعهم يقتل فيهم ، واتفق أنه ثبت عند قاضي تبريز طلاق أزبك بن البهلوان بنت السلطان طغر بـــك آخر السلجوقية ، فتزوجها جلال الدين ، وفتح عسكره كنجه ، وهرب مظفر الدين أزبك بن محمد بن البهلوان من كنجه إلى قلعة هناك ثم هلك .

وفاة الملك الأفضل :

وفيها توفي الملك الأفضل وله سميساط فقط فجأة وعمره سبع وخمسون وكان فاضلاً عادلاً شاعراً لكن قليل الحظ . وفي ذلك يقول :

يا من يسوّد شعره بخضابه لعساه من أهل الشبيبة يحصل
ها فاختضب بسواد حظي مرة ولك الأمان بأنه لا ينصل

ولما أخذت منه دمشق كتب إلى صاحب له :

أي صديق سألت عنه ففي الذل وتحت الخمول في الوطن
وأي ضد سألت حالته سمعت ما لا تحبه أذني

قلت : قد أذكرني هذا قولي :

قال بعض الناس أني فاضل في العلم خامل
وكـذا الفـــاضل مثلي عند قسم الرزق فـــاضل

وقولي :

لا تحرصن على فضل ولا أدب فقد يضر الفتى علم وتحقيق
واحذر تعد من العقال بينهم فإن كل قليل العقل مرزوق
والحظ انفع من خط تزوّقه فما يفيد قليل الحظ تزويق
والعلم يحسب من رزق الفتى وله بكل متسع في الفضل تضييق
أهل الفضائل والآداب قد كسدوا والجاهلون فقد قامت لهم سوق
والناس أعداء من سارت فضائله فإن تعمق قالوا عنه زنديق

والله أعلم .

وفيها في شوال **توفي الامام الناصر لدين الله** وخلافته سبع واربعون سنة، وعمي في آخر عمره، ومات بالدسنطارية وعمره نحو سبعين سنة ، وكان يتشيع وهمته الى البندق والطيور والفتوة ، وقيل انه هو الذي كاتب التتر ليشتغل بهم خوارزم شاه عن العراق . وبويع ابنه الظافر بأمر الله أبو نصر محمد وهو الخامس والثلاثون منهم وعدل وأزال المكوس وأطلق الحبوس وظهر للناس بخلاف أبيه ، ولم تطل مدته غير تسعة أشهر .

قلت : كان جميل الصورة أبيض بحمرة شديد القوى فيه دين وعقل. قيل له ألا تتفسح وتتنزه فقال من فتح بعد العصر ايش يكسب، وكان يقول: الجمع شغل التجار ، أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال ، أتركوني أفعل الخير فكم بقيت أعيش . وقد فرق ليلة العيد في العلماء والصالحين مائة الف دينار [1] .

سنة ثلاث وعشرين وستمائة :

وفيها نازل المعظم عيسى صاحب دمشق **حمص** ، ثم رحل عنها لكثرة موت الخيل ، وورد عليه الأشرف أخوه من الشرق طالباً للصلح فأكرمه ظاهراً وأسره باطناً ، وأقام عنده حتى انقضت هـذه السنة . **وفيها** فتح السلطان جلال الدين تفليس من الكرج ونازل خلاط فطال القتال وبها نائب الأشرف الحاجب حسام الدين على الموصل وذلك في عشري ذي القعدة ورحل عنها لسبع بقين من ذي الحجة لكثرة الثلج .

وفيها في رابع عشر رجب **توفي الخليفة الظاهر بأمر الله** محمد بن الناصر لدين الله كان أبوه شيعياً وكان هو سنياً ، كان أبوه جماعاً وكان هو باذلاً ،

---

١ – قال ابن الأثير : لقد أظهر من العدل والاحسان ما أحيا به سنّة العمرين .

Marfat.com

كان أبوه طويل المدة وكان هو قصير المدة ، كان لأبيه صنجة زائدة لقبض المال فخرج توقيع الظاهر بابطالها وأوله « ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » . وتولى الخلافة بعده إبنه الأكبر المستنصر بالله أبو جعفر المنصور وهو السادس والثلاثون منهم ، فعدل وأحسن كأبيه ، وكان له أخ شجاع عاش حتى قتله التتر ببغداد .

وفيها فتح عسكر علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان صاحب الروم حصن منصور وحصن الكختا وكانا لصاحب آمد . وفيها في نصف ذي الحجة نازل جلال الدين خلاط وهي للأشرف ، وبها نائبه الحاجب المذكور منازلته الثانية وأدركه البرد فرحل عنها [1] .

سنة أربع وعشرين وستمائة :

دخلت والأشرف كالأسير مع المعظم أخيه ،ثم حلف للمعظم أن يعاضده على أخيهما الكامل وعلى صاحبي حماه وحمص فأطلقه في جمادى الآخرة بعد عشرة أشهر ، فلما استقر الاشرف في بلاده تأول ايمانه التي حلفها للمعظم بأنها يمين مكره ، هذا والمعظم موافق لجلال الدين خوارزم شاه على حرب أخويه الكامل والاشرف ، ولما تحقق الكامل اعتضاد أخيه المعظم لجلال الدين خاف من ذلك ، وكتب إلى الاينروز ملك الفرنج أن يقدم إلى عكا ليشغل المعظم عما هو فيه ، ووعده بالقدس ، فسار الاينروز إلى عكا ، وبلغ ذلك المعظم فكاتب الأشرف واستعطفه .

وفيها انتزع الأتابك طغر بك الشغر وبكاس من الصالح أحمد بن الظاهر

---

١ – وفيها مات امام الدين عبد الكريم محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني مصنف الشرح الكبير والصغير على الوجيز والمحرر . ومصنف التذنيب على الشرحين ، وكان مع براعته في العلوم صالحاً زاهداً ذا أحوال وكرامات ، وعلى شرحه الكبير اليوم إعتماد المفتين والحكام في الدنيا . – المؤلف

Marfat.com

وعوضه عنها بعينتاب والراوندان . **وفيها** سار الحاجب حسام الدين علي نائب الأشرف بخلاط بعساكر الأشرف إلى بلاد جلال الدين واستولى على خوي وسلماس ونقجوان . **وفيها** في ذي القعدة **توفي الملك المعظم عيسى** بن العادل أبي بكر بن أيوب بقلعـــة دمشق بالدوسنطاريا ، وعمره تسع وأربعون ، وملكه دمشق تسع سنين وشهور . وكان شجـــاعاً قليل التكلف يركب بلا صناجق غـــالباً بكلوته [1] صفراء بلا شاش ، ويخترق الأسواق بلا مطرق بين يديه ، حتى صار من فعل أمراً بلا تكلف يقال فعله بالمعظمي . وعرف النحو على الكندي ، والفقه على جمال الدين الخضيري ،وكان حنفياً متعصباً لمذهبـــه ، وكان أهل بيته شافعية سواه ، وولي بعده إبنه الملك الناصر صلاح الدين داود ودبر ملكه عز الدين أيبك المعظمي ، وكان لأيبك صرخد وأعمالها .

وفاة ملك المغرب وما كان بعده

فيها خلع العادل عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، وفي أيامه كانت الوقعة مع الفرنج التي هدت قواعد الإسلام بالأندلس ، وبعد خلعه خنق ونهب المصموديون قصره بمراكش ، واستباحوا حرمه .

وملك بعده يحيى بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن عبد المؤمن وما خط عذاره ، فبلغ يحيى أن ادريس بن يعقوب المنصور أخا العادل عبد الله أقام بأشبيلية وتلقب المأمون ، فثارت جماعة من مراكش وانضم اليهم العرب ووثبوا على يحيى بن الناصر فهرب إلى الجبل ثم قتل .

وخطب للمأمون ادريس بمراكش واستقر في الخلافة ببر الأندلس وبر العدوة ثم خرج عليه بشرق الأندلس المتوكل بن هود ، واستولى على الاندلس، فسار ادريس من اشبيلية وعبر البحر إلى مراكش، وخرجت الأندلس حينئذ

---

(١) كلوته : وزان صعوبه : قلنسوة بقي اسمها في الكتب ، والآن سلمت الرؤوس منها.

Marfat.com

عن بني عبد المؤمن . ثم تتبع ادريس الخارجين على من تقدمه ، فسفك دماءهم حتى سمي حجاج المغرب . وكان أصولياً فروعياً ناظماً ناثراً ، عمـــل رسالة طويلة أفصح فيها بتكذيب مهديهم ابن تومرت وضلاله وأسقط اسمه من على المنابر . ثم ثار على ادريس أخوه بسبتة فسار وحصره بها ثم بلغه أن بعض أولاد الناصر بن يعقوب المنصور دخل مراكش فرحل إلى مراكش فمات ادريس بين سبتة ومراكش . وملك بعده ابنه عبد الواحد وتلقب بالرشيد ، ثم توفي غريقاً في صهريج بستانه بحضرة مراكش سنة أربعين وستمائة ، وكان قد أعاد إسم المهدي .

وملك بعده أخوه علي بن ادريس وتلقب بالمعتضد ، وكان أسود مدحوضاً عند أبيه، سجنه وقتاً وقدم عليه أخاه الصغير عبد الواحد، واستمر المعتضد إلى أن قتل في صفر سنة ست وأربعين وستمائة .

وملك بعده أبو حفص عمر بن أبي ابراهيم بن يوسف ،في ربيـع الآخر سنة ست وأربعين وستمائة ، وتلقب بالمرتضى في المحرم سنة خمس وستين وستمائة ودخل الواثق أبو العلاء ادريس المعروف بأبي دبوس مراكش، وهرب المرتضي إلى ازمور من نواحي مراكش ، فقبض وقتل في العشر الآخر من ربيـع الآخر سنة خمس وستين وستمائة في موضع يسمى كتامة يبعد عن مراكش ثلاثة أيام ، وأقام أبو دبوس ثلاث سنين ، وقتل في المحرم سنة ثمان وستين وستمائة ، في الحروب بينه وبين ملوك تلمسان بني مرين . وانقرضت دولة بـني عبد المؤمن واستولى بنو مرين على ملكهم [1] .

سنة خمس وعشرين وستمائة :

وفيها عاود التتر بلاد جلال الدين خوارزم شاه ، وجرت بينهم حروب

---

١ – اختلف في أبي دبوس : فقيل هو ادريس نفسه بن عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، وقيل هو ابن ادريس المأمون .

Marfat.com

ظفر التتر في أكثرها . **وفيها** : قدم الانبراطور فردريك الى عكا بجموعه ، أرسل الكامل فخر الدين بن الشيخ يستدعيه إلى الشام بسبب أخيه المعظم فوصل وقد مات المعظم فنشب به الكامل ، واستولى على صيدا وكانت مناصفة ، وعمر سورها الخراب ومعنى «الانبراطور» بالفرنجية ملك الأمراء . وكان صاحب جزيرة صقلية ، ومن البر الطويل بلاد انبولية والانبردية ، وكان فرنجياً فاضلا محباً للحكمة والمنطق ، مائلا إلى المسلمين لأن منشأه بجزيرة صقلية وغالبها مسلمون . وجاءه القاضي جمال الدين بن واصل رسولاً من الملك الظاهر بيبرس ورأى تلك البلاد ، وما زالت الرسل بين الكامل والأنبراطور حتى خرجت السنة . **وفيها** بعد فراغ جلال الدين من التتر نهب بلاد خلاط وقتل وخرب . **وفيها** : خاف غياث الدين تير شاه أخاه جلال الدين ففارقه الى الاسماعيلية .

سنة ست وعشرين وستمائة :

وفيها بلغ الناصر داود وهو مقيم بنابلس إتفاق أخويه الكامل والأشرف على أخذ دمشق منه ، وكان قد أخرجه الأشرف الى نابلس ليشفع فيه عند الكامل ، فرحل الناصر داود الى دمشق وكان قد لحقه عمه الأشرف بالغور ووصّاه بطاعة الكامل فلم يلتفت الناصر داود الى ذلك ، وسار الأشرف في أثره وحصره بدمشق والكامل مشتغل بمراسلة الانبراطور ، ولما لم يجد الكامل بداً من المهادنة سلم القدس الى الانبراطور على أن يستمر سوره خرابا ، ولا يتعرض إلى قبة الصخرة ولا الجامع الاقصى ، ويكون الحكم في الرساتيق الى والي المسلمين ، وتكون لهم القرى على الطريق من عكا إلى القدس فقط .

فأخذ الناصر داود وهو بدمشق محصور في التشنيع على عمه بذلك، وكان بدمشق شمس الدين يوسف سبط أبي الفرج بن الجوزي ، وكان واعظاً وله قبول فأمره الناصر فعمل مجلس وعظ ذكر فيه فضل بيت المقدس ومصيبة المسلمين بتسليمه الى الفرنج وأنشد قصيدة دعبل الخزاعي منها :

Marfat.com

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فارتفع بكاء الناس وضجيجهم ، وسلم الكامل القدس إلى الفرنج وسار إلى دمشق يحاصر ابن أخيه في جمادى الأولى منها ، واشتد الحصار على دمشق ، ووصل رسول الملك العزيز صاحب حلب يخطب بنت الكامل فزوجه بنتـه فاطمة خاتون من السوداء أم ولده أبي بكر العادل بن الكامل .

ثم استولى الكامل على دمشق ،وعوض الناصر داود عنها بالكرك والبلقاء والصلت والأغوار والشوبك ، وأخذ الكامل لنفسه البلاد الشرقية التي عينت للناصر،وهي حران والرها وغيرهما التي كانت بيد الأشرف، واعطاه دمشق .

وفيها توفي الملك المسعود بن الكامل بن العادل المعروف باقسيس صاحب اليمن ، مرض بها وسار الى مكة وهي له ، فمات ودفن بالمعلاة وعمره ست وعشرون سنة، وملكه أربع عشرة سنة . وبلغ ذلك أباه وهو محاصر دمشق فجلس للعزاء. وترك المسعود إبناً صغيراً اسمه يوسف بقي حتى مات في سلطنة عمه الصالح أيوب صاحب مصر، وترك ابنه موسى ولقب بالأشرف وهو الذي أقامه الترك في ملك مصر بعد قتل المعظم بن الصالح بن الكامل كما سيأتي .

وفيها أرسل الأشرف مملوكه الأمير عز الدين ايبك الأشرفي الى خلاط فقبض على علي الحاجب على الموصل وقتله ، وهذا الحاجب حسام الدين علي بنى الخان الذي بين حران ونصيبين، والخان الذي بين حمص ودمشق المعروف بخان بربخ العطش ، وهرب للحاجب مملوك لما قتل ولحق بجلال الدين فلما ملك جلال الدين خلاط سلم ايبك اليه فقتله باستاذه .

ذكر ملك المظفر محمود بن المنصور محمد لحماه :

ولما سلم الكامل دمشق إلى الأشرف أخيه قدم إلى سلميـــة ، ونازل عسكره حماه وبها الملك الناصر قلج أرسلان ، فأرسل الناصر يقول لشيركوه وهو على حماه أيضاً : إني أريد أن أخرج اليك بالليل لتحضرني عند السلطان

Marfat.com

الملك الكامل . وخرج الى شيركوه في رمضان منها فمضى به الى الكامل بسلمية فشتمه وأمر باعتقاله وأسره ، فكتب الناصر علامته الى نوابه بحماه ليسلموهـا الى عسكر الكامل ، فامتنع من ذلك الطواشيـان مرسل وبشير المنصوريان .

وكان المعز أخو الناصر المذكور بقلعة حمـاه فملكوه وقالوا : لا نسلم حماه لغير أولاد تقي الدين. فأرسل الكامل يقول للمظفر بن المنصور صاحب حماة إتفق مع غلمان ابيك وتسلم حماه ، فراسلهم المظفر فحلفوه لهم وحلفوا له وواعدوه أن يحضر بجماعته خاصة وقت السحر ، ففعل ففتحوا له باب النصر. فدخل المظفر ومضى الى دار الوزير المعروفة بدار الأكرم داخل باب المغار – وهي الآن مدرسة تعرف بالخاتونية وقفتها مؤنسة خاتون بنت الملك المظفر المذكورة – وهنىء بالملك، وذلك في أواخر رمضان منها،ومدة الناصر قلج أرسلان بحماه نحو تسع سنين ، وصعد المظفر في الثالث الى القلعة وعمره يومئذ نحو سبع وعشرين سنة ، وأخوه الناصر أصغر منـه بسنة ، وفوض المظفر أمر حماة الى سيف الدين علي بن أبي علي الميزباني ، وكان يقول له : « اشتهي أن أراك صاحب حماة وأكون بعين وأحدة » ، فأصيبت عينه على حصار حماه فحظي عند المظفر لذلك ولحسن تدبيره ، ثم انتزع الكامل منه سلمية لشيركوه صاحب حمص حسبما وقع عليه الاتفاق من قبل . ثم أعطى المظفر أخاه الناصر بارين وقلعتها بأمر العادل ، واقتصر المظفر على حمـاة والمعرة . وفيه يقول الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري الدمشقي :

تناهى اليك المجد واشتد كاهله وحل بك الراجي فحطت رواحله
ترحلت عن مصر فأمحل ربعهـا ولما حللت الشأم روّض ماحـله
وعزت حمـاة في حمى أنت ليثه بصولتـه يحمي كليب ووائله
وقد طال ما ظلت بتدبير أهوج يجيب مرجيـه ويحرم سائـله

Marfat.com

ثم أن الكامل رحل عن سلمية الى البلاد الشرقية فنظر في مصالحهـــا فلحقه المظفر من حماه وهو بالشرق . وعقد له الكامل هناك على ابنته غازية خاتون شقيقة الملك المسعود صاحب اليمن والدة المنصور صاحب حماة، وأخيه الملك الافضـــل نور الدين علي ابني المظفر محمود . ثم عاد الملك الى حماة ، وكان صاحبه الزكي القوصي أنشده بمصر متمنياً له ملك حـــماة وبنت خاله الملك الكامل :

متى أراك كما أهـوى وأنت ومن تهوى كأنكما روحـان في بدن
هناك أنشد والاقدار مصغية هنيت بالملك والأحباب والوطن

فقال الملك المظفر : ان صار ذلك يا زكي أعطيتك ألف دينار مصرية ، ولما ملك حماه أعطاه ما وعده به، ثم لما قرر الكامل البلاد الشرقية عاد الى مصر.

وفيها أرسل الملك الأشرف أخاه الصالح اسماعيل بن العادل وهو صاحب بصرى بعسكر فنازل بعلبك وبها صاحبها الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه ابن أيوب ، واستمر الحصار عليه . **وفيها** : حاصر جلال الدين ملك الخوارزمية خلاط ، وبها أيبك نائب الأشرف إلى أن خرجت السنة .

سنة سبع وعشرين وستمائة :

وفيها شرع شيركوه صاحب حمص في عمارة قلعة شميميس بإذن الكامل على كره من المظفر صاحب حماه . **وفيها** سلم الأمجد بعلبك إلى الأشرف لطول الحصار ، وعوضه بالزبداني وقصير دمشق شمالها وغيره ، فتوجه الأشرف إلى داره داخل باب النصر بدمشق وهي اليوم دار السعادة . ثم ان الأمجد حبس مملوكاً له في مرقد عنده بها ولعب بالنرد قدام المرقـد ففتح المملوك البـاب وضرب استاذه بسيف فقتله ، ثم القى نفسه من سطحها فمات ، ودفن الأمجد بمدرسة والده على الشرف . ملك بعلبك تسعاً وأربعين سنة، والأمجد أشعر بني أيوب وشعره مشهور . **وفيها** : بعد طول المحاصرة هجم جلال الدين خلاط

Marfat.com

بالسيف ، وفعل أفعال التتر قتلا واسترقاقاً ونهباً ، ثم قبض على نائبها ايبك ، وقتل حسبما تقدم .

هزيمة جلال الدين :

وبعد كائنة خلاط اتفق كيقباد بن كيخسرو صاحب الروم والأشرف بن العادل واجتمعا بسيواس ، وسار إلى جهة خلاط والتقى الجمعـــان في التاسع والعشرين من رمضان منها ، فانهزم جلال الدين والخوارزمية وهلك غالبهم قتـلا وترديا من جبال في طريقهم . وقويت التتر بعدها على جلال الدين ، وارتجع الأشرف خلاط خرابا ، ثم تحـالف الأشرف وكيقباد وتصالحا على ما بأيديهما .

وفيها استولى الملك المظفر غازي بن العادل على أرزن من ديار بكر – غير أرزن الروم – من صاحبها حسام الدين من بيت قديم في الملك يعرفون ببيت الأحدب ، وهي لهم من أيام ملكشاه السلجوقي ، وعوضه بحاني . **وفيها** جمع الفرنج من حصن الاكراد وقصدوا حماه فكسرهم المظفر صاحبها عنـد قرية افيون بين حماه وبارين وعاد المظفر مظفراً . **وفيها** ولد الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب .

سنة ثمان وعشرين وستمائة :

زحف التتار على الشام

وفيها عادت التتر فسفكت في بلاد الاسلام وخربت ، مع ضعف جلال الدين لسوء سيرته ، ولم يترك له من ملوك الاطراف صديقاً ، وفسد عقله بموت مملوك يحبه واستصحب المملوك ميتاً ، وكان يرسل له الطعام ولا يتجاسر أحد أن يتكلم له بموته ، فخرج بعض الأمراء عن طاعتـه فضعف أمره لذلك ، ولكسرته من الملك الأشرف ، فتمكنت التتر من البلاد واستولوا على مراغة ثانياً .

فسار جلال الدين يريد الخليفة وملوك الاطراف ليعضدوه على التتر ويخوفهم

Marfat.com

عاقبة أمرهم ، فلم يشعر وهو بالقرب من آمد إلا وقد كبسوه ليلا وخالطوا مخيمه فهرب جلال الدين وقتل كما سيأتي ، فتمكنت التتر وساقوا حتى وصلوا في هذه السنة الى الفرات ، واضطرب الشام ، وشنوا الغارات في ديار بكر قتلاً وتخريباً .

تلخيص من تاريخ جلال الدين [1]

وذلك أن خوارزم شاه محمد بن تكش ، إتسع ملكه وقسم البلاد بين أولاده الاربعة ، اكبرهم جلال الدين منكبرني ، ملكه غزنة وباميان والغور وبست وبكيا باد وزوز ميرداور وما يليها من الهند .

وملك قطب الدين ازلاغ شاه خوارزم وخراسان ومازندران وجعله ولي عهده ، ثم عزله عن ولاية العهد وفوّضها إلى جلال الدين .

وملك غياث الدين تير شاه كرمان وكيش ومكران ، وملك ركن الدين غور شاه تختي العراق .

وكان أحسنهم خَلقاً وخُلقاً ، قتله التتر بعد موت أبيه ، وضرب لكل منهم النوب الخمس في أوقات الصلاة على عادة السلجوقية .

وانفرد الشيخ بنوبة ذي القرنين تضرب وقت طلوع الشمس وغروبها ، وكانت سبعاً وعشرين دبدابة [2] من الذهب مرصعة بأنواع الجواهر وكذلك باقي آلات النوبتية ، وجعل سبعة وعشرين ملكاً يضربونها في أول يوم فرغت من اكابر الملوك أولاد السلاطين منهم ابن طغر بك وأرسلان السلجوقي وأولاد غياث الدين صاحب الغور ، والملك علاء الدين صاحب باميان والملك تاج الدين صاحب بلخ وابنه الملك الاعظم صاحب ترمذ ، والملك سنجر صاحب بخارا وأشباههم ، وأم خوارزم شاه محمد تركان خاتون من قبيلة بياروت من فروع

---

١ – لشهاب الدين محمد المنشي النسوي ، وكان النسوي مع جلال الدين الى ان كبسه التتر .

٢ – الدبداب : الطبل الكبير .

Marfat.com

تمك بنت ملك منهم تزوجها تكش بن أرسلان بن اطسز بن محمد بن انوش تكين غرشه ، فلما صار الملك إلى ولده محمد بن تكش قدم إلى والدته تركان خاتون قبائل تمك من الترك فعظم شأن ابنها السلطان محمد بهم ، وتحكمت هي بسببهم فلها في كل اقليم ناحية جليلة .

وكان لهـا رأي وهيبة ، تنتصف للمظلوم ، جسورة على القتل يقدمّ من توقيعها وتوقيع ابنها أحدثهما تاريخـاً وصغرى تواقيعها « عصمة الدنيا والدين الغ تركان ملكة نساء العالمين) وعلامتها « اعتصمت بالله وحده » تجوّدها بقلم غليظ . ثم لما هرب خوارزم شاه محمد من التتر بما وراء النهر عبر جيحون ، ثم سار الى خراسان والتتر تتبعه ، ووصل الى عراق العجم ، ونزل عند بسطام وأحضر عشرة صناديق جواهر ، وقال عن صندوقين منها أن بهما جواهر تساوي خراج الأرض بجملتها ، وحملها إلى قلعـــة اردهن هي أحصن قلاع الأرض ، وأخذ خط النائب بها بوصولها مختومة ، فلما استولى جنكيز خان على تلك البلاد حملت اليه الصناديق بختومها. ثم أن التتر ادركوا محمد المذكور فركب في المركب ولحقه التتر ورموه بالنشاب ونجى منهم . وقد حصل له مرض ذات الجنب وأقـــام بجزيرة في البحر طريداً فريداً ، لا يملك طارفا ولا تليداً .

قلت :

وفارق المسكين أوطانـه ... وملكه ممتحنـــاً بالمرض
وكم حوى من جوهر مثمن ... فما فدا الجوهر هذا العرض

والله أعلم .

وصار مرضه يزداد ، وكان في أهل مازندان أن اناساً يتقربون اليه بمـا يشتهيه فاشتهى عنده فرساً يرعى حول خيمة صغيرة قد ضربت له فأهدي اليه فرس أصفر . وكان له ثلاثون الف جشار من الخيل ، وصار إذا أهدى اليه أحد شيئاً وهو على تلك الحال في الجزيرة يطلق له شيئاً ، ولم يكن معه من

Marfat.com

يكتب التواقيع فيكتب ذلك المهدي توقيعه بنفسه ، ويعطي مثل السكين والمنديل علامة باطلاق البلاد والأموال . فلما تولى ابنه جلال الدين أمضى ذلك كله ، ثم مات السلطان محمد بالجزيرة على تلك الحالة فغسله شمس الدين محمود بن بلاغ الجاوش ومقرب الدين مقدم الفراشين وكفن في قميصه لعدم كفن ودفن بالجزيرة سنة سبع عشرة وستمائة بعد ان كان بابه مزدحم ملوك الأرض ، وكانت حاشيته ملوك طستداره وركبداره وسلحداره وجنداره وغيرهم وفي أعلامهم علامات وظائفهم .

وكان سماطه معظما مفخماً ، وتفرد في الحشمة عن الملوك بأشياء لا يشارك فيها ، ثم سار جلال الدين بعد موت أبيه السلطان محمد من الجزيرة إلى خوارزم ثم هرب من التتر ولحق بغزنة وجرى بينه وبين التتر من القتال ما تقدم ذكره، وسار اليه جنكيزخان فهرب جلال الدين من غزنة إلى الهند فلحقه جنكيزخان على ماء السند ، وتصافا صبيحة الاربعاء لثمان خلون من شوال سنة ثمان عشرة وستمائة ، ونصر جلال الدين أولاً ، ثم كسر وحال بينهما الليل ، وولى جلال الدين منهزماً ، وأسر ابنه وهو ابن سبع سنين ، وقتل بين يدي جنكيز خان صبراً ، ولما عاد جلال الدين إلى حافة ماء السند كسيراً رأى والدته وأم ابنه وحرمه يصحن: بالله عليك اقتلنا وخلصنا من الأسر، فأمر بهن فغرقن وهذه من عجائب البلايا ونوادر الرزايا .

قلت :

من ملك الدنيا ودانت له ... فالجهل كل الجهل أن يحسدا
بقدر ما ترفع اصحابها ... تحطهم فالرأي قرب المدا
ويلي على المغري بعلیائها ... سيضحك اليوم ويبكي غداً
تعطيه كالمشفق لكنها ... تبطش في الأخذ كبطش العدا
مبتدأ حلو لمن ذاقه ... ولكن أنظر خبر المبتدا
غدّارة خوّانة أهلها ... ما زهد الزهاد فيها سدى

والله أعلم .

Marfat.com

ثم ان جلال الدين وعسكره اقتحموا ذلك النهر العظيم فنجى منهم إلى ذلك البر نحو اربعة آلاف رجل حفاة عراة ، ورمى الموج جلال الدين مع ثلاثة من خواصه إلى موضع بعيد ولقوه بعد ثلاثة ايام فاعتدوا مقدمه عيداً وظنوا انهم أنشأوا خلقاً جديداً . ثم جرى بين جلال الدين وبين أهل تلك البلاد وقائع انتصر هو فيها ، ووصل إلى لهاوور من الهند ، ولما عزم على العود إلى جهـــة العراق إستناب بهلوان ازبك على ما يملكه من بلاد الهند ، واستناب معه حسن فرات ، ولقبه وفاملك ، وفي سنة سبع وعشرين وستمائة طرد وفا ملك بهلوان ازبك ، واستولى على بلاده ووصل جلال الدين إلى كرمان سنة إحدى وعشرين وستمائة وقاسى هو وعسكره في البراري القاطعة بين كرمان والهند شدائد ، ووصل معه اربعة آلاف رجل بعضهم ركاب أبقار وبعضهم ركاب حمير .

ثم سار جلال الدين إلى خوزستان واستولى عليها ثم على آذربيجان ثم على كنجه وسائر بلاد أران ، ثم نقل أباه من الجزيرة إلى قلعة اردهن ودفنه بها ، ولما استولى التتر على هذه القلعة نبشوه وأحرقوه . وهذا فعلهم في كل ملك عرفوا قبره فانهم احرقوا عظام محمود بن سبكتكين بغزنة .

ثم ذكر استيلاء جلال الدين على خلاط وغير ذلك ، ثم ذكر نزوله على جسر قرب آمد وإرساله يستنجد الأشرف بن العادل فلم ينجده وعزم جلال الدين على المسير إلى اصبهان ، ثم انثنى عزمه ، وبات بمنزله ، وشرب تلك الليلة ، وسكر سكراً أصحاه منه الندم ، وأوجد له العدم وأحاط التتر به وبعسكره مصبحين :

فمساهم وبسطهـــم حرير وصبحهم وبسطهم تراب
ومن في كفه منهم قناة كمن في كفه منهم خضاب

وأحاطت التتر بخركاه جلال الدين وهو نائم سكران فحمل ازخـــان وكشف التتر عن الخركاه ودخل بعض الخواص وأخذ بيد جلال الدين وأخرجه

Marfat.com

وعليه طاقية بيضاء فأركبه الفرس وساق ازخان مع جلال الدين ، وتبعه التتر فقال جلال الدين لأزخان انفرد عني بحيث يشتغل التتر بتتبع سوادك ، وكان ذلك خطأ منه فان ازخان تبعه نحو اربعة آلاف من العسكر وقصدوا اصبهان واستولى عليها مدة ، ولما انفرد جلال الدين عن ازخان سار إلى باشورة آمد فما مكنوه من الدخول فسار إلى قرية من قرى ميافارقين طالباً شهاب الدين بن الملك العادل صاحب ميا فارقين .

ثم لحقه التتر في تلك القرية فهرب جلال الدين إلى جبل هناك به اكراد يتخطفون الناس فأخذوه وشلحوه وأرادوا قتله فقال جلال الدين لأحدهم اني أنا السلطان فاستبقني اجعلك ملكاً ، فجعله الكردي عند امرأته ومضى إلى الجبل، فحضر كردي معه حربة، وقال للمرأة لم لا تقتلون هذا الخوارزمي ؟ فقالت المرأة قد أمنه زوجي. فقال الكردي انه السلطان ، وقد قتل لي اخاً بخلاط خيراً منه ، وضربه بالحربة فقتله .

وكان اسمر قصيراً تركي الشارة والعبارة ويتكلم ايضاً بالفارسية ، كاتب الخليفة بما كاتبه ابوه ، فكان يكتب خادمه المطواع منكرتي وكاتبه بعد اخذ خلاط بعبده ، وكان يخاطب بخداوند عالم ، أي صاحب العالم ، ومقتله منتصف شوال سنة ثمان وعشرين وستمائة .

وفيها [1] في ذي القعدة توفي بالقاهرة أبو الحسن يحيى بن معطي بن عبد النور الزواوي الحنفي النحوي اللغوي ، سكن دمشق طويلاً ، وله الألفية والفصول وغيرهما ، ومولده سنة أربع وستين وخمسمائة ، ونسبته إلى زواوة قبيلة بظاهر بجاية من أعمال أفريقية .

---

١ – وفي هذه السنة(٦٢٨)انتهى التاريخ الكامل لعز الدين علي بن الأثير المؤلف من هبوط آدم . توفي عز الدين سنة ثلاثين وستمائة بالموصل منقطعاً في بيته للتوفر على العلم ، ومولده بجزيرة ابن عمر ونسبت الجزيرة الى عبد العزيز بن عمر من أهل برقعيد من أعمال الموصل لأنه بنى مدينتها .

Marfat.com

قلت : ألفيّته المذكورة كما قلت في ديباجة شرحها الذي سميته ضوء الدرة شاهدة لناظمها باصابة الصواب والتفنن في الآداب ، حتى كان سيبويه ذا الاعراب قال له : يا يحيى خذ الكتاب ، ورأيت الشراح يخطؤونه في قوله في آخرها :

وفق مراد المنتهى والمنشأة في الخمسين والتسعين والخمسمائة

وهذا لا يجوز لاضافة المعرفة إلى النكرة . ثم وجد في نسخة قرئت عليه والخمس المائة وهذا صواب . ولما حج وعاين الكعبة أنشد :

ولما تبدّى لي من السجف جانب ومقلة ليلى من وراء نقابها
بعثت رسول الدمع بيني وبينها لتأذن في قربي وتقبيل بابها
فما أذنت إلا بايماض برقهـا ولا سمحت إلا بلثم ترابهـا

والله اعلم .

سنة تسعين وعشرين وستمائة :

وفيها كان الكامل والأشرف بمصر ، والمظفر بحماه ، والعزيز محمد بن الظاهر غازي بحلب ، والتتر قد ملكوا العجم كله والخليفة المستنصر بالعراق. ثم اجتمع مع الكامل ملوك أهل بيته في جمع عظيم وسار وحصر آمد وتسلمها من الملك المسعود بن الصالح محمود بن محمد بن قرا ارسلان بن سقمان بن ارتق لسوء سيرته وتعرضه إلى حريم الناس ، ومحمد بن قرا ارسلان هو الذي ملكه صلاح الدين آمد بعد نزعها من ابن بيسان ، وتسلم الكامل أيضاً من المسعود حصن كيفا وهي غاية في الحصانة ، وأقطع المسعود بمصر اقطاعاً جليلا ، وأحسن اليه ، ثم بدت منه أمور اعتقله الكامل بسببها .

ولما مات الكامل خرج من الاعتقال ثم اتصل بالتتر فقتلوه . وجعل الكامل في مملكة آمد ابنه الصالح نجم الدين أيوب ومعه شمس الدين صواب العادلي . ولما خرج الكامل من مصر خرجت معـــه بنتاه فاطمة خاتون زوج العزيز

صاحب حلب وغازية خاتون زوج المظفر صاحب حماه وحلب، كل واحدة إلى بعلها . **وفيها** (ظناً) توفي علي بن رسول واستقر مكانه ابنه عمر .

سنة ثلاثين وستمائة :

رجع الكامل من الشرق إلى مصر ورجع كل ملك إلى بلده . وكانت شيزر بيد شهاب الدين يوسف بن مسعود بن عثمان بن الداية ، وعثمان هذا واخوته من أكابر أمراء نور الدين بن زنكي .

ثم اعتقل الصالح اسماعيل بن نور الدين سابق الدين عثمان المذكور وشمس الدين أخاه ، فجعل صلاح الدين ذلك حجة لقصد الشأم وانتزاعه من الصالح، فاتصل أولاد الداية بخدمة صلاح الدين امراء ، وأقر صلاح الدين عثمان على اقطاعه شيزر وزاده أبا قبيس لما قتل صاحبها خمار دكين .

ثم ملك شيزر بعده ابنه مسعود بن عثمان حتى مات وصارت لابنه شهاب الدين يوسف إلى هذه السنة ، فسار العزيز بأمر الكامل وحاصرها وساعده المظفر صاحب حماه ، **فسلمها شهاب الدين الى العزيز بن الظاهر** ، ونزل اليه وهنأه يحيى بن خالد القيسراني بقوله :

يا مالكاً عم أهل الأرض نائله وخص إحسانه الداني مع القاصي
لما رأت شيزر آيات نصرك في أرجائها القت العاصي إلى العاصي

قلت :

وحاصرها العزيز حصار فتح وعز بأخذه الحصن المنيعا
وظنوا بالعزيز العجز عنها فجاء اليه عاصيها مطيعا

والله أعلم .

وفيها حاصر المظفر صاحب حماه أخـــاه الناصر ببارين بأمر العادل خوفاً من أن يسلمها للفرنج لضعفه عنهم ، وانتزعها منه وأكرمه وسأله الاقامة عنده بحماه فامتنع وسار إلى مصر فأقطعه الكامل اقطاعاً جليلاً ، وأطلق

Marfat.com

له أملاك جده بدمشق ، ثم بدا منه كلام فاعتقله الكامل إلى أن مات الناصر قلج ارسلان سنة خمس وثلاثين وستمائة قبل موت الكامل بأيام .

وفيها توفي مظفر الدين كوكبوري بن زيد الدين علي كجك ولم يكن له ولد ، فوصى ببلاده للخليفة المستنصر فتسلمها بعده ، وكان عسوفاً في استخراج المال ، ويحتفل بمولد النبي ﷺ وينفق عليه الأموال الجليلة .

سنة إحدى وثلاثين وستمائة :

وفيها في المحرم توفي شهاب الدين طغر بك الأتابك بحلب .

قلت : وله أوقاف مبرورة ، وواقعته مع الشيخ نبهان بن غيار الحبريني العبد الصالح مشهورة . والله أعلم .

وفيها تعرض كيقباذ صاحب الروم إلى بلاط خلاط ، فقصده الملك الكامل بعساكره من مصر ، ونزل على النهر الأزرق في حدود بلاط الروم وقد ضربت في عسكره ستة عشر دهليزاً لستة عشر ملكاً في خدمته ، منهم اخوته الاربعة : الأشرف موسى صاحب دمشق ، والمظفر غازي صاحب ميافارقين ، والحافظ أرسلان شاه صاحب قلعة جعبر ، والصالح اسماعيل ، والمعظم توران شاه بن صلاح الدين مقدماً على عسكر حلب ، أرسله ابن أخيه العزيز والزاهر داود بن صلاح الدين صاحب ألبيرة ، وأخوه الأفضل موسى صاحب سميساط ملكها بعد أخيه الأفضل علي ، والمظفر صاحب حماه ، والصالح أحمد صاحب عينتاب ابن الظاهر ، وصاحب حلب والناصر داود صاحب الكرك ابن المعظم عيسى بن العادل ، والمجاهد شيركوه صاحب حمص ابن محمد بن شيركوه .

ولم يتمكن السلطان من دخول الروم من جهة النهر الأزرق لحفظ رجال كيقباذ الدربندات ، وأرسل السلطان بعض العسكر الى حصن منصور من بلاد كيقباذ فهزموه فقطع السلطان الفرات وسار الى السويداء ، وقدم جاليشه

نحو الفين وخمسمائة فارس مع المظفر صاحب حماه ، فسار المظفر بهم إلى خرت برت،وسار كيقباذ ملك الروم إليهم ، واقتتلوا فانهزم الجاليش المذكورون ، وانحصر المظفر صاحب حماه في خرت برت في جماعة ، وجدّ كيقبـــاذ في حصارهم والكامل بالسويدا ، وقد أحس بمخامرة الملوك الذين معه وتقاعدهم فإن شيركوه صاحب حمص سعى إليهم وقال : ان السلطان ذكر أنه متى ملك الروم فرقه على ملوك بيته ، وينفرد بملك الشام ومصر، ففسدت نياتهم لذلك. فأحجم الكامل عن كيقباذ ، ودام الحصار على المظفر فطلب الأمان فأمنه كيقباذ وأكرمه وخلع عليه وتسلم خرت برت من صاحبها من الارتقيـــة ، وأطلق كيقباذ المظفر بعد يومين ، وسار من عنده لخمس بقين من ذي القعدة منها إلى الكامل بالسويدا من بلد آمد ففرح به ، وطلق الكامل بنته من الناصر داود صاحب الكرك لقوة الوحشة منه .

وفيها تم بناء قلعة المعرة وكان سيف الدين علي بن أبي علي المزباني قـد أشار على الملك المظفر صاحب حماه ببنائها ، وشحنهـــا بالرجال والسلاح ولم يكن ذلك مصلحة للحمويين ، فان الحلبيين حاصروها بعد ، وأخذوهـا وخربت المعرة بسببها .

وفيها توفي سيف الدين الآمدي علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي وكان حنبلياً وصار شافعياً ، وبرع في العقليات، وصنف فيها وفي اصول الفقه والدين مصنفات ، وتصدّر بمصر في الجامع والمدرسة الملاصقة لتربة الشافعي وحصل عليه تحامل ، وكتب محضر بانحلال عقيدته وبالفلسفة ، وأحضروه لبعض الفضلاء ليكتب خطه أسوة الجماعة فكتب :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعـــداء له وخصوم

فاستتر الآمدي ، ثم قدم حماه ثم قدم دمشق وبها توفي ، ومولده سنة إحدى وخمسين وخمسمائة .

Marfat.com

وفيها توفي الصلاح الأربلي ، فاضل شاعر محظي عند الملكين الكامل والأشرف ابني العادل .

سنة إثنتين وثلاثين وستمائة :

وفيها عاد الكامل من الشرق إلى مصر وكل ملك إلى بلده للتخاذل الذي تقدم . **وفيها** توفي الملك الزاهر داود صاحب ألبيرة بن السلطان صلاح الدين مرض في العسكر وحمل إلى البيرة وتوفي بها ، وملكها بعده ابن أخيه الملك العزيز صاحب حلب والزاهر شقيق الظاهر صاحب حلب .

وفيها توفي القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم بن شداد [1] . وكان قاضي عسكر صلاح الدين ، وتوفي صلاح الدين وعمر القاضي نحو خمسين سنة ، ونال عند أولاد صلاح الدين وعند الأتابك طغر بك منزلة قل أن تنال ، وصار قاضي حلب ، وأقطعه العزيز في السنة ما يزيد على مائة الف درهم ، وكان فاضلاً ديّناً .

قلت : وعمّر بحلب دار حديث ومدرسة متلاصقتين ، وجعل تربته بينهما، فقال بعض الناس : هذه تربة بين روضتين ، ورجا أن تشمله بركة العلم ميتاً كما شملته حياً،وأن يكون في قبره من سماع الحديث والفقه بين الريّ والريّا.

ربما أنعش المحب عيان من بعيد أو زورة من خيال
أو حديث وإن أريد سواه فسماع الحديث نوع وصال

والله أعلم .

وفيها ولد الملك المنصور محمد بن الملك المظفر صاحب حماه في يوم الخميس لليلتين بقيتا من ربيع الاول ، وقد قدم المظفر من خدمة الملك الكامل قبله بيومين فقال الشيخ شرف الدين عبد العزيز محمد مهنئاً بقدوم الوالد والولد في قصيدة طويلة منها :

---

١ – ليس في آبائه شداد ، وقد يكون في نسب أمه ، فاشتهر به . أصله من الموصل .

Marfat.com

غدا الملك محروس الذرى والقواعد بأشرف مـــولود لأشرف والد
حبينـــا به يوم الخميس كأنـــه خميس بدا للناس في شخص واحد
وسميتـــه باسم النبي محمـــد وجدّيه فاستوفى جميع المحـــامد

إسم جديه الكامل محمد والد والدته والمنصور صاحب حماه والد والده، ومنها:

كأني بـــه في عزة الملك جالساً وقد ساد في أوصافه كل سائد
ووافـــاك من أبنائـــه وبنيهم بأنجم سعد نورها غير خـــامد
ألا أيها الملك المظفر دعـوتي سيورى بها زندي ويشتد ساعدي
هنيئاً لك الملك الذي بقدومه ترحل عنـــا كل هم معاود

وفيها حصر كيقباذ صاحب الروم حران والرها ، وملكهـــا من الملك الكامل بعد عوده . **وفيها** توفي بالقاهرة القاسم بن عمر بن علي الحموي، المصري الدار ، ابن الفارض ، وله أشعار جيدة منها التائية على طريقة التصوف نحو ستمائة بيت .

قلت : **وفيها** توفي الشيخ شهاب الدين السهروردي [1] وكان شيخاً صالحاً ورعاً فقيهاً شافعياً كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة وتخرج عليه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة، منهم شيخنا العارف ذو الفضائل والكرامات تاج الدين جعفر بن محمود بن سيف السراج الحلبي ، وسيـــأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

صحب الشيخ شهاب الدين عمه أبا النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد ابن عمويـــه التيمي البكري وأخذ عنـــه التصوف والوعظ ، والشيخ محيي الدين عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ، وانحدر الى البصرة إلى الشيخ أبي محمد بن عبدون ورأى غيره من الشيوخ . وقرأ الفقه والخلاف والأدب ،

---

١ – نسبه : ابو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه وهو عبد الله بن سعد بن الحسين بن القـــاسم بن سعد بن النضر بن عبد الرحمان بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم .

Marfat.com

وصار شيخ الشيوخ ببغداد ، وكان له في الوعظ نفس مبارك ، أنشد يوماً على الكرسي وإن كان الشيخ عبد القادر قد أنشد ذلك قبله :

لا تسقني وحدي فما عودتني اني أشح بها على جلاسي
أنت الكريم ولا يليق تكرماً ان يعبر الندماء دور الكاس

فتواجد الناس لذلك ،وقطعت شعور كثيرة وتاب جمع كثير ، وله تآليف حسنة منها عوارف المعارف . ومن شعره :

تصرمت وحشة الليالي وأقبلت دولة الوصال
وصار بالوصل لي حسوداً من كان في هجركم رثى لي
وحقكم بعد إذ حصلتم بكل ما فات لا أبالي
تقاصرت عنكم قلوب فيا له مورداً حلا لي
على ما للورى حرام وحبكم في الحشا حلالي
تشربت اعظمي هواكم فما لغير الهوى ومالي
وما على عادم اجاجا وعنده أعين الزلال

قال ابن خلكان[1] : حكى لي من حضر مجلسه ذلك كله ، قال : ورأيت جماعة ممن حضروا مجلسه وقعدوا في حضرته وتسليكه كجاري عادة الصوفية وكانوا يحكون غرائب ما يجري لهم من الاحوال ، وما يطرأ عليهم من الخارقات ، وكان كثير الحج وربما جاور في بعض حججه .

وكان مشايخ عصره يكتبون اليه من البلاد فتاوى ، يسألونه عن شيء من احوالهم ، كتب اليه بعضهم ، يا سيدي ان تركت العمل اخلدت إلى البطالة وإن عملت داخلني العجب . فكتب جوابه : إعمل واستغفر الله تعالى من العجب . وله من هذا شيء كثير وكراماته مجموعة . وأما عمه الشيخ أبو النجيب عبد القاهر ، فكان شيخ وقته بالعراق، ولد بسهرورد سنة تسعين وأربعمائة تقريباً ، وقدم بغداد وتفقه بالنظامية على أسعد المهيني وغيره . ثم

(١) أنظر تاريخ ابن خلكان وذيله فوات الوفيات .

Marfat.com

سلك طريق الصوفية وانقطع عن الناس مدة مديدة ، وبذل الجهد في العمل ، ثم رجع ودعا الناس إلى الله ، فرجع بسببه خلق كثير إلى الله تعالى ، وبنى رباطاً على الشط من الجانب الغربي ببغداد ، وسكنه جماعة من أصحابه ، ثم ندب إلى التدريس بالنظامية ، سنة خمس وأربعين وخمسمائة في المحرم فأجاب وظهرت بركته على تلامذته .

ثم تركها سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، وقدم الموصل مجتازاً الى القدس سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، وعقد بالجامع العتيق مجلس الوعظ ، ثم وصل دمشق ولم يتفق له الزيارة لانفساخ الهدنة مع الفرنج خذلهم الله تعالى، فأكرم العادل نور الدين مورده ، وعقد بدمشق مجلس الوعظ ، وعاد إلى بغداد ، وتوفي بها يوم الجمعة وقت العصر سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وخمسمائة . وكراماته مشهورة مجموعة . والله أعلم .

سنة ثلاث وثلاثين وستمائة :

وفيها سار الناصر داود من الكرك الى بغداد ، إلى الخليفـــة المستنصر خوفاً من عمه الكامل ، وقدم له تحفاً وجواهر نفيسة فأكرمه المستنصر وخلع عليه وعلى أصحابه . وكان يظن أن الخليفة يستحضره في الملأ ، كما استحضر مظفر الدين صاحب أربل ، وألح في ذلك فلم يجبه ، فمدح المستنصر بقصيدة وعرَّض بذلك منها :

فأنت الامام العدل والمعرق الذي ... به شرفت أنسابـــه ومناصبه
أيحسن في شرع المعالي ودينها ... وأنت الذي تعزى إليك مذاهبه
بأني أخوض الدوّ والدوّ مقفر ... سبـــاريته مغبرة وسباسبه
وقد رصد الأعداء لي كل مرصد ... فكلهم نحوي تدب عقاربـــه
وتسمح لي بالمال والجاه بغيتي ... وما الجاه إلا بعض ما أنت واهبه
ويأتيك غيري من بلاد قريبة ... له الأمن فيها صاحب لا يجانبه
فيلقى دنواً منك لم ألق مثـــله ... ويحظى وما أحظى بما أنا طالبه

Marfat.com

وينظر من لألاء قدسك نظرة فيرجع والنور الامامي صاحبه
ولو كان يعلوني بنفس ورتبـــة وصدق ولاء لست فيه أصاقبه
لكنت أسلي النفس عما أرومه وكنت أذود العين عما أراقبـه
ولكنه مثلي ولو قلت أنـــني أزيد عليه لم يعب ذاك عائبه
ومـــا أنا ممن يملأ المال عينه ولا بسوى التقريب تقضى مآربه

وكان الخليفة متوقفاً عن استحضاره رعاية للملك الكامل فجمع بـــين المصلحتين واستحضره ليلا ثم عاد إلى الكرك .

الكامل يسترجع حران والرها :

وسار الكامل من مصر واسترجع حران والرها من يد كيقباذ ، وأرسل نواب كيقباذ مقيدين إلى مصر فاستقبح ذلك منه ، ثم قدم دمشق وأقام عند أخيه الأشرف حتى خرجت السنة . **وفيها** توفي شرف الدين محمد بن نصر بن عنين الزرعي شاعر مفلق هجاء له مقراض الأعراض ، ما سلم بدمشق منه كبير ، ونفاه صلاح الدين إلى اليمن فمدح صاحبها طغتكين بن أيوب فحصل له منه أموال إتجر بها إلى مصر وصاحبها العزيز عثمان بن صلاح الدين وأخذت بها زكاة تجارته فقال :

مـــا كل من يتسمى بالعزيز لها أهلاً ولا كل برق سحبـــه غدقه
بين العزيزين بون في فعالهما هذاك يعطي وهذا يأخذ الصدقه

قلت : وطاف ابن عنين بلاد الشام والعراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان وغزنة وخوارزم وما وراء النهر واليمن والهند . وكتب من الهند إلى أخيه بدمشق هذين البيتين ، والثاني منهما لأبي العلاء المعري :

سامحت كتبك في القطيعة عالماً إن الصحيفة لم تجد من حامل
وعذرت طيفك في الجفاء لأنه يسري فيصبح دوننا بمراحل

ومات صلاح الدين وملك العادل دمشق في غيبته فقدم دمشق وكتب إلى العادل يستأذنه في دخولها :

Marfat.com

ماذا على طيف الأحبة لو سرى وعليهم لو سامحوني بالكرى

ووصف منتزهات دمشق ثم قال :

فارقتها لا عن رضى وهجرتها لا عن قلى ورحلت لا متحيرا
أسعى لرزق في البلاد مشتت ومن العجائب أن يكون مقترا
وأصون وجه مدائحي متقنعا وأكف ذيل مطامعي متسترا
أشكو اليك نوى تمادى عمرها حتى حسبت اليوم منها أشهرا
لا عيشتي تصفو ولا رسم الهوى يعفو ولا جفني يصافحه الكرى
ومن العجائب أن يقيل بظلكم كل الورى ونبذت وحدي بالعرا

وولي الوزارة بدمشق في آخر دولة المعظم ، ومدة ولاية ابنه الناصر ولما ملكها الأشرف انفصل ولم يباشر بعدها خدمة ، ودفن بمسجد أنشأه بأرض المِزة . والله أعلم .

سنة أربع وثلاثين وستمائة :

وفيها عاد الكامل إلى مصر . **وفيها** في ربيع الأول **توفي الملك العزيز محمد** بن الظاهر غـــازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب بحلب وعمره ثلاث وعشرون سنة وشهور . وملك بعده ابنه الناصر يوسف ، وعمره نحو سبع سنين ، ودبره شمس الدين لؤلؤ وعز الدين عمر بن مجلى وجمال الدولة اقبال الخاتوني والمرجع إلى أم العزيز ضيفة خاتون بنت العادل .

وفاة كيقباذ :

وفيها توفي كيقباذ علاء الدين بن كيخسرو صاحب الروم وملك بعده ابنه غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان بن مسعود ابن قلج ارسلان بن سليمان بن قطلمش بن ارسلان بن سلجوق .

وفيها دخل الناصر داود صاحب الكرك مصر ، وصار مع الكامل على ملوك الشأم فجـــدد عقده على ابنته مطلقته عاشوراء ، وأركبه بصناجق

Marfat.com

سلطانية ، ووعده بدمشق ، وحمل العادل ابو بكر بن الكامل الغاشية بين يديه وبالغ في إكرامه . وفيها حاصر توران شاه عم العزيز بعسكر حلب بغراس وقد عمرتها الداودية بعد تخريب صلاح الدين لها، ثم رحلوا عنها بسبب الهدنة مع صاحب انطاكية ، ثم أغار الفرنج على ربض دير ساك وهو بحلب ، وقاتلهم العسكر، فانكسر الفرنج وأسر وقتل فيهم، وعاد العسكر بالأسرى والرؤوس وكانت وقعة عظيمة .

وفيها استخدم الصالح أيوب بن الكامل – وهو بالشرق ينوب عن أبيه – الخوارزمية عسكر جلال الدين منكرتي : فانهم بعد قتل جلال الدين خدموا كيقباذ وفيهم مقدمون مثل بركت خان وكشلو خان وصارو خان وفرخ خان ويزدي خان ، فلما تولى كيخسرو بن كيقباذ قبض على كبيرهم بركت خان ففارقه الخوارزمية وساروا عن الروم ونهبوا ما على طريقهم ، فاستمالهم الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل واستخدمهم باذن أبيه .

سنة خمس وثلاثين وستمائة :

فيها **توفي الملك الاشرف** مظفر الدين موسى بن العادل ابي بكر بن أيوب بالذرب في المحرم،وملك دمشق أخوه الصالح اسماعيل بعهد منه،ومدة ملكه ثمان سنين وشهور لم ينهزم قط ، واتفق له اشياء خارقة للعقل في السعادة .

وكان سخياً حسن العقيدة وبنى بدمشق قصوراً ومنتزهات حسنة وأقلع لما مرض عن اللذات والأغاني ، وأقبل على الاستغفار ،ودفن بتربته بجانب الجامع.وترك بنتاً واحدة تزوجها الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل. وبلغ الكامل بمصر وفاة أخيه الأشرف فسار إلى دمشق ومعه الناصر داود صاحب الكرك والناصر لا يشك ان الكامل يعطيه دمشق لما تقرر بينهما ، واستعد الصالح اسماعيل للحصار وأنجد من حلب وحمص ، ونازل الكامل دمشق في جمادى الاولى منها وأحرق الصالح بالنفاطين ما بالعقيبة من خانات

Marfat.com

وأسواق وغيرها ، ووصل من حمص نجدة رجالة خمسون رجلاً فظفر بهم الكامل وشنقهم بين البساتين، وأرسل للمظفر صاحب حماه توقيعاً بسلمية لانتمائه اليه .

وسلم الصالح دمشق إلى اخيه الكامل لاحـــدى عشرة بقيت من جمادى الاولى وتعوض عنها بعلبك والبقاع مضافاً إلى بصرى . ثم لم يلبث الكامل غير أيام ومرض بالزكام فدخل الحمام وصب ماء شديد الحرارة فاندفعت النزلة إلى معدته فتورمت ونهاه الأطبـــاء عن القيء فتقيأ فمات لوقته وعمره نحو ستين سنة لتسع بقين من رجب منها، وحكم بمصر نائباً وملكاً نحو اربعين سنة. وكذلك معاوية حكم في الشأم نائبـاً نحو عشرين وملكا نحـو عشرين . وكان مهيباً مدبراً يباشر بنفسه ، واستوزر أول ملكه وزير أبيه صفي الدين ابن شكر ومات فلم يستوزر أحداً بعده ، واكثر سماع الحديث. وبنى للشيخ عمر بن دحية دار الحديث بين القصرين في الجانب الغربي ، ونفق عنده الأدب والعلم ، وامتحن الفضلاء بمسائل غريبة .

وكان الأمير فخر الدين واخوته عماد الدين وكمال الدين ومعين الدين من أكابر دولته فانهم حازوا فضيلة السيف والقلم يباشر أحدهم التدريس ويتقدم على الجيش ، ثم اتفق الامراء على تحليف العسكر للملك العادل ابي بكر بن الكامل وهو حينئذ نائب ابيه بمصر ، فحلف له العسكر وأقاموا في دمشق الجواد بن يونس بن مودود بن العادل ابي بكر بن ايوب نائباً عن العادل ابي بكر بن الكامل ، وهدد الأمراء الناصر داود حتى رحل إلى الكرك . وبلغ شيركوه[1] صاحب حمص وفاة الكامل ، وكان الكامل على نية قتاله ، فلعب بالكرة بخلاف العادة وهو في عشر التسعين وحزن المظفر بحماه لذلك عظيما وارتجع صاحب حمص سلمية من المظفر، وقطع قناتها عن حماه فيبست بساتينها ثم عزم على قطع النهر عن حمـاه فسد مخرجه من بحيرة قدس بظاهر حمص فبطلت نواعير حماه والطواحين، وذهب ماء العاصي في أودية بجوانب البحيرة، ثم لما لم يجد الماء مسلكاً هدم السد وجرى كما كان .

---

(١) أصل معنى شيركوه أسد الجبل .

Marfat.com

وبلغ الحلبيين موت الكامل فجهزوا عسكراً لنزع المعرة من يد المظفر ، وحاصروا قلعتها وملكوها ، وخرج عسكر المعرة حينئذ إلى حلب ، ثم سار عسكر حلب ومقدمهم المعظم توران شاه بن صلاح الدين إلى حمـــاه وحاصروها حتى خرجت السنة .

وفيها عُقِدَ عَقْدُ غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ سلطان الروم على غازنة خاتون بنت العزيز صاحب حلب وهي صغيرة ، وقبل عن كيخسرو قاضي دوقات ، ثم عُقد عقد الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب حلب على ملكة خاتون أخت كيخسرو وأم ملكة خاتون بنت الملك العـــادل أبي بكر بن أيوب ، زوجها المعظم عيسى صاحب دمشق بكيقباذ ، وخطب لغياث الدين كيخسرو بحلب .

وفيها خرجت الخوارزمية عن طاعة الصالح أيوب بعد موت أبيه الكامل ونهبوا البلاد . **وفيها** حاصر لؤلؤ صاحب الموصل الصالح أيوب بن الكامل بسنجار ،فبذل الصالح للخوارزمية حران والرها، فعادوا إلى طاعته وتقاتلوا فانهزم لؤلؤ هزيمة قبيحة ، وغنم عسكر الصالح منهم شيئاً كثيراً . **وفيها** جرى بين الناصر داود صاحب الكرك وبين الملك[1] الجواد يونس المستولي على دمشق قتال بين جنين ونابلس ، فانتصر الجواد وقوي بهذه الوقعة وتمكن من دمشق ونهب عسكر الناصر وأثقاله .

سنة ست وثلاثين وستمائة :

وفيها رحل عسكر حلب عن حصار حماه ، بعد مولد الملك الأفضل ، بعد طول الحصار أذنت له ضيفة خاتون صاحبة حلب بنت العادل بالرحيل عنها فرحلوا ، واستمرت المعرة للحلبيين ، وسلمية لصاحب حمص ، فهدم المظفر

---

١ — في آخر سنة خمس وثلاثين وستمائة ، ولد والد المؤلف رحمه الله تعالى الملك الأفضل نور الدين علي بن المظفر صاحب حماه .

Marfat.com

قلعة بارين إلى الأرض خوفاً من خروجها عنه . **وفيها** في جمادى الآخرة إستولى الصالح أيوب بن الكامل على دمشق وأعمالها ، وعوض الجواد عنها سنجار والرقة وعانة ، وسببه أن العادل بن الكامل صاحب مصر أرسل إلى الجواد عماد الدين بن الشيخ لينزع دمشق منه ويعوضه إقطاعاً بمصر ، فسلمها الجواد إلى الصالح ، وجهز على ابن الشيخ من وقف له بقصه وضربه بسكين فقتله ، ووصل مع الصالح إلى دمشق المظفر صاحب حماه يعاضده ، وكان لاقاه في أثناء الطريق ، واستقر الصالح في ملك دمشق وسار الجواد فتسلم البلاد الشرقية . ثم وردت إلى الصالح كتب المصريين يستدعونه ليملكها ، وسأله المظفر أخذ حمص من شيركوه فبرز إلى الثنية . وكان قـــد نازلت الخوارزمية وصاحب حماه حمص ففرق شيركوه أموالاً في الخوارزمية فقصدوا الشرق وتركوا حمص . ورحل صاحب حمـاه ، ثم عاد الصالح طالباً مصر فوصل اليه بخربة اللصوص عسكر مجهز من مصر .

ولما خرج الصالح من دمشق استناب فيها إبنه الملك المغيث فتح الدين عمر وبقي الصالح اسماعيل صاحب بعلبك يجامل الصالح ابن أخيه ، ويعمل باطناً على ملك دمشق . وكان الناصر صاحب الكرك قد سار إلى مصر ، واتفق معه العادل بن الكامل على قتال الصالح أيوب ، ووصل في هذه السنة محيي الدين ابن إبن الجوزي رسول الخليفة ليصلح بين الأخوين العادل بمصر والصالح بدمشق، وهو الذي حضر ليصلح بين الكامل والأشرف ، فاتفق أنه مات في حضوره في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة أربعة من السلاطين العظماء،وهم الكامل صاحب مصر ، وأخوه الأشرف صاحب دمشق ، والعزيز صاحب حلب ، وكيقباذ صاحب الروم ، فقال في ذلك إبن المسجف أحد شعراء دمشق :

يا إمام الهدى أبا جعفر المنصور يا من له الفخار الأثيل
ما جرى من رسولك الآن محيي الدين في هذه البلاد قليل
جاء والأرض بالسلاطين تزهو وغدا والديار منهم طلول
أقفر الروم والشام ومصر أفهذا مغسل أم رسول

Marfat.com

سنة سبع وثلاثين وستمائة :

وفيها في صفر سار الصالح اسماعيل صاحب بعلبك وشيركوه صاحب حمص ، وهجموا دمشق وحاصروا قلعتها وتسلمها الصالح إسماعيل ، وقبض على المغيث فتح الدين عمر بن الصالح أيوب ، وكان الصالح أيوب بنابلس لقصد ملك مصر ، وبلغه سعي عمه اسماعيل في الباطن ، وكان للصالح أيوب طبيب يثق به يقال له الحكيم سعد الدين الدمشقي فأرسل معه الصالح أيوب إلى بعلبك قفص حمام نابلس ليطالعه بأخبار الصالح صاحب بعلبك ، فاستحضر صاحب بعلبك الحكيم وأكرمه ،وسرق الحمام التي لنابلس ، وجعل موضعها حمام بعلبك ،فصار الطبيب يكتب أن عمك اسماعيل في قصد دمشق ويبطق فيقعـــد الطائر ببعلبك فيأخذ اسماعيل البطاقة ويزوّر على الحكيم أن عمك اسماعيل قد جمع ليعـاضدك وهو واصل إليك ، ويسرحه على حمـام نابلس فيعتمد الصالح أيوب على بطاقة الحكيم ويترك ما يسمع من أخبـار غيره . واتفق أن المظفر صاحب حماه علم سعي الصالح اسماعيل صاحب بعلبك في أخذ دمشق مع خلوها عن حافظ ، فجهز نائبه سيف الدين علي بن أبي علي في عسكر من حماه وغيرها ، وسلاحاً ومالاً ليحفظ دمشق لصاحبها .

وأظهر الملك المظفر وإبن أبي علي أنهما قد اختصما وان إبن أبي علي قد غضب وفارق صاحب حماه لأنه يريد تسليم حماه للفرنج لئلا يمنعـه شيركوه ففطن شيركوه للحيلة . ولما وصل ابن أبي علي إلى بحـيرة حمص إستدعى شيركوه بن أبي علي وأصحابه ليضيفهم ، ثم قبض على بن أبي علي ومن حضر الضيافة من أصحابه وعذبهم واستصفى كل ما معهم ، ومات إبن أبي علي وغيره في حبسه بحمص فضعف المظفر بحماه لذلك كثيراً . وأما الصالح أيوب فلمـــا بلغه قصد عمه اسماعيل دمشق رحل من نابلس إلى الغور فبلغه استيلاء عمه على قلعة دمشق واعتقـــال ولده المغيث عمر ففسدت نيات عسكره عليه وتفرقوا فلم يبق عند الصالح أيوب بالغور غير مماليكه وأستاذ داره حسام الدين أبي علي ، فقدم الصالح أيوب نابلس بمن بقي معه ، وبلغ

Marfat.com

الناصر داود ذلك . وكان قد وصل من مصر إلى الكرك ، فنزل بعسكره وأمسك الصالح أيوب واعتقله بها ، وأمر بكفايته فتفرق عنه أصحابه إلا نفراً يسيراً .ثم أرسل أخو الصالح الملك العادل أبو بكر صاحب مصر يطلبه من الناصر داود ، فأتى فتهدده العادل بأخذ بلاده فما أفاد .

وفيها بعد اعتقال الصالح بالكرك ، قصد الناصر داود القدس وقد عمر الفرنج قلعتها بعد موت الملك الكامل فحاصرها وفتحها وخرّب القلعة وبرج داود الذي لم يخرب لما خربت القدس أولاً . **وفيها** توفي المجاهد شيركوه صاحب حمص إبن محمد بن شيركوه بن شادي ملك حمص وعمره نحو ست وخمسين سنة ، وكان عسوفاً وملكها بعده إبنه المنصور ابراهيم . **وفيها** أخذ لؤلؤ صاحب الموصل سنجار من الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل . **وفيها** أخرج الناصر داود صاحب الكرك إبن عمه الصالح أيوب من الحبس وجاءته مماليكه وكاتبه اليها زهير ، وتحالفا في قبة الصخرة أن مصر للصالح ودمشق والشرق للناصر داود. ولما تملك الصالح لم يف للناصر بذلك ، وتأول بالاكراه في يمينه ثم قدم غزة ، وعظم على العادل بمصر وعلى والدته ظهور أمر أخيه الصالح ونزل على بلبيس لقصد الناصر داود والصالح أخيه فأرسل إلى عمه الصالح اسماعيل المستولي على دمشق أن يقصدهما من جهة الشأم فنزل الصالح اسماعيل بعسكر دمشق الغور ، فبينا الناصر داود والصالح أيوب في شدة من عسكرين قد أحاطا بهما إذ ركبت جماعة من المماليك الأشرفية ومقدمهم ايبك الأسمر وأحاطوا بدهليز العادل أبي بكر بن الكامل واعتقلوه في خيمة صغيرة واستدعوا الصالح أيوب فأتاه فرح عظيم .

وقدم الصالح أيوب والناصر داود إلى قلعة الجبل بكرة الأحد لست بقين من ذي القعدة ، وزينت للصالح البلاد وعظم به سرور المظفر بحماه لأنه كان معتقلاً بالكرك والمظفر يخطب له ، وحصل عند كل من الصالح أيوب والناصر داود إستشعار من الآخر،وخشي الناصر داود من القبض عليه فطلب دُستوراً (إذناً) وتوجه إلى بلاده الكرك وغيرها .

Marfat.com

وفيها وقيل سنة ست وثلاثين **توفي صاحب ماردين ناصر الدين** ارتق ارسلان بن إيلغازي بن ألبي بن تمرتاش بن ايل غازي بن أرتق الملقب بالملك المنصور ، وملك بعده إبنه الملك السعيد نجم الدين غازي حتى توفي سنة ثلاث وخمسين وستمائة ظناً . ثم ملك بعده في السنة المذكورة إبنه الملك المظفر قرا أرسلان بن غازي وتوفي هذا المظفر سنة إحدى وتسعين وستمائة ظناً . وملك بعده إبنه الأكبر شمس الدين داود تسعة أشهر ، ثم توفي وملك بعده أخوه الملك المنصور نجم الدين غازي بن قرا أرسلان سنة ثلاث وتسعين وستمائة ظناً ، وسنذكر وفاته إن شاء الله تعالى سنة إثنتي عشر وسبعمائة .

سنة ثمان وثلاثين وستمائة :

وفيها قبض الصالح أيوب وقد استقر بملك مصر على أيبك الأسمر مقدم المماليك الأشرفية وعلى غـــيره ممن قبض على أخيه وحبسهم وأنشأ مماليكه وشرع في بناء قلعة الجيزة مسكناً له . **وفيها** نزل الملك الحافظ أرسلان شاه ابن العادل أبي بكر بن أيوب عن قلعة جعبر وبالس لأختـــه ضيفة خاتون صاحبة حلب وعوضته عزاز وغيرها لأنه فلج وخشي من أولاده وطلب القرب من حلب ليأمنهم .

وفيها كثر فساد الخوارزمية بعد مفارقة الصالح أيوب الشرق ، وقاربوا حلب فقاتلهم عسكر حلب مع المعظم توران شاه فانهزم الحلبيون هزيمة قبيحة ، وقتل منهم خلق منهم الصالح بن الأفضل بن صلاح الدين وأسر الملك المعظم مقدم الجيش وغيره وقتلوا بعضهم ليفدي الباقون أنفسهم ، ثم نزلوا جيلان ونهبوا في بلاد حلب ، ووقع الجفيل إلى حلب. وارتكبت الخوارزمية من الزنا والفواحش والقتل ما ارتكبه التتر ، ثم ساروا إلى منبج وهجموها بالسيف يوم الخميس لتسع بقين من ربيع الأول منها ، وفتكوا قتلاً ونهبـــاً وفاحشة وخربوا بلد حلب وعادوا إلى بلادهم حران وما معها ، ثم انهم عبروا الفرات من الرقة إلى الحبول إلى تل أعرن إلى سرمين إلى المعرة وهم ينهبون ،

Marfat.com

وجفل منهم الناس . وسار صاحب حمص الملك المنصور إبراهيم بن شيركوه بعسكر من عسكر الصالح بدمشق نجـــدة لحلب وقصدوا هم والحلبيون والخوارزميـــة .

واستمرت الخوارزمية تنهب حتى نازلوا شيزر ونزل عسكر حلب على تل سلطان . ثم قصد الخوارزمية جهة حماه بلا نهب لانتماء المظفر بها إلى الصالح أيوب ثم ساروا إلى سلمية ، ثم الرصافة يقصدون الرقة . وسار عسكر حلب من تل سلطان إليهم ولحقتهم العرب فتركت الخوارزمية المكاسب والأسرى ، ووصلوا إلى الفرات في أواخر شعبان منها ولحقهم الحلبيون وصاحب حمص قاطع صفين ، فعمل الخوارزمية ستائر وقاتلوا إلى الليل فعبروا الفرات إلى حران ، فسار الحلبيون إلى ألبيرة وعبروا الفرات وقصدوهم فاقتتلوا قرب الرها لتسع بقين من رمضان منها ، فانهزم الخوارزمية وتبعهم المسلمون قتلاً وأسراً حتى حال الليل . ثم سار المسلمون فاستولوا على حران ، وهرب الخوارزمية إلى بلد عانة .

وبادر لؤلؤ صاحب الموصل إلى نصيبين ودارا وهما للخوارزمية ، فاستولى عليهما وخلص من بهما الأسرى ومنهم الملك المعظم توران شاه بن الناصر صلاح الدين أسيراً من حين كسرة الحلبيين فحمله لؤلؤ إلى الموصل وقدم له تحفـــاً وبعث به إلى عسكر حلب . واستولى عسكر حلب على الرقـــة وسروج والرها ورأس عين وما معها ، واستولى صاحب حمص المنصور ابراهيم على بلد الخابور ، ثم سار عسكر حلب ووصل إليهم نجدة من الروم وحاصروا الملك المعظم بن الملك الصالح بآمد وتسلموها منه وتركوا له حصن كيفا وقلعة الهيثم ، ولم يزل ذلك بيده حتى توفي أبوه الصالح أيوب بمصر ، وسار إليها المعظم المذكور ، وبقي ابن المعظم الملك الموحد عبدالله بن المعظم توران شاه ابن الصالح أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب مالكاً لحصن كيفا إلى أيام التتر وطالت مدته بها .

Marfat.com

وفيها هلك الجواد يونس بن مودود بن العادل ، وذلك انه كان قد استولى بعد ملك دمشق على سنجار وعانة ، فباع عانة من الخليفة المستنصر وحاصر لؤلؤ صاحب الموصل سنجار ، واستولى عليها في غيبة يونس عنها ، ولم يبق بيد يونس من البلاد شيء فسار على البرية إلى غزة وأرسل إلى الملك الصالح أيوب صاحب مصر يسأله في المصير إليه فأبى فدخل إلى عكا وأقام مع الفرنج ، فأرسل الصالح اسماعيل صاحب دمشق حينئذ ، وبذل للفرنج مالاً ، وتسلم منهم الجواد واعتقله ثم خنقه .

وفيها ولى الصالح أيوب الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام القضاء بمصر والوجه القبلي كرهاً ، كان أولاً بدمشق . وسلم الصالح اسماعيل صاحب دمشق صفد والشقيف إلى الفرنج ليعضدوه على ابن أخيه صاحب مصر ، فشنع الشيخ عز الدين على الصالح اسماعيل لذلك . وكذلك الشيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب وخافا من الصالح فقصد عز الدين مصر وولي القضاء كرهاً ، وقصد ابن الحاجب[1] الكرك ونظم لصاحبها الناصر داود مقدمته في النحو ثم سافر من الكرك إلى مصر .

سنة تسع وثلاثين وستمائة :

وفيها اتفقت الخوارزمية مع صاحب ميافارقين المظفر غازي بن العادل . **وفيها في ذي الحجة توفي الملك الحافظ نور الدين** ارسلان شاه بن العادل ابن ايوب بعزاز ، فانه تعوض بها عن قلعة جعبر ونقل إلى حلب فدفن في الفردوس وتسلم نواب الناصر يوسف صاحب حلب عزاز وقلعتها وأعمالها .

وفيها في شعبان توفي العلامة كمال الدين موسى بن يونس بن محمد بن منعة ابن مالك الفقيه الشافعي[2] . وكان يشتغل في مذهب ابي حنيفة ، ويحل لهم

---

١ — هو عثمان بن الحاجب ، كما جاء في « وفيات الأعيان » ص ٤٥٥ .

٢ — لغلبة العلوم العقلية على كمال الدين إتهم في دينه وهذه هي العادة ، وكانت تعتريه غفلة =

Marfat.com

الجامع الكبير، وأتقن المنطق والطبيعي والالهي والرياضي والمجسطي واقليدس والموسيقى والحساب بأنواعه ، وقرأ أهل الذمـــة عليه التوراة والانجيل ، واعترفوا انهم لا يجدون من يشرحها لهم مثله . وأقرأ كتاب سيبويه والمفصل وغيرهما، وأتقن التفسير والحديث. واشتغل عليه الشيخ أثير الدين الأبهري[1].

وقصد الشيخ تقي الدين عثمان بن عبد الرحمان المعروف بابن الصلاح الفقيه الشافعي الشيخ كمال الدين وسأله ان يقرئه المنطق سراً ، فقرأه عليه مدة ولا يفهمه ، فقال ابن يونس : يا فقيه المصلحة عندي ان تترك الاشتغال بهذا الفن لأن الناس يعتقدون فيك الخير وهم ينسبون كل من اشتغل بهذا الفن إلى فساد الاعتقاد،فكأنك تفسد عقائدهم فيك، ولا يصح لك من هذا الفن شيء . فترك قراءته .

سنة اربعين وستمائة :

كان بين الخوارزمية ومعهم المظفر غازي صاحب ميا فارقين وبين عسكر حلب ومعهم المنصور ابراهيم صاحب حمص مصاف قرب الخابور عند المجدل لثلاث بقين من صفر ، فانهزم المظفر والخوارزمية ونهب الحلبيون منهم كثيراً ووطاقاتهم ونساءهم ، ونزل المنصور ابراهيم في خيمة المظفر غازي واحتوى على خزانته ووطاقه ، وعاد الحلبيون وصاحب حمص إلى حلب في مستهل جمادى الاولى منصورين .

= لاستيلاء الفكرة عليه فعمل فيه بعضهم :

أجدّك ان قد جاد بعد التعبس غزال بوصل لي وأصبح مونسي
وعاطيته صهباء من فيه مزجها كرقة شعري أو كدين ابن يونس

وكان مولده في صفر سنة إحدى وخمسين وخمسمائة بالموصل وبها توفي .

١ – اسمه المفضل بن عمر بن المفضل.قدم إلى الموصل واشتغل على الشيخ كمال الدين المذكور. وكان الأبهري حينئذ اماماً مبرزاً في العلوم ، ويأخذ الكتاب ويجلس بين يديه ويقرأ عليه سنين عديدة ، وتصانيف الأبهري إذ ذاك يشتغل فيها الناس .

Marfat.com

وفيها في ليلة الجمعة لاحدى عشرة ليـلة خلت من جمادى الاولى **توفيت ضيفة خاتون بنت العادل** ابي بكر بن أيوب بالقرحة والحمى ودفنت بقلعـــة حلب ، ومولدها سنة إحدى أو اثنتين وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب لما كانت حلب لأبيها العادل قبل ان ينتزعها منه أخوه صلاح الدين ويعطيها ابنه الظاهر، ولما ولدت كان عند أبيها ضيف فسماها ضيفة خاتون ، وعاشت نحو تسع وخمسين سنة .

وكان الظاهر غازي قد تزوج قبلها اختها غازنه ، وملكت ضيفة خاتون حلب بعد ابنها العزيز ، وأحسنت التدبير نحو ست سنين ، ولما توفيت كان عمر ابن ابنها الناصر يوسف بن العزيز نحو ثلاث عشرة سنة فأشهد عليه انه بلغ وملك حلب ومضافاتها والمرجع إلى اقبال الأسود الخصي الخاتوني .

وفيها **توفي المستنصر بالله** أبو جعفر المنصور بن الظاهر محمد بن الناصر احمد بكرة الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة ومدة خلافته سبع عشرة سنة إلا شهراً . وكان عادلا وبنى ببغداد المدرسة المستنصرية على شط دجلة من الجانب الشرقي مما يلي دار الخلافـــة بأوقاف جليلة على أنواع البر ، وقلد الخلافة بعده ابنه عبد الله المستعصم بالله أبو احمد وهو السابع والثلاثون منهم، وآخرهم ببغداد ، وحسن له كبراء دولته قطع الاجناد وجمع المال ومداراة التتر فقطع اكثر العساكر : (**قلت**) :

وخانه الفاجر ابن العلقمي الى ... أن بدل الدولة الغراء تبديلا
وكان ما كان مما لست أذكره ... ليقضي الله أمراً **كان مفعولا**

والله أعلم .

سنة احدى واربعين وستمائة :

سارت نجدة من حلب مع ناصح الدين الفارسي إلى صاحب الروم كيخسرو ابن كيقباذ واجتمعوا معه وقاتلوا التتر فانتصرت التتر وقتلوا وأسروا منهم

خلقاً ، وتحكمت التتر في البلاد واستولوا على خلاط وآمد وهرب صاحب الروم إلى معقل ، ثم دخل في طاعـــة التتر إلى ان توفي سنة اربـع وخمسين وستمائة ، وترك ابنيه الصغيرين ركن الدين وعز الدين ، ثم هرب عز الدين إلى قسطنطينية وبقي ركن الدين ملكاً يطيع التتر وتحت حكمهم والحاكم البرواناه معين الدين سليمان ،والبرواناه بالعجمي الحاجب — أصله براونك ومعناه مقدمة الجند ، ثم قتل البرواناه ركن الدين وأقام في الملك إبناً له صغيراً .

وفيها تراسل الصالحان أيوب صاحب مصر واسماعيل صاحب دمشق في الصلح وأن يطلق الصالح اسماعيل المغيث فتح الدين عمر بن الملك الصالح أيوب وحسام الدين أبا علي الهدباني وكانا معتقلين عند الصالح اسماعيل فأطلق حسام الدين أبن أبي علي وجهّزه إلى مصر ، واستمر المغيث في الإعتقـال ، واتفق الصالح إسماعيل مع الناصر داود ، واعتضدا بالفرنج ، وسلمـــا اليهم طبرية وعسقلان فعمر الفرنج قلعتيهما ، وسلما اليهم أيضاً القدس بمـــا فيه من المزارات [1] .

قلت : وفى سنة إحدى وأربعين قتل قاضي دمشق الرقيع الجيلي . أهلك سراً لقلة دينه ولأخذه أموال الناس بالتزوير ، أقام شهود زور وأناساً يدعون على الرجل المتمول المبلـــغ من المال فينكر ويحلف فيحضر المدعي شهوده الكذبة فيلزمه بالمال فيصيح ويستغيث فيقول الجيلي: اخرج على رضاء غريمك. وعامل الوزير على ذلك حتى خرب ديار الناس ، إلى أن قصمه الله تعالى ، والله أعلم .

سنة إثنتين وأربعين وستمائة :

وفيها وصلت الخوارزمية إلى غزنة بإستدعاء الصالح أيوب ليعضدوه على

---

١ — قال القاضي جمال الدين بن واصل «ومررت إذ ذاك بالقدس وقد جعلوا على الصخرة قناني الخمر للقربان » .

Marfat.com

عمه الصالح اسماعيل وساروا على حارم والروج إلى أطراف بلاد دمشق حتى وصلوا غزنة ، ووصل اليهم عدة كثيرة من العساكر المصرية مع ركن الدين بيبرس مملوك الملك الصالح أيوب ، وهو الذي دخل معه الحبس في الكرك ، وأرسل الصالح اسماعيل عسكر دمشق مع المنصور إبراهيم بن شيركوه صاحب حمص ، وسار صاحب حمص جريدة ودخل عكا واستدعى الفرنج على ما وقع الاتفاق عليه ، ووعدهم بجزء من بلاد مصر فخرجت الفرنج بالفارس والراجل واجتمعوا أيضاً بصاحب حمص وعسكر دمشق والكرك، ولم يحضر الناصر داود ذلك .

والتقى الجمعان بظاهر غزة فولى عسكر دمشق وصاحب حمص والفرنج منهزمين ، وتبعهم عسكر مصر والخوارزمية يقتلون ، واستولى الصالح أيوب صاحب مصر على غزنة والسواحل والقدس . ووصلت الأسرى والرؤوس إلى مصر ، ثم أرسل صاحب مصر باقي عسكره مع معين الدين بن الشيخ فاجتمع عليه من بالشام من عسكر مصر والخوارزمية وحاصروا دمشق وبها الصالح اسماعيل وصاحب حمص ابراهيم ، وخرجت السنة وهم محاصروها .

وفاة الملك المظفر :

وفيها توفي الملك المظفر صاحب حماه تقي الدين محمود بن الملك المنصور محمد بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب يوم السبت ثامن جمادى الأولى ، وملك حماه خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام مرض منها بالفالج سنتين وكسراً ، وعاش ثلاثاً وأربعين سنة . وكان شهماً فطناً يحب العلم وأهله ، إستخدم الشيخ علم الدين قيصر المعروف بتعاسيف المهندس الفاضل في الرياضي ، فبنى له أبراجاً بحماه ، وطاحوناً على العاصي ، وعمل له كرة من الخشب مدهونة ، رسم فيها جميع الكواكب المرصودة ، قال ابن واصل : وساعدته على عملها .

وملك بعد المظفر إبنه **الملك المنصور** ، وعمره عشر سنين وشهر وثلاثة

Marfat.com

عشر يوماً ، وقام بتدبيره سيف الدين طغر بك المظفري ، وشاركه شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد، والطوشي مرشد ، والوزير بهاء الدين ابن التاج ، والمرجع إلى والدة المنصور غازنة خاتون بنت الكامل .

وفيها توفي الملك المغيث عمر في حبس الصالح اسماعيـــل صاحب دمشق فاشتد والده الصالح أيوب على الصالح اسماعيل حنقاً. **وفيها** توفي المظفر غازي ابن العادل أبي بكر بن أيوب صاحب ميافارقين ، وملك بعده إبنه الكامل ناصر الدين محمد . **وفيها** توجه الشيخ تاج الدين أحمد بن محمد نصر الله من بني المغيزل رسولاً إلى الخليفة ببغداد ، بتقدمة من الملك المنصور صاحب حماه . وفيها توفي القاضي شهاب الدين ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن علي بن محمد الشافعي المعروف بإبن أبي الدم قاضي حماه، توجه رسولاً إلى بغداد فمرض بالمعرة وعاد مريضاً فمات بحماه ،وهو مؤلف التاريخ الكبير المظفري وغيره .

سنة ثلاث واربعين وستمائة :

وفيها سير الصالح اسماعيل وزيره الغالب على رأيه أمين الدولة ، كان سامرياً وأسلم إلى الخليفة ليشفع في الصلح بينه وبين ابن أخيه فأبى الخليفة ذلك. **وفيها** تسلم عسكر الصالح أيوب ومقدمهم معين الدين بن الشيخ دمشق من الصالح اسماعيل بن العادل ، وكان محصوراً معه بها ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص فسلم دمشق لتستقر بيد اسماعيل بعلبك وبصرى والسواد، وتستقر بيد صاحب حمص : حمص وما معها . فأجابهما ابن الشيخ إلى ذلك ، ووصل إلى دمشق حسام الدين بن أبي علي بمن معه من عسكر مصر ، وبعد تسليمها توفي بهـا بن الشيخ ، وبقي حسام الدين بن ابي علي نائبها للصالح ايوب . وكان الخوارزمية يطمعون ان يحصل لهم بفتح دمشق اقطاعات تكفيهم ، فلما لم يحصل لهم ذلك صاروا مع الصالح اسماعيل وانضم اليهم الناصر داود صاحب الكرك وساروا وحصروا دمشق فقاسى أهلها من الغلاء ما لم يسمع بمثله وحفظها حسام الدين بن ابي علي أتم حفظ وخرجت السنة والأمر كذلك.

Marfat.com

وفيها قصد التتر بغداد فخرجت عساكر بغداد للقائهم ، فانهزم التتر ليلاً . **وفيها** توفيت ربيعة خاتون اخت السلطان صلاح الدين بدار العقيقي بدمشق جاوزت الثمانين ، وبنت مدرسة حنبلية بجبل الصالحية .

وفيها توفي الشيخ تقي الدين عثمان بن عبد الرحمان بن عثمان بن الصلاح الفقيه المحدث .

قلت : وكان رحمه الله مسدد الفتاوى[1] ، وكرر على المهذب كله وهو أمرد وتولى الاعـــادة لعماد الدين بن يونس بالموصل . ثم حصل علم الحديث بخراسان ، ثم تولى تدريس الناصرية بالقدس ، ثم تولى الرواحية بدمشق ، وبنى الأشرف بن العادل بن ايوب دار الحديث بدمشق وولاه تدريسها ، ثم تولى تدريس مدرسة ست الشام زمرد خاتون بنت ايوب شقيقة شمس الدولة توران شاه بن ايوب داخل البلد قبلي البيمارستان النوري ، وهي التي بنت المدرسة الاخرى ظاهر دمشق وبها قبرها وقبر أخيها المذكور وزوجها ناصر الدين بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص .

وفيها : توفي علم الدين علي بن محمد بن عبد الله السخاوي ؛ له المفضل في شرح المفصل ،وسفر السعادة ،وسفير الافادة فيه مشكلات نحوية وأبيات معاني ولغة وعربية ، وله شرح الشاطبية . **قلت** : قرأ الشاطبية على ناظمها[2] ،

---

١ — وله : مناسك الحج وإشكالات على الوسيط ، وجمع بعض اصحابه فتاويه . ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر بدمشق .

وتوفي أبوه صلاح الدين ، في ذي القعدة سنة ثمـــان عشرة وستمائة بحلب ودفن بالجبيل ، وكان من جلة مشايخ الاكراد المشار اليهم ، وتولى بحلب تدريس الأسدية المنسوبة الى أسد الدين شيركوه بن شاذي ، واشتغل ببغداد على شرف الدين ابي سعد عبد الله بن ابي عصرون .

٢ — قال القاضي شمس الدين بن خلكان وكان للناس فيه إعتقاد عظيم قال: ورأيته بدمشق والناس يزدحمون عليه في الجامع للقراءة ولا يصح لواحد نوبـة إلا بعد زمان ، ورأيته مراراً وهو راكب بهيمة يصعد إلى جبل الصالحية وحوله إثنان وثلاثة وكل واحد يقرأ ميعاده في موضع غير الآخر والكل في دفعة واحدة وهو يرد على الجميع .

Marfat.com

وتوفي بدمشق وقد نيف على التسعين ولما احتضر أنشد لنفسه :

قالوا غداً نأتي ديار الحمى ... ونترك الركب بمغنـــاهم
وكل من كان مطيعاً لهم ... أصبح مسروراً بلقياهم
قلت فلي ذنب فما حيلتي ... بأي وجـــه أتلقاهم
قالوا أليس العفو من شأنهم ... لا سيما عمـــن ترجـاهم

والله أعلم .

وفيها بحـلب توفي الشيخ موفق الدين أبو البقاء يعيش بن محمـــد إبن علي الموصلي الحلبي المولد والمنشأ النحوي ، المعروف بإبن الصائغ ، كان ظريفاً محاضراً شرح المفصل غاية وله غيره ، ومولده في رمضان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، ودفن بالمقام .

سنة أربع وأربعين وستمائة :

كسر الخوارزميـــة على القصب **وفيها** اتفق الحلبيون وصاحب حمص المنصور ابراهيم وصاروا مع الصالح أيوب بن الكامل ، وقصدوا الخوارزمية والصالح اسماعيل والناصر داود وهم محاصرون لدمشق ، فرحلت الخوارزمية عنها إلى الحلبيين وصاحب حمص والتقوا على القصب ، فانهزم الخوارزميـة هزيمة تشتتوا بعدها ، وقتل مقدمهم حسام الدين بركة خان وحمل رأسه إلى حلب ، ولحق كشلو خان في طائفة منهم بالتتر ، وخدم منهم جماعة في الشام متفرقين وكفى الله الناس شرهم ، وبلغ ذلك الصـــالح أيوب بمصر ، فدق البشائر ورضي عن صاحب حمص .

وسار الصالح اسماعيل إلى الملك الناصر يوسف صاحب حلب واستجار به فأرسل الصالح أيوب يطلبه فما سلمه اليه ، ولما جرى ذلك نازل حسام الدين ابن أبي علي بمن عنده من عسكر دمشق بعلبك ، وبها أولاد الصالح اسماعيل وتسلمها بالأمان ، وأرسل أولاد الصالح إسماعيل فاعتقلهم الصالح أيوب بمصر ،

Marfat.com

وكذلك اعتقل أمين الدولة وزير الصالح إسماعيل وأستاذ داره ناصر الدين يغمور وزينت القاهرة ومصر لفتح بعلبك، واتفق في هذه الأيام وفاة صاحب عجلون سيف الدين قلج فتسلم الصالح أيوب عجلون أيضاً .

ثم أرسل الملك الصالح عسكراً مع الأمير فخر الدين يوسف بن الشيخ ، وكان فخر الدين قد اعتقله العادل أبو بكر بن الكامل ، ولمـــا ملك الصالح أيوب أطلقه ولازم بيته مدة ، ثم قدمه في هذه السنة ، وجهزه إلى حرب الناصر داود صاحب الكرك ، فاستولى على جميع بلاد الناصر ، وولي عليها ، وحاصر الكرك ، وخرب ضياعها ، وأضعف الناصر عظيماً بحيث لم يبق له سوى الكرك .

وفيها حبس الصالح أيوب مملوكه بيبرس صاحبه في اعتقاله بالكرك لميل بيبرس إلى الخوارزمية وإلى الناصر داود ، ولكونه صار معهم لما جرده الى غزة كما تقدم ، فأرسل استاذه الصالح أيوب إليه واستماله فوصل اليه فاعتقله ، فكان آخر العهد به **وفيها** أرسل الملك المنصور ابراهيم صاحب حمص وطلب دستوراً من الصالح أيوب ليصل الى خدمته . وكان قد حصل لابراهيم سل ، وسار على تلك الحالة من حمص قاصداً مصر وقوي به المرض بدمشق فتوفي بها ، ونقل فدفن بحمص ، وملكها بعده إبنه الأشرف مظفر الدين موسى .

وفيها بعد فتح دمشق وبعلبك إستدعى الصالح أيوب حسام الدين بن أبي علي إلى مصر ، وأرسل موضعه نائباً بدمشق الأمير جمال الدين بن مطروح ، ولما وصل إبن أبي علي الى مصر إستنابه الملك الصالح بها ، وسار الى دمشق ، ثم الى بعلبك ثم عاد الى دمشق، ووصل اليه المنصور صاحب حماه، والأشرف موسى صاحب حمص فأكرمهما ، وعادا واستمر هو بالشام حتى خرجت السنة **وفيها** توفي عماد الدين داود بن موسك بالكرك ،وكان جامعاً لمكارم الاخلاق.

سنة خمس وأربعين وستمائة :

وفيها عاد الصالح أيوب الى مصر ، وفيها فتح فخر الدين الشيخ قلعـــتي

عسقلان وطبرية والصالح بالشام بعد محاصرتهما مدة وكنا قد ذكرنا تسليمهما الى الفرنج سنة إحدى وأربعين وستمائة فعمروهما وملكوهما الى هذه السنة . **وفيها** سلم الأشرف صاحب حمص سميميس للصالح أيوب .

وفيها توفي الملك العادل أبو بكر بن السلطان الكامل بالحبس وأمه الست السودا تعرف ببنت الفقيه نصر ، كان مسجوناً منذ قبض عليه ببلبيس فمقامه بالسجن نحو ثمان سنين ، وعمره نحو ثلاثين ، وترك إبنه فتح الدين عمر الملك المغيث ملك الكرك فيما بعد ثم قتله الظاهر بيبرس . **وفيها** احضرت عائشة خاتون بنت العزيز محمد بن الظاهر صاحب حلب ، إلى زوجها المنصور صاحب حماه ومعها امها فاطمة خاتون بنت الكامل بن العادل في رمضان واحتفل للقائها .

قلت وفيها توفي الشيخ علي الحريري أبو محمد بن أبي الحسن بن منصور ، وقدم دمشق وهو حدث ، وربي يتيما ، وبرع في صنعة المروزي حتى عمل قباء بلا خياطة ورفو . ثم تزهد وصدرت عنه أحوال وكشف ، فقال اكثر علماء ذلك الزمان هذا كشف شيطاني . وكان له قبول عظيم ، ولا سيما عند الأحداث ما وقع نظره على أحد منهم ولو كان إبن أمير أو غيره إلا ومال اليه وأحسن ظنه به ، وبلغ العلماء عنه كلمات صعبة [1] مثل قوله : لو دخل مريدي بلد الروم ، وتنصر وأكل لحم الخنزير ، وشرب الخمر كان في شغلي ، وقوله : لو ذبحت بيدي سبعين نبياً ما اعتقدت أني مخطىء . وقوله نظماً :

أمرد يقدم مداسي أخير من رضوان
وربع قحبة عندي أحسن من الأكوان

---

(١) رفع العلماء أمره الى السلطان فلم يقدم على قتله بل سجنه مرة بعد اخرى ثم اطلق وكان الرجل خراب الظاهر والسرائر عند الله تعالى ، وله مكاشفات وأحوال ومحبون وهو الى الآن بين قوم منكرين عليه وقوم مائلين اليه والتوقف هنا أسلم والله أعلم .

Marfat.com

وقوله :

كم يتبعني بصحبة الأجساد كم يسهرني بلذة الميعـاد
جد لي بمدامة تقوي رمقي والجنة جد بها على الزهاد

وفيها توفي علاء الدين قراسنقر الساقي مملوك العادل بن أيوب وصارت مماليكه بالولاء للصالح أيوب ، ومنهم سيف الدين قلاوون ملك مصر والشام .

وفيها توفي أبو علي عمر بن محمد المعروف بالشلوبيني [1] بأشبيلية نحوي فاضل شرح الجزولية ، وفيه مع فضله بله وغفلة ، ويكنى أبا علي .

سنة ست وأربعين وستمائة :

وفيها سلم الأشرف موسى حمص إلى عسكر الناصر صاحب حلب بعد حصار وتعوض بتل باشر على ما بيده من تدمر والرحبة ، فغاظ ذلك نجم الدين أيوب وقدم إلى دمشق مريضاً ، وأرسل عسكراً إلى حمص فحوصرت بالمجانيق ، ثم بلغه وصول الفرنج الى جهة دميـاط ، ووصل نجـم الدين الباذراني رسول الخليفة بالصلح بين الصالح والحلبيين وأن تستقر حمص للحلبيين ، فأجاب الصالح إلى ذلك واستناب بدمشق جمال الدين بن يغمور وعزل ابن مطروح ورحل الصالح في محفة من دمشق .

وفيها في يوم الخميس السادس والعشرين من شوال توفي الشيخ جمال الدين أبو عمر وعثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس المعروف بابن الحاجب ، كان والده كردياً حجب للأمير عز الدين موسك الصلاحي ، وقرأ إبنه المذكور في صغره بالقاهرة القرآن ثم الفقه على مذهب مالك والعربية ، وبرع ثم درس بجامع دمشق واكب الخلق عليه بالاشتغال ، ثم قدم القاهرة ثم الاسكندرية

---

(١) شلوبين حصن منيع بالأندلس من سواحل غرناطة على بحر الروم عن ابن سعيد في المغرب في أخبار المغرب وقول ابن خلكان : السلوبين الأبيض الأشقر بلغتهم وهم إذ لم يقف على المغرب ، وكان السلوبيني عندهم في طبقة الفارسي .

Marfat.com

فتوفى بها ، ومولده أواخر سنة سبعين وخمسمائة بإسنا من الصعيد . وكان متفنناً وغلب عليه النحو وأصول الفقه ومختصراته الثلاثة في النحو والتصريف والأصول ، قد طبق ذكرها البلاد ، ولا سيما العجم ، ومصنفاته كثيرة .

قلت : قال القاضي شمس الدين بن خلكان رحمه الله تعالى : وجاءني يعني بالقاهرة مراراً بسبب أداء شهادات وسألته عن مسألة إعتراض الشرط على الشرط في قولهم إن أكلت إن شربت فأنت طالق لم تعين تقديم الشرب على الأكل حتى لو أكلت ثم شربت لا تطلق . وسألته عن بيت أبي الطيب :

لقد تصبرت حتى لات مصطبر فالآن أقحم حتى لات مقتحم

لِمَ جر مصطبر ومقتحم ولات ليست من أدوات الجر فأحسن الجواب عنهما ولولا التطويل لذكرت ما قاله — إنتهى كلامه .

أما المسألة الأولى فإنما تعين فيها تقديم الثاني على الأول لأن الشرط قد دخل على الشرط فتعلق الأول بالثاني والتعليق يقبل التعليق كقوله تعالى : « ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم » إن كان الله يريد أن يغويكم تقديره إن كان الله يريد أن يغويكم فلا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم ، وأفتى القفال باشتراط تقديم المذكور أولاً، فان قدمت الثاني لم تطلق ، ومال الامام إلى أنه لا يشترط الترتيب ، ويتعلق الطلاق بحصولهما كيف كان ، ولا شك أن بين الآية وبين الصورة الفقهية فرقاً وفيه بحث وليس هذا موضعه .

ولو قال : أردت العطف وحذفت حرفه ومرادي إن أكلت وإن شربت فأنت طالق . وقبل ذلك منه فلا يشترط تقديم الثاني على الأول بل تطلق بهما كيف وقعا إلا عند من يرى أن الواو للترتيب وحذف حرف العطف جائز نظماً ونثراً ، كقوله صلى الله عليه وسلم : تصدّق رجل من ديناره من درهمه من صاع بره من صاع تمره . وروى أبو زيد : أكلت خبزاً لحماً تمراً .

وقال الشاعر :

Marfat.com

كيف أصبحت كيف أمسيت مما يغرس الود في فؤاد الكريم

وأما بيت أبي الطيب فمصطبر ومقتحم مجروران قيل بمن المقدرة وهو بعيد وقيل جراً بحتى وتكون لات لمجرد النفي على حد قولهم : سافرت بلا زاد قاله بعض نحاة العصر ، ولو قيل إنه مجرور على تقدير حتى لات حين مصطبر ولات حين مقتحم فيكون المضاف وهو حين كأنه ثابت لم أرَ فيه بعداً ، وقرىء : ولات حين مناص بالخفض . وقال الشاعر :

طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء

وقال :

فلتعرفن شمائلاً محمودة ولتندمن ولات ساعة مندم

وفي شرح التسهيل : إن ذلك وجه على وجهين ، الأول أن لات بمعنى غير وصفاً لمحذوف كأنه قيل فنادوا حيناً غير حين مناص ، ورد هذا التأويل بلزوم زيادة الواو فلا فائدة لها حينئذ ، الثاني ان الكسرة كسرة بناء مقطوعة عن مضاف وما بعد لات يقطع عن الاضافة فيبنى ، والتقدير ولات حين مناصهم ، والاضافة إلى المناص كأنها إضافة إلى الحين لأنه معه كشيء واحد كأنه قال : ولات حين هم ، ثم حذف الضمير من مناص فكأنه حذف من الحين فتضمنه الحين وهذا بعيداً جداً ، إنتهى ملخصاً .

قلت : وما أقرب التأويلات السابقة لو كانت مسطورة والله أعلم .

وفيها [1] توفي عز الدين ايبك المعظمي في محبسه بالقاهرة أخذ أستاذه المعظم صرخد من صاحبها ابن قراجا وأعطاها له ، وفي سنة أربع وأربعين وستمائة حبسه بالقاهرة حتى مات ، ودفن بمصر ، ثم نقل إلى تربة أنشأها بدمشق بالشرق الأعلى .

---

(١) تابع أحداث سنة ست وأربعين وستمائة .

Marfat.com

قلت : وفي سنة ست وأربعين وستمائة توفي ابن البيطار الطبيب البارع [1].

سنة سبع وأربعين وستمائة :

وفيها في صفر ملكت الفرنج دمياط خالية مفتحة الأبواب بلا قتال ، وكان قد شحنها الصالح بالذخائر وجعل فيها بني كنانة الشجعان فهربوا منها خوفاً من برنس افرنسيس ومعه خمسون الف مقاتل فرنج ، ثم شنق الصالح بني كنانة عن آخرهم . ونزل المنصورة لخمس بقين من صفر وهو مريض بالسل، والبرنس بلغتهم الملك افرنسيس أمة عظيمة من أمم الفرنج .

وفيها استجار الناصر داود بن المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب صاحب الكرك بالناصر صاحب حلب لما ضاق أمره ، وأرسل من حلب إلى الخليفة أودع عنده جوهراً يساوي مائة ألف دينار إذا بيع بالهوان ووصل خط الخليفة المستعصم بتسليمه ، فكان آخر العهد به لما وقع من الحوادث ، واستناب على الكرك ابنه المعظم عيسى ، فغضب ابناه الأكبران الأمجد حسن والظاهر شاذي لذلك وبعد سفر أبيهما قبضا على أخيهما عيسى وسلما الكرك إلى الصالح أيوب وهو بالمنصورة باقطاع رضياه ، فسر الصالح بذلك لحقده على صاحبها .

وفاة الملك الصالح أيوب:

وفيها توفي الملك الصالح أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر ابن أيوب في شعبان ، وملكه لمصر تسع سنين وكسر ، وعمره نحو أربعين ، وكان مهيباً طاهر اللسان والذيل ، لا يخاطب إلا جواباً يكتب بيده على القصص ، ويخرج للموقعين . وكان أكثر الأمراء مماليكه ، ورتب جماعة من

---

(١) هو ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي صاحب الكتاب الأدوية المنفردة إنتهت اليه معرفة تحقيق النبات وصفاته وأماكنه ومنافعه ، وله اتصال بخدمة الملك الكامل ثم ابنه الصالح والله أعلم .

Marfat.com

المماليك الترك حول دهليزه وسماهم البحرية ،وبنى قلعة الجزيرة وبنى الصالحية بلدة بالسائح وبنى بها قصوراً للتصيد وبنى قصر الكبش عظيما بين مصر والقاهرة ، وأمه ورد المنى جارية سوداء وتوفي إبنه فتح الدين عمر في حبس الصالح اسماعيل .

وتوفي إبنه الآخر قبله ولم يخلف إلا ابنه المعظم توران شاه بحصن كيفـــا وما أوصى الصالح بالملك لأحد ، فلما توفي أحضرت شجرة الدر جاريته فخر الدين بن الشيخ والطواشي محسناً وعرفتهما بموته وكتموا ذلك خوف الفرنج وجمعت شجرة الدر الأمراء ، وقالت : السلطان يأمركم أن تحلفوا له ، ثم من بعده لابنه المعظم المقيم بحصن كيفـــا ولابن الشيخ بالأتابكية . وكتبت إلى حسام الدين أبي علي النائب بمصر كذلك فحلفتهم وغيرهم بمصر والقاهرة على ذلك في شعبان منها ، وكان الخادم السهيلي يكتب لها المراسيم وعليها علامة الصالح فلا يشك أحد أنها علامته .

ثم استدعى فخر الدين بن الشيخ المعظم من حصن كيفا فشاع موت الصالح ولكن لا يجسر أحد على التفوه به ، وتقدم الفرنج عق دمياط إلى المنصورة فجرت وقعة في مستهل رمضان إستشهد فيها كبـــار من المسلمين ، ونزلت الفرنج شر مساح ، ثم قربوا ثم كبسوا المسلمين على المنصورة بكرة الثلاثاء لخمس من ذى القعدة ، وكان ابن الشيخ وهو فخر الدين يوسف بن صدر الدين حمويه في حمام المنصورة فركب مسرعاً فصادفه جماعة من الفرنـــج فقتلوه فعاش سعيداً ومات شهيداً ثم حمل المسلمون والترك البحرية فهزموا الفرنج . وأما المعظم فوصل من حصنه إلى دمشق في رمضان منها وعيد بها ووصل إلى المنصورة لتسع بقين من ذى القعدة ، ثم اشتد القتال براً وبحراً بين الفرنج والمسلمين وأخذوا من الفرنج إثنين وثلاثين مركباً تسعة شواني فضعف الفرنج وبذلوا دمياط ليعطوا القدس وبعض السواحل فما أجيبوا إلى ذلك .

وفيها تقاتل لؤلؤ صاحب الموصـــل ، وعسكر الناصر صاحب حلب

Marfat.com

بظاهر نصيبين ، فانهزمت المواصلة ونهب الحلبيون أثقال لؤلؤ وخيامه وأخذوا نصيبين من لؤلؤ ، ثم تسلموا داراً وخربوها بعد حصار ثلاثة أشهر ، ثم تسلموا قرقيسيا وعادوا .

قلت : وفيها بحلب توفي شهاب الدين محمد المنشى الذسوي صاحب تاريخ جلال الدين بن خوارزم شاه وكاتب انشائه إتصل بعد قتله بالمظفر الغازي صاحب ميافارقين وخدمه ونادمه ثم تغير غازي عليه واستحال كعادة استحالاته فتلطف حتى خرج من اعتقاله ، واتصل ببركة خان كبير الخوارزمية فعرف له حقه وموضعه من جلال الدين وسلم اليه بلاده فبسط العدل . وكان بركة خان في غاية من الجودة وأصحابه غشمة ، فلما قتل بركة خان شكره الناس أجمع غير الحلبيين فأمروه وأحسنوا اليه ، وتوجه رسولاً عنهم مرات إلى التتر فعظموه على سائر الرسل لمكانه من جلال الدين وحصلت له ثروة ضخمة وتقدم عند الناصر صاحب حلب ولم يزل بحلب حتى مات رحمه الله تعالى ، وكان كثير المروءة عذب الألفاظ حليماً ، كما قال أبو العلاء :

فذلك الشيخ علماً والفتى كرما تلفيه أزهر بالنعتين منعوتا

سنة ثمان وأربعين وستمائة :

وفيها في الثالث من المحرم رحل الفرنج عن مقاتلة المسلمين بالمنصورة إلى دمياط لفناء أزوادهم وقطع المسلمين المدد من دمياط عنهم ، وركب المسلمون أكتافهم وعند الصباح خالطوهم وبذلوا السيف فقتلوا من الفرنج ثلاثين ألفاً ، وانحاز برنس افرنسيس ومن معه من الملوك إلى بلد هناك ، وطلبوا الأمان فآمنهم الطواشي محسن الصالحي ثم احتيط عليهم وأحضروا إلى المنصورة . وقيد برنس افرنسيس وجعل في دار كان ينزلها كاتب الانشاء فخر الدين بن لقمان ، ووكل به الطواشي صبيح المعظمي ، ولما جرى ذلك رحل الملك المعظم بالعساكر من المنصورة ، ونزل بفارسكور ، ونصب له بها برج خشب .

Marfat.com

وفيها يوم الاثنين لليلة بقيت من المحرم **قتل الملك المعظم بن الصالح** بن الكامل بن العادل بن أيوب فانه أطرح جانب أمراء أبيه ومماليكه ، وبلغهم تهديده واعتمد على من وصل معه من حصن كيفا ، وكانوا أطرافاً فهجموا عليه وأول من ضربه ركن الدين بيبرس الذي صار سلطاناً فهرب المعظم إلى البرج الخشب فأحرقوه فطلب البحر ليركب حراقته فحالوا بينه وبينهـــا بالنشاب فطرح نفسه في البحر فأدركوه وأتموا قتله نهار الاثنين . فمدة ملكه لمصر شهران وأيام ، ثم حلفوا لشجرة الدر زوجة الصالح وأقاموها في الملك، وخطب لها وضربت باسمها السكة ، وكان نقش السكة المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل يعنون بخليل ابنها الذي مات صغيراً، وعلامتها على المناشير والتواقيع والدة خليل ،واقيم عز الدين ايبك الجاشنكير الصالحي المعروف بالتركماني أتابك العسكر .

ثم أن برنس افرنسيس تقدم إلى نوابه فسلموا دمياط إلى المسلمين وأصعد اليها العلم السلطاني يوم الجمعة ثالث صفر منها، وأطلق برنس افرنسيس وركب البحر بمن سلم معه في غد الجمعة المذكورة وأقلعوا إلى عكا ، وفي ذلك يقول جمال الدين بن مطروح :

قل للفرنسيس إذا جئتـــه مقال صدق عن قؤول نصيح
أتيت مصراً تبتغـــي ملكها تحسب أن الزمر يا طبل ريح
وكل أصحـــابك أوردتهم بحسن تدبـيرك بطن الضريح
خمسون الفـــاً لا يرى منهم غير قتيل أو أسير جريح
وقل لهم إن أضمروا عودة لأخذ ثار أو لقصـــد صحيح
دار ابن لقمان على حالهـــا والقيد باق والطواشي صبيح

قلت وقد تذكرت بهذا البيت الأخير إنساناً هوى طواشياً لآخر فعاشر المخدوم ليصل الى الخادم فقلت فيه :

يا زيد ما عاشرت عمراً سدى لكن طواشيه صبيح مـــليح

Marfat.com

مولاه قيـــد لك عن وصله والقيد باق والطواشى صبيح

وذكرت بهذا أيضاً شيئاً آخر ، وذلك أني تعجبت من شهرة البيتين الذين ما احكمهما بانيهما ولا اعتنى بمعانيهما ومع رداءة السبك سارا وحظهما يقول : قفا نضحك من قفا نبك وهما :

مقامـــات الغريب بكل أرض كبنيان القصور على الثـــلوج
فذاب الثلج وانهدم البنـــايا وقد عزم الغريب على الخروج

فخلصتهما من ذل مقامات الغريب بكل أرض ، وأوقدت عليهما فكري، فذاب الثلج وانهدم البنايا المستحقة للنقض وجعلت لهما اسماً في الأسماء ونقلتهما من كثافة الأرض الى لطافة السماء . فقلت :

مليح ردفه والساق منه كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده القاني نصيباً فقد عزم الغريب على الخروج

وكذلك تعجبت لاشتهار المثلين العاميين اللذين طبقا الآفاق مع ركتهما بالاتفاق ، وهما قول العامة حسبت أن في السفرة جبناً ، وقولهم : فعلت كذا على عينك يا تاجر ، فأفرغت الجبن في قالب الحسن . فقلت :

جاءنا ملتثماً مكتتمـــاً فدعوناه لأكل وعجبنا
مد في السفرة كفاً ترفاً فحسبنا أن في السفرة جبنا

وملأت عين التاجر بالجواهر فقلت :

وتاجر شاهدت عشاقـــه والحرب فيما بينهم ثائر
قال علام اقتتلوا هكذا قلت على عينك يا تاجر

والله أعلم .

ثم رحلت العساكر عن دمياط ، فدخلوا إلى القاهرة تاسع صفر ، وأرسل المصريون إلى الأمراء الذين بدمشق ليوافقوهم على ما قدمنا فأبوا ، وكان الملك

Marfat.com

السعيد بن العزيز بن العادل صاحب الصبيبة قد سلمها إلى الصالح أيوب ولما جرى ذلك استعادها ، ولما بلغ ذلك بدر الدين الصوابي الصالحي نائب الكرك والشوبك أخرج من حبس الشوبك الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل بن العادل بن أيوب ، وكان قد حبسه بها المعظم توران شاه لما وصل إلى مصر ، وتملك المغيث القلعتين الكرك والشوبك ، وقام الصوابي في خدمته أتم قيام .

استيلاء الناصر صاحب حلب على دمشق :

لما أبت أمراء دمشق ما ذكرنا كاتب الأمراه القيمرية بها الناصر يوسف صاحب حلب بن العزيز بن الظاهر بن صلاح الدين ،فسار اليهم ، وملك دمشق لثمان من ربيع الآخر منها ، وخلع على جمال الدين يغمور ، وعلى القيمرية واعتقل جماعة من الأمراء الصالحية ، وعصت بعلبك وعجلون وشميميس مديدة ثم سلمت اليه ، وبلغ ذلك مصر فقبضوا على من بها من القيمرية وكل من اتهم بالميل إلى الحلبيين ، ثم أن كبراء دولة مصر سلطنوا عز الدين أيبك التركماني الجاشنكير الصالحي خشية من فساد الحال بتملك المرأة ، وركب بالصناجق السلطانية والغاشية بين يديه آخر ربيع الآخر منها . ولقب بالمعز وبطلت السكة والخطبة التي باسم شجرة الدر ، ثم رأوا أنه لا بد من إقامة شخص من بني أيوب في السلطنة ،فاتفقوا على إقامة الأشرف موسى إبن يوسف ابن يوسف صاحب اليمن المعروف باقسيس بن الكامل بن العادل أبي بكر بن أيوب ، وجعلوا أيبك التركماني أتابكة .

وأجلس الأشرف أقسيس في دست الملك والأشرف في خدمته يوم الخميس خامس جمادى الاولى منها، وكان حينئذ بغزة جماعة من عسكر مصر مقدمهم خاص ترك ، فسار اليهم عسكر دمشق ، فاندفعوا عن غزة إلى الصالحية بالسائح واتفقوا على طاعة المغيث صاحب الكرك . وخطبوا له بالصالحية يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة منها ، ولما جرى ذلك نادى كبراء الدولة بمصر

والقاهرة أن البلاد للخليفة المستعصم ، ثم جددت الايمـان للأشرف ولأتابكة أيبك وفي خامس رجب رحل فارس الدين اقطاي الصالحي الجمدار إلى جهة غزة بألفي فارس فاندفع بين يديه من بها من جهة الناصر .

وفيها هدم سور دمياط ،في أواخر شعبان لما قاسوا بها من شدة بعـــد اخرى ، وبنوا بقربهـا في البر المنشية وأسوار دمياط التي هدمت من عمارة المتوكل الخليفة العباسي . وفيها مستهل شعبان قبض الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق على الناصر داود الذي كان صاحب الكرك ، واعتقله بحمص لأشياء بلغته فخافه .

وفيها سار الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز بعساكره من دمشق ومعه من ملوك بيته الصالح اسماعيل بن العادل بن أيوب ، والأشرف موسى صاحب حمص ، وله حينئذ تل باشر ، والرحبة وتـدمر والمعظم توران شاه ابن السلطان صلاح الدين ، وأخو المعظم نصرة الدين والأمجد حسن والظاهر شاذي إبنا الناصر داود بن المعظم عيسى بن العادل بن أيوب ، وتقي الدين عباس بن العادل بن أيوب ، ومقدم الجيش شمس الدين لؤلؤ الأميني الأرمني واليه تدبير المملكة ، ساروا من دمشق يوم الأحد في منتصف رمضان .

واهتم المصريون لقتـــالهم وبرزوا إلى السائح ، وتركوا الأشرف المسمى بالسلطان بقلعة الجبل ، وأفرج أيبك التركماني حينئذ عن المنصور ابراهـــيم والسعيد عبد الملك ابني الصالح اسماعيل المعتقلين من استيلاء الصالح أيوب على بعلبك ، وخلع عليهما ليتوهم الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب من أبيهما . والتقى المصريون والشاميون قرب العباسية يوم الخميس عاشر ذي القعدة منها فانكسر أولاً عسكر مصر ،فخامر جماعة من المماليك الترك العزيزية على الناصر صاحب دمشق ، وثبت المعز أيبك التركماني في قليل من البحرية ، وانضاف اليه جماعة من العزيزية مماليك والد الناصر . ولما انكسر المصريون وتبعهم الشاميون ، ولم يشكوا في النصر ، بقي الناصر تحت الصناجق في جمـــاعة

Marfat.com

يسيرة من المتعممين ، لا يتحرك من موضعه ، فحمل عليه المعز التركماني بمن معه فانهزم الناصر طالب الشام ، ثم حمل ايبك التركماني على عسكر شمس الدين لؤلؤ فهزمهم وأسر شمس لؤلؤ ، وضرب عنقه بين يديه ، وعنق الأمير ضياء الدين القميري ، وأسر يومئذ الصالح اسماعيل ، والأشرف صاحب حمص والمعظم توران شاه بن الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب وأخوه نصرة الدين.

ووصل عسكر الملك الناصر في أثر المنهزمين إلى العاسية وضربوا بها دهليز الملك الناصر ، ولا يشكون أن الهزيمة تمت على المصريين ، فلما بلغهم هرب الملك الناصر اختلفت آراؤهم ، فأشار بعضهم بدخول القاهرة وتملكها ، ولو قدر ذلك لم يبق مع ايبك التركماني من يقاتلهم به،وكان هرب، فان غالب المصريين وصلوا الصعيد ، وأشار بعضهم بالرجوع إلى الشام ، وكان معهم تاج الملوك بن المعظم جريحاً ، وكانت الوقعة يوم الخميس ،ووصل المنهزمون من المصريين إلى القاهرة في غد الوقعة فلم يشك أهل مصر في ملك الناصر لمصر .

وخطب له يوم الجمعة المذكورة بقلعة الجبل بمصر، وأما القاهرة فلم يخطب بها ذلك اليوم لأحد . ثم وردت اليهم البشرى بنصر البحرية ودخل ايبك التركماني والبحرية القاهرة يوم السبت ثاني عشر ذي القعدة ومعه الصالح اسماعيل تحت الاحتياط وغيره من المعتقلين فحبسوا بقلعة الجبل ، وعقب ذلك أخرج ايبك التركماني أمين الدولة وزير الصالح اسماعيل وأستاذ داره يغمور من الاعتقال وشنقهما على باب قلعة الجبل رابع عشر ذى القعدة . وفي السابع والعشرين منه : هجم جماعة على الصالح عماد الدين اسماعيل بن العادل ابن أيوب وهو يمص قصب سكر وأخرجوه فقتلوه بالقرافة ودفن هناك وعمره نحو خمسين . وأمه حظية رومية .

وفيها بعد ذلك أرسل فارس الدين اقطاي بثلاثة آلاف فارس فاستولى على غزة ثم عاد إلى مصر . وفيها وثب على المنصور عمر صاحب اليمن

Marfat.com

مماليكه فقتلوه وهو عمر بن علي بن رسول [1] .

سنة تسع وأربعين وستمائة :

وفيها توفي الصاحب جمال الدين يحيى بن عيسى بن ابراهيم بن الحسين بن علي بن حمزة بن ابراهيم بن الحسين بن مطروح ، تقدم عند الصالح أيوب وتولى له وهو بالشرق نظر الجيش ثم استعمله على دمشق ثم عزله بيغمور ، وكان فاضلاً في النظم والنثر . وله :

عانقته فسكرت من طيب الشذا غصن رطيب بالنسيم قد اغتذى
نشوان مـا شرب المدام وإنمـا أمسى بخمر رضابه متنبـذا
جاء العذول يلومني من بعد ما أخذ الغرام عليّ فيه مأخـذا
لا أرعوي لا أنتهي لا أنثني عن حبه فليهذ فيه من هذى
إن عشت عشت من الغرام وإن أمت وجداً به وصبابة يا حبذا

قلت وما أحسن ما ضمن بيت المتنبي وهو :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

فقال :

إذا ما سقاني ريقه وهو باسم تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرني من قده ومدامعي مجر عوالينـــا ومجرى السوابق

وذكرت بهذا ما كنت ضمنته من أبيات مشهورة للمتنبي **فقلت** :

---

(١) كان أبوه أستاذ دار الملك المسعود بن السلطان الكامل ، ولما قصد المسعود الشأم ومات بمكة إستناب المذكور فاستقر نائباً باليمن لبني أيوب ورهن اخوته بمصر لئلا يتغلب على اليمن ، واستمر نائباً بها حتى مات قبل سنة ثلاثين وستمائة واستولى على اليمن بعده ابنه عمر نائباً فأرسل من مصر اعمامه ليعزلوه ويكونوا موضعه ، فقتلهم واستقل بملك اليمن ، وتلقب بالمنصور واستكثر من المماليك الترك فقتلوه وملك بعده ابنه يوسف وتلقب بالمظفر وصفا له اليمن طويلاً ،

Marfat.com

بروحي ومالي عادل القد ظالم ولكن مغنوماً نجى منه غانم
إذا ما رأيت الطرف منه وقده تقول كأن السيف للرمح شائم
عزائم سحر في ذوى العزم طرفه على قدر أهل العزم تأتي العزائم
نقاسي عظيماً في هواه فلم نرع وتصغر في العظيم العظائم
فسل عن دمي فيه وعن فيض أدمعي لتعرف أي الساقيين الغمائم
لئن شبه العشاق خديه جنة فموج المنايا حولها متلاطم

وكذلك ضمنت بيتاً واحداً إنتسب الى علي « رضي الله عنه » فقلت :

فيا سائلي عن مذهبي ان مذهبي ولاء به حب الصحابة يمزج
فمن رام تقويمي فاني مقوم ومن رام تعويجي فاني معوج

وكذلك ضمنت غالب قصيدة أبي العلاء في تهنئة برجوع من غزاة بلاد سيس وفتح قلعة النقير سنة ست وثلاثين وسبعمائة على وجه إمتحان القريحة لا في معين ، فمنها قولي :

جهادك مقبول وعامك قابل ألا في سبيل المجد ما أنت فاعل
إذا حل مولانا بأرض يحلها عفاف وإقدام وحزم ونائل
وإن لاح في القرطاس أسود خطه يقول الدجى يا صبح لونك حائل
لأقلامك السمر العوالي تواضعت وهابتك في اغمادهن المناصل
نزلتم على الحصن المنيع جنابه فليس يبالي من يغول الغوائل
نصبنم عليه للحصار حبائلا كما نصبت للفرقدين الحبائل
وزلزلتموه خيفة ومهابة فأثقل رضوى دون ما هو حامل
ألا ان جيشاً للنقير فاتحاً لآت بما لم تستطعه الأوائل
فكم أنشد التكفور يا حصن لا تبل ولو نظرت شزراً اليك القبائل
فقال له اسكت ما رأيت الذي أرى وأيسر هجري أنني عنك راحل
فأصبح من جور الحصا كأنه أخو سقطة أو ضالع متحامل
رميتم حجار المنجنيق عليهم ففاخرت الشهب الحصار والجنادل

Marfat.com

حجارة سجيل لهـا البدر خائف على نفسه والنجم في الغرب مائل
وعـدتم وللفتح المبين تبـــاشر وقد حطمت في الدار عين العوامل
وفل قتـــال المشركـين سيوفكم فما السيف إلا غمـده والحمـائل
والله أعلم .

وفيها توفي علم الدين قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني بن مسافر الفقيه الحنفي المقري المعروف بتعاسيف ،إمام في الرياضيات ، إشتغل بمصر والشام، ثم بالموصل على الشيخ كمال الدين موسى بن يونس وقرأ عليه الموسيقى ثم عاد وتوفي بدمشق في رجب ، ومولده سنة أربع وسبعين وخمسمائة باصفون من شرقي صعيد مصر .

قلت : وفيها توفي الشيخ تـــاج الدين جعفر بن محمود بن سيف الحلبي المعروف بالسراج صاحب الكرامات الخارقة والأنفاس الصادقة في العشر الآخر من شعبان بحلب ودفن بمقابر الصالحين وقبر الشيخ أبي المعـــالي الحداد والشيخ جعفر المذكور والشيخ أبي الحسين النوري متقاربات ظاهرة تزار ، صحب الشيخ جعفر المذكور الشيخ شهاب الدين السهروردي . وروى عنه عوارف المعارف ، وتخرج به خلق من أعيان الصلحاء مثل الشيخ مهنى بن كوكب الفوعي ، ومثل شيخنا عيش بن عيسى بن علي السرجاوي وغيرهم ، وربى المريدين على عادة الصوفية .

وكان يكاشفهم بالأحوال في خلواتهم ، ويحل ما أشكل عليهم ، ورجع بسببه خلق كثير إلى الله في جبل السماق وبلد سرمين والباب وبزاغة وحلب وغيرها ، وقرب العهد به وبمن لقينا من أصحابه ، وشهرة كراماته عندهم تغنى عن ذكرها ، وكان له رحمة الله عليه مريدون أعزة عليه بالبارة ، فكان إذا رأى البارة من بعيد ينشد :

وأحبها وأحب منزلها الذي نزلت به وأحب أهل المنزل

وحكى عنه انه جاور في مغارة بالكفر الملاصق للبارة ، وكان بالمغارة جب

فكان كلما ختم ختمة ألقى في الجب حصاة حتى طم الجب بالحصي ومحاسنه وزهده وكراماته مشهورة بين أصحابه . والله أعلم .

سنة خمسين وستمائة لم يقع فيها ما يصلح للتاريخ .

سنة إحدى وخمسين وستمائة :

وفيها إستقر الصلح بين الناصر صاحب الشام وبين البحرية بمصر على أن للمصريين إلى النهر الأزرق ، وللناصر ما وراءه وحضره الباذراني من جهة الخليفة . **وفيها** قطع أيبك التركماني خبر حسام الدين بن أبي علي الهذباني ، فخدم الناصر بدمشق .

وفيها أفرج الناصر يوسف عن الناصر داود بن المعظم الذي كان صاحب الكرك من اعتقاله بقلعة حمص بشفاعة الخليفة ، وأمره أن لا يسكن في بلاده وطلب بغداد ، فما مكن من وصولها ومنعوه وديعته الجوهر ، وكتب الناصر يوسف إلى ملوك الأطراف أن لا يؤوه ، ولا يميروه فبقي في جهات عانة والحديثة ، وضاقت به الحال بمن معه ، وانضم إليه جماعة من غزنة ، يرحلون وينزلون جميعاً ، ولما قوي الحر ولم يبق بالبر عشب قصدوا أزوار الفرات يقاسون بق الليل وهواجر النهار ، ومعه أولاده . ولإبنه الظاهر شاذي ، فهد يصيد في النهار ما يزيد على عشرة غزلان ، ويمضي له ولأصحابه أيام لا يطعمون غير لحوم الغزلان .

واتفق أن الأشرف صاحب تل باشر وتدمر والرحبة ، أرسل إلى الناصر مركبين موسوقين دقيقاً وشعيراً ، فهدده صاحب دمشق على ذلك ، ثم أن الناصر قصد مكاناً للشرائي واستجار به ، فرتب له دون كفايته ، وأذن له في نزول الأنبار ثلاثة أيام عن بغداد ، والناصر داود مع ذلك يتضرع إلى الخليفة المستعصم فلا يجيبه ويطلب وديعته فيماطل عنها ، ومدة مقامه في البراري ثلاثة أشهر ، ثم شفع فيه الخليفة عند الملك الناصر ، فأذن بعوده إلى

دمشق ورتب له مائة الف على بحيرة افامية وغيرها يحصل منها دون ثلاثين الفاً.

وفيها وصلت الأخبار من مكة أن ناراً ظهرت من عدن وبعض جبالها تظهر في الليل ، ولها في النهار دخان عظيم .

سنة إثنتين وخمسين وستمائة :

دولة الحفصيين ملوك تونس

ذكرت في هذه السنة لأنها كالمتوسطة لمدة ملكهم ، نقله المؤلف رحمه الله تعالى من الشيخ الفاضل ركن الدين بن قويع التونسي قال : الحفصيون أولهم أبو حفص عمر بن محيي الهنتاني ، وهنتانة بتائين مثناتين ، فوق قبيلة من المصامدة يزعمون أنهم قرشيون من بني عدي بن كعب ، رهط عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأبو حفص من أكبر أصحاب إبن تومرت بعد عبد المؤمن . وتولى عبد الواحد بن أبي حفص أفريقية نيابة عن بني عبد المؤمن ، في سنة ثلاث وستمائة ، ومات سلخ ذى الحجة سنة ثمان عشرة وستمائة ، فتولى أبو العلاء من بني عبد المؤمن ، ثم توفي فعادت أفريقية إلى ولاية الحفصيين .

وتولى منهم عبد الله بن عبد الواحد بن ذي حفص ، سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وكما تولى ، ولى أخاه أبا زكريا يحيى قابس ، وأخاه أبا إبراهيم إسحاق بلاد الجريد ، ثم خرج على عبد الله وهو على قابس أصحابه ورجموه وطردوه وولوا موضعه أبا زكرياء عبد الواحد ، سنة خمس وعشرين وستمائة ، فنقم بنو عبد المؤمن على أبي زكرياء ذلك ، فأسقط أبو زكرياء إسم عبد المؤمن من الخطبة وبقي إسم المهدي ، وتملك أفريقية . وخطب لنفسه بالأمير المرتضى واتسعت مملكته ، وفتح تلمسان والمغرب الأوسط بلاد الجريد والزاب ، وبقي كذلك حتى توفي على يوفة سنة سبع وأربعين وستمائة .

وله بتونس أبنية شامخة ، وكان عالماً بالأدب ، وخلف أربعة بنين وهم : أبو عبد الله محمد ، وأبو إسحاق إبراهيم وأبو حفص عمر وأبو بكر ، وكنيته أبو يحيى ، وخلف أخويه أبا ابراهيم إسحاق ومحمد اللحياني الصالح

Marfat.com

الزاهد . ثم تولى بعده أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء ، ثم خلعه عمه ابراهيم وبايع لأخيه اللحياني على كره منه ، فجمع المخلوع أصحابه يوم خلعه وقتل عميه وملك وتلقب ، وخطب لنفسه بالمستنصر بالله أمير المؤمنين ، أبي عبد الله محمد بن الأمراء الراشدين .

وفي أيامه سنة ثمان وستين وستمائة ، وصل الفرنسيس إلى أفريقية ، وكادت تؤخذ فأماته الله وتفرق جمعه ، وفي أيامه خافه أخوه أبو إسحاق إبراهيم ، فهرب ثم أقام بتلمسان ، وتوفي المستنصر في ذى الحجة سنة خمس وسبعين وستمائة فملك ابنه يحيى وتلقب بالواثق بالله ، أمير المؤمنين . وكان ضعيف الرأي تغلب عليه عمه أبو إسحاق ، فخلع الواثق نفسه ، وملك أبو إسحاق في ربيع الاول سنة ثمان وسبعين وستمائة ، وخطب لنفسه بالأمير المجاهد ، وترك زي الحفصيين إلى زي زناته ، وعكف على الشرب وفرق المملكة على أولاده فذبحوا الواثق المخلوع وابنيه الفضل والطيب . وسلم للواثق إبن صغير ، يلقب أبا عصيدة عملت أمه عصيدة وأهدتها للجيران فلقب بذلك .

ثم ظهر إنسان ادعى أنه الفضل بن الواثق ، الذي دبح مع أبيه وجمع وقصد أبا إسحاق إبراهيم وقهره ، فهرب إلى بجاية وبها إبنه أبو فارس عبد العزيز فترك أبو فارس أباه ببجاية وسار بإخوته وجمعه إلى الدعى بتونس ، والتقى الجمعان ، فانهزم عسكر بجاية ، وقتل أبو فارس وثلاثة من إخوته ، ونجى له أخ إسمه يحيى ، وعمه أبو حفص عمر . ثم أرسل الدعي من قتل ببجاية أبا إسحاق إبراهيم ، وجاءه برأسه ثم تحدث الناس بأنه دعى ، واجتمع العرب على عمر بن أبي زكرياء بعد هربه من المعركة ، فقصد الدعي ثانياً بتونس وقهره ، واستتر الدعي ، ثم أُحضر واعترف بنسبه ، وضربت عنقه ، والدعي أحمد بن مروان بن أبي عمار من بجاية ، كان أبوه يتجر إلى بلاد السودان .

وكان على الدعي بعض شبه من الفضل بن الواثق ، فشهد له نصير الأسود ، وكان خصيصاً بالواثق المخلوع أنه الفضل ، وجمع عليه العرب حتى كان منه ما ذكر ، وكان يخطب للدعي بالإمام المنصور بالله ، ولما استقر أبو حفص

Marfat.com

تلقب بالمستنصر بالله ، وهو المستنصر الثـــاني ، وسار ابن أخيه يحيى بن إبراهيم الذي سلم من المعركة إلى بجاية فملكها ، وتلقب بالمنتخب لإحياء دين الله أمير المؤمنين .

وتوفي المستنصر الثاني سنة خمس وتسعين وستمائة ، وبايع في مرضه لابنه الصغير ، ثم وعظه الفقهاء لصغر ابنه فأبطل بيعته ، وأخرج ولد الواثق المخلوع الذي كان صغيراً ، وسلم من الذبح الملقب بأبي عصيدة ، وبويع صبيحة موت أبي حفص المستنصر ،واسم أبي عصيدة أبو عبد الله محمد وتلقب بالمستنصر أيضاً وتوفي في أيامه صاحب بجاية ، المنتخب يحيى بن إبراهيم بن أبي زكرياء ، وملك بجاية بعده إبنه خالد بن يحيى ، وبقي أبو عصيدة كذلك حتى توفي سنة تسع وسبعمائة ، فملك بعده من الحفصيين أبو بكر بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن أبي زكرياء بن عبد الواحد بن أبي حفص صاحب ابن تومرت ، وأقام في الملك ثمانية عشر يوماً .

ثم وصل خالد بن المنتخب صاحب بجاية ، ودخل تونس وقتل أبا بكر سنة تسع وسبعمائة ، ولما جرى ذلك كان زكرياء اللحيـــاني بمصر فسار مع عسكر السلطان الملك الناصر إلى طرابلس الغرب ، وبايعه العرب وسار إلى تونس فخلع خالد بن المنتخب وحبس ، ثم قتل قصاصاً بأبي بكر بن عبـــد الرحمان المقدم الذكر . وملك اللحياني افريقية [1] ، ثم تحرك على اللحياني أخو خالد،وهو أبو بكر بن يحيى المنتخب،فهرب اللحياني وأقام بالاسكندرية وملك أبو بكر المذكور تونس وما معها خلا طرابلس والمهدية فانه بعد هرب اللحياني بايع إبنه محمد بن اللحياني لنفسه وقاتل أبا بكر فهزمه أبو بكر ، واستقر محمد بن اللحياني بالمهدية وله معها طرابلس .

وكان استيلاء أبي بكر وهرب اللحياني سنة تسع عشرة وسبعمائة ، ثم

---

(١) هو أبو يحيى زكرياء بن احمد بن محمد الزاهد اللحياني ابن عبد الواحد بن أبي حفص صاحب بن تومرت .

Marfat.com

وردت على اللحياني بالاسكندرية مكاتبات من تونس في ذى القعدة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة يذكرون فيها أن أبو بكر مستملك تونس قد هرب وترك البلاد وأنهم قد أجمعوا على طاعة اللحياني ، وبايعوا نائبه محمد بن أبي بكر من الحفصيين وهو صهر زكريا اللحياني وهم في انتظار وصول اللحياني إلى مملكته، ولعمري لقد صارت مملكة أفريقية مملكة يهرب منها لضعفها باستيلاء العرب.

وفيها قتل المعز ايبك التركماني خشداشه اقطاي الجمدار بالتجهيز عليه إذ كان يمنعه من الاستقلال بالسلطنة. وكان الاسم للأشرف موسى بن يوسف بن يوسف ابن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، فاستقل المعز التركماني بالسلطنة، وأبطل الأشرف موسى وبعث به إلى عماتـــه القطبيات ، وموسى آخر من خطب له من بيت أيوب بمصر ، وفي هذه السنة إنقضت دولتهم من الديار المصرية ، ولما علمت البحرية بقتل اقطاي هربوا من مصر إلى الناصر يوسف صاحب الشأم ، وأطمعوه في مصر فرحل من دمشق ونزل عمنـــا من الغور وأرسل إلى غزة عسكراً وبرز المعز صاحب مصر إلى العباسية ، وخرجت السنة وهم على ذلك . **وفيها** ولى المنصور صاحب حماه قضاء حماه القاضي شمس الدين ابراهيم بن هبة الله بن البارزي بعد عزل المحبي حمزة بن محمد .

سنة ثلاث وخمسين وستمائة :

وفيها مشى نجم الدين الباذراني في الصلح بين المصريين والشاميين على أن للناصر الشأم إلى العريش والحد بئر العاصي وهو ما بين الواردة والعريش ، وللمعز ايبك الديار المصرية ورجع كل إلى بلده . **وفيها** أو التي قبلها تزوج المعز ايبك شجرة الدر أم خليل .

وفيها طلب الملك النـــاصر داود من الملك الناصر يوسف دستوراً إلى العراق ليطلب من الخليفة الجوهر الذي أودعه فأذن له فسار إلى كربلا ثم إلى الحج ، ولما رأى قبر النبي ﷺ تعلق في أستار الحجرة الشريفة وقال :

Marfat.com

اشهدوا أن هذا مقامي من رسول الله ﷺ داخلاً عليه ، مستشفعاً به إلى ابن عمة المستعصم في أن يرد عليَّ وديعتي، فارتفع بكاء الناس ، وكتب بصورة ما جرى مشروح ، ودفع إلى أمير الحاج في الثامن والعشرين من ذى الحجه ، وتوجه الناصر داود مع الحاج العراقي وأقام ببغداد .

سنة أربع وخمسين وستمائة :

وفيها توفي كيخسرو صاحب بلاد الروم وقام بعده إبناه الصغيران عز الدين كيكاوس وركن الدين قلج أرسلان وفيهـــا توجه كمال الدين بن العديم رسولاً من الناصر يوسف صاحب الشأم إلى الخليفة المستعصم بتقدمة جليلة ، وطلب خلعة لمخدومه ، ووصل شمس الدين سنقر الأقرع من مماليك المظفر غازي صاحب ميافارقين من جهة المعز ايبك صاحب مصر إلى بغداد بتقدمة جليلة ، وسعى في تعطيل خلعة الناصر فحار الخليفة ، ثم أحضر سكيناً من اليشم كبيرة ، وقال الخليفة للوزير : أعط هذه السكين رسول صاحب الشأم علامة مني أن له خلعة عندي في وقت آخر ، وأما في هذا الوقت فلا يمكنني فعاد كمال الدين بن العديم بالسكين بلا خلعة .

وفيها حوسب الناصر داود على ما وصله من الخليفة المستعصم من مضيف مثل اللحم والخبز والحطب والشعير والتبن ، وثمن عليه غالياً وأعطى شيئاً نزراً وألزم فوضع خطه ببراءة الخليفة من وديعته الجوهر ، وعـــاد فنزل بصالحية دمشق . **وفيها** ثالث شوال توفى سيف الدين طغر بك مملوك المظفر صاحب حماه زوجه المظفر أخته ودبر حماه بعده حتى توفى .

سنة خمس وخمسين وستمائة :

وفيها يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الأول **قتل الملك المعز ايبك التركماني** الجاشنكير الصالحي قتلته زوجته شجرة الدر التي كانت زوجـــة أستاذه الملك الصالح، وخطب لها بالسلطنة ، بلغها أنه خطب بنت بدر الدين

Marfat.com

لؤلؤ صاحب الموصل فجهزت عليه الجوجري والخدام في الحمام ، وأرسلت تلك الليلة أصبع ايبك المعز وخاتمه إلى الأمير عز الدين الحلبي الكبير فلم يجسر على القيام بالأمر وحمتها المماليك الصالحية من القتل ، وأقيم نور الدين على ابن الملك المعز ، ولقب بالمنصور وعمره خمس عشرة سنة ونقلت شجرة الدر إلى البرج الأحمر وصلبوا الخدام القاتلين ، وهرب سنجر الجوجري مملوك الطواشي محسن ، ثم صلبوه واحتيط على الصاحب بهاء الدين بن حناء لكونه وزير شجرة الدر وأخذ خطه بستين ألف دينار .

وفي يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر إتفق مماليك المعز ايبك ، مثل سيف الدين قطز وسنجر الغتمي وبهادر وقبضوا على علم الدين سنجر الحلبي أتابك المنصور علي بن المعز ايبك ورتبوا في الأتابكية اقطاي المستعرب الصالحي ، وفي سادس عشر ربيع الآخر منها قتلت شجرة الدر وألقيت خارج البرج فحملت إلى تربتها فدفنت وبعد أيام خنق شرف الدين الفائزي .

وفيها استوحش الناصر من البحرية ونزحهم عن دمشق فقدموا غزة وانتموا إلى الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل وانزعج أهل مصر لقدوم البحرية إلى غزة ، وبرزوا إلى العباسية ، ونفر من البحرية جماعة إلى القاهرة منهم عز الدين الأثرم فأكرموه وأفرجوا عن أملاكه وأرسل صاحب الشأم عسكراً في أثرهم فكبسته البحرية ونالوا منه . ثم انكسرت البحرية فانهزموا إلى البلقاء وإلى زغر ملتجئين إلى المغيث صاحب الكرك فأنفق فيهم أموالاً وأطمعوه في مصر فجهزهم بما احتاجوا وقصدوا مصر فخرج عساكر مصر لقتالهم ، والتقى المصريون مع البحرية وعسكر المغيث بكرة السبت منتصف ذى القعدة منها ، فانهزم عسكر المغيث والبحرية ، ومنهم بيبرس البند قدار المسمى بعد بالملك الظاهر إلى جهة الكرك .

وفيها وصل من الخليفة الطوق والتقليد إلى الملك الناصر يوسف بن العزيز.

وفيها استجار الناصر داود بنجم الدين الباذراني فصحبه إلى قرقيسيا

Marfat.com

وأخره ليشاور عليه فلم يؤذن له وطال مقامه فسافر إلى البرية وقصد تيه بني إسرائيل وأقام مع عرب تلك البلاد .

وفيها أو التي قبلها ظهرت نار بالحرة عند مدينة النبي ﷺ، وكانت تضيء بالليل من مسافة بعيدة جداً . ولعلها النار التي ذكرها رسول ﷺ من علامات الساعة ؟ فقال نار تظهر بالحجاز تضيء لها أعناق الأبل ببصرى . **قلت** : ولم يكن لها حر على معظمها وشدة ضوئها ، ودامت أياماً وتواتر شأن هذه النار، ونظمت الشعراء عند ظهور هذه النار مدائح في النبي ﷺ ، فمما نظم المشد سيف الدين عمر بن قزل يخاطب به النبي ﷺ :

ولما نفى عني الكرا خبر التي أضاءت بأحد ثم رضوى ويذبل
ولاح سناها من جبال قريظة لسكان تيماً فاللوى فالعقيقل
وأخبرت عنهـا في زمانك منظراً بيوم عبوس قمطرير مطول
ستظهر نار بالحجاز مضيئـــة لأعناق عيس نحو بصرى لمجتلى
فكانت كما قد قلت حقاً بلا مرا صدقت وكم كذبت كل معطل
لها شرر كالبرق لكن شهيقها فكالرعد عند السامع المتأمل
وأصبح وجه الشمس كالليل كاسفاً وبدر الدجى في ظلمة ليس ينجلي
وأبدت من الآيات كل عجيبة وزلزلت الأرضون أي تزلزل
جزعت فقام الناس حولي وأقبلوا يقولون لا تهلك أسى وتحمل
طفى النار نور من ضريحك ساطع فعادت سلاما لا تضر بمصطلى

وهي طويلة . والله أعلم .

ثم اتفق أن الخدم بحرم النبي ﷺ وقع منهم في بعض الليالي تفريط ، فاشتعلت النار في المسجد الشريف ، واحترقت سقوفـه وتألم الناس لذلك.

قلت : وكان أصل هذا الحريق من مسرجة قيم ، وقلت في ذلك :

والنار أيضاً من جنود نبينا لم تأت إلا بالذي يختار
متغلبـون خرفون بسحتهم حرم النبي فطهرته النـــار

سنة ست وخمسين وستمائة :

ذكر استيلاء التتر على بغداد

فيها قصد هلاكو ملك التتر بغداد ، وملكها في العشرين من المحرم ، وقتل الخليفة المستعصم بالله وسببه أن وزير الخليفة مؤيد الدين بن العلقمي ، كان رافضياً وأهل الكرخ روافض فافتتن السنية والشيعة ببغداد كعادتهم فأمر أبو بكر بن الخليفة ركن الدين الدواتدار العسكر فنهبوا الكرخ وركبوا من النساء الفواحش فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمي ، وكاتب التتر وأطمعهم في بغداد وطمع الخبيث الغوى في إقامة خليفة علوي .

قلت : وكتب ابن العلقمي إلى وزير أربـــل يطلعه على ذلك رسالة ، **منها :** انه قد نهب الكرخ المكرم ، وقد ديس البساط النبوي المعظم وقد نهبت العترة العلوية ، واستؤسرت العصابة الهاشمية ، وقد حسن التمثيل بقول شخص من غزيه :

أمور تضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها اللبيب

وقد عزموا على نهب الحله والنيل بل سوّلت لهم أنفسهم أمراً فصبرجميل.

أرى تحت الرماد وميض نار ويوشك أن يكون لها ضرام
فان لم يطفها عقـلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظ أُمية أم نيـــام

ومنها :

وزير رضى من حكمه وانتقامه بطي رقاع حشوها النظم والنثر
كما تسجع الورقاء وهي حمامة وليس لها نهي يطاع ولا أمر

فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون .

ووديعة من سر آل محمد أودعتها إن كنت من أمنائها

Marfat.com

فإذا رأيت الكوكبين تقارنا في الجدي عند صباحها ومسائها
فهناك يؤخذ ثار آل محمـــد وطلابها بالترك من أعدائها

وكن لما أقول بالمرصاد وتأول أو النجم واحرص . والله أعلم .

وكان عسكر بغداد مائة ألف فارس ، فحسن ابن العلقمي وأمثـــاله للمستعصم قطعهم ليحمل إلى التتر متحصل اقطاعاتهم فسار عسكر بغداد دون عشرين ألفاً فأرسل ابن العلقمي إلى التتر أخـــاه يستدعيهم فساروا قاصدين بغداد في جحفل عظيم [1] . وخرج عسكر الخليفة لقتالهم ومقدمهم ركن الدين الدواتدار واقتتلوا على مرحلتين من بغداد قتالاً شديداً ، فانهزم عسكر الخليفة ودخل بعضهم بغداد وســـار بعضهم إلى جهة الشأم ونزل هلاكو على بغداد من الجانب الشرقي ، ونزل المقدم تاجو بالجانب الغربي على القرية قبالة دار الخلافة . وخرج ابن العلقمي إلى هلاكو فتوثق منه لنفسه ، وعاد إلى الخليفة المستعصم وقال : ان هلاكو يبقيك في الخلافة كما فعـــل بسلطان الروم ويريد أن يزوج ابنته من إبنك أبي بكر وحسن له الخروج إلى هلاكـــو فخرج اليه المستعصم في جمع من أكابر أصحابه فأنزل في خيمة ، ثم استدعى إبن العلقمي الفقهاء والأماثل ، فاجتمع هناك جميع سادات بغـداد والمدرسين ، ومنهم ملك الأمراء ركن الدين الدوايدار المستنصري أحـــد الشجعان وأستاذ دار الخلافة العلامة محيي الدين بن الجوزي وأولاده .

وكذلك صار يخرج إلى التتر طائفة بعد طائفة ، موهماً لهم أنهم يحضرون عقد إبن الخليفة على بنت هلاكو ، فلما تكاملوا قتلهم التتر عـــن آخرهم ثم

---

(١) أراد ابن العلقمي نصرة الشيعة فنصر عليهم وحاول الدفع عنهم فدفع اليهم وسعى ولكن في فسادهم . وعاضد ولكن على سبي حريمهم وأولادهم وجاء بجيوش سلبت عنه النعمة ونكبت الامام والأمة وسفكت دماء الشيعة والسنة وخلدت عليه العار واللعنه .

وأتى الخائن الخبيث بمغل طبق الأرض بغيهم تطبيقا
هكذا ينصر الجهول أخاه ومن البر ما يكون عقوقا

والله أعلم — المؤلف —

Marfat.com

مدوا الجسر وعدي تاجو ومن معه ، وبذلوا السيف في بغداد وهجموا دار الخلافة وقتلوا كل من كان فيها من الأشراف ، ولم يسلم إلا من كان صغيراً فأخذ أسيراً ودام القتل والنهب في بغداد أربعين يوماً .

وممن استشهد ببغداد العلامة الشيخ يحيى بن يوسف الصرصري الضرير الشاعر ثم نودي بالأمان ، وأما الخليفة فقتلوه وإبنه أبا بكر أيضاً قتلا خنقاً ، وقيل وضعا في عدل ورفسا حتى ماتا ، وقيل غرقا في دجلة وهو المستعصم عبد الله أبو أحمد بن المستنصر أبي جعفر بن منصور بن محمد الطاهر بن الإمام الناصر أحمد ، وكان حسن الديانة لكنه ضعيف الرأي ، وغلب عليه إبن العلقمي وأمراء دولته وختم له بخير ، ومدة خلافته نحو ست عشرة سنة ، وهو آخر الخلفاء ببغداد من بني العباس ، وإبتداء دولتهم سنة إثنتين وثلاثين ومائة وهي السنة التي بويع فيها السفاح بالخلافة ، وقتل فيها مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية فمدة خلافتهم خمسمائة سنة واربع وعشرين سنة ، وهم سبعة وثلاثون خليفة .

قلت وبقي الوقت بعد ذلك بلا خليفة ثلاث سنين ، قال إبن واصل أخبرني من أثق به أنه وقف على كتاب عتيق ، فيه ما صورته أن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بلغ بعض خلفاء بني أمية عنه أنه يقول : أن الخلافة تصير إلى ولده ، فأمر الأموي بعلي بن عبد الله ، فحمل على جمل وطيف به وضرب ، وكان يقال عند ضربه هذا جزاء من يفتري ويقول أن الخلافة تكون في ولده ، فكان علي بن عبد الله يقول : أي والله لتكونن الخلافة في ولدي ولا تزال فيهم حتى يأتيهم العلج من خرسان فينزعها منهم فكان كما قال والعلج المذكور هلاكو .

قلت [1] إن علياً رضي الله عنه افتقد عبد الله بن العباس رضي الله عنهم

---

(١) نقلاً عن ابن خلكان في تاريخه . كما ذكر أيضاً المبرد في الكامل ويليه اضافة : ان العباس كان عظيم الصوت وجاءتهم مرة غارة وقت الصباح فصاح واصباحاه فلم تسمعه حامل في الحي إلا وضعت . والله أعلم .

Marfat.com

وقت صلاة الظهر ،فقال لأصحابه : ما بال أبي العباس لم يحضر الظهر فقالوا : ولد له مولود فلما صلى علي رضي الله عنه قال إمضوا بنا اليه فأتاه فهناه فقال: شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ما سميته فقال : أو يجوز أن أسميه حتى تسميه فأمر به فأخرج اليه فأخذه فحنكه ودعا له ثم رده اليه ، وقال: خذ اليك أبا الأملاك قد سميته علياً، وكنيته أبا الحسن، ودخل علي يوماً على هشام بن عبد الملك ومعه إبنا إبنه السفاح والمنصور إبنا محمد ابن علي المذكور فأوسع له على سريره وسأله عن حاجته فقال ثلاثون الف درهم علي دين فأمر بقضائها ، قال له وتستوصي بإبنيَّ هذين خيراً ففعل فشكره وقال : وصلتك رحم فلما وليَ علي قال هشام لأصحابه : ان هذا الشيخ قد اختل ، وأسن وخلط فصار يقول : أن هذا الأمر سينقل إلى ولده ، فسمعه علي فقال : والله ليكونن ذلك وليملكن هذان .

وكان عظيم المحل عند أهل الحجاز ،كان إذا قدم مكة حاجاً أو معتمراً ، عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام ، وهجرت مواضع حلقها ولزمت مجلسة إعظاماً وإجلالاً وتبجيلاً له فإن قعد قعدوا ،وإن نهض نهضوا ، وإن مشى مشوا جميعاً خلفه وحوله ، ولا يزالون كذلك حتى يخرج من الحرم ، وكان إذا طاف كأنما الناس حوله مشاة وهو راكب من طوله .

وكان مع هذا الطول يكون إلى منكب أبيه عبدالله ، وكان عبدالله إلى منكب أبيه العباس ، وكان العباس إلى منكب ابيه عبد المطلب ، نظرت عجوز إلى علي وهو يطوف فقالت : من هذا الذي فرع الناس [1] ؟ فقيل علي ابن عبد الله بن العباس ، فقالت : لا إله إلا الله إن الناس ليرذلون عهدي بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسطاط أبيض .

وفيها سار المغيث بن العادل بن الكامل من الكرك ، وقد انضمت اليه البحرية إلى مصر في دست السلطنة فقاتله عساكر مصر ومماليك المعز ايبك ،

---

(١) فرع بالعين المهملة : أي علا عليهم .

وأكبرهم قطز الذي ملك مصر والغنمي وبهادر فانهزم المغيث إلى الكرك في أسوأ حال ونهبت أثقاله ودهليزه .

وفيها في السابع والعشرين من جمادى الأولى (توفى الملك الناصر) داود بن المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب بظاهر دمشق بقرية البويضا ومولده سنة ثلاث وستمائة فعمره نحو ثلاث وخمسين سنة وكنا ذكرنا أنه توجه إلى تيه بني إسرائيل فأرسل المغيث صاحب الكرك وأحضره إلى بلد الشوبك ، وأمر بحفر مطمورة له ، وبقي الناصر ممسكاً والمطمورة تحفر قدامه ليحبس فيها فطلبه المستعصم من بغداد ليقدمه على بعض العساكر لملتقى التتر فأخذه رسول الخليفه قبل أن تتم المطمورة ، وسار به إلى جهة دمشق فبلغه استيلاء التتر على بغداد وقتل الخليفة فتركه الرسول ومضى ، فسار داود إلى البويضا ولحق الناس طاعون فمات منه. فخرج الناصر يوسف صاحب دمشق إلى البويضا وأظهر الحزن عليه ونقله إلى الصالحية فدفنه بتربة والده المعظم ، وكان الناصر داود فاضلاً في النظم والنثر ، وقرأ العقليات على شمس الدين عبد الحميد الخسرو شاهي تلميذ الرازي ومن شعر الناصر داود :

عيون عن السحر المبين تبين ... لها عند تحريك القلوب سكون
تصول ببيض وهي سود فرندها ... ذبول فتور والجفون جفون
إذا ما رأت قلباً خلياً من الهوى ... تقول له كن مغرماً فيكون

ومنه: ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي والحديد ألانـــه داود

وكتب إلى ابن عبد السلام وقد أغارت الفرنج على نابلس في أيام الصالح أيوب صاحب مصر :

أيا ليت أمي أيم طول عمرها ... فـلم يقضها ربي لمولى ولا بعل
ويا ليتهـــا لما قضاهـا لسيد ... لبيب أريب طيب الفرع والأصل
قضاها من اللاتي خلقن عواقراً ... فما بشرت يوماً بأنثى ولا فحل
ويا ليتها لما غدت بي حاملاً ... أُصيبت بما اجتنت عليه من الحمل

Marfat.com

ويا ليتني لما ولدت وأصبحت تشد إلي الشذقميات بالرحـــل
لحقت بأسلافي فكنت ضجيعهم ولم أر في الإسلام ما فيه من خل

قلت : وذكرت بهذا قولي وقد رأيت دار والدي رحمه الله تعالى بالمعرة بعد وفاته وهو: ترى عدواً دعا علينا بدعوة صادفت نفاذا
خلت ديار الحبيب منه يا ليتني مت قبل هذا

وقولي : دهرنا أضحى ضنينا باللقـــا حتى ضنينـا
يا ديار الخير عودي واجمعينـا أجمعينـــا

وفيها في ذى القعدة توفيت الصاحبة غازنة خاتون بنت السلطان الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بقلعة حماه . ولدت من المظفر محمود ثلاث بنين ، مات عمر منهم صغيراً وبقي المنصور محمد والأفضل علي والد المؤلف رحمهما الله تعالى وثلاث بنات ، توفيت الكبرى منهن ملكة خاتون قبـــل والدتها بقليل ، وتوفيت الصغرى دنيا خاتون بعد أخيها المنصور ، وكان عند الصاحبة زهد وعبادة ، وحفظت الملك لابنها المنصور حتى كبر .

وفيها بعد بغداد قصد التتر ميافارقين وصاحبها الكامل محمد بن المظفر غازي بن العادل أبي بكر بن أيوب ، فصبر أهل ميافارقين مع الكامل على الجوع حتى كان ما سيذكر ، وهذا الكامل ملكها بعـــد أبيه سنة اثنتين وأربعين وستمائة . **وفيها** اشتد الوباء بالشام وخصوصاً بدمشق حتى عز مغسلوا الموتى . **وفيها** أرسل النـــاصر يوسف صاحب دمشق إبنه العزيز محمداً ومعه زين الدين الحافظي من عقربا من بلد دمشق بتقادم إلى هلاكو عجزاً عن ملتقاه .

وفيها توفي الصاحب بهاء الدين زهير بن محمد بن علي بن يحيى المهلبي كاتب إنشاء الصالح أيوب ومولده بوادي نخله من مكة حرسها الله تعالى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة . وفي آخر عمره انكشف حاله حتى باع موجوده ، وأقام في بيته بالقاهرة حتى توفى بالوباء العام رابع ذى القعدة منهـــا ، ودفن

Marfat.com

بالقرافة الصغرى ، وكان غزير المروءة فاضلا حسن النظم ، وله وزن مخترع لا يخرجه العروض وهو :

يا من لعبت بـــه شمول مـــا ألطف هذه الشمائل
مولاى يحـــق لي بأني عن حبك في الهوى أقاتل
هـــا عبدك واقفاً ذليلاً بالباب يمد كف سائـــل
من وصلك بالقليل يرضى والطل من الحبيب وابـل

(**قلت**) **وله** :

بروحي من أسميها بستي فتنظرني النحاة بعين مقت
يرون بأنني قد قلت لحناً وكيف وانني لزهير وقتي
ولكن غادة ملكت جهاتي فلم ألحن إذا ما قلت ستي

وله : يا روضة الحسن صـــلى فمـــا عليك ضير
فهـل رأيت روضـة ليس بهـــا زهـــير

وفيها توفى الشيخ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى شيخ دار الحديث إمام مشهور . **وفيها** توفى الشيخ شمس الدين يوسف سبط **جمال الدين** بن الجوزي واعظ فاضل ، له مرآة الزمان تاريخ جامع . **قلت** : وله تذكرة الخواص من الامة في ذكر مناقب الأئمة والله اعلم . **وفيها** توفى سيف الدين علي بن سابق الدين قزل المعروف بالمشد كان أميراً مقدماً في دولة الناصر يوسف صاحب الشام ، وله شعر حسن منه :

باكر كؤوس المدام واشرب واستجل وجه الحبيب واطرب
ولا تخف للهمـــوم داء فهي دواء له مجرب
من يـــد ساق له رضاب كالشهد لكن جنـاه أعذب

(**قلت**) ومن شعره بيت كل كلمة لا تستحيل بالانعكاس وهو :

ليل أضاء هـلاله انى يضيء بكوكب

Marfat.com

وقدّم من اسمه علي للسلطان ترياق الفاروق فأنشد :

قل للروافض كفوا وقدّموا الصدّيقا
فقد رأينا عليّـــاً يقدم الفاروقـا

وفيها كان بين البحرية بعد هزيمتهم من المصريين وبين عسكر النـــاصر يوسف ومقدمهم مجير الدين بن أبي زكريا مصاف بظاهر غزة انهزم فيه عسكر الناصر يوسف وأسر مجير الدين فقوي البحرية وعاثوا [1] .

وفيها توفي شيخ القراء بالموصل أبو عبدالله محمد بن أحمد شعلة الموصلي وله نيف وثلاثون سنة ، ومقري حلب العلامة أبو عبـــد الله محمد بن حسن الفارسي ، والوزير المتبر مؤيد الدين محمد بن محمد بن العلقمي الرافضي قرر مع هولاكوا أموراً فانعكست عليه وعض يده ندماً وصار يركب اكديشا فنادته عجوز : يا بن العلقمي هكذا كنت تركب في أيام المستعصم . ووبخه هولاكو آخراً فمات غماً وغبناً لا رحمه الله ، ومات إبنه بعده . والله أعلم .

سنة سبع وخمسين وستمائة :

وفيها سار عز الدين كيكاوس وركن الدين قلج ارسلان إبنا كيخسرو بن كيقباذ إلى خدمة هولاكو وأقاما معه مدة وعادا . **وفيها** توفي بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل المتلقب بالملك الرحيم وقد جاوز الثمانين . وملك بعـده إبنه الصالح ، وملك سنجار إبنه علاء الدين ، وكان لؤلؤ قد صانع هولاكو وحمل إليه الأموال ووصل إلى خدمته بعد أخذ بغداد ببلاد أذربيجان ومعه الشريف العلوي إبن صلايا فقيل أن لؤلؤاً سعى به إلى هولاكو فقتل الشريف ولما عاد عاش قليلاً ومات. وقام لؤلؤ بأمور أستاذه أرسلان شاه بن مسعود بن

---

(١) وفيها توفي الشيخ الزاهد أبو الحسن الشاذلي ، وله عبارات في التصوف مشكلة رد عليها ابن تيمية (انظر فوات الوفيات ص ٤٤). وكان الشاذلي نفعنا الله ببركته نزيل الاسكندرية. والعلامة أبو العباس أحمد بن عمر القرعبي المالكي بالاسكندرية وتصانيفه مشهورة — المؤلف .

Marfat.com

زنكي بن اقسنقر ، ودبر ولده القاهر ، ولما توفي انفرد لؤلؤ بتدبير المملكة ، وأقام ولدي القاهر الصغيرين واحداً بعد آخر ، واستبد بملك الموصل وبلادها ثلاثاً وأربعين سنة تقريباً وما طرق بآفة ولا اختل له نظام حتى مات .

قلت ويعجبني قول بعضهم فيه :

لا ما عجبي من لؤلؤ في بحر لكن عجبي من أبحر في لؤلؤ

وفيها : لما كسرت البحرية عسكر الناصر يوسف سار من دمشق بنفسه في عسكره ومعه المنصور صاحب حماه إلى جهة الكرك وأقام على بركة زيزا محاصراً للمغيث صاحب الكرك لحمايته للبحرية . وجاءته رسل المغيث والقطبية بنت الملك المفضل قطب الدين بن الملك العادل يسترضونه عن المغيث فلم يجب إلا بشرط أن يقبض المغيث على من عنده من البحرية ، وعلم بذلك ركن الدين بيبرس البندقداري فهرب في جماعة منهم إلى الملك الناصر يوسف فأحسن إليهم وقبض المغيث على من بقي من البحرية ، ومن جملتهم سنقر الأشقر وشكر وبرامق وأرسلهم على الجمال إلى الملك الناصر يوسف فبعث بهم إلى حلب فاعتقلهم بها ثم عاد إلى دمشق بعد شهرين.

وفي أواخرها خلع سيف الدين قطز ابن استاذه المنصور نور الدين علي بن المعز أيبك من السلطنة وعلم الدين الغتمي وسيف الدين بهادر من كبار المعزية غائبان في رمي البندق فانتهز الفرصة في غيبتهما وفعل ذلك ولما قدما قبض قطز عليهما أيضاً ، وتملك الديار المصرية وتلقب بالمظفر .

وكان رسول الناصر يوسف كمال الدين بن العديم قد قدم إلى مصر أيام المنصور علي بن أيبك مستنجداً على التتر ، فاتفق خلعه وولاية قطز بحضرة كمال الدين فأعاد قطز جواب الناصر انه ينجده ولا يقعد عن نصرته .

وفيها في الساعة العاشرة من ليلة الأحد خامس عشر المحرم ثاني عشر كانون الثاني ولد محمود بن الملك المنصور بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن

المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، ولقب بالملك المظفر ، وأمـــه عائشة خاتون بنت العزيز محمد صاحب حلب بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب وهنأ شيـخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز المنصور بقصيدة منها :

أبشر على رغم العدى والحسد بأجل مولود وأكرم مولد
بالنعمة الغراء بـــل بالدولة الزهراء بل بالمفخـر المتجدّد
وافـاك بدراً كاملاً في ليلة طلعت عليك نجومها بالأسعد
ما بين محمود المظفر أسفرت عنه وما بين العزيز محمـــد

قصد هلاكو الشام

وفيها قدم هلاكو إلى البـــلاد التي شرقي الفرات ونازل حران وملكها واستولى على البـــلاد الجزرية وأرسل إبنه سموط إلى الشام فوصل إلى ظاهر حلب في أواخر ذي الحجة منها ، والحاكم في حلب الملك المعظم توران شاه ابن السلطان صلاح الدين نائبـــاً عن ابن أخيه الناصر يوسف ، فخرج المعظم وعسكر حلب إليهم وأكمن لهم التـتر في بابلي وتقاتلوا عند يانقوسا فاندفع التتر قدامهم حتى خرجوا عن البلد وعادوا عليهم والتتر يقتلون فيهم حـتى دخلوا البلد واختنق في أبواب البلد خلق من المنهزمين ثم رحل التتر فتسلموا عزاز بالأمان .

سنة ثمان وخمسين وستمائة :

وبلغ الناصر يوسف صاحب الشام ذلـــك فبرز إلى برزة في أواخر السنة الماضية وجفل الناس من التتر وجاءه من حماة المنصور صاحبها ، ونزل معـه ببرزة ومع الناصر بيبرس البندقداري من حين هرب إليه من الكرك واجتمع على برزة أمم من العساكر والجفال ، ولما دخلت هذه السنة وهو ببرزة وبلغه

ان جماعة من مماليكه عزموا على قتله هرب الناصر من الدهليز إلى قلعة دمشق وهرب أولئك المماليك إلى جهة غزة ، وكذلك سار بيبرس البندقداري إلى جهة غزة ، وأشاع المماليك الناصرية انهم لم يقصدوا قتله وإنما قصدوا القبض عليه وسلطنة أخيه الظاهر غازي بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين لشهامته ، فهرب الظاهر خوفاً من أخيه الناصر وهو شقيقه ، وأمهما أم ولد تركية . ووصل الظاهر غازي إلى غزة واجتمع عليه من بهـــا من العسكر وأقاموه سلطاناً ، وكاتب بيبرس البندقداري المظفر قطز صاحب مصر فأمنه ووعده الوعد الجميل ، فقدم بيبرس مصر في جماعة فأقبل عليه قطز وأنزله بدار الوزارة وأقطعه قليوب وأعمالها .

استيلاء التتر على حلب :

وفيها يوم الأحد تاسع صفر إستولت التتر على حلب وذلك ان هلاكو عبر الفرات ونازلها وأرسل إلى المعظم توران شاه نائبها يقول له: انكم تضعفون عن لقاء المغل ونحن قصدنا الملك الناصر والعساكر فاجعلوا لنـــا عندكم بحلب شحنة [1] وبالقلعة شحنة ونتوجه إلى العسكر فان كسرناه كانت البلاد لنا وتكونون قد حقنتم دماء المسلمين وإن كسرونا كنتم مخيرين في الشحنتين طرداً وقتلاً ، فقال المعظم : ما لكم عندنا إلا السيف ، وكان رسول هلاكو إليهم صاحب ارزن الروم فتعجب من هذا الجواب وتألم لما علم من هلاك أهل حلب بسبب ذلك وأحاط التتر بحلب ثاني صفر .

وهجم التتر في غد ذلك اليوم وقتل من المسلمين خلق منهم أسد الدين بن الزاهر بن صلاح الدين . واشتدت مضايقة التتر لحلب ، وهجموها من عند حمام حمـــدان في ذيل قلعة الشريف ، في يوم الاحد تاسع صفر ، وبذلوا السيف وصعد إلى القلعة خلق ،ودام القتل والنهب من الاحد إلى الجمعة رابع عشر صفر فنادى هلاكو بالأمان، ولم يسلم من أهل حلب إلا من التجأ إلى دار شهاب الدين ابن عمرون ودار نجم الدين اخي مزدلين ودار البازيار ودار علم الدين قيصر

---

(١) الشحنة : بالكسر : ضابط البلد .

Marfat.com

الموصلي والخانقاه التي فيها زين الدين الصوفي وكنيسة اليهود، وذلك لفرامانات (منشورات سلطانية) بأيديهم سلم بها في هذه الأماكن ما يزيد على خمسين الف نفس ، وحاصروا القلعة وبها الملك المعظم ومن التجأ إليها من العسكر وكان ما سيذكر .

وأما حماه : فكان الطواشي مرشد قد تأخر بها ، فلما فتحت حلب توجه إلى الملك المنصور صاحب حماه بدمشق ، ووصل كبراء حماه إلى حلب بمفاتيح حماه وحملوها إلى هلاكو ، فأمنهم وأرسل اليهم شحنة أعجمياً ذكر أنه من ذرية خالد بن الوليد إسمه خسروشاه ، وكان بقلعة حماه مجاهد الدين قيماز أمير جندار ، فسلم اليه القلعة ودخل في طاعة التتر وبلغ الناصر بدمشق أخذ حلب فرحل بمن معه من العساكر إلى الديار المصرية وبقي معه المنصور صاحب حماه .

وفي غزة: إنضم إلى الناصر مماليكه الذين أرادوا قتله وأخوه الظاهر غازي وبعد مسير الناصر عن نابلس وصلها التتر وكبسوا الامير مجير الدين بن أبي زكرياء والامير علي بن شجاع في جماعة من العسكر وقتلوا الاميرين المذكورين، وبلغ ذلك الناصر فرحل إلى العريش وأرسل القاضي برهان الدين بن الخضر إلى المظفر قطز صاحب مصر يطلب منه المعاضدة ، ووصل الناصر والمنصور قطية (آخر بلاد محافظة الشرقية بمصر) فجرت بها فتنة بين التركمان والاكراد الشهرزورية ، ونهب الجفال، ورحلت العساكر والمنصور صاحب حماه إلى مصر.

وتأخر الملك الناصر في جماعة يسيرة في قطية منهم أخوه الظاهر والصالح ابن شيركوه صاحب حمص وشهاب الدين القيمري لخوف الناصر أن يقبض عليه قطز . ثم سار الناصر بمن تأخر معه من قطية إلى تيه بني اسرائيل ، ولما وصلت العساكر إلى مصر تلقاهم قطز بالصالحية وطيَّب قلوبهم وأرسل إلى المنصور صاحب حماه صنجقاً ودخل القاهرة ، واستولت التتر على دمشق وسائر الشام إلى غزة وشحنوا في البلاد .

وأما قلعة حلب : فوثب جماعة من أهلها في مدة الحصار على صفي الدين

Marfat.com

ابن طرز رئيس حلب وعلى نجم الدين أحمد بن عبد العزيز بن القاضي نجم الدين ابن أبي عصرون ففتلوهما إتهاماً بمواطأة التتر ، ودام الحصار شهراً ، ثم سلمت بالأمـــان يوم الاثنين حادي عشر ربيع الاول ، وسلم هولاكو البحرية الذين حبسهم الناصر بها ، ومنهم شكر وسنقر الأشقر إلى سلطان جق من أكابر القفجاق هرب من التتر لما غلبت على القفجاق ، وقدم إلى حلب فأحسن اليه الملك الناصر فلم تطب له فعاد إلى التتر. وأما العوام والغرباء فنزلوا إلى أماكن الحمى المذكورة ، وأمر هلاكو أن يمضي كل من سلم إلى داره وملكـــه ولا يعارض ، وجعل النائب بحلب عماد الدين القزويني .

ووصل إلى هلاكو على حلب الأشرف موسى بن ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص . وكان قد انفرد عن الناصر لما توجه إلى جهة مصر فأكرمه وأعـاد هلاكو عليـــه حمص ، وكان قد أخذها منه الناصر صاحب حلب سنة ست وأربعين وستمائة وعوّضه تل باشر . ووصل إلى هلاكو أيضاً بحلب مجير الدين يحيى بن قاضي القضاة محيي الدين محمد بن أبي المعالي محمد بن الزكي من دمشق ، فأقبل عليه هلاكو وولاه قضاء الشام ، وخلع عليه خلعة مذهبة ، وكتب تقليده ، واستقر في القضاء [1] .

ثم رحل هلاكو إلى حارم فامتنعوا أن يسلموها لغير فخر الدين والي قلعة حلب فأحضر وسلمت اليه ، فغضب هلاكو وأمر بهم فقتلوا عن آخرهم وسبى النساء ، ثم عاد هلاكو إلى الشرق وأمر عماد الدين القزويني بالرحيـــل إلى بغداد وجعل مكانه بحلب أعجمياً ، وأمر هلاكو بخراب أسوار قلعة حلب وسور المدينه فخربت ، وخرب الأشرف موسى سور قلعة حماه بأمر هلاكو وأحرق زَرْدَخانتها [2] وبيعت الكتب التي بدار السلطنة بقلعة حماه بأبخس الاثمان ولم يخرب سور مدينة حماه لأن ابراهيم بن الافرنجية ضامن الجهة المفردة بحماة

---

(١) قلت : فعتب عليه في ذلك وغرب عن وطنه الى الصعيد ، ثم توفي سنة ثمان وستين وستمائة . والله أعلم — المؤلف .

(٢) الزردخانة : دار الدروع .

Marfat.com

بذل لخسرو شاه شحنتها جملة كثيرة ، وقال الفرنج قريب منا بحصن الاكراد فأعفى سور المدينة .

قلت : وأخبرني والدي رحمه الله تعالى أنه رأى شحنة التتر على قلعة المعرة وقد سخر العوام في تخريب سورها ، وفي ذلك يقول بعض المعريين تضميناً لبعض قصيدة المتنبي :

رفقاً عليها قلعة منعة ... يهدمها من هو من حزبها
فغاية المفرط في سلمها ... كغاية المفرط في حربها
تحثنا في هدمها أعجم ... ونحن مكروبون من كربها
تبخل أيدينا بأرواحنا ... وتشتكي منا إلى ربها
فهذه الأرواح من جوّها ... وهذه الأجسام من تربها
لما رأوها أسرفت في العلى ... كان علاها منتهى ذنبها

والله أعلم .

وأمر هلاكو الأشرف بخراب قلعة حمص فخرب منها اليسير لكونها له ، وأما دمشق فملكوا المدينة بالأمان فما نهبوا ولا قتلوا، وعصت قلعتها فنصبوا عليها المجانيق ، ثم تسلموها بالأمان منتصف جمادى الاولى منها ونهبوا ما فيها وخربوا سور القلعة وأحرقوا آلاتها وزردخانتها ثم نازلوا قلعة بعلبك .

استيلاء التتار على ميافارقين :

وفيها استولت التتر على ميافارقين بعد الحصار سنتين حتى فني أهلها وزادهم وصاحبها الكامل محمد بن المظفر غازي بن العادل أبي بكر بن أيوب مصابر ثابت حتى ضعف من عنده عن القتال فاستولوا عليها وقتلوه وطافوا برأسه في البلاد بالمغاني والطبول ، وعلق رأسه في شبكة بسور باب الفراديس إلى أن عادت دمشق إلى المسلمين فدفن بمشهد الحسين رضي الله عنه داخل باب الفراديس ، وفيه يقول شهاب الدين بن أبي شامة :

Marfat.com

ابن غازي غزى وجاهد قوماً أثخنوا في العراق والمشرقين
ظاهراً عالياً ومات شهيداً بعد صبر عليهم عامين
لم يشنه إذ طيف بالرأس منه وله أسوة برأس الحسين
ثم واروا في مشهد الرأس ذاك الرأس فاستعجبوا من الحالين

وأما **الملك الناصر يوسف** : فلما انفرد عن العسكر بقطية وسار إلى التيه حار وعزم على التوجه إلى الحجاز فحسن له طبرداره (صاحب دار التبر) حسين الكردي قصد هلاكو فاغتر بقوله وترك بركة زيزا ، وسار حسين الكردي إلى كتبغا نائب هلاكو فعرّفه بموضع الملك الناصر فأرسل اليه وقبض عليه وأحضره إلى عجلون وكانت عاصية بعد ، فأمر الملك الناصر فسلموها اليهم فهدموها ، وكنا ذكرنا حصار بعلبك فتسلموها قبيل عجلون وخربوا قلعتها .

وكان بالصبيبة صاحبها الملك السعيد بن العزيز بن العادل فسلم الصبيبة اليهم وصار الملك السعيد معهم وأعلن بالفسق والفجور وسفك دماء المسلمين ، وأما الملك الناصر فبعث به كتبغا إلى هلاكو فوصل إلى دمشق ثم إلى حماه وبها الأشرف صاحب حمص فخرج إلى لقائه هو وبحسرو شاه النائب بحماه ثم سار إلى حلب فلما عاينها وما حل بها وبأهلها تضاعف تألمه وأنشد :

يعز علينا أن نرى ربعكم يبلى وكانت به آيات حسنكم تتلى

ثم وصل الأردو فأقبل عليه هلاكو ووعده برده إلى مملكته وكان منه ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها في نصف شعبان أخرج التتر من الاعتقال نقيب قلعة دمشق ووالييها، وضربوا أعناقهما بداريا . واشتهر بدمشق خروج العساكر من مصر فأوقعوا بالنصارى وكانوا قد استطالوا بدق النواقيس وإدخال الخمر إلى الجامع ونهبهم المسلمون في سابع عشر رمضان منها ، وخربوا كنيسة مريم ، وكانت عظيمة في جانب دمشق الذي فتحه خالد رضي الله عنه بالسيف فبقيت بيد المسلمين.

وكان ملاصق الجامع كنيسة من الجانب الذي فتحه أبو عبيدة رضي الله عنه بالأمان فبقيت بيد النصارى ، فلما ولي الوليد بن عبد الملك خرب الكنيسة الملاصقة للجامع وأضافها اليه ولم يعوض النصارى عنها ، فلمـــا ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عوضهم عنها بكنيسة مريم فعمروها عظيماً حتى كان منها ما ذكرنا .

هزيمة التتار في عين جالوت :

وفيها كانت هزيمة التتر يوم الخامس والعشرين من رمضان على عين جالوت، وذلك أن العساكر الإسلامية لما اجتمعت بمصر سار بهم الملك المظفر قطز مملوك المعز ايبك لقتال التتر ومعه المنصور والأفضل أخوه في أوائل رمضان، وبلغ ذلك كتبغا نائب هلاكو على الشأم فجمع من بالشام من التتر وسار إلى قتال المسلمين ومعه صاحب الصبيبة السعيد بن العزيز بن العـــادل بن أيوب والتقوا في الغور يوم الجمعة فانهزمت التتر هزيمة قبيحـــة وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم كتبغا واستؤسر إبنه ، وتعلق من سلم منهم برؤوس الجبال وتبعهم المسلمون فأفنوهم وهرب من سلم إلى الشرق .

وجرد قطز بيبرس البندقداري في أثرهم فتبعهم إلى أطراف البلاد . وكان أيضاً صحبة التتر الأشرف موسى صاحب حمص ففارقهم وأمنه قطز وأقره على حمص ومضافاتها . وأما صاحب الصبيبة فأحضر أسيراً بين يدي قطز فضربت عنقه لمـــا اعتمد من السفك والفسق ، وأحسن قطز إلى المنصور صاحب حماه ، وزاده على حمـــاه وبارين المعرة وكانت بيد الحلبيين من سنة خمس وثلاثين وستمائة وأخذ سلمية منه وأعطاها أمير العرب .

وأتم المظفر قطز السير بالعساكر وصحبته المنصور صـــاحب حماه إلى دمشق وتضاعف شكر العالم لله تعالى على هذا النصر العظيم من بعد اليأس من النصرة على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد الإسلام ولأنهم ما قصدوا إقليماً إلا فتحوه ولا عسكراً إلا هزموه ، ويوم دخوله دمشق شنق جمـــاعة من

Marfat.com

المنتسبين إلى التتر منهم حسين الطبردار موقع الملك الناصر في أيدي التتر ، وفي هذا النصر وقدوم قطز إلى الشأم يقول بعضهم :

هلك الكفر في الشآم جميعاً واستجد الإسلام بعد دحوضه
بالمليك المظفر الملك الأورع سيف الإسلام عند نهوضه
ملك جاءنا بعزم وحزم فاعتززنا بسمره وبيضه
أوجب الله شكر ذاك علينا دائماً مثل واجبات فروضه

ووصل المنصور والأفضل إلى حماه وقبض المنصور على جماعة بحماه كانوا مع التتر وهنأه شيخ الشيوخ شرف الدين بذلك فقال :

رعت العدا فضمنت تل عروشها ولقيتها فأخذت تل جيوشها
فقت الملوك ببذل ما تحويه إذ ختمت خزائنها على منقوشها
فطويت عن مصر فسيح مراحل ما بين بركتها وبين عريشها
حتى حفظت على العباد بلادها من رومها الأقصى إلى أحبوشها
فرشت حماة لوطء نعلك خدّها فوطئت عين الشمس من مفروشها
وضربت سكتها التي أخلصتها عما يشوب النقد من مغشوشها
وكذا المعرة إذ ملكت قيادها دهشت سروراً سار في مدهوشها
طربت برجعتها إليك كأنما سكرت بخمرة حاسها أو حيشها

قلت : وهذا البيت يشير به ناظمه إلى قول الأمير أبي الفتح بن أبي حصينة المعري : من خندريس حناكها أو حاسها

وهو من قصيدة هائلة مشهورة مدح بها ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس، أولها :

لو أن داراً أخبرت عن ناسها لسألت رامة عن ظباء كناسها
بل كيف تخبر دمنة ما عندها علم بوحشتها ولا إيناسها

Marfat.com

ممحوّة العرصـــات يشغلها البلى عن ساحبات الريط فوق دهاسها

ومنهـــا :

وزمـــان لهو بالمعرة مونق بشياتها وبجانبي هرمـــاسها
أيام قلت لذي المودّة اسقني من خندريس حناكها أو حاسها
حمراء تغنينا بساطع لونهـــا في الليلة الظلمـــاء عن نبراسها
وكأنما حبب المزاج إذا طفا درّ ترصع في جوانب طاسها
رقت فما أدري أكأس زجاجها في جسمها أم جسمها في كاسها
وكأنما زرجونة جاءت بهـــا سقيت مذاب التبر عند غراسها
فأتت مشعشعة كجذوة قابس راعت أكف القوم عند مساسها
لله أيام الصبـــا ونعيمهـــا وزمان جدتها ولين مراسها
ما لي تعيب البيض بيض مفارقي وسبيلها تصبو إلى أجنـــاسها
نور الصباح إذا الدجنة أظلمت أبهى وأحسن من دجى أغلاسها
ان الهوى دنس النفوس فليتني طهّرت هذي النفس من أدناسها
ومطامع الدنيا تذل ولا أرى شيئاً أعز لمهجـــة من باسها
من عف لم يذمم ومن تبع الخنا لم تخله التبعـــات من أوكاسها
زين خصالك بالسماح ولا ترد دنيا تراك وأنت بعض خساسها
وإذا بنيت من الأمور بنية فاجعل فعال الخير بدو أساسها
ومتى رأيت يد امرىء ممدودة تبغي مواساة الجميـــل فواسها
خير الأكف الفاخرات بجودها كف تجود ولو على إفلاسها
تلقى المذمة مثلما تلقى العدى فيكون بذل المال خير تراسها

ومنهـــا :

أمـــا نزار كلهـــا فكريمة لكنّ أكرمهـــا بنو مرداسهـــا

وكان خسرو شاه قد سافر من حماه لما بلغه كسرة التتر ، ثم جهز المظفر قطز عسكراً لحفظ حلب . ورتب شمس الدين أقوش البرلي العزيزي أميراً

بالسواحل وغزة ، ورتب معه جماعة من العزيزية ، والبرلي كان مملوك العزيز صاحب حلب ، وسار في جملة العزيزية مع إبنه الملك الناصر يوسف إلى قتال المصريين ، وخامر البرلي وجماعة من العزيزية على ابن أستاذهم الناصر إلى ايبك التركماني صاحب مصر . ثم قصدوا اغتيـــال ايبك التركماني فعلم وقبض على بعضهم وهرب بعضهم ، وكان البرلي من جملة من سلم وهرب إلى الشأم ، فلما وصل إلى الناصر اعتقله بقلعة عجلون ، فلما توجه الملك الناصر بالعساكر إلى الغور مندفعاً من بين يدي التتر أخرج البرلي من حبس عجلون وطيب قلبه ، فلما هرب الناصر من قطية دخـل البرلي مع العساكر إلى مصر فأكرمه قطز ، وولاه السواحل وغزة .

ولما استقر بدمشق على ما ذكرناه وكان مقر البرلي لما تولى هذه الأعمال بنابلس تارة وببيت جبرون أخرى . ثم أن قطز إستناب بدمشق علم الدين سنجر الحلبي أتابك علي بن المعز ايبك واستنـــاب بحلب الملك السعيد بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وكان وصل إلى الناصر يوسف صاحب الشأم ودخل مع العساكر مصر ففوض اليه قطز حلب ؛ وسببه أن أخاه الصالح بن لؤلؤ صار صاحب الموصل حينئذ فقصد معاضدتها على اجناد التتر ، وسار السعيد بحلب سيرة رديئة وتحيل على أخذ أموال الناس ، ولما قرر قطز أمر الشأم سار من دمشق إلى جهة مصر .

وكان قد اتفق بيبرس البندقداري الصالحي مع أنص مملوك نجم الدين الرومي الصالحي والهاروني وعلم الدين طغان أوغلي على قتـــل المظفر قطز وساروا معه يتوقعون الفرصة . فلما وصل إلى القطية بطرف الرمل وبينه وبين الصالحية مرحلة ، وقد سبق الدهليز والعسكر إلى الصالحية قامت أرنب بين يديه فساق وساقوا عليها وأبعدوا فتقدم إليه أنص ، وشفع عنـــد قطز في إنسان فأجابه إلى ذلك فأهوى ليقبل يده وقبض عليها ، فحمل عليه بيبرس البندقداري وضربه بالسيف واجتمعوا عليه ورموه عن فرسه . ثم قتـــلوه

بالنشاب في سابع عشر ذي العقـــدة منها . فمدة ملكه احد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً .

ثم سار بيبرس وأولئك حتى وصلوا الدهليز بالصالحية ، وعنـــد الدهليز نائب السلطنة فـــارس الدين أقطاي المستعرب الذي كان أتابك علي بن المعز ايبك وأقره قطز على نيابة السلطنة فسألهم اقطاي المستعرب وقال : من قتله منكم ؟ فقـال له بيبرس : أنا ، فقال أقطاي : ياخوند [1] اجلس في مرتبة السلطنة . فجلس واستدعيت العساكر للتحليف فحلفوا له يوم قتـــل قطز سابع عشر ذي القعدة منها ، وتلقب بالملك القاهر ، ثم غيره إلى الظاهر ، بعدما بلغه ان القاهر لقب غير مبارك لم تطل مدة من تلقب به .

وكان الظاهر قد سأل قطز نيابة حلب فلم يجبه إليها ليكون ما قدره الله تعالى ، وبعد التحليف ساق الظاهر في جماعة وسبق العسكر إلى قلعة الجبـل ففتحت له ودخلها واستقر ملكه . وكان قد زينت مصر والقـــاهرة لقدوم قطز ، فاستمرت الزينة لسلطنة الظاهر .

وفيها[2] في العشر الأواخر من ذي القعدة شرع علم الدين سنجر الحلبي نائب دمشق في تجديد عمارة قلعة دمشق ، وعمل فيها حتى النساء وسر الناس بها .

سلطنة الحلبي بدمشق : كان قطز قـــد استناب علم الدين سنجر الحلبي بدمشق ، فلما تملك الظاهر حلف الحلبي الناس لنفسه في العشر الأول من ذي الحجة منها . وتلقب بالملك المجاهد ، وجعل السكة والخطبة باسمه وكاتب المنصور بحماه في ذلك فقال : أنا مع من ملك مصر .

قبض الملك السعيد وعود التتر

وفيها اجتمع الأمراء على السعيد بن بدر الدين لؤلؤ بحلب وقبضوا عليه

---

(١) خوند : مخفف خداوند : كبير الشأن .
(٢) تابـع أحداث سنة ثمان وخمسين وستمائة .

Marfat.com

لسوء سيرته ولأنه خالفهم في تجهيز سابق الدين أمير مجلس الناصري في جماعة قليلة إلى لقاء التتر لما ساروا إلى البيرة . وكان السعيد قد برز إلى بابلي ولم يجدوا بخزائنه طائلاً ، فهددوه بالعذاب إن لم يقر بماله فنبش من تحت أشجار بجوار بابلي جملة قيل خمسون ألف دينـــار مصرية ففرقت في أمراء العسكر واعتقلوه بالثغر ، وقدموا عليهم حسام الدين الجوكندار العزيزي .

ثم سارت التـــتر إلى حلب فاندفع حسام الدين والعسكر بين أيديهم إلى جهة حماه ، وملك التتر حلب في آخر هذه السنة وأخرجوا أهلها إلى قرنيبا واسمها مقر الانبياء ، وجمعوهم بها وأفنوا غالبهم قتلا . ووصل حسام الدين الجوكندار (حـافظ المحجن) ومن معه حماه . فأضافهم المنصور على وجل منهم ، ثم ساروا إلى حمص ، فلمـــا قارب التتر حماه خرج الأخوان المنصور والأفضل والأمير مبارز الدين وباقي العسكر ، واجتمعوا بحمص مع العساكر إلى أن خرجت هذه السنة .

سنة تسع وخمسين وستمائة :

هزيمة التتر أمام حمص

في يوم الجمعة خامس المحرم منها إنكسر التتر على حمص . وذلك ان التتر قدموا في آخر السنة الماضية واجتمع العزيزية والناصرية والمنصور صاحب حماه ،والأشرف صاحب حمص، وسارت التتر اليهم والتقوا بظاهر حمص والتتر أكثر بكثير ،فانهزم التتر وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون منهم كيف شاؤوا.

ووصل المنصور بعدها إلى حماه ، وانضم من سلم من التتر إلى باقي جماعتهم قرب سلمية ، واجتمعوا ونزلوا على حماه يوماً ثم رحلوا ، وبعد رحيلهم رحل المنصور والافضل منها الى دمشق ، وكذلك الأشرف صاحب حمص ، وأما حسام الدين الجوكندار العزيزي فلم يدخل دمشق وسار إلى مصر ، وأقام صاحب حماه وصاحب حمص بدمشق في دورهما . وأما التتر فساروا عن حماه

Marfat.com

إلى أفامية ، وكان سيف الدين الدبيلي الأشرفي قد وصل إلى أفاميـــة فأقام بقلعتها وشرع يغير على التتر فتوجهوا الى الشرق .

وفيها جهز الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر عسكراً مع استاذه علاء الدين ايدكين البنـــدقدار لقتال علم الدين سنجر الحلبي المستولي على دمشق فخرج الحلبي لقتالهم ،وكان صاحبا حماه وحمص مقيمين بدمشق لم يطيعا الحلبي لاضطراب أمره، واقتتلوا بظاهر دمشق في ثالث عشر صفر منها فانهزم الحلبي وأصحابه ودخل القلعة وهرب ليلاً الى جهة بعلبك فتبعوه وقبضوا عليـــه وحمل الى مصر فاعتقل ثم اطلق . واقيمت الخطبة بالشام كله للظاهر واستقر البندقدار بدمشق لتدبير أمورها ثم عاد صاحبا حماه وحمص الى بلديهما .

وفيها ورد على البندقدار بدمشق مرسوم الظاهر بالقبض على بهاء الدين بغدي الأشرفي وعلى شمس الدين اقوش التركي وغيرهما من العزيزية والناصرية فقبض ايدكين البندقدار على بغدي فاجتمعت العزيزية والناصرية الى البرلي ، وخرجوا من دمشق ليلاً على حمية ونزلوا بالمرج ، وكان قطز قد ولى البرلي غزة والسواحل ، فلما جهز الظاهر أستاذه إلى قتال الحلبي أمر البرلي بالانضمام اليه ، فسار البرلي مع البندقدار وأقام بدمشق فلما قبض على بغدي خرج البرلي وأرسل ايدكين يطيب قلبه ويحلف له فلم يلتفت اليه ، وسار إلى حمص ليوافقه الأشرف موسى على العصيان فأبى ثم إلى حماه ليوافقه صاحبها فأبى فأحرق البرلي زرع بيدر العشر ، وسار إلى شيزر ، ثم إلى جهة حلب .

وكان ايدكين قد جهز عسكراً صحبة فخر الدين الحمصي للكشف عن البيرة فإن التتر نازلوها ، فلما قدم البرلي إلى حلب كان بها فخر الدين الحمصي، فقال له البرلي نحن في طاعة الملك الظاهر فتمضي إلى السلطان وتسأله ان أكون أنا ومن معي مقيمين بهذا الطرف تحت طاعته ولا يكلفني وطء بساطه. فسار الحمصي إلى جهة مصر ليؤدي هذه الرسالة فتمكن البرلي واحتاط على ما بحلب من الحواصل ، واستبد بالأمر وجمع العرب والتركمان واستعد لقتال

عسكر مصر ، ولقي فخر الدين الحمصي في الرمل جمال الدين المحمدي الصالحي متوجهاً بمن معه من عسكر مصر لقتال البرلي وإمساكه ، فأرسل الحمصي يعرف الظاهر بما طلبه البرلي فأنكر الظاهر على فخر الدين وأرسل يأمره بالمسير مع المحمدي إلى قتال البرلي فعاد من وقته . ثم رضي الظـــاهر على علم الدين سنجر الحلبي وجهزه وراء المحمدي في جمع من العسكر ثم أردفـــه بعز الدين الدميـــاطي في جمع وساروا جميعهم وطردوا البرلي عن حلب وانقضت السنة والأمر على ذلك .

وفيها ورد الخبر بقتل الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وعقد عزاؤه بجـــامع دمشق في سابع جمادى الأولى ؛ وذلك انه لما بلغ هلاكو كسرة عسكره بعين جالوت وقتل كتبغا ، ثم كسرة عسكره على حمص ثانياً غضب وأحضر الملك الناصر وأخاه الظاهر غازيا ، وقال : أنت قلت أن عسكر الشأم في طاعتك فغررت بي وقتلت المغل. فقال الملك الناصر : لو كنت بالشأم ما ضرب أحد في وجه عسكرك بالسيف ومن يكون ببلاد تبريز كيف يحكم على من بالشأم ؟ ففوق هلاكو سهماً وضربه به ، فقال الملك الناصر : يا خوند الصنيعة فنهاه أخوه الظاهر وقال قد حضرت ثم رماه بسهم ثان فقتله . ثم قتلوا الظاهر أخا الناصر والصالح ابن صاحب حمص ومن معهم واستبقوا ابن الملك الناصر لصغره وطال مكثه عندهم مكرماً ثم مات .

وكان قد زاد ملك الناصر على ملك أبيه وجده فانه ملك حران والرها والرقة ورأس عين وما مع ذلك وحمص ثم دمشق وبعلبك والأغوار والسواحل إلى غزة ، وكسر عساكر مصر ، وخطب له بمصر وقلعة الجبل كما مر ؛ كان يذبح في مطبخه كل يوم أربعمائة رأس غنم وسماطه في غاية التجمل ، وتجاوز به حلمه إلى قطع المفسدين الطرقات بحيث لا يسافر الناس إلا برفقـــة من العسكر ، وطمع العرب والتركمان في أيامه ، وكبست الحرامية الدور ،

Marfat.com

ويقول عن القاتل الحي خير من الميت ويطلقه ، فأدى ذلك إلى فساد كبير ، وكان له أدب وشعر ، ومن ذلك :

فوالله لو قطعت قلبي تأسفـــاً وجرعتني كاسات دمعي دماً صرفا
لمـــا زادني إلا هوى ومحبة ولا اتخذت روحي سواك لها إلفا

وبنى مدرسته الناصرية بدمشق ـ قرب الجامع — بوقف جليل ، وبنى بالصالحية تربة بجمل مستكثرة فدفن فيها كرمون بعض أمراء التتر ، وكانت منية الناصر ببلاد العجم ، ومولده سنة سبع وعشرين وستمائة فعمره نحـــو اثنتين وثلاثين سنة .

وفيها في رجب قدم مصر جماعة من العرب ومعهم شخص أسود اللون إسمه أحمد زعموا انه ابن الامام الظاهر بالله بن الامام الناصر ، وانه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر فعقد الملك الظاهر له مجلساً حضره الشيـخ عز الدين بن عبد السلام والقـاضي تاج الدين عبد الوهاب بن خلف المعروف بابن بنت الأعز فشهد أولئك العرب ان هذا هو ابن الظاهر محمد بن الامـــام الناصر فيكون عم المستعصم ، وأقام القاضي جمـــاعة من الشهود ، وسمعوا شهادات العرب ثم شهدوا بالنسب بحكم الاستفاضة ، فأثبت القاضي تاج الدين نسب أحمد المذكور [1] .

ولقب المستنصر بالله أبا القاسم أحمد بن الظاهر بالله محمد ، وبايعه الملـــك الظاهر والناس بالخلافة ، وعمل له الظاهر آلات الخلافة حتى الدهليز واستخدم له عسكراً وغرم على تجهيزه قيل ألف ألف دينار. وكانت العامة تلقب الخليفة المذكور بالذراتيتي ، وبرز الظاهر والخليفة الأسود المذكور في رمضان منهـا

---

(١) إذا صرح الشاهـــد بأن مستند شهادته الاستفاضة لم يعمل القاضي بقوله على الصحيح وان لم يصرح بها سمعت شهادته وإن كانت الاستفاضة مستندة ، فكان الشهود لم يصرحوا في شهادتهم بأن مستندها في أمر الخليفة إنما هو الاستفاضة والله أعلم — المؤلف .

Marfat.com

وتوجها إلى دمشق ونزل الظاهر بالقلعة والخليفة بجبل الصالحية ، وحول الخليفة أمراؤه وأجناده .

ثم جهز الخليفة بعسكره إلى جهة بغداد رجاء أن تعود بغداد إليهم ويجتمع عليه الناس ، وودعه الظاهر ووصاه بالتأني في الأمور . وعاد الظاهر إلى مصر ووصلت إليه كتب الخليفة ، وانه استولى على عانة والحديثة ، وولى عليهما وأن كتب أهل العراق وصلته يستحثونه على الوصول إليهم ، ثم قبل أن يصل إلى بغداد وصلت إليه التتر وقتلوا الخليفة وغالب أصحابه ونهبوا ما معهم .

وفيها لما سار الظاهر إلى الشام صحب معه من مصر القاضي شمس الدين أبا العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان فعزل عن قضاء دمشق نجم الدين بن صدر الدين بن سنى الدولة ، وكان قطز قد عزل المحبي ابن الزكي الذي ولاه هلاكو القضاء ، وولى ابن سنى الدولة فعزله الظاهر وولى شمس الدين بن خلكان .

وفيها قدم أولاد لؤلؤ صاحب الموصل وهم : الصالح اسماعيل ثم المجاهد إسحاق صاحب جزيرة ابن عمر ، ثم المظفر علي صاحب سنجار فأقطعهم الظاهر الاقطاعات الجليلة بالديار المصرية ، واستمروا في رغد عيش طول مدة الظاهر . وفيها في ربيع الآخر وردت الأخبار من ناحية عكا ان سبع جزائر من البحر خسف بها وبأهلها ، ولبس أهل عكا السواد وبكوا واستغفروا من الذنوب بزعمهم . وفيها بأمر الظاهر تسلم بدر الدين الأيدمري الشوبك من المغيث صاحب الكرك سلخ ذي الحجة .

سنة ستين وستمائة :

فيها في نصف رجب وردت جماعة من مماليك الخليفة المستعصم البغاددة ، وكانوا قد تأخروا بالعراق بعد قتل الخليفة واستيلاء التتر على بغداد ومقدمهم

Marfat.com

شمس الدين سلار ، فعين لهم الظاهر الاقطاعات وأكرمهم . **وفيها** في رجب وصل عماد الدين بن مظفر الدين صاحب صهيون رسولاً من أخيه سيف الدين صاحب صهيون الى الظاهر بهدية جليلة فقبلها وأحسن اليه .

وفيها جهز الظاهر شمس الدين سنقر الرومي بعسكر الى حلب فعادت به إلى الصلاح وأمنت ، ثم تقدم الظاهر اليهم وإلى صاحب حماه وحمص المنصور والأشرف موسى بالإغارة على انطاكية وبلادها فساروا ونهبوا بلادهـــا وضايقوها، ثم عادوا فتوجه المصريون الى مصر بأكثر من ثلاثمائة أسير فقابلهم الظاهر بالانعام .

وفيها لما أخذت من البرلي حلب ، ولم يبق له غير البيرة سار الى الظاهر مطيعاً ، فكتب إلى النواب بالاقامات له والإحسان اليه حتى وصل مصر ثاني ذي الحجة منها فأكرمه السلطان وأعطاه وألح على السلطان حتى قبل منه البيرة ، ولم يزل مع الظاهر حتى تغير عليه ، وقبضه في رجب سنة إحـــدى وستين وستمائة فكان آخر العهد به . **وفيها** في ذي القعدة قبض الظاهر على نائبة بدمشق علاء الدين طبوس الوزيري لأمور كرهـــا منه ، واستمر في الحبس سنة وشهراً ، وولايتـــه بدمشق سنة وشهر ، وخرج من دمشق خلق هرباً من ظلمه ، ثم استعمل على دمشق جمال الدين أقوش التجيبي الصـــالحي

الحاكم بأمر الله

وفيها أواخر ذي الحجة جلس الملك الظاهر مجلساً عاماً ، وأحضر شخصاً كان قدم إلى الديار المصرية سنة تسع وخمسين وستمائة من نسل العباس ، إسمه احمد بعد ان أثبت نسبه . (وبايعه بالخلافـــة) والقضاة والأمراء أيضاً ، (ولقب الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين) ، والمشهور عند نسابة مصر انه احمد ابن الحسن بن أبي بكر بن الأمير أبي علي القتبي بن الأمير حسن بن الراشـــد ابن المسترشد بن المستظهر ، وأما العباسيون السلمانيون في درج نسبهم الثابت

Marfat.com

فقـــالوا : هو احمد بن أبي علي بن أبي بكر احمد بن الإمام المسترشد الفضل ابن المستظهر ولما جرى ذلك ترك المذكور في برج محترزاً عليه ، ولم يترك له غير الدعاء في الخطبة .

وفيها بمصر توفي الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبـــد السلام الدمشقي الإمام في مذهب الشـــافعي ، وله مصنفات جليلة . **وفيها** في ذي الحجة توفي الصاحب كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله بن العديم ، فاضل كبير القـــدر ، انتهت اليه رياسة أصحاب أبي حنيفة وله تاريخ حلب وغيره ، جفل الى مصر من التتر ، ولما عاد ورأى أحوال حلب قال قصيدة طويلة منها :

هو الدهر ما تبنيه كفاك يهدم ... وإن رمت انصافاً لديه فتظلم
أباد ملوك الفرس جميعاً وقيصراً ... وأصمت لدى فرسانها منه أسهم
وأفنى بني أيوب مع كثر جمعهم ... ومـــا منهم إلا مليك معظم
وملك بني العباس زال ولم يدع ... لهم أثراً من بعـــدهم وهم هم
وأعتابهم أضحت تداس وعهدها ... تباس بأفواه الملوك وتلـــثم
وعن حلب ما شئت قل من عجائب ... أحل بها يا صاح إن كنت تعلم
فيا لك من يوم شديد لغامـــه ... وقد اصبحت فيه المساجد تهدم
وقد درست تلك المدارس وارتمت ... مصاحفها فوق الثرى وهي ضخم
ولكـــنما لله في ذا مشيئـــة ... فيفعـــل فينا مـــا يشاء ويحكم

قلت : رأيت مقامة مرصعة وضعها الشيخ جمال الدين عمر بن ابراهيم بن الحسين الرسعني ، وذكر فيها وقعة حلب، ولعلها من أحسن ما قيل في ذلك، فمنها : هذا وقد نزلت فنون البلاء بالشام وهملت عيون العناء كالغمام ، وصار وشام الاسلام كالوشام وعرام الأنام في غرام ، وخفيت آثار المآثر ودرست ، وطفئت أنوار المنابر وطمست ، وحلبت العيون ماءها على حلب ، وسكبت الجفون دماءها من الصبب ،والتف عليها الختل والاختلال ، واحتف بها القتل والوبال ،واختطف من أعيانها عرائس الشموس والاقمار ،واقتطف من اغصانها

Marfat.com

نفائس النفوس والاعمار ،فستر سفور السرور ونشر ستور الشرور ، وتخربت الدور والقصور ،ونحرت الحور في النحور ، وجرت عيونها على اعيانها وهمت جفونها على شبانها بدموع جرت نجيعاً لفظوع طرت سريعاً ، ونمى الطغيان والغش في روضة الشام ، وسما العدوان في عش بيضـــة الاسلام ، ورفعت الصلبان على المساجد ، ووضعت الاديان والمعابد حتى بكى على الوجود الجلمد وشكي إلى المعبود السرمد .

ولما تعظم العدو وتكبر وتقدم بالعتو وتجبر وبسط سيفه على الخافقين ، وهبط خوفه على المشرقين أطلع الله طلائع اللواء المظفر ،وأبدع مطالع السناء الأنور، وخفقت الرايات والبنود وشرقت الآيات والسعود بانجذاب الكفار إلى كنعان ، وانسحاب الفجار إلى الهوان — وهي طويلة . والله أعلم .

سنة إحدى وستين وستمائة :

في حادي عشر ربيع الاول منها سار الظاهر بيبرس الى الشام فلاقتـــه والدة المغيث عمر صاحب الكرك بغزة ، وتوثقت منـــه لابنها بالأيمان ، ثم توجهت إلى الكرك ، وصحبتها شرف الدين الجاكي المهمندار يحمل الاقامات إلى طرقات المغيث ، ووصل الأشرف موسى صاحب حمص إلى الظاهر بالطور فأكرمه.وفيها قتل الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب صاحب الكرك ، وسببه أن المغيث قيل : تعرض إلى امرأة الظاهر كرهـــاً لما قبض المغيث على البحرية وأرسلهم إلى النـــاصر يوسف وهرب الظاهر وبقيت امرأته في الكرك ، وغره الظاهر بالاكرام والاستدعاء حتى كتب اليه ان المملوك ينشد في قدوم مولانا :

خليليّ هل أبصرتما أو سمعتما بأفضل من مولى تمشي إلى عبد

وسار المغيث ووصل ميسان ، فتلقاه الظاهر بعساكره في أواخر جمادى الاولى منها ومنعه من الترحل ، وساق الى جانبه ، وقد تغير وجه الظاهر ولما

قارب الدهليز أنزله في خيمة وقبض عليه وأرسله معتقـــلاً إلى مصر فكان آخر العهد به ، وقيل حمل إلى إمرأة الظاهر بقلعة الجبل فقتله جواريهـــا بالقباقيب . ثم قبض على أصحابه ومنهم شرف الدين بن مزهر ناظر خزانته ثم أفرج عنهم ، ولما قبض عليه أحضر الفقهاء والقضاة ووقفهم على مكاتبات التتر أجوبة وأثبت بذلك مشروحاً على الحكام ، وأقطع ابنه الملك العزيز بن المغيث اقطاعاً وأحسن اليه . ثم جهز الظاهر بدر الدين بيسرى الشمسي ، وعز الدين أستاذ الدار فتسلما الكرك في ثالث وعشري جمادى الآخرة منهـــا ، ثم سار إليها الظاهر ورتبها وعاد .

وفيها لما كان الظاهر على الطور أرسل عسكراً هدموا كنيسة الناصرة وهي أكبر مواطن عبادات النصارى ودينهم منها خرج وأغاروا على عكا وبلادها وعادوا ثم أغار السلطان بنفسه ثانياً وهدم برجاً خارج عكا ولما وصل مصر واستقر قبض على الرشيدي ثم الدمياطي والبرلي . وفيها بعـــد عود الأشرف موسى بن المنصور ابراهيم بن المجـــاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه ابن شاذي من مصر إلى حمص، توفي بها ، وصارت حمص للظاهر في ذي القعدة منها ، وهذا الأشرف آخر ملوك حمص من بيت شيركوه [1] .

سنة اثنتين وستين وستمائة :

وفيها قبض الأشكري صاحب قسطنطينية على عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن كيقباذ صاحب بلاد الروم فإنه هرب إليه لما تغلب أخوه ركن الدين قلج أرسلان عليه وأكرمه الأشكري ومن معه من الأمراء والجنـــد مدة ، ثم عزمت جماعته على قتـــل الأشكري والتغلب على القسطنطينية ،

---

(١) ملك حمص منهم خمسة : أولهم شيركوه بن شادي ملكه إياها نور الدين الشهيد ثم ابنه محمد بن شيركوه وتلقب بالمجاهد ثم ابنه ابراهيم بن شيركوه وتلقب بالمنصور ثم ابنه موسى ابن ابراهيم وتلقب بالأشرف .

Marfat.com

وبلغ ذلك الأشكري فاعتقل كيكاوس في قلعة وكحل جماعته .

وفيها في ثامن رمضان توفي شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد ابن عبد المحسن الأنصاري بحماه ، ومولده جمـادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وكان ديناً فاضلاً مقدماً عند الملوك ، وله النـثر والنظم والعقل الوافر ولما ماتت غازنة خـاتون بنت الكامل إستشعر ابنها الأفضل علي ابن المظفر محمود من أخيه المنصور صاحب حماه وعزم على الرحيل عن حمـاه فعرفه الشيـخ شرف الدين كيف يسلك مع أخيه المنصور وقبح عند المنصور مفارقة أخيه وما برح بينهما حتى تصافيا ، وله وقد كان مع الناصر يوسف مرة بعمان :

أفدي حبيباً منـذ واجهته عن وجه بدر الـتم أغناني
في وجهه خالان لولاهمـا مـا بت مفتوناً بعمان

واستشهد لقوله بعمان ولم يقل بعمين بقول الشاعر :

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مساغا لنـا باه الشجاع لصمما

وشواهد ذلك كثيرة وتقدم مثله .

قلت : وفيها توفي الولي القدوة الشيخ أبو القاسم بن منصور القبـاري بالاسكندرية ، وخطيب الشام عمـاد الدين عبد الكريم القاضي جمال الدين ابن الحرستاني ابن خمس وثمانين سنة ، ومحدث مصر رشيد الدين يحيى بن علي القرشي العطار المصري . والله أعلم .

سنة ثلاث وستين وستمائة :

وفيها فتح الظاهر قيسارية الشام بعد مضايقة ستة أيام في جمـادى الأولى وهدمها ، ثم فتح ارسوف في جمادى الآخرة منها . **قلت** وفيها جدد بمصر القضاة الأربعة من المذاهب الأربعة لأجل توقف تاج الدين بن بنت الأعز عن

Marfat.com

تنفيذ كثير من القضايا فتعطلت الأمور ، ثم فعل بدمشق كذلك في العـــام القابل . **وفيها** حجب الخليفة من الاجتماع بالنـــاس بقلعة الجبل وابتدىء بعمارة مسجد الرسول ﷺ ففرغ في أربـع سنين والله أعلم .

وفيها في تاسع عشر ربيـع الآخر **هلك هلاكو** (١) بن طلو بن جنكيزخان وترك خمسة عشر إبناً . وملك بعده ابنه ابغا البلاد التي كانت بيد أبيه وهي اقليم خراسان وكرسيه نيسابور وإقليم عراق العجم وتعرف ببلاد الجبـــل وكرسيه أصفهان وإقليم عراق العرب وكرسيه بغـــداد وإقليم اذربيجان وكرسيه تبريز ، وإقليم خوزستان وكرسيه تستر وتسميها العامة ششتر ، وإقليم فارس وكرسيه شيراز ، وإقليم ديار بكر وكرسيه الموصل ، وإقلـيم الروم وكرسيه قونية وغيرها مما ليس في الشهرة مثل هذه الأقاليم العظيمة ومدة ملك هلاكو عشر سنين .

وفيها أو تلوها أمسك الظاهر زامل بن علي أمير العرب بمكاتبة عيسى بن مهنا فيه . **وفيها** في رمضان استولى نائب الرحبـة على قرقيسيا وهي حصن الزبا على خلاف فيه . **وفيها** قبض الظـاهر على سنقر الرومي . **وفيها** توفي قاضي القضاة بمصر بدر الدر يوسف بن حسن بن علي السنجاري .

سنة أربع وستين وستمائة :

وفيها خرج الظاهر من مصر وجهز عسكراً فتحوا القليعات وحلبا وعرقا ونزل الظاهر على صفد ثامن من شعبان وضايقها وجاءه عليها المنصور صاحب حماه وكثر القتل والجراح وفتحها بالأمان في تاسع عشر شعبان ثم قتل أهلها الفرنج عن آخرهم .

وفيها بعد صفد دخل الظاهر دمشق وجرد عسكراً ضخمـــاً مقدمهم

---

(١) مات هلاكو على دينه بعلة الصرع وبنوا على قبره قبة بقلعة تلا وفي تاريخ الذهبي انه هلك سنة أربع وستين .

Marfat.com

المنصور صاحب حماه الى بلاد الأرمن وملكهم إذ ذاك هيتوم بن قسطنطين بن باسيل قد حصن الدربندات بالرجالة والمجانيق وجعل عليها عسكره مع ابنيه فأفناهم العساكر قتلاً وأسراً ، وقتل أحد ابني صاحب سيس ، وأسر الآخر وهو ليفون وفتحوا العامودين وقتلوا أهلها وعادوا وقد امتلأوا غنائم فتلقاهم الظاهر الى أفامية وعاد الى مصر فتقطر به فرسه عند بركة زيزاً وانكسرت فخذه وحمل في محفة . **وفيها** وقد سار الظاهر ليلقى عساكره نزل قارا ونهب أهلها وقتل كبـــارهم فانهم كانوا نصارى يبيعون المسلمين من الفرنج خفية ، وأخذت صبيانهم ممـــاليك ، وتربوا بين الترك بالديار المصرية فصار منهم أجناد وأمراء .

سنة خمس وستين وستمائة :

وفيها قدم المنصور صاحب حماه اسكندرية للتفرج بأمر الظاهر ففرشت بين يدي فرسه الشقق ، واحترم وأكرم وعاد إلى مصر ثم الى حماه . **وفيها** توجه الظاهر الى الشأم فنظر في مصالح صفد وأقام بدمشق خمسة أيام وقوي الإرجاف بالتتر ثم عادوا فعاد . **وفيها** مات بركة بن صائن خان بن دوشي خان بن جنكيز خان أعظم ملوك التتر وكرسيه مدينـــة سراي ، وكان قد نزل الى دين الإسلام . وملك بعده ابن عمه منكو تمر بن طغـــان بن ناطو بن دوشي خان بن جنكيز خان .

سنة ست وستين وستمائة :

في مستهل جمادى الآخرة منها توجه الملك الظاهر بيبرس الى الشأم وفتح يافـــا في العشر الأوسط من الشهر من الفرنج ثم سار ونازل انطاكية مستهل رمضان وزحف فملكها بالسيف يوم السبت رابع رمضان منها قتلاً وسبياً ، وغنموا منها عظيماً ، وكانت للبرنس بيمند وله معها طرابلس وكان بطرابلس لما فتحت انطاكية .

Marfat.com

وفيها في ثالث عشر رمضان ملك الظـــاهر بغراس خالية للخوف منه ، وقواها وجعلها من الحصون الاسلامية ، وكان صلاح الدين فتحهـا وخربها ، ثم عمرها الفرنج بعده ، ثم حاصرها الحلبيون ورحـــلوا بعد أن أشرفوا على فتحها . وفيها في شوال صالح الظاهر هينوم صاحب سيس على أن يحضر سنقر الاشقر المأسور من قلعة حلب عند التتر من حين ملكها هلاكو ويسلم بهثني ودير بساك ومرزبان ورعيان وسيح الحديد ، ويطلق الظاهر له إبنه ليفون وتم ذلك كله وعاد الظاهر إلى مصر .

سنه سبع وستين وستمائة :

وفيها خرج الظاهر وخيم على خربة اللصوص ثم قدم مصر بغتة وما علم النائب بمصر ولا غيره بـذلك حتى صار بينهم ، ثم عـــاد الى الشام . وفيها تسلم الظاهر بلاطنس من عز الدين عثمان صـاحب صهيون . وفيها حج الملك الظاهر ورحل من الشوبك في حادي عشر ذي القعدة فوصل مكة شرفها الله في خامس ذي الحجة ، ووصل الى الكرك سلخ ذي الحجة .

سنة ثمان وستون وستمائة :

وفيها توجه الملك الظاهر بيبرس من الكرك مستهل المحرم وقد عـــاد من الحج فوصل دمشق بغتة ،وتوجه من يومه فوصل حماه خامس المحرم ، وتوجه لساعته الى حلب ولم تشعر به العسكر إلا وهو في الموكب معهم وعاد الى دمشق ثالث عشر المحرم ثم توجه الى القدس ثم وصل القاهرة ثالث صفر منها . وفيها عاد الظاهر الى الشام ، وأغار على عكا ودخل دمشق وحماه . وفيها في رجب تسلم عسكر الظاهر مصياف من الاسماعيلية . وفيها جهز منكوتمر جيشاً من التتر فوصلوا قسطنطينية ، وعاثوا في بلادهـــا ومروا بالقلعة التي حبس بها كيكاوس صاحب الروم من سنة اثنتين وستين ، فحمله التتر بأهله الى منكوتمر فأكرمه وزوجه بنته وأقام معه حتى توفي كيكاوس سنة سبع وسبعين وستمائة فسار ابنه مسعود وملك الروم .

Marfat.com

سنة تسع وستين وستمائة :

وفيها حصر الظاهر حصن الأكراد وملكه بالأمان ، في رابع وعشري شعبان ، ثم نازل حصن عكار في سابع عشر رمضان وجدّ في قتاله ، وملكه بالأمان في سلخ رمضان وعيد عليه ، وفيه يقول محيي الدين بن عبد الظاهر :

يا مليك الارض بشراك فقد نلت الارادة
ان عكار يقينـــا هـــو عكا وزيادة

قلت : ونقلت أنا هذا المعنى إلى ذم سكنى البيرة فقلت :

إنمـــا البيرة بـــير رحلتي منهـا سعادة
قيـــل والبيرة بير قلت بـــير وزيادة

وفيها في شوال تسلم الظاهر قلعة العليقة وبلادها من الإسماعيلية . وفيها قدم الظاهر دمشق ونازل في ثاني ذي القعدة حصن القرين وتسلمه بالأمـــان وهدمه وعاد الى مصر . **وفيها** جهز الظاهر ما يزيد على عشرة شواني لغزة وقبرص ، فتكسرت في مرسى النمسون وأسرهم الفرنج ، فعمل السلطان في مدة يسيرة شواني ضعف ما عدم . **وفيها** توفي هيتوم صاحب سيس وملك ابنه ليفون طليق الظاهر. **وفيها** قبض الظاهر على عز الدين تغان وعلى المحمدي وغيرهما . **وفيها** توفي القاضي شمس الدين ابراهيم بن البارزي قاضي حمـــاه والطواشي شجاع الدين مرشد الخادم المنصوري ، وكان كثير المعروف كان الظاهر يعتمد عليه ويستشيره ودبر حماه مدة .

قلت : وفيها – أعني سنة تسع وستين وستمائة ، مات بمكة قطب الدين عبد الحق بن سبعين المرسي الصوفي الفيلسوف من القائلين بوحـــدة الوجود ، وله تصانيف وأتباع. وأبو الحسن بن عصفور الاشبيلي النحوي صاحب التصانيف

منها المقرب وشرحا الجمل للزجاجي والممتع في التصريف وهو بديع في فنه ، وكان يخضب رأسه ولحيته بالحناء .وله في ذلك :

لما تدنست بالتفريط في كبري ورحت مغرى بشرب الراح واللعس
رأيت أن خضاب الشيب أستر لي ان البياض قليـــل الحمل للدنس

سنة سبعين وستمائة :

وفيها توجه الظاهر إلى الشام وعزل جمال الدين أقوش التجيبي نائب دمشق وولاها علاء الدين ايدكين الفخري الأستاذ دار مستهل ربيع الأول ، ثم قدم حمص ثم حصن الأكراد ثم دمشق . **وفيها** والظاهر بدمشق أغارت التتر على عينتاب وعلى الروج وقسطون إلى قرب أفامية وعادوا واستدعى الظاهر عسكراً من مصر وتوجه بهم إلى حلب ثم قـدم مصر ثالث وعشري جمادى الأولى . وفيها في شوال عاد الظاهر من مصر إلى الشام .

سنة إحدى وسبعين وستمائة :

وفيها عاد الظاهر إلى مصر جريدة فأقام بقلعة الجبل نصف شهر ، ثم عاد إلى الشام فوصل دمشق ثالث صفر . **وفيها** توفي سيف الدين أحمـــد بن مظفر الدين عثمان بن منكيرس صاحب صهيون فسلم ولداه سابق الدين وفخر الدين صهيون إلى الظاهر فأكرمهما وأعطى سابق الدين إمرة طبلخانات .

وفيها نازل التتر البيرة ونصبوا المجانيق وضايقوها فسار إليهم الظاهر وأراد عبور الفرات إلى بر البيرة فقاتله التتر على المخاصة فاقتحم الفرات وهزم التتر فرحلوا عن البيرة وتركوا آلات الحصار فصارت للمسلمين ، ثم عاد الظاهر فوصل مصر في خـــامس وعشري جمادى الآخرة . **وفيها** أخرج الدمياطي من الاعتقال . **وفيها** تسلمت نواب الظاهر ما تأخر من حصون الاسماعيلية وهي الكهف والمنيقة والقدموس .

Marfat.com

قلت وفيها توفي العلامة تاج الدين عبد الرحيم بن محمد بن محمد بن يونس الموصلي صاحب التعجيز ببغـــداد ، وكمال الدين أحمد بن الدحمسي بالهند ، والمحدث شمس الدين بن هامل الحراني،والحافظ شرف الدين يوسف بن النابلسي والله أعلم . **وفيها** اعتقل الظاهر الشيخ خضر العدوي بعد رفعته عنده ونفوذ أمره بالشام ومصر واعتقله بقلعة الجبـــل في قاعة مكرماً حتى مات . **قلت** وفيه يقول بعضهم :

لم يحبس الشيخ خضر بعد منقصة ... منه وليس له ذنب إلى أحـد
لكنه كان كالسلطان منزلة ... وهل رأى الناس سلطانين في بلد

سنة اثنتين وسبعين وستمائة :

ذكر بنو مرين

وفيها ملك يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن حمـــامة المريني مدينة سبتة وقبيلة بني مرين يقال لها حمامة من قبائل العرب بالمغرب كان مقامهم بالريف القبلي من إقليم تازة ، أول أمرهم انهم خرجوا عن طاعة عبد المؤمن لما اختل أمرهم ، وملكوا فـــاس منهم سنة بضع وثلاثين وستمائة . وأول من اشتهر منهم أبو بكر بن عبد الحق المريني ، وبعد ملكه فاس سار إلى جهة مراكش وضايف بني عبدالمؤمن حتى توفي أبو بكر المذكور سنة ثلاث وخمسين وستمائة . وملك بعده أخوه يعقوب وملك مراكش من أبي دبوس ، واستمر حتى ملك سبتة هذه السنة . وملك بعده ابنه يوسف ، وكنيته أبو يعقوب ، واستمر حتى قتل سنة ست وسبعمائة .

مولد المؤلف رحمه الله

وفيها وصل الملك الظاهر بعساكره إلى دمشق . **وفيها** عاد عمر بن مخلول أحد أمراء العرب إلى الحبس بعجلون ، كان الظاهر حبسه بها مقيداً فهرب إلى التتر ثم أمنه الظاهر على أن يعود ، ويضع القيد في رجله كما كان ففعل

فعفى عنه . **وفيها** قويت أخبار التتر وجفل الناس . **وفيها** في جمادى الأولى بدمشق في الجفلة ، ولد المؤلف رحمه الله تعالى السلطان الملك المؤيد اسماعيل ابن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بدار الزنجيلي . **وفيها** توفي الشيخ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني النحوي وعمره إثنتان وسبعون سنة ، وله في النحو واللغة مصنفات كثيرة مشهورة .

قلت : منها تسهيل الفوائد وفيه نحو كثير وشرحه ومات ولم يكمل شرحه وكمله الشيخ أثير الدين أبو حيان المغربي نزيل مصر ، ومنها العمدة وهي جيدة لكنها تنقص أبواباً ، وشرحها المصنف فأجاد ، ومنها الخلاصة الألفية في النحو أيضاً ، وشرحها ابنه الشيخ بدر الدين محمد شرحاً حسناً ، وكان يقول على ما بلغني ما زال والدي يخبط حتى نظم الخلاصة . ومنها قصيدة في القراءات على طريقة الشاطبي ولم تشتهر ، ومنها كتاب المثلث في اللغة ويدل على اطلاع عظيم ، ثم نظمه نظماً حسناً ، وله غير ذلك ، وأخبرني شيخنا قاضي القضاة شرف الدين هبة الله بن البارزي قال : نظم الشيخ جمال الدين الخلاصة الألفية بحماه عندنا برسم اشتغالي فيها ، وكنت شاباً وخدمته ولقد رأيت بركة خدمتي له .

ويحكى ان الشيخ تاج الدين عبد الرحمان الفزاري العالم المشهور تأسف يوم موت ابن مالك تأسفاً كثيراً فقيل له : أكان الشيخ جمال الدين في النحو مثلك في الفقه ، فقال : والله ما أنصفتموه كان في النحو مثل الشافعي في الفقه . ويقال ان الشيخ جمال الدين اجتمعت فيه أضداد فانه كان مغربياً سخياً حسن الخلق وأديباً ديناً حسن الوجه ، ورأيت بخط القاضي شمس الدين محمد بن محمد ابن بهرام الدمشقي قاضي قضاة حلب ، كان رحمه الله ما صورته أنشدني الشيخ عبد الصمد الأندلسي قال أنشدني الشيخ جمال الدين بن مالك :

نضر نضير نضار زبرج ثمر عسيجد زخرف عقيان الذهب
والتبر ما لم يذب وأشركوا ذهبا وفضة في سبيك هكذا العرب

Marfat.com

وأنشدني أيضاً من إنشاده :

أنا أيا وبلى روى صبا وصلى ... وى قرى قصرت ومدّ من فتحا
واقصر أضا وسحا صلا غرا وعما ... قذا ومدّ الذي بالكسرة افتتحا
قربي ورعبي وعليا اقصر لضمكها ... وافتح ومدّ ونعمى هكذا وضحا

وفيها في ذي القعدة توفي الأمير مبارز الدين اقوش المنصوري مملوك المنصور صاحب حماة وكان شجاعاً عاقلاً قبجاقي الجنس . **وفيها** ثامن عشر ذي الحجة توفي النصير الطوسي محمد بن محمد بن الحسن خدم صاحب الألموت ، ثم خدم هلاكو وحظي عنده وعمل له رصداً بمراغة وزيجا ، وله اقليدس يتضمن اختلاف الأوضاع ومجسطي وتذكرة في الهيئة ، وشرح الاشارات ، وأجاب عن غالب إيرادات فخر الدين الرازي عليها ، ومولده جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، ودفن في مشهد موسى الجواد .

قلت : وفي سنة إثنتين وسبعين وستمائة ، مات صاحب الاندلس السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الأحمر ،وكان مؤيداً لم تكسر له راية قط، مبدأ ظهوره من قرية أرجونة وانتزع الملك من ابن هود وولايته اثنتان وأربعون سنة وملك بعده ابنه محمد . **وفيها** مات بالروم الصدر القنوي والله أعلم .

سنة ثلاث وسبعين وستمائة :

وفيها دخل الظاهر بلاد سيس بالعساكر وغنم وعاد الى دمشق .

سنة أربع وسبعون وستمائة :

وفيها نازلت التتر البيرة ومقدمهم اقطاي ، فتوجه الظاهر وكان بدمشق الى جهتها فرحل التتر عنها وبلغه ذلك وهو بالقطيعة فأتم السير الى حلب ثم عاد الى مصر . **وفيها** بعد وصول الظاهر الى مصر جهز جيشاً مع اقسنقر الفارقاني وعز الدين ايبك الأفرم ، الى النوبة فغنموا وقتلوا وعادوا . **وفيها** تزوج الملك السعيد بركة بن الظاهر بيبرس غازنة خاتون بنت نائبه الأمير سيف الدين قلاوون الصالحي .

Marfat.com

قلت : وأنشأ الكاتب ابن عبد الظاهر يقول في نعتها ، وأعز من يتجمل بها العقود ، وكيف لا وهي الدرة الألفية والله أعلم . **وفي اواخرها** عـــاد الظاهر الى الشام .

سنة خمس وسبعين وستمائة :

وفي المحرم منها وصل الظاهر دمشق ، فانه خرج من مصر في أواخر سنة أربع وسبعين وسار الى جهة حلب لتلقي الأمراء الروميين الوافـــدين ، وهم بنجار وبهادر ولده ، وأحمد بن بهادر وغيرهم وأكرمهم وعاد إلى مصر .

وفيها عاد الظاهر بعساكره الى الشام ، ووصل حلب ثم النهر الازرق ثم سار الى ابلستين ، لموصلها في ذي الحجة وبها جمع هم نقاوة المغـــل مقدمهم تناون والتقى بها الجمعان يوم الجمعة عاشر ذي القعدة منها،فانهزم التتر وأخذتهم سيوف المسلمين ، وقتل تناون وغالب كبرائهم ، وأسر منهم كثير وصاروا امراء منهم سيف الدين قبجق وسيف الدين سالار . ثم سار الظاهر واستولى على قيسارية والحاكم بالروم يومئـــذ معين الدين سليمان البرواناه وكان يكاتب الظاهر في الباطن ، فظن الظاهر أنه يحضر اليه بقيسارية حسبما اتفقا عليه فلم يحضر لما أراده الله من هلاكه .

وأقام الظاهر بقيسارية سبعة أيام ينتظره ، وخطب له على منابرهـــا ثم رحل عنهـــا ثاني وعشري ذي القعدة ، وحصل للعسكر شدة لنفاد القوت والعليق ، وعدمت غالب خيولهم ، ووصلوا الى عمق حارم ، وأقاموا فيـه شهراً ، ولمـــا بلغ ابغا بن هلاكو ذلك ساق في جموع المغل الى الابلستين ، وشاهد عسكره صرعى ولم ير من عسكر الروم قتيلا ، فنهب الروم وقتل كثيراً ، ثم سار الى الأردو وصحبته البرواناه ، وقتله وقتل نيفـاً وثلاثين من خواصه ، والبرواناه بالعجمي الحاجب ، وكان داهية حازماً .

وفيها مـــات الشهاب **محمد** بن يوسف بن زائدة التلعفري الشاعر . قلت

Marfat.com

ويعجبني قول التلعفري ، ولا أدري هو هذا التلعفري أو الذي قبله :

وإذا الثنية أشرقت وشممت من أرجائها أرجـــاً كنشر عبير
سل هضبها المنصوب أين حديثها المرفوع عن ذيل الصبا المجرور

وهو غاية في الحسن فانه قال المنصوب وهو منصوب والمرفوع وهو مرفوع والمجرور وهو مجرور ، وقد ذكرت به قولي وإن كنت لم ألحق بغباره :

وأغيـــد يسألني ما المبتدا والخبر
مثلهما لي مسرعا فقلت أنت القمر

وقولي :

قلت لنحويّ إذا عرّضـــا له بأوقات الرضا أعرضا
يا حيث لو أصبح باب الرضى كيف لما كنت كأمس مضى

وفيها مات الشيخ خضر محبوساً مكرماً . **قلت**: وكان الشيخ خضر يكاشف ورُمي بأشياء وأراد السلطان قتله فقال «أنا بيني وبينك في الموت شيء يسير» فوجم لها السلطان وحبسه إلى أن مات والله أعلم . **وفيها** رحل الظـاهر من العمق إلى دمشق .

سنة ست وسبعين وستمائة :

وفاة السلطان الملك الظاهر

وفيها وصل الظاهر دمشق ونزل بالقصر الأبلق وكان رحل من عمق حارم. **وفيها** يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم توفي السلطان الملك الظـــاهر أبو الفتح بيبرس الصالحي النجمي بدمشق وقت الزوال عقب وصوله من الروم. واختلف في سبب موته: قيل ان القمر كسف كله وشاع انه لموت جليل القدر فأراد الظاهر تأويله بغيره فاستدعى بالقـاهر من ولد الناصر داود بن المعظم

Marfat.com

عيسى وسقاه قمزاً مسموماً ثم شرب الظاهر ناسياً بذلك النهاء فمـات القاهر عقيب ذلك ، وحصلت للظاهر حمى محرقة .

قلت : وهذا لا يثبت فقد كان الملك الظاهر رحمه الله على قدم من الديانة، وكان ملازماً للخمس في أوقاتها، وألزم حاشيته بها ، وحكي عنه انه ما شرب خمراً قط . ومنع كل منكر ، وكان يحصل من المنكر بمصر كل يوم ألف دينار فأبطله ، ولما حجّ رؤي بباب الكعبة محرماً يأخـذ بأيدي ضعفاء الرعية ليصعدوا وعمل الستور الديباج للكعبة وللحجرة النبوية ، وخطب كرة المجد اسماعيل الواسطي والسلطان حاضر فقال في الخطبة :« أيها السلطان انك لن تدعى يوم القيامة بأيها السلطان لكن تدعى باسمك وكل منهم يومئذ يسأل عن نفسه إلا أنت فانك تسأل عن رعاياك فاجعل كبيرهم أباً وأوسطهم أخاً وصغيرهم ولداً » فاستعذب وعظه وأجزل عطاءه .

وكان له في السنة عشرة آلاف أردب تفرق في الفقراء والمساكين ووقف على جهات عدة ، واستن سنن العمرين ونصب للنـاس خليفة ، وفتح انطاكية وبغراس والقصير وحصن الأكراد وحصن عكار والقرين وصافيتا ومرقيـة ، وأمنت لهيبته السبل ، وكان إذا جرى عنده ذكر أبغا يسألهم الكف عنه لئلا ينقل اليه ويكفيك فعله بالتتر بعين جالوت وخوضته اليهم المرات فشكر الله سعيه ، ولما توفي كتم مملوكه نائبه بدر الدين تتليك الخزينـة دار موته وصيره بقلعة دمشق حتى تهيأت تربته قرب جامع دمشق فدفنه بهـا ورحل النائب بالعساكر والمحفة مظهراً ان الظاهر مريض فيها وسار إلى مصر . وكان الظاهر قد حلف العسكر لابنه السعيد بركة وجعله ولي عهـده فوصل الخزينة دار بالعسكر والخزائن إلى السعيد بقلعة الجبل وعند ذلك أظهر موت السلطان وجلس الملك السعيد للعزاء، واستقر في السلطنة. ومدة ملك الظاهر نحو سبع عشرة سنة وشهران وعشرة أيام .

وكان مهيباً شجاعاً عاقلاً قبجاقي الجنس أسمر أزرق العينين جهوري الصوت،

Marfat.com

أحضر هو ومملوك آخر بحماه ليشتريها المنصور فلم يعجباه وأرسله إلى ايدكين البندقدار الصالحي وهو معتقل بقلعة حماه من جهـة الملك الصالح فاشتراه ، ثم أفرج الصالح عن البندقدار وبقي الظاهر مع استاذه حتى أخـــذه منه الملك الصالح؛ واستقر السعيد بركة في ملك مصر والشأم في أوائل ربيع الأول منها ونائبه بدر الدين تتليك الخزينة دار كما كان مع والده والأمور منتظمة فلم تطل أيام تتليك ومات عن قريب قيل : حتف أنفه ، وقيل : سم . وتولى النيابة شمس الدين الفارقاني ، ثم أراد السعيد تقديم الأصـــاغر ، وقبض على سنقر الأشقر والبيش ، ثم أطلقهما عن قريب ففسدت نيات الأكابر عليه .

قلت : وفيها توفي شيخ الاسلام العالم الرباني الزاهـد محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النواوي وله خمس وأربعون سنة ونصف ، وله سيرة مفردة في علومه وتصانيفه ودينه ويقينه وورعه وزهـــده وقناعته باليسير وتعبده وتهجده وخوفه من الله تعالى. ولي مشيخة دار الحديث بدمشق وكان لا يتناول من معلومها شيئاً ، وقبره ظاهر يزار بنوى . قلت :

لقيت خيراً يا نوى، وحرست من ألم النوى
فلقد نشا بك زاهـد في العلم أخلص مـا نوى
وعلى عـــداه فضـله فضل الحبوب على النوى

سنة سبع وسبعين وستمائة :

وفيها سار السعيد بركة إلى الشأم ووصل دمشق بالعساكر وجرد العسكر صحبة الأمير سيف الدين قلاوون الصالحي وجرد صاحب حماه فشنوا الإغارة على بـلاد سيس ، وغنموا وقدموا دمشق ولم يدخلوها فاستعطفهم السعيد فلم يلووا عليه واتفقوا على خلعه وأتموا السير فركب السعيد وسبقهم إلى مصر ونزل بقلعة الجبل وسارت العساكر في أثره وخرجت السنة والأمر كذلك .

وفيها توفي عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن كيقبـــاذ السلجوقي عند

Marfat.com

منكوتمر ملك التتر بمدينة سراي ، وتقدم ذكره . وأراد منكوتمر أن يزوّج ابنه مسعوداً بزوجة ابنه كيكاوس ، فهرب واتصل ببلاد الروم فحمل إلى أبغا فأكرمه وأعطاه سيواس وأرزن الروم وأرزنكان ، ثم جعلت سلطنة الروم باسم مسعود ، واستمر إلى قريب سنة ثمان وسبعمائة وافتقر وانكشف حاله ، فقيل : انه تناول سماً لكثرة الديون ومطالبة التتر ، وهو آخر من سمي بالروم سلطاناً من السلجوقية .

قلت : وفي سنة سبع وسبعين وستمائة توفي الصاحب قاضي القضاة مجد الدين عبد الرحمن بن عمر بن العديم الحنفي عارف بالمذهب والأدب ، مبالغ في التجمل مع دين تام وتعبد وصيانة وتواضع للصالحين ونجم الدين محمد بن سوار ابن اسرائيل صاحب الحريري روح المشاهد وريحانة المجامع . والله أعلم .

سنة ثمان وسبعين وستمائة :

وفيها وصلت العساكر الخارجة عن طاعة بركة المذكور إلى مصر وحصروه بقلعة الجبل ، وخامر عليه لاجين الزيني وغيره ، وهربوا منه إلى العسكر واحداً بعد واحد فأجابهم الى الانخلاع ورضي بالكرك ، وسار في ربيع الأول منها وتسلمها بما فيها من الأموال العظيمة . واتفق بدر الدين بيسرى الشمسي وآيتمش السعدي وبكتاش الفخري ، وأقاموا بدر الدين سلامش بن بيبرس ولقبوه الملك العادل وهو ابن سبع سنين وكسر ، وخطب له وضربت السكة باسمه في ربيع الأول وصار الأمير سيف الدين قلاوون أتابك العسكر وجهز قلاوون سنقر الأشقر إلى دمشق نائباً بالشأم ، وكان العسكر لما خالفوا السعيد بركة قبضوا على عز الدين أيدمر نائب دمشق ومدبرها بعد أقوش الشمسي فلما قدم سنقر الأشقر إلى دمشق استناب أقوش الشمسي بحلب واستمر الحال كذلك مدة يسيرة .

وفيها يوم الأحد الثاني والعشرين من رجب تسلطن الملك المنصور قلاوون

Marfat.com

الصالحي بعد خلع الصبي سلامش . **وفيها** في الرابع والعشرين من ذي القعدة تسلطن سنقر الأشقر بدمشق وحلّف من عنده من الأمراء والعسكر وتلقب بالملك الكامل . **وفيها توفي الملك السعيد بركة** بن الظاهر بيبرس بالكرك بعد وصوله اليها بيسير : تقطر به الفرس في لعب الكرة فحُم ،ثم مات وحمل فدفن عند أبيه بدمشق فأقام أهل الكرك موضعه أخـاه نجم الدين خضراً ولقبوه الملك المسعود واستقر بالكرك .

سنة تسع وسبعين وستمائة :

وفيها في تاسع صفر انكسر سنقر الأشقر وذلك ان الملك المنصور قلاوون جهز عساكر مصر مع علم الدين سنجر الحلبي الذي كان تسلطن بدمشق بعد قتل قطز ومع بدر الدين بكتاش أمير سلاح وبدر الدين الايدمري وعز الدين الأفرم ، وبرز سنقر الأشقر بعساكر دمشق والشام إلى ظاهر دمشق والتقى الجمعان في تاسع صفر المذكور فانهزم الشاميون ونهب المصريون أثقالهم .

وكان السلطان الملك المنصور قلاوون قد جعل مملوكه حسام الدين لاجين السلحدار نائباً بقلعة دمشق فقبض عليه سنقر الأشقر لما تملك فلمـــا هرب أفرج عنه وأفرج أيضاً عن بيبرس الجالق الذي لم يحلف له . وكتب الحلبي إلى السلطان بالنصر ولسنقر حسام الدين لاجين المنصوري نائباً بالشام ، وهرب سنقر الأشقر إلى الرحبة . وكاتب أبغا بن هلاكو وأطمعه في البلاد ، وكان عيسى بن مهنا ملك العرب مع سنقر الأشقر وقاتل معه ووافقه في الكتابة إلى أبغا ، ثم سار سنقر الأشقر من الرحبة فاستولى على صهيون وبرزنة وبلاطنس والشغر وبكاس وعكار وشيزر وأفامية وصار ذلك له .

وفيها توفي أقوش الشمسي نائب حلب ، وولي موضعه الباشغردي سنجر . **وفيها** قويت أخبار وصول التتر . **وفيها** جعـــل السلطان المنصور قلاوون إبنه الملك الصالح علاء الدين علياً ولي عهده وسلطنه وركب بشعار السلطنة .

Marfat.com

وفيها وصل السلطان المنصور إلى غزة وقد وصل التتر إلى حلب فعـــاثوا ثم عادوا فعاد السلطان إلى مصر في جمادى الآخر منها . **وفيها** استأذن سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري نائب حصن الأكراد في الاغارة على بـــلد المرقب والفرنج فيه لما اعتمدوه من الفساد لمـا وصلت التتر إلى حلب وجمع عساكر الحصون وسار إلى المرقب فاتفق هرب المسلمين فأسر منهم الفرنج وقتلوا جماعة . وفيها في مستهل ذي الحجة عاد السلطان المنصور قلاوون إلى الشام .

سنة ثمانين وستمائة :

دخلت والسلطان الملك المنصور قلاوون بالروحاء، ثم سار إلى بيسان فقبض على جماعة من الظاهرية وأعدم كوندك وايدغمش الحكيمي وبيبرس الرشيدي ثم دخل دمشق وأرسل عسكراً إلى شيزر وهي لسنقر الأشقر وجرى بينهم مناوشة ، ثم احتاج السلطان إلى مصالحته لقوة أخبـــار التتر على أن يسلم شيزر ويتسلم سنقر الأشقر الشغر وبكاس وكانتا قد ارتجعتا منه وحلفـــا على ذلك .

انتصار المسلمين على التتر

وفيها في رجب كان المصاف العظيم بين المسلمين والتـــتر بظاهر حمص فنصر الله المسلمين بعد أن أيقنوا بالبوار . وذلك ان ابغا جمع وطلب الشام ، ثم سار إلى الرحبة وسير جيوشه إلى الشام وقـــدم عليها أخاه منكوتمر بن هلاكو ، وساروا إلى حمص وسار السلطان المنصور إلى حمص أيضاً . وجاءه سنقر الأشقر من صهيون والمنصور صاحب حماه ، ووصل سنقر الأشقر ومعه ايتمش السعدي والحاج ازدمر وعلم الدين الدواتداري وجماعة من الظاهرية ، والتقى الفريقان بظاهر حمص في رابعـــة الخميس رابع عشر رجب فهزمت ميمنة المسلمين وقلبهم من قبالتهم من التتر وركبوا قفاهم يقتلون فيهم ، وكان

Marfat.com

منكوتمر قبالة القلب فانهزم وانكشفت ميسرة المسلمين وتم ببعضهم الهزيمة إلى دمشق وساق التتر في أثر المنهزمين حتى وصلوا إلى تحت حمص وقتلوا من السوقية وغلمان العسكر والعوام خلقاً كثيراً ، ثم علموا بهزيمة جيشهم ، فانهزموا وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون . وكان التتر نحو ثمانين ألفاً منهم مغل خمسون ألفاً والباقون كرج وأرمن وعجم وغيرهم .

وبلغت الكسرة أبغا وهو محاصر الرحبة ، فرحل على عقبه منهزماً ، وزينت البلاد لهذا الفتح العظيم ، ثم أعطى السلطان الدستور للعساكر الشمالية فرجع صاحب حماه وسنقر الاشقر وجماعته إلى صهيون ، وعسكر حلب اليها والسلطان بالأسرى والرؤوس إلى دمشق ثم إلى مصر [1] .

وفيها عند استقراره قدمت هدية صاحب اليمن المظفر شمس الدين يوسف ابن عمر بن علي بن رسول فقبلها السلطان ، وكانت عوداً وعنبراً وصينياً ورماح قنا وغير ذلك ، وكتب له أماناً صدره : هذا أمان الله تعالى ، وأمان سيدنا محمد ﷺ ، وأماننا لأخينا السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر صاحب اليمن اننا راعون له ولأولاده ، مسالمون من سالمهم ، معادون من عاداهم ... ونحو ذلك ، وأرسل اليه هدية من اسلاب التتر وخيلهم .

وفيها مات منكو تمر بن هلاكو بن طلو بن جنكيز خان ، بجزيرة ابن عمر مكموداً من كسرته وكان موته خاتمة الفتح . **وفيها** بعراق العجم توفي علاء الدين عطاء ملك بن محمد الجويني ، كان صاحب الديوان ببغداد فنسبه ابغا إلى مواطأة المسلمين وقبض عليه وأخذ امواله وكان صدراً فاضلاً ، وله شعر حسن . فمنه :

---

(١) قيل ان الحاج ازدمر ساق وحرق التتر الى مقدمهم منكوتمر وطعنه فرماه واستشهد ازدمر ثم مات منكو تمر من تلك الطعنة ، وكانت سبب كسر التتر .

Marfat.com

أبادية الاعراب عني فانني بحاضرة الاتراك نبطت علائقي
وأهلك يا نجل العيون فانني جننت بهذا الناظر المتضايق

وولي بغداد بعده ابن اخيه هارون بن محمد الجويني .

قلت :وفي سنة ثمانين وستمائة مات بالموصل الامام شيخ الوقت موفق الدين احمـــد بن يوسف الكواشي الزاهد المفسر وله تسعون سنة ، وشيخ مصر وقاضيها تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين الحموي ، وله سبع وسبعون سنة، ومحدث دمشق جمال الدين محمد بن علي الصابوني ، وله ست وسبعون سنة ، ومسند العراق أبو سعد محمد بن يعقوب بن أبي الدنية البغدادي ، وله إحدى وتسعون سنة . والله أعلم .

سنة إحدى وثمانين وستمائة :

وفيها استناب السلطان مملوكه شمس الدين قره سنقر الجوكندار بحلب . **وفيها** في المحرم مات (ابغا) بن هلاكو مسموماً ببلاد همدان ، وملك نحو سبع عشرة سنة وكسر ، وترك ابنين ارغون وكيخنو . وملك بعده أخوه أحمد بن هلاكو واسمه بكدار وأظهر الاسلام وتسمّى بأحمد سلطان ، ووصلت رسله الى السلطـــان ، وكبيرهم الشيخ المتفنن الشيخ قطب الدين الشيرازي وكان إذ ذاك قاضي سيواس فاحترز عليهم السلطان ، ولم يمكـــن احداً من الاجتماع بهم ومضمون رسالتهم إعلام السلطان باسلام احمد ، وطلب الصلح فلم ينتظم وعادت الرسل بالجواب . **وفيها** مات منكو تمر بن طغان بن باطو بن دوشي خان بن جنكيز خان ملك التتر بالبلاد الشمالية ، وملك بعده أخوه تدان منكو ، وجلس على كرسي الملك بسراي .

وفيها عُقد عَقد الملك الصالح علي بن السلطان الملك المنصور قلاوون على بنت سيف الدين بكية ، ثم تزوج أخوه الملك الأشرف اختها الاخرى وكان بكية بالاسكندرية معتقلا فأخرج لذلك وأكرم . **وفيها** توفي القاضي شمس

Marfat.com

الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان البرمكي ، وكان فاضلا عالماً تولى القضاء بمصر والشام ، وله مصنفات جليلة مثل وفيات الاعيان في التاريخ وغيرها ، ومولده يوم الخميس بعد العصر حادي عشر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة بأربل بمدرسة سلطانها مظفر الدين صاحب اربل .

قلت : وفي سنة إحدى وثمانين وستمائة توفي السلطان تلمسان غمراسن بن عبد الواد البربري الموصوف بالشجاعة ، بقي في الملك ستين عاماً وهو الذي قتل الملك السعيد بن أبي العلا صاحب المغرب . والله أعلم .

سنة إثنتين وثمانين وستمائة :

وفي أوائلها قدم المنصور صاحب حماه وأخوه الافضل علي ، على السلطان الملك المنصور بمصر فأنزل صاحب حماه بالكبش وأركبه بالصناجق السلطانية والجغتا والغاشية ، وسأله عن حوائجه فقال : حاجتي أن اعفى من هذا اللقب فانه ما بقي يصلح ان ألقب بالملك المنصور ، وقد صار هـــذا لقب مولانا الاعظم فأجابــه السلطان بأني ما تلقبت بهذا اللقب إلا لمحبتي فيك ولو كان لقبك غير ذلك تلقبت به ، فشيء قد فعلته محبــة لإسمك ، كيف امكن من تغييره. وطلع السلطان بالعسكر المصري لحفر الخليج الذي بالبحيرة[1] وصاحب حمــاه في خدمتــه إلى الحفير وأعطاه الدستور فعــاد مكرمـــاً مغموراً بالصدقات السلطانية .

وفيها رمى السلطان الملك الصالح علي بن السلطان بجعاً بجهة العباسية بالبندق وأرسله للملك المنصور صاحب حماه فقبله وسر بذلك وأرسل له تقدمة جليلة . **وفيها** خرج ارغون بن ابغا بخراسان على عمه نكدار أحمـــد سلطان وسار إليه ، واقتتلا فانهزم ارغون وأسره احمد ، وكانت المغل قد تغيرت على احمد لإسلامه وإلزامهم بالإسلام ، وأيضاً سألته الخوانين إطلاق ارغون فأبى فاتفقوا على قتل احمد وأطلقوا ارغون من اعتقاله وكبسوا الناق نائب

(١) يسمى الآن هذا الخليج بترعة المحمودية .

Marfat.com

أحمـــد فقتلوه ثم قصدوا الأردو فأحس بهم أحمد فركب وهرب ، فتبعوه وقتلوه في سنة ثلاث وثمانين وستمائة كما سيأتي وملكوا ارغون بن ابغا بـــن هولاكو وذلك في جمادى الاولى .

وفيها ولى أرغون سعد الدولة اليهودي ومكنه ، وكان كثير المـال ولم يشن إلا بدينه ، وقيل أسلم قبل قتله . **وفيها** قرر ارغون ابنيه قازان وخربنده بخراسان وجعل أتابكهما نوروز . **وفيها** مات الاشكري صاحب قسطنطينية واسمه ميخائيل ، وملك بعده ابنه ماندر وسكوس وتلقب بالدوقس . **وفيها** تسلم عسكر حلب الكحنا بمكاتبة حكامها لقره سنقر [1] ، وصارت من أعظم الثغور نفعاً . وفيها في رجب قدم السلطان دمشق سار من مصر في جمادى الآخرة . وفيها كان السيل بدمشق في العشر الاول من شعبان والسلطان بدمشق وأخذ العمارات واقتلع الاشجار وأهلك خلقاً وخيلاً وجمالاً وخياماً لا تحصى ، وعقيبه توجه السلطان إلى مصر .

سنة ثلاث وثمانين وستمائة :

وفيها عاود السلطان دمشق وجاءه المنصور صاحب حماه ثم عاد . **وفيها** في شوال **توفي السلطان منصور صاحب حماه** محمد بن الملك المظفر بن المنصور ابن المظفر عمر بن شاهنشاه ، واعتق مماليكه قبل موته ، وتاب توبة نصوحاً وكتب يسأل السلطان في إقرار إبنه المظفر في مملكته واشتد مرضه حـــتى مات حادي عشر شوال ، ومولده يوم الخميس لليلتين بقيتـا من ربيع الاول سنـــة اثنتين وثلاثين وستمائة ، فعمره إحدى وخمسون سنة وستة أشهر وأربعة عشر يوماً ، وملك حماه إحدى وأربعين سنة وخمسة اشهر وأربعة أيام ، وكان اكبر أمانيه أن يعيش إلى أن يسمع جواب السلطان في أمر ابنه المظفر فمات قبله ووصل الجواب بعده بستة أيام .

ومنه ، بعد البسملة : المملوك قلاوون أعز الله أنصار المقام العالي المولوي

---

(١) معناه : سنقر أسود ، وهو نوع من طيور الصيد .

Marfat.com

السلطاني الملكي المنصوري النـــاصري ولا عدمه الإسلام ولا فقدته السيوف والأقلام . **ومنه:** وأما الاشارة الكريمة إلى ما ذكره من حقوق يوجبها الاقرار وعهود أمنت بدورها من السرار ونحن بحمدالله فعندنا تلك العهود ملحوظة ، وتلك المودات محفوظة فالمولى يعيش قرير العين فما ثمَّ إلا ما يسره من إقامة ولده مقـامه ولا يحول ولا يزول ولا يرى على ذلك ذلة ولا ذهول ويكون طيب النفس مستديم الانس بصدق العهد القديم وبكل ما يؤثر من خير مقيم .

وكان الملك المنصور فطناً ذكياً مقبولاً حليماً حتى ان الملك الظاهر قـدم مرة حماه ونزل بدار المبارز فرفع في المنصور عدة قصص من حماه فجمعت في منديل وحملت إلى صاحب حماه بأمر الظاهر فتهدد بعض الجمـــاعة رافعيها فأحرقها المنصور ولم يقف على شيء منها لئلا يتغير خـــاطره على رافعيها .

ولما بلغ السلطان الملك المنصور قلاوون وفاة الملك المنصور صاحب حماه ولى الملك المظفر محمود بن المنصور محمد حماه على قاعدته وأرسل إليه وإلى عمـــه الملك الأفضل وإلى أولاده التشاريف ومكاتبة إلى المظفر: بعد البسملة. المملوك قلاوون أعز الله نصرة المقام العالي المولوي السلطاني الملكي المظفري التقوي ، ونزع عنه البأس وألبسه حلل السعد المجلوة على أعين الناس وهو يخدم خدمة بولاء أثمرت غصونه وزهت أفنانه وفنونه . **ومنها** : وقـــد سيرنا المجلس السامي جمال الدين أقوش الموصلي الحاجب وأصحبناه من الملبوس الشريف ما يغير به لباس الحزن ويتجلى في مطلعه ضياء وجهه الحسن ، وتنجلي بذلك غيوم تلك الغموم ، وأرسلنا أيضاً صحبته ما يلبسه هو وذووه كما يبدو البدر بين النجوم. وآخره: كتب في عشري شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

قلت : وفي سنة ثلاث وثمانين جاءت الزيادة الكبرى بدمشق ليلا وارتفع الماء على جسر باب الفرج قـــامة ، وكان السلطان بالقلعة وذهب من أموال العسكر حول بردى ما لا يحصى .

Marfat.com

وفيها : مات قاضي الاسكندرية وفاضلها العلامة ناصر الدين أحمد بن محمد ابن المنير الحذامي المالكي صاحب التصانيف وله ثلاث وستون سنة . **وفيها** مات أمير العرب عيسى بن مهنا وقاضي القضاة بدمشق عز الدين محمـــد بن عبد القادر بن الصائغ الشافعي وله خمس وخمسون سنة . وكان من قضاة العدل رحمه الله تعالى . والله أعلم .

سنة أربع وثمانين وستمائة :

ذكر قتال السلطان قلاوون للفرنج

وفيها في صفر ركب السلطان الملك المظفر صاحب حماه بشعار السلطنة بدمشق وذلك ان السلطان المنصور قلاوون وصل في أواخر المحرم إلى دمشق بعسكره وجاءه المظفر والأفضل من حماه فأكرمهما وأرسل إلى المظفر ثالث يوم وصوله التقليد بحماه والمعرة وبارين والتشريف وشعـــار السلطنة فركب المظفر بشعار السلطنة والغاشية السلطانية . وسار معـــه الأمراء ومقدمو العساكر من داره الحافظة داخل باب الفراديس إلى أن وصل قلعة دمشق ومشت الأمراء في خدمته ودخـــل إلى خدمة السلطان فأكرمه وأجلسه إلى جانبه على الطراحة وقال : أنت ولدي وأعز من الملك الصالح عندي فتوجه إلى بلادك وتأهب لهذه الغزاة المباركة فأنتم من بيت مبارك مـــا حضرتم في مكان إلا وكان النصر معكم ، فعاد المظفر وعمه إلى حماه ، وتأهبا للمسير إلى خدمة السلطان ثانياً .

وفيها نازل السلطان المنصور بعد وصوله دمشق حصن المرقب في أوائل ربيع الأول وهو حصن الاستبار عجيب في العلو والحصانة لم يطمع أحد من الملوك الماضين فيه . ونصبت عليه المجانيق وحضره المؤلف رحمه الله تعالى وعمره نحو اثنتي عشرة سنة وهو أول قتال رآه وكان مع والده ولما تمسكنت

Marfat.com

النقوب طلبوا الأمان فأمنهم رغبة في بقاء عمارته وحملوا ما قدروا عليه غير السلاح وصعدت إليه الصناجق السلطانية وتسلمه في ثامنة نهار الجمعة تاسع عشر ربيع الأول منها وأخذ منه الثار من بيت الاستبار ومحيت آية الليل بآية النهار وألحق أهله بأمنهم ثم عاد الى أن نزل بحيرة حمص وهي بحيرة قدس .

وفيها : ولد مولانا السلطان الأعظم الملك الناصر ، ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون وأمه بنت سكتاي بن قراجن [1] بن جنعان وسكتاي ورد الى مصر هو وأخوه قرمشي سنة خمس وسبعين وستمائة صحبة بنجار [1] الرومي في دولة الظاهر. وتزوج السلطان الملك المنصور قلاوون إبنة سكتاي سنة ثمانين وستمائة بعد موت أبيها بولاية عمها قرمشي وبشر به على بحيرة حمص ، وقد عاد من فتح المرقب . **وفيها** عاد السلطان الى مصر .

سنة خمس وثمانين وستمائة :

وفيها سار حسام الدين طرنطاي بعسكر من مصر بأمر السلطان فحاصر الكرك وتسلمها بالأمان وعاد وصحبته صاحب الكرك جمل الدين خضر وبدر الدين سلامش إبنا الملك الظاهر بيبرس فأكرمهما السلطان ، ثم بلغه ما كرهه عنهما فاعتقلهما حتى توفي ، فنقل خضر وسلامش إلى قسطنطينية . **وفيها** سار السلطان فقرر أمور الكرك ثم عاد. **وفيها** توفي ركن الدين أباجي الحاجب.

قلت: وفي سنة خمس وثمانين وستمائة توفي العلامة جمال الدين محمد بن أحمد البكري الشريشي شيخ الناصرية وله أربع وثمانون سنة وسلطان مراكش وفاس أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني . وكان شجاعاً خرج على أبي دبوس فقتله أبو يوسف ، فاستولى على المغرب ودولته عشرون سنة . وقام بعده إبنه وقاضي القضاة بهاء الدين يوسف بن قاضي القضاة محيي الدين بن الزكي القرشي الدمشقي وله خمس وأربعون سنة . والله أعلم .

---

(١) ورد الاسم في الجزء الرابع من تاريخ أبي الفدا « قراجين » ، وكذلك ورد اسم بنجار : بيجار .

Marfat.com

سنة ست وثمانين وستمائة :

فتح اللاذقية

وفيها حاصر حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة صهيون بعد فتح الكرك في آخر السنة الماضية وضايق صهيون بالحصار والمجانيق ثم تسلمها بالأمان من سنقر الأشقر وحلف له ، ثم سار إلى اللاذقية . وفيها برج للفرنج يحيط به البحر فعمل طريقاً إليه وحاصره وتسلمه بالأمان وهدمه . ولما عاد سنقر الأشقر صحبة طرنطاي إلى مصر أكرمه السلطان إلى أن توفي السلطان فكان ما سيذكر . **وفيها** نزل تدان منكو بن طغان بن باطو بن دوشي بن جنكيزخان عن مملكة التتر بالبلاد الشمالية متزهداً منقطعاً إلى الصلحاء وأشار أن يملكوا ابن أخيه تلابغا بن منكو بن طغان .

وفيها أرسل السلطان عسكراً مع علم الدين سنجر المسروري الخياط متولي القاهرة إلى النوبة فغزوا وغنموا وعادوا . **وفيها** توفي بدر الدين تتليك الايدمري .

سنة سبع وثمانين وستمائة :

وفيها توفي الملك الصالح علاء الدين علي بن السلطان الملك المنصور قلاوون بالدوسنطاريا ، وكان ولي عهد أبيه وترك إبناً اسمه موسى .

قلت : وفيها توفي بمصر الزاهد القدوة الشيخ ابراهيم بن معضاد الجعبري وله ثمان وثمانون سنة . وشيخ الأطباء علاء الدين علي بن أبي الحزم بن النفيس القرشي الدمشقي بمصر صاحب التصانيف ، طبيب فقيه أصولي محدث نحوي منطقي وقف أملاكه وكتبه على المارستان المنصوري . والشيخ برهان الدين النسفي شيخ الفلسفة ببغداد واسمه محمد بن محمد في عشر التسعين. والشيخ ياسين المغربي الحجام الأسود ؛ وكان جرائحياً على باب الجابية وله كشف ، وكان النواوي رحمه الله يزوره ويتلمذ له. والله أعلم كل ذلك في سنة سبع وثمانين وستمائة .

Marfat.com

سنة ثمان وثمانين وستمائة :

فتح طرابلس الشام

وفيها في أول ربيع الآخر فتحت طرابلس الشأم وذلك ان السلطان سار من مصر ونازلها يوم الجمعة مستهل ربيع والبحر محيط بغالبها ، ونصب المجانيق وجدّ وشد حتى فتحها يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر منهـا بالسيف. وهرب أهلها إلى المينا فنجى أقلهم في المراكب وقتل غالب رجالها وسبيت ذراريهم وغنم المسلمون منها عظيماً وحضر ذلك المؤلف رحمه الله مع الأفضل والده والمظفر عمه ، ثم دكها السلطان إلى الأرض ، وكان في البحر قريباً منها كنيسة في جزيرة تسمى كنيسة سنطماس وبينها وبين طرابلس المينا ، وهرب من طرابلس اليها عالم عظيم من الفرنج ، فاقتحم العسكر البحر بالخيل سباحة اليها ، وقتلوا من بها من الرجال وسبوا الصغار والنساء والمـــال ، ثم هدمت أيضاً ، وعاد السلطان إلى مصر وكانت الفرنج قد استولت على طرابلس سنة ثلاث وخمسمائة في حادي عشر ذي الحجـــة فلبثت الفرنج مائة سنة وخمساً وثمانين سنة وشهوراً .

وفيها مات قتلاي قان بن طلو بن جنكيز خـان ملك التتر بالصين وهو أكبر الخانات والحاكم على كرسي مملكة جنكيز خان ، وكان قد طالت مدته وجلس بعده ابنه شهون .

سنة تسع وثمانين وستمائة :

وفيها في سادس ذي القعدة **توفي السلطان الملك المنصور** سيف الدنيـــا والدين قلاوون الصالحي . وذلك انه خرج بالعساكر بنية غزو عكا وبرز إلى مسجد التيرز ، فابتدأ مرضه في العشر الأواخر من شوال بعد نزوله بالدهليز بالمكان المذكور وتزايد حتى توفي يوم السبت سادس ذي القعدة منها بالدهليز . وكان ملكه يوم الأحد الثـاني والعشرين من رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة فمدة ملكه نحو إحدى عشرة سنة وثلاثـة أشهر وأيام وترك ابنين هما الملك

الأشرف صلاح الدين خليل والسلطان الأعظم الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد ، وكان رحمه الله مهيباً حليماً قليل سفك الدماء ، فتح المرقب وطرابلس التي لم يجسر مثل صلاح الدين وغيره على التعرض اليهما لحصانتهما ، وكسر التتر على حمص وهم جمع عظيم .

وجلس في الملك **بعده ابنه السلطان الملك الأشرف** صلاح الدين خليل في سابع ذي القعدة صبيحة ثاني موت والده ولما استقر قبض على حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة يوم الجمعة ثاني عشر ذي القعدة فكان آخر العهد به واستناب بدر الدين بيدرا واستوزر شمس الدين بن السلعوس .

سنة تسعين وستمائة :

فتح عكا

فيها في جمادى الآخرة فتحت عكا ، وذلك ان الملك الأشرف نازلها بالعساكر الاسلامية في أول جمادى الأولى وجر اليها المجانيق من جميع الحصون ، منها : المنجنيق المنصوري من حصن الأكراد حمل مائة عجلة ، وخص المؤلف رحمه الله منه عجلة وهو إذ ذاك أمير عشرة ، واشتد عليها القتال وغالب أبوابها مفتحة يقاتلون فيها . وكان الحمويون برأس الميمنة على عادتهم فكانوا على جانب البحر والبحر عن يمينهم إذا واجهوا عكا فكان يحضر اليهم مراكب مقببة بالخشب الملبس جلود الجواميس ويرميهم الفرنج منها بالنشاب والجروح والقتال من قدامهم من جهة المدينة وعن يمينهم من البحر وأحضروا بطسة فيها منجنيق يرمي على الحمويين فهبت ريح شالته وحطته فانحطم المنجنيق ولم يعد ، وكبس الفرنج العسكر ليلاً فهزموا اليزك واتصلوا بالخيام وتعلقوا بالأطناب وتكاثر عليهم العساكر فانهزموا إلى البلد وقتل منهم جماعة وشدوا وضايقوا حتى فتحها الله تعالى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة بالسيف وهرب جماعة من أهلها في المراكب ، وداخل البلد أبرجة عاصية بمنزلة القلاع تحصن بها عالم من الفرنج فاستنزلوا وضربت أعناقهم عن آخرهم

Marfat.com

وقتل المسلمون من عكا وغنموا ما يفوت الحصر ، ثم هدمت ودكت دكاً ، والعجب ان الفرنج أخذوها من صلاح الدين يوم الجمعـــة سابع عشر جمادى الآخر سنة سبع وثمانين وخمسمائة وقتلوا من بها ففتحهـا صلاح الدين الأشرف يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة،فاتفق اليومان ولقب السلطانين .ورعب الفرنج لفتح عكا فأخلوا صيدا وبيروت وتسلمها الشجاعي وصور وعتليت وانطرطوس وخربت عن آخرهـــا وتكاملت بذلك جميع البلاد الساحلية للاسلام ، وطهر الشام من الفرنج بعد أن كانوا قد أشرفوا على ملك دمشق وملك مصر ، ثم دخل الأشرف دمشق وعاد الى مصر .

وفيها والسلطان على عكا سعى علم الدين سنجر الحموي أبو خرص بين السلطان وبين حسام الدين لاجين نائب السلطنة بدمشق ، فخاف لاجين ونوى الهرب ، فقبض عليه السلطان وعلى ابي خرص وقيدهما وأرسلهما فحبسا . **وفيها** ولى السلطان علم الدين سنجر الشجاعي نيابة السلطنة بالشام موضع لاجين . **وفيها** في ربيع الأول مات ارغون ملك التتر بن ابغا بن هولاكو ومدة ملكه نحو سبع سنين . وملك بعده أخوه كيختو وترك ارغون ولدين هما قازان وخربنده وكانا بخراسان ، ولما تولى كيختو أفحش في الفسق واللواط بأبناء المغل ، ففسدت نياتهم له .

وفيها قتل تلا بغا بن منكوتمر بن طغان بن ياطوخان بن دوسي خان بن جنكيزخان قتله نغية بن مغل بن ططر بن دوسي خان بن جنكيزخان وأقام نغية بعده طقطغا بن منكوتمر بن طغان أخا تلا بغا ورتب نغية باخوة طقطغا معه وهم برلك وصراي بغاوتدان .

وفي أوائلها تكملت عمارة قلعة حلب شرع قراسنقر فيها في ايام السلطان الملك المنصور فتمت في ايام الأشرف ، وكتب عليها اسمه ، وكانت خرابا من سنة هلاكو سنة ثمان وخمسين وستمائة فلبثها على التخريب نحو ثلاث وثلاثين سنة بالتقريب . **قلت** وفيها أطلق أسرى بيروت وكانوا ستمائة ، وأذن للخليفة

Marfat.com

الحاكم بأمر الله أبي العباس بالركوب ، وبايعه السلطان فصلى الحاكم بالسلطان الجمعة ، وخطب بقلعة الجبل ، وذكر في خطبته توليته للسلطان أمر الأمة وحض على فتح بغداد . **وفيها** مات الشيخ العلامة تاج الدين عبد الرحمان بن ابراهيم الفزاري الشافعي الفركاح وله ست وستون وكسر . والله أعلم .

سنة احدى وتسعين وستمائة :

وفيها سار من مصر الأشرف بعساكره المصرية ثم الشامية وتلقاه الاخوان المظفر صاحب حماه والأفضل الى دمشق وسبقاه الى حماه وضرب دهليزه عند ساقية سلمية ، وعمل له المظفر ضيافة عظيمة وفرش بين يدي فرسه ونزل السلطان بالميدان ثم دخل دار المظفر بحماه ثم دخل الحمام وخرج وجلس على جانب العاصي ، ثم توجه الى الطيارة الحمراء على سور باب النقفي ، ثم توجه والاخوان المظفر والأفضل في خدمته الى المشهد ، ثم الى الحمام والزرقا بالبرية فصاد كثيراً .

وأما العساكر فسارت على السكة الى حلب ووصل السلطان الى حلب وتوجه منها الى قلعة الروم ونازلها في العشر الأول من جمادى الآخرة منها وضايقها وشهد المؤلف رحمه الله تعالى ذلك ، ونصب المجانيق ودام الحصار حتى فتحت بالسيف يوم السبت حادي عشر رجب منها وقتل أهلها ونهب ذراريهم ، واعتصم كتبا غيلوس[1] خليفة الأرمن المقيم بها وغيره في القلة ، ثم طلبوا الأمان فأمنهم على أرواحهم خاصة وان يكونوا اسرى عن آخرهم . ورتب السلطان الشجاعي علم الدين سنجر لتحصينها وإصلاحها وعاد فضام وعيّد بدمشق وسار الى مصر .

---

(١) وردت في تاريخ أبي الفداء : كينا غيلوس . وأنهم لم يطلبوا الأمان إلا بعد أن أمر السلطان صاحب حماه أن يرمى عليهم بالمنجنيق . وكان منجنيق الحمويين على رأس الجبل المطل على القلة .

قلت وفيها مات صاحب ماردين الملك المظفر قره ارسلان بن ايلغازي ودولته ثلاث وثلاثون سنة وله ذكاء ونباهة . والله أعلم .

وفيها هرب حسام الدين لاجين الذي كان نائب دمشق لما وصل السلطان عائداً من قلعة الروم ، وكان قـــد اعتقله على حصار عكا ، ثم أفرج عنه في أوائل هذه السنة وعاد مع السلطان من قلعة الروم الى دمشق ، فاستوحش فهرب الى العرب فقبضوه وأحضروه الى السلطان فبعث به فحبس في قلعة الجبل . **وفيها** استناب السلطـــان بدمشق عز الدين ايبك الحموي وعزل الشجاعي . **وفيها** عند عوده من قلعة الروم عزل بحلب نائبها قره سنقر المنصوري وصحبه معه وولاها سيف الدين بلبان الطباخي ، وكان نائب الفتوحات ومقامه بحصن الأكراد فولى بها مكانه طغرل بك الايغاني ثم عزله بعد مدة وولاها عز الدين ايبك الخزينة دار المنصوري ولما وصل مصر قبض على سنقر الأشقر وجرمك وكان قبض طقصو بدمشق فكان آخر العهد به .

اشارة الى مولد المؤلف

قلت :وفيها والملك الأشرف نازل على معرة النعمان متوجهاً الى قلعة الروم كان مولدي[1] ، واتفق ان أهل المعرة رفعوا قصصاً الى السلطان الأشرف يسألونه ابطال الحمارة بها فأمر بابطالها وخربت في تلك الساعة . أحسن الله العاقبة وختم بخير آمين والله أعلم .

سنة اثنتين وتسعين وستمائة :

وفيها طلب الملك الأشرف المظفر صاحب حماه والملك الأفضل علي الى مصر على البريد فوصلا مصر ثامن يوم خروجهما وجلين فأنعم عليهما ، ثم سار

---

(١) المؤلف المشار اليه هنا ، هو الشيخ زين الدين عمر بن الوردي . وقد لزمت هـــذه الاشارة نظراً لورود كلمة المؤلف في مواضع كثيرة ، حيث تشير الى مؤلف كتاب«المختصر في أخبار البشر » ، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل أبو الفدا .

Marfat.com

وهما صحبته على الهجن الى جهة الكرك والعساكر سائرة على الطريق الى دمشق ، ثم قدم دمشق ثم سار على البرية متصيداً ووصل الفرقلس وهو جفار في طرف بلد حمص مشرقاً فحضر اليه هنـــاك مهنا بن عيسى أمير العرب وأخوه محمد وفضل وموسى بن مهنا فقبض على الجميع وأرسلهم فحبسوا بمصر في قلعة الجبل وعاد السلطان الى مصر .

وفيها في ذي القعدة سار الملك الأفضل نور الدين علي بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب من حلب الى دمشق ، وتوفي بها في أوائل ذي الحجة منها ، ومولده أواخر سنة خمس وثلاثين وستمائة ، وسبب مسيره ان الأفضل أعجب الأشرف خبرته في الفهود والصيد وهم على الكرك ، فلما سار المظفر والأفضل الى حلب ومعهما بعض العسكر المصري لارهاب العدو بأمر الأشرف وصل مرسوم الملك الأشرف بطلب الأفضل ليصحبه في الصيد ، فسار ولم يستصحب أحداً من أولاده ، وكانوا ثلاثة مجردين بحلب مع المظفر فمرض وتوفي بدمشق ونقل الى حماه واشتمل المظفر على أولاده وأحسن اليهم .

وفيها أفرج الملك الأشرف عن بدر الدين البيسري بعد اعتقال نحو ثلاث عشرة سنة . وعن حسام الدين لاجين المنصوري . وفيها أُعطيت العساكر الدستور ، وأعطى الملك المظفر صاحب حماه ابن عمه المؤلف رحمه الله تعالى إمرة طبلخانات وأربعين فارساً .

سنة ثلاث وتسعين وستمائة :

مقتل الملك الأشرف

فيها في أوائـــل المحرم قتـــل الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن السلطان الملك المنصور قلاوون . وذلك انه وصل الى تروجه للصيد ونصب الدهليز عليها وركب في نفر يسير فقصده مماليك أبيه وهم بيدرا نائب السلطنة

Marfat.com

ولاجين الذي عزله عن نيابة دمشق وقره سنقر الذي عزله من حلب وبهادر رأس النوبة وجماعة من الامراء ، ولما قاربوا السلطان أرسل اليهم كرد أمير آخور ليكشف خبرهم فأمسكوه وخاضوا المخاضة ووصلوا الى السلطان فأول من ضربه بالسيف بيدرا ثم لاجين حتى فارق وتركوه على الأرض فحمله ايدمر الفخري والي تروجه الى القاهرة فدفن في تربته رحمه الله تعالى ، ثم اتفق القاتلون له على سلطنة بيدرا وتلقب بالقاهر . وسار ليملك قلعة الجبل فانضم مماليك الأشرف الى زين الدين كتبغا المنصوري وركبوا أثر بيدرا ومن معه فلحقوهم على الطرانة في نصف المحرم منها واقتتلوا وانهزم بيدرا وأصحابه وتفرقوا فتبعوا بيدرا وقتلوه ورفعـــوا رأسه على رمح واختفى لاجين وقره سنقر .

ذكر سلطنة الملك الناصر

ووصل زين الدين كتبغا والمماليك السلطانية الى قلعة الجبل ونائبها علم الدين سنجر الشجاعي ، فاتفقوا على سلطنة مولانا السلطان الاعظم الملك الناصر ابن السلطان الملك المنصور فأجلسوه على سرير الملك في باقي العشر الاوسط من المحرم منها ، وتقرر كتبغا نائباً والشجاعي وزيراً وركن الدين بيبرس البرجي الجاشنكير استاذ الدار وتتبعوا غرماء الملك الأشرف فظفروا ببهادر رأس النوبة وأقوش الموصلي الحاجب فضربت رقابهما وأحرقت جثثهما، ثم ظفروا بطرنطاي الساقي والناق ونغية وأروس السلحدارية ومحمد خواجا والطنبغا الجمدار وأقسنقر الحسامي فاعتقلوا بخزانة البنود اياماً ثم قطعت ايديهم وأرجلهم وصلبوا على الجمال وطيف بهم وايديهم معلقة في أعناقهم جزاء بما كسبوا ، ثم وقع قجقار الساقي فشنق .

قلت وفيها مات قاضي القضاة بدمشق شهاب الدين محمد بن قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن الخليل الخويي الشافعي وله سبع وستون سنة ، كان رحمه الله أحد الاعلام والله أعلم .

وفيها قبض كتبغا والشجاعي على شمس الدين محمد بن السلعوس وزير الملك

Marfat.com

الأشرف ، وتولى عقوبته الشجاعي ، فاستصفى ماله وقتله وكان متمكناً عند الأشرف وأحضر أهله وأقاربه من دمشق الى مصر لمـّا تمكن إلا واحداً استمر بدمشق وكتب اليه :

تنبّه يا وزير الأرض واعلم بأنك قد وطئت على الأفاعي
وكن بالله معتصماً فـــإني أخاف عليك من نهش الشجاعي

قلت وذكرت بهذا قولي :

صديق لي بلي بحكيم سوء كذا السلعوس يبلى بالشجاعي
فجس وقال حمى مع صداع فقلنـــا يا حكيم بلا صداع

وفيها قتل كتبغا النائب الشجاعي الوزير وطيف برأسه وفيها ظهر حسام الدين لاجين وقره سنقر المنصوري من الاستتار وأخذ لهما خشداشهما كتبغا الامان من السلطان وأقطع لهما وأعز جانبهما .

سنة اربع وتسعين وستمائة :

ويوم الاربعاء تاسع المحرم منها جلس زين الدين كتبغا المنصوري على سرير الملك ، وتلقب بالعادل واستحلف الناس ، وخطب له بمصر والشام ، وضرب السكة باسمه وجعل حسام الدين لاجين نائبه .

ذكر قتل ملك التتر

وفيها في ربيع الآخر قتل كيختو بن ابغا بن هولاكو ملك بعد موت ارغون في ربيع الأول سنة تسعين وستمائة فملكه نحو اربع سنين . أفحش كيختو بالفسق واللواط فاتفق الملك مع ابن عمه بيدو بن طرغبة بن هولاكو على قتله وهرب فتبعوه بسلاسلار من أعمال موغان وقتلوه بها . وملك بعده ابن عمه بيدو وجلس على السرير في جمادى الاولى منها وبلغ قازان بخراسان ذلك فجمع نيروز على قازان من أطاعه من المغل وأهل تلك البلاد وسار الى

قتال بيدو وسار بيدو اليه فلما تقاربوا علم قازان انه لا طاقة له ببيدو فراسله واصطلحا . وعاد قازان الى خراسان وأمر بيدو نيروز أتابك قازان ان يقيم عنده خوفاً من أن تجتمع المغل على قازان ثانياً ، وأخذ نيروز يفسد المغل على بيدو في الباطن ، واستوثق منهم وكتب الى قازان يأمره بالحركة فتحرك وبلغ ذلك بيدو فتحدث مع نيروز فيه ، فقال نيروز : ارسلني الى قازان لأفرق جمعه وأُرسله اليك مربوطاً ، فاستحلفه وأرسله، فسار نيروز الى قازان وأعلمه بمن معه من المغل ، وعمد نيروز الى قدر فوضعها في جولق وربطه وأرسله الى بيدو ، وقال : وفيت بيميني ربطت قازان وبعثته اليك، وقازان إسم القدر بالتتري ، فجمع بيدو عساكره والتقى الجمعان بنواحي همدان فصار أصحاب بيدو مع قازان ، فهرب بيدو وأدركه عسكر قازان عن قريب بنواحي همدان وقتلوه في ذي الحجة منها فملكه نحو ثمـــانية اشهر . واستقر قـــازان بن ارغون بن ابغا بن هولاكو في المملكة في ذي الحجة منها ، وجعل نيروز أتابكه ورتب أخاه خربندة بن ارغون بخراسان .

ذكر اسلام ملك التتر

قلت وفيها أسلم قازان ملك التتر وتلفظ بالشهادتين باشارة نائبه نيروز ونثر الذهب على الخلق ، وكان يوماً مشهوداً . ثم لقنه نيروز شيئاً من القرآن ، ودخل رمضان فصاموا ، وفشى الاسلام في التتر .

وفيها توفي خطيب دمشق شرف الدين أحمد بن أحمد المقدسي وقد نيف على السبعين . كان من كبار المفتين حسن الخط . وشيخ المشايخ عز الدين أحمد ابن ابراهيم الواسطي الفاروثي المقري المفسر الواعظ الخطيب في ذي الحجة بواسط ، وله ثمانون سنة . وشيخ الحرم الحافظ الفقيه محب الدين احمد بن عبد الله الطبري مصنف الأحكام وله تسع وسبعون سنة . وسلطان افريقية المستنصر بالله عمر بن يحيى بن عبد الواحد الهنتائي وملكه إحدى عشرة سنة والشيخ الصالح أبو الرجال المنيني صاحب الكشوف والأحوال عن نيف وثمانين سنة ، وكان له عظمة في النفوس . والله أعلم .

ذكر أخبار ملوك اليمن :

وفيها توفي صاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول التركماني بقلعة تعز فملكه نحو سبع واربعين سنة وملك بعده اكبر أبنائه الأشرف عمر ، وعمره لما تملك سبعون سنة ، وكان المؤيد داود بن يوسف عند موت والده بالشحر كان أبوه قد أعطاه إياها وأبعده اليها ، ولما بلغه موت والده تحرك ، وسار فاستولى على عدن فأرسل اخوه الأشرف عسكراً قـــاتلوه فكسروا المؤيد داود وأحضروه أسيراً فاعتقله الأشرف. وأقام الأشرف في الملك عشرين شهراً وتوفي فأخرج المؤيد من الاعتقال وملك اليمن الى سنة ثمان عشرة وسبعمائة .

وفيها أرسل العادل كتبغا وقبض على خوشداشه عز الدين أيبك الخزينة دار ، وعزله عن الحصون والسواحل بالشام ، ثم افرج عنه ، واستناب موضعه عز الدين ايبك الموصلي . وفيها قصر النيل عظيماً وتبعه غلاء وأعقبه وباء وفناء عظيم . وفيها في أوائلها لما ملك كتبغا أفرج عن مهنى بن عيسى وأخويه وأعادهم الى منزلتهم .

سنة خمس وتسعين وستمائة :

وفيها قدم من التتر نحو عشرة آلاف وافدين خوفاً من قازان وكان مقدمهم طرغيه من أكبر المغل زوجته بنت منكوتمر بن هولاكو الذي انكسر جيشه على حمص . ويسمى هؤلاء الوافدون العويراتيه ، كان طرغية قد اتفق مع بيدو على قتل كيختو بن ابغا فلما ملك قازان قصد قتل طرغية أخذاً بثأر عمه كيختو فهرب منه ، واكرمهم العادل كتبغا وأنزلهم بالساحل قرب قاقون وأدر عليهم الأرزاق وأحضر كبراءهم الى مصر وأقطعهم جليلا وخلع عليهم وقدمهم على غيرهم .

وفيها في شوال خرج العادل كتبغـا من مصر ووصل دمشق ثم حمص ثم

جوسية متصيداً . وكان قد اشتراها خراباً وعمرهـا فرآها وعاد إلى دمشق وعزل عز الدين ايبك الحموي عن نيابة الشأم وولى موضعه سيف الدين غرلو مملوك العادل كتبغا . وخرجت السنة والعادل بدمشق .

قلت : وفيها توفي قاضي القضاة تقي الدين عبـد الرحمان بن قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز بمصر كهلاً . وشيخ الحنفية الصاحب العلامة محيي الدين محمد بن يعقوب بن النحـــاس الأسدي الحلبي بالمزة ، وله إحدى وثمانون سنة . وشيخ الحنابلة العلامـــة زين الدين المنجا بن عثمان بن المنجا التنوخي المعري ، وله أربع وستون سنة . والزاهد الشيخ شرف الدين محمد بن عبد الملك بن عمر الأرزوي التونيني ببيت لهيا ، كان مقصوداً بالزيارة والتبرك . والله أعلم .

سنة ست وتسعين وستمائة :

ذكر استيلاء لاجين على السلطنة

وفي أوائلها سار كتبغا من دمشق إلى مصر فلمـا استقر بدهليزه على نهر العوجاء وتفرق مماليكه وغيرهم إلى خيـــامهم ركب حسام الدين لاجين المنصوري نائبه بصنجق ونقارة وانضم إليـــه البيسري وقره سنقر وقبجق المنصوريان والحاج بهادر الظاهري وغيرهم وبغتوا العادل الظهر في دهليزه فما لحق يجمع أصحابه وركب في نفر قليل فحمل عليه نائبه لاجين وقتل بكتوت الأزرق وبتخاص أكبر المماليك العادلية ، فهرب العادل إلى دمشق لأن فيها مملوكه غرلو ودخل قلعة دمشق وتأهب لقتال لاجين فلم يوافقه عسكر دمشق فخلع نفسه وقعد بقلعة دمشق وأرسل يطلب من لاجين الأمان وموضعاً يؤويه فأعطاه صرخد ، فاستقر العادل بها إلى أن كان ما سيذكر إن شاء الله تعالى . وأما لاجين فلما هزم العادل نزل بدهليزه على نهر العوجاء وشرط عليه الأمراء الذين وافقوه شروطاً التزمها :

منها : أن لا ينفرد عنهم برأي ولا يسلط مماليكه عليهم كما فعل كتبغا . وحلف لهم ثم حلفوا له وبايعوه بالسلطنة . وتلقب بالملك المنصور حسام الدين لاجين المنصور في المحرم منها ، ثم وصل بالعساكر إلى مصر ، واستقر بقلعة الجبـــل ، وجعل سيف الدين قبجق المنصوري نائب الشأم . وفيها أرسل المنصور لاجين الملك الناصر من القاعة التي كان فيها بقلعة الجبل إلى الكرك وسار معه سلار حتى أدخله إليها وعـاد إلى لاجين . وفيها أفرج لاجين عن بيبرس الجاشنكير وعدة أمراء قبض عليهم العـادل لما ملك . وفيها أعطى المنصور لاجين جماعة من مماليكه إمرة طبلخانات مثل منكوتمر وايدغدي شقير وبهادر المعزي .

سنة سبع وتسعين وستمائة :

ذكر تجريد العساكر الى حلب وبلاد سيس

وفيها جرد الملك المنصور لاجين جيشاً كثيفاً مع بـــدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح وعلم الدين سنجر الدواتداري وشمس الدين كريته ولاجين الرومي المعروف بالحسام أستاذ دار فساروا إلى الشأم ورسم بمسير عساكر الشام ، فسار البكي الظـاهري نائب صفد ثم سيف الدين قبجق نائب الشام ، وأقام قبجق ببعض العساكر بحمص ، وسار المظفر صاحب حمـــاه ووصل المذكورون حلب يوم الاثنين ثالث وعشري جمادى الآخرة سابع نيسان ، ثم ساروا إلى بلاد سيس فعبر صاحب حماه والدواتداري من دربندمري والباقون من بغراس ، واجتمعوا على نهر جيحان وشنوا الغـــارات في أواسط رجب وكبسوا وغنموا وعادوا إلى مرج انطاكية في حادي وعشرين رجب ، وسار صاحب حماه إلى جهة حماه ، ووصل قصطون فورد مرسوم لاجين باجتماع العساكر بحلب ودخولهم إلى سيس ثانياً .

قال المؤلف رحمه الله : فعدنا إلى حلب ثم إلى بلاد سيس ونزلنـــا على حموص يوم الجمعة تاسع رمضان منها ، وأقام أمير سلاح وصاحب حمـاه ومن انضم إليهما من عسكر دمشق على حموص وحصرناها ونزل باقي العسكر أسفل

Marfat.com

منها في الوطاة ، واشتد على العالم الكثير الذين بهـا العطش ، فهلك غالبهم ، فلما اشتد بهم الحال أخرجوا في السابع عشر من نزولنا نحو ألف ومائتين من النساء والأطفال فاقتسمهم العسكر واستمر الحال كذلك حتى كان ما يذكر .

فتح حموص وغيرها من بلاد الأرمن

تقدم في سنة أربع وستين وستمائة أسر ليفون بن هيتوم لما دخل العسكر صحبة المنصور صاحب حماه في أيام الظـــاهر بيبرس ، وكيف فداه أبوه ، وملك ليفون بعد أبيه مـــدة ، ومات عن بنين أكبرهم هيتوم بن تروس ثم سنباط ثم دندين ثم أوشين ، فلما مات ليفون ملك ابنه الأكبر هيتوم مـدة فجمع أخوه سنباط ووثب عليه وقبضه وسمله فعميت عينه الواحدة، واستمر في الحبس . وقبض على تروس ثم قتله وخلف تروس إبناً صغيراً .

واستقر سنباط في الملك ، واتفق دخول العسكر ومنازلة حموص في أيام سنباط فضاقت على الأرمن الأرض لكثرة ما غنم منهم وقتل ، ونسبوا ذلك إلى سوء تدبير سنباط وعـدم مصانعته المسلمين . وقصدوا إقامة أخيه دندين والقبض على سنباط ، فهرب إلى جهـــة قسطنطينية وتملك دندين وتسمى كسيندين أيضاً ، وبذل للعساكر الطاعة والإجابة إلى مرسوم سلطان الإسلام وانه نائبه ، فتسلموا منه كل ما هو جنوبي نهر جيحان من الحصون والبلاد ، ومنها : حموص وتل حمدون وكويرا والنقير وحجر شغلان وسرفندكار ومرعش وكلها حصون منيعة ما ترام . وكذلك سلم غيرها من البلاد ، وكان تسليم حموص في يوم الجمعة تاسع عشر شوال منها .

وأمر لاجين باستمرار عمارة هـــذه البلاد وما كان مصلحة فان الأرمن ملكوها سنة قازان ، وولى عليها لاجين نائباً ثم عزله ، وولاها سيف الدين اسندمر مع عسكر فأقام بتل حمدون ، وعادت العساكر إلى حلب تاسع ذي القعدة عاشر آب منهـا فورد مرسوم لاجين إلى سيف الدين بلبان الطباخي

بالقبض على جماعة من أمراء العسكر وعلموا ذلك وقبجق على حمص مستشعر من لاجين فهرب من حلب فارس الدين البكي نائب صفد وبكتمر السلحدار وبوزلار وعزاز إلى حمص ، واتفقوا مع قبجق على العصيان .

وفي أوائلها قبل تجريد العسكر قبض لاجين على نائبه قراسنقر واعتقله ، واستناب مملوكه منكوتمر الحسامي ، فتكبر وتحامق بما غير به الخواطر على أستاذه . وكذلك قبض لاجين على البيسري وعز الدين ايبك الحموي والحاج بهادر أمير حاجب وغيرهم .

وفيها اتهم قازان أتابكه نيروز بمكاتبة المسلمين وقتله ، ورتب موضعه قطلو شاه . **وفيها** وفد سلامش وهو مقدم ثمان من المغل كان بالروم وبلغه ان قازان يريد قتله فأكرمه لاجين وأنجده بعسكر مقدمهم سيف الدين بكتمر الجلمي وطمع سلامش باجتماع أهل الروم عليه وساروا حتى جاوزوا بلد سيس فخرجت التتر واقتتلوا فقتل الجلمي وجماعة من العسكر وهرب الباقون ، واعتصم سلامش في قلعة هناك ثم استنزله قازان وقتله شر قتلة . **وفيها** اتفق لاجين ونائبه منكوتمر وراكا الاقطاعات بالبلاد المصرية ، وفرقت المثالات فقبلها أربابها طوعاً وكرهاً .

وفيها توفي عز الدين ايبك الموصلي نائب الفتوحات ، وولاها سيف الدين كرد أمير آخور . **وفيها** في آخر ذي القعدة هرب قبجق والبكي وبكتمر السلحدار ومن انضم اليهم من حمص وساق خلفهم ايدغدي شقير مملوك لاجين من حلب في جماعة من العسكر المجردين ليقطعوا عليهم الطريق ففاتوهم وعبروا الفرات واتصلوا بقازان وأكرمهم حتى كان ما سيذكر إن شاء الله تعالى .

وفيها عاد المنصور صاحب حماه من حلب إلى حماه بأمر لاجين واستمرت العساكر بحلب حتى خرجت السنة .

Marfat.com

ذكر وفاة قاضي قضاة حماه

وفيها في ثامن وعشري شوال توفي القاضي بحماه **جمال الدين محمد بن سالم ابن واصل الشافعي** ، ومولده سنة أربع وستمائة ، كان مبرزاً في علوم كثيرة مثل المنطق والهندسة والأصولين والهيئة والتاريخ . وله مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، وله الأنبروزية في المنطق صنفها للأنبروز ملك الفرنج صاحب صقلية لما أرسله اليه الملك الظاهر بيبرس، واختصر الأغاني اختصاراً حسناً وله غير ذلك . وقرأ عليه المؤلف شرحه لعروض ابن الحاجب ، وكان يعرض على القاضي ما لم يحله من أشكال كتاب اقليدس ويستفيد منه وصحح عليه أسماء من له ترجمة في كتاب الأغاني .

قال المؤلف رحمه الله:قال القاضي جمال الدين المذكور[1]ووالد الانبراطور الذي رأيته إسمه فردريك وكان مصافياً للملك الكامل ، ومات سنة ثمان وأربعين وستمائة، وملك صقلية وغيرها من البر الطويل بعده ابنه كرا ثم مات كرا وملك أخوه منفريذا ؛وكل من ملك منهم يسمى أنبراطور ومعناه بالفرنجية ملك الأمراء . قال : ولما وصلت اليه أقمت عنده في مدينة من البر الطويل المتصل بالأندلس من مدائن أنبولية . وكان يحفظ عشر مقالات من كتاب إقليدس وبالقرب من البلد الذي كنت فيه مدينة «لو حارة» كلها مسلمون من جزيرة صقلية يعلن فيها بشعار الإسلام والأذان ، وأكبر أصحاب الأنبراطور منفريذا مسلمون ويعلن في معسكره بالأذان والصلاة ، وبين ذلك البلد وبين رومية خمسة أيام .

قال : وبعد توجهي من عنده اتفق البابا خليفة الفرنج ورند افرنس على قتاله ، وكان البابا قد حرمه لميل الأنبراطور إلى المسلمين . وكذلك كان أخوه وأبوه محرمين لميلهم إلى المسلمين ، قال : وحكي لي ان مرتبة الأنبراطور كانت قبل فردريك لوالده ولما مات كان فردريك شاباً وطمع في الأنبراطورية جماعة من ملوك الفرنج .

---

(١) كان القاضي جمال الدين قد توجه الى الامبراطور رسولاً من جهة الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر والشام في سنة ٦٥٩ هـ.

Marfat.com

وكان فردريك شاباً ماكراً وجنسه من الألمانية ، فاجتمع بكل واحد من الملوك الطامعين في الأنبراطورية بإنفراده وقال له : اني لا أصلح لهـذه المرتبة فاذا إجتمعنا عند البابا فقل ينبغي أن يتقلد الحديث في هـــذا الأمر ابن الانبراطور المتوفى ، ومن رضي به فأنا راضٍ به؛ فان البابا إذا ردّ الاختيار إليّ اخترتك وقصدي أنتمي اليك . فاعتقدوا صدقه في ذلك . فلما اجتمعوا عند البابا برومية قال البابا للملوك : ما تريدون ومن هو الأحق بهذه المرتبة ؟ ووضع تاج الملك بين أيديهم فكل منهم قال : حكمت فردريك في ذلك فانه ولد الانبراطور .فقام فردريك وقال أنا أحق بتاج أبي ومرتبته والجمـاعة قد رضوا بي ، ووضع التاج على رأسه فأبلسوا كلهم . وخرج مسرعاً وقد حصل جماعة من الألمانية الشجعان راكبين ، وسار بهم على حمية إلى بلاده . واستمر منفريذا بن فردريك في مملكته حتى قصده البابا ورند افرنس بجموعهما فقاتلوه وهزموه وقبضوا عليه وأمر البابا فذبح منفريذا وملك بلاده بعده رند افرنس سنة ثلاث وستين وستمائة ظناً .

سنة ثمان وتسعين وستمائة :

مقتل حسام الدين لاجين

فيها قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين : وثب عليه مماليك صبيان إصطفاهم ليلة الجمعة حـادي عشر ربيـع الآخر أول الليل فقتلوه وهو يلعب بالشطرنج ، وأول ضارب له بالسيف كرجي . وقصدوا قتل مملوكه نائبه منكوتمر فأجاره سيف الدين طغجي الأشرفي مقدم القاتلين، وحبسه في الجب ، ثم أخرجه كرجي وذبح على رأس الجب وعند الصبح جلس طغجي في موضع النيابة وأمر ونهى وهنـاك أمراء أكبر منـه مثل الحسام أستـاذ دار وسلار وبيبرس الجاشنكير فاتفقوا على الوقيعة بطغجي وإعادة ملك مولانا السلطان الملك الناصر المقيم بالكرك، واتفق بعد ذلك وصول العسكر المجردين على حلب أمير سلاح وغيره .

وأشار الامراء على طغجي بتلقي أمير سلاح فامتنع وعاوده فأجـــاب وركب من قلعة الجبل واستناب بها كرجي قاتل لاجين فلما اجتمع الأمراء لتلقي أمير سلاح تحدثوا في قتل الصبيان للسلطان وأنكروا مثل ذلك ونسبوا ذلك إلى طغجي وحطوا عليه بالسيف فهرب وأدركوه فقتلوه وقصدوا كرجي بقلعة الجبل فهرب واتبعوه فقتلوه في ربيع الآخر منها ، ومدة ملك لاجين سنتان وثلاثة أشهر .

عودة السلطان الملك الناصر إلى السلطنة

وفيها عاد السلطان الملك الناصر بن السلطـان الملك المنصور قلاوون إلى مملكته ؛فانه بعد ما ذكرنا اتفقت الأمراء على ذلك ، فتوجه سيف الدين آل ملك وعلم الدين الجاولي إلى الكرك وحضرا في خدمتـــه وصعد قلعة الجبل واستقر على سرير ملكه يوم السبت رابع عشر جمادى الأولى منهـــا وهي سلطنته الثانية، واستناب سلار وجعل بيبرس الجاشنكير أستاذ الدار وبكتمر الجوكندار أمير خزينة دار وجمال الدين أقوش الأفرم نائب الشـام وأفرجوا عن قره سنقر من الاعتقال بعد نحو سنة وشهرين ثم بعثوا به إلىالصبيبة وجهز تقليد صاحب حماه المظفر على عادته في جمادى الأولى منها .

وفيها في رمضان الموافق لحزيران جرد المظفر عسكر حمـــاه إلى حلب لتحرك التتر إلى الشأم ، وورد كتاب بلبان الطباخي بتراخي الأخبار فعادوا من المعرة إلى حماه ؛ ثم ورد كتابه بطلبهم فأعيدوا يوم وصولهم سابع عشر رمضان وحزيران [1] .

---

(١) وردت في هذا الموضع زيادة في تاريخ ابي الفداء ، (المختصر في أخبار البشر) : حيث قال أنهم بعد دخولهم حلب ، أرسل الملك المظفر يطلبه (أي المؤلف) من نـــائب السلطنة بمفرده ، فسار الى حماه الى خدمة ابن عمه الملك المظفر ، واستمر أخواه وغيرهما من الأمراء والعسكر مقيمين بحلب .

وفيها يوم الخميس ثاني عشر ذي القعدة **توفي السلطان الملك المظفر**(١) **صاحب حماه** وتقدم مولده ، فعمره إحدى وأربعون سنة وعشرة أشهر وسبعة أيام ، وملك حماه خمس عشرة سنة وشهراً ويوماً ، قصد جبل علاروز المطل على قسطون في شدة الحر ليرمي النسر من طيور الواجب ، وعمل كوخاً وقتل حماراً وانتظر نزول النسر على جيفته وهو بالكوخ ، فاتفق نزول النسر ولم يقدّر له رميه ، وأنتنت الجيفة فمرض ومرض المؤلف رحمه الله تعالى .

واتفق حضور الأمير صارم الدين أزبك المنصوري من التجريد بحلب لمرض زوجته فلحق السلطان قبل وفاته . واشتد بالمظفر المرض بحمى محرقة حتى توفي في التاريخ رحمه الله تعالى ، وحضر بعد وفاته إلى حماه من حلب أخوا المؤلف رحمه الله تعالى أسد الدين عمر وبدر الدين حسن إبنا الملك الأفضل ، واختلفوا فيمن يكون صاحب حماه فلم ينتظم في ذلك حال . ثم ان قره سنقر وهو بالصبيبة تضوَّر إلى الحكام بمصر من المقام بالصبيبة وقد اتفق موت صاحب حماه فأعطي قره سنقر النيابة بحماه ووصلها في أوائل ذي الحجة منها ونزل بدار المظفر صاحب حماه .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : وأخذ من تركة صاحب حماه ومنا أشياء كثيرة حتى أجحف بنا ، ووصلت المناشير من مصر باستمرارنا وغيرنا على ما بأيدينا .

وفيها أرسل بلبان الطباخي عسكراً نهبوا ربض ماردين حتى الجامع وعملوا الأعمال الشنيعة التي احتج بها قازان في قصد الشام . **وفيها** توفي بدر الدين بيسري في محبسه من حين حبسه لاجين . **وفيها** سار مولانا السلطان بعساكر مصر ، فأقام ببلاد غزة حتى خرجت السنة . **وفيها** توفي شمس الدين كريته أحد المقدمين الذين دخلوا بلد سيس وفتحوا ما ذكرناه .

---

(١) هو : تقي الدين محمود ابن السلطان الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب – انظر المختصر ج ٤ – ص ٤١ .

سنة تسع وتسعين وستمائة :

هجوم التتر واستيلاؤهم على دمشق

وفيها سار قازان بن ارغون بجموع عظيمـــة من مغل وكرج ومزندة وغيرهم ، وعبر الفرات وسار الى حلب ثم الى حماه، ثم نزل وادي مجمع المروج وسار مولانا السلطان بالعساكر ونزل ظاهر حمص ثم ساروا الى جهة المجمع . وكان سلار والجاشنكير هما المتغلبين على المملكة فطمع الامراء ولم يكملوا عدّة جندهم ، ثم التقوا العصر من نهار الاربعاء سابع وعشري ربيع الأول منها الموافق لثالث وعشري كانون الأول قرب مجمع المروج شرقي حمص على نصف مرحلة منها ، فولت ميمنة المسلمين ثم الميسرة وثبت القلب واحتاطت به التتر وجرى قتال عظيم وتأخر السلطان الى جهة حمص حتى أدركه الليل ، وتمت الهزيمة بالعساكر الاسلامية الى مصر وتبعهم التتر واستولوا على دمشق وساقوا الى غزة والقدس وبلاد الكرك وغنموا من الجفال شيئاً عظيماً .

ذكر المتجددات بعد الكسرة

كان قبجق وبكتمر السلحدار والبكي مع قازان منذ هربوا فلما استولى قازان على دمشق أخذ قبجق لأهلها ولغيرهم الامان من قازان ، وأمر قازان فحوصرت قلعتها والنائب بها سيف الدين أرحواش المنصوري فصبر واجتهد وأحرق الدور والمدارس التي تحت القلعة ودار السعادة وأماكن جليلة .

ولما وصل عسكر مصر أنفقت فيهم اموال جليلة وتأهبوا بالخيل والسلاح. وأقام قازان بمرج الزنبقية ثم عاد الى الشرق ، وقرر في دمشق قبجق في عدة من المغل ، فلما بلغ العساكر بمصر عود قازان خرجوا من مصر في العشر الاول من رجب منها ، وخرج السلطان الى الصالحية ثم اتفقوا على مقـــام السلطان بالديار المصرية ومسير سلار و بيبرس بالعساكر الى الشام . وكان

Marfat.com

قبجق وبكتمر السلحدار والالبكي قد كاتبوا المسلمين في الباطن وصاروا معهم ، فلما خرجت العساكر هرب قبجق ومن معه وفارقوا التتر الى جهة مصر ، وبلغ ذلك التتر المجردين بدمشق فقصدوا البلاد الشرقية .

ووصل قبجق والالبكي وبكتمر السلحدار الى السلطان بمصر فأحسن اليهم ووصل سلار والجاشنكير الى دمشق ورتبا في نيابة الشام الأمير جمال الدين اقوش الافرم على عادته ورتبا قره سنقر بحلب بعد عزل بلبان الطباخي عنها وإعطائه اقطاعاً بمصر ورتبا قطلو بك في نيابة الساحل عوض سيف الدين كرد فانه استشهد في الوقعة ، ورتبا في حماه زين الدين كتبغا المخلوع الذي كان أُعطي صرخد حتى استولى قازان على الشأم ، ثم سار الى مصر والتتر بالشأم . ثم سار مع سلار والجاشنكير الى الشام فرتباه في نيابة حماه فوصل كتبغا حماه في رابع وعشري شعبان منها وأقام بدار صاحب حماه المظفر ، وعاد سلار والجاشنكير الى مصر .

وفيها والتتر بالشأم استولى على حماه عثمان السبتاري من رجالة القلعة بها وحكم في البلد والقلعة . واستباح الحريم وأموال اهل حماه وسفك دم جماعة منهم الفارس ارلند مشد حماه وبعض أهل الباب بالغربي وشارك عثمان في الحكم رفيقه اسماعيل ثم غدر به فقتله . وانفرد عثمان بحكم حماه ، وقيل : انه تلقب بالملك الرحيم وبقي الى ان طلعت العساكر الاسلامية من مصر وأرسلوا الصارم ازبك الحموي الى حماه يكون فيها الى ان يصل كتبغا فعصي عثمان بالقلعة ثم تخلى عنه اصحابه وأمسك واعتقل ، وكان من خزينة دارية قره سنقر فلما وصل قره سنقر الى حماه متوجهاً الى حلب اطلق عثمان وشكى اليه وهو بتل صفرون اهل حماه ما فعل عثمان فيهم ، فارتشى قره سنقر من عثمان ما حصله وصحبه الى حلب وما مكن منه أحداً بعد ان حكم القاضي بسفك دم عثمان ، وبقي عند قره سنقر مكرماً الى أن هرب قره سنقر الى التتر فاختفى عثمان [1]

---

١ – ظل مختفياً الى أن ملك حماه الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ابي الفدا ، مؤلف =

Marfat.com

وفيها لما وصل قازان إلى الشام طمع الارمن في البلاد التي فتحها المسلمون منهم ، وعجز المسلمون عن حفظها ، فاحتلها الرجالة والعسكر فارتجعها الارمن وهي حموص وتل حمدون وكويرة وسرمند كار والنقير وغيرها ولم يسلم منها للمسلمين غير حجر شغلان .

وفيها أو التي قبلها لما ملك دندين ، بلد الأرمن ، أفرج عن أخيه هيتوم وجعله الملك وهو بين يديه ، وهيتوم أعور من حين سمله أخوه سنباط ، وبعد مدة غدر هيتوم بدندين وجازاه أقبح جزاء ، وقصد إمساكه فهرب إلى قسطنطينية ، ولما استقر هيتوم في مملكة سيس ، كان لأخيه تروس الذي قتله سنباط ابن صغير ، فأقام هيتوم هذا الصغير ابن تروس ملكاً ، وصار اتابكا للصغير ، وبقيا كذلك حتى قتلهما برلغي مقدم المغل بالروم .

سنة سبعمائة :

عودة التتر إلى الهجوم

وفيها عادت التتر إلى الشام ، وعبروا الفرات في ربيع الآخر ، وخلت بلاد حلب وسار قره سنقر بعسكر حلب إلى حماه ، وبرز كتبغا وعسكر حماه إلى ظاهر حماه ، في ثاني وعشري ربيع الآخر منها سادس كانون الأول ووصلت العساكر من دمشق ، واجتمعوا بحماه وأقامت التتر ببلاد يبرين وسرمين والمعرة وغيرها ينهبون ويقتلون . ووصل السلطان بالعساكر إلى العوجا واشتدت الأمطار والوحل حتى انقطعت الطرقات وتعذرت الاقوات وعجزت العساكر عن المقام على تلك الحال فعاد السلطان إلى الديار المصرية ، وتنقلت التتر ببلاد حلب نحو ثلاثة أشهر . وردّ الله التتر على اعقابهم بقدرته

= المختصر في أخبار البشر ، الذي تتبع عثمان وطلبه من نائب الشأم المقر السيفي ينكر فأمسكه من بلاد عجلون وأصله من بلد الشوبك وأرسله اليه معتقلا فضرب عنقه في سوق الخيل بحضرة العسكر رابع عشر شعبان سنة ست عشرة وسبعمائة .

Marfat.com

إلى بلادهم ، وعدّوا الفرات في أواخر جمادى الآخرة منها الموافق لأوائل آذار ، وعاد قره سنقر بعسكر حلب اليها وتراجعت الجفال .

وفيها لما وردت الاخبار بعود التتر إلى الشام استخرج من غالب الأغنياء بمصر والشام ثلث أموالهم لاستخدام المقاتلة . **وفيها** لما خرجت العساكر من مصر توفي سيف الدين بلبان الطباخي ودفن بأرض الرملة ، وورثه السلطان بالولاء . **قلت** : وكان شهماً وأنكى في التتر لما انكسر المسلمون سنة تسع وتسعين وستمائة . والله أعلم .

وفيها عزل كراي المنصوري عن السواحل ، وصار بدمشق أكبر الأمراء، وولي السواحل أسندمر الكرجي . **وفيها** ألزمت اليهود بلبس العمائم الصفر، والنصارى العمائم الزرق ، والسامرة الحمر . **وفيها** وصلت رسل قازان برسالة مضمونها الوعيد والتهديد فأعادوا الجواب كذلك . **وفيها** ولي البكي الظاهري الذي عاد من تقفيزة نيابة حمص ، وأُعطي قبجق الشوبك إقطاعاً وأقام بها . **وفيها** قتل جكا بن بغنة[1] أخاه تكا . **وفيها** جرى بين جكا ونائبه طيفور[1] قتال ، فانتصر طيفور ثم استنجد طيفور بطبطغا ، فهرب جكا إلى الاولاق قوم بتلك البلاد لصهر بينه وبينهم ، فغدر به ملك الاولاق واعتقله بقلعة طربو ثم قتله وبعث برأسه إلى القرم ، وصارت مملكة بغنة لطقطغا .

سنة إحدى وسبعمائة:

وفاة الحاكم بأمر الله

وفيها توفي الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد . **قلت** : ودفن عند السيدة نفيسة ، وكانت جنازته عظيمة مشهورة حضرها عامة الدولة والناس، ولم يركب أحد ، وخلافته أربعون سنة وأشهر ، والله أعلم ، وقرر في الخلافة بعده ابنه أبو الربيع سليمان المستكفي بالله .

---

(١) ورد الاسم في المختصر لأبي الفدا « نغية » وليس بغنة ، كما ورد اسم نائبه «طنفوز» وليس طيفور ، ولعل تسمية ابن الوردي أصح كما في بعض المراجع الأخرى .

Marfat.com

وفيها جرد من مصر بدر الدين بكتاش أمير سلاح وأيبك الخزينـة دار بالعساكر فوصلوا حماه وورد الأمر إلى كتبغا نائب حماه أن يسير بهم إلى بلاد سيس فخرج في الخامس والعشرين من شوال والعساكر صحبته ودخلوا حلب مستهل ذي القعدة ، ورحلوا ثالثة ودخلوا دربند بغراس سابع ذي القعدة ، وانتشروا في بلاد سيس فأحرقوا الزرع ونهبوا ونزلوا على سيس وزحفوا عليها [1] .

وفيها مات قبجبي بن أردنو بن دوشي خان بن جنكيز خان صاحب غزنة وباميان وغيرهما ، وترك بنيه بيـــان وكبلك وطقتمر وبغاتمر ومنغطاي وحاصي ، فاختلفوا بعده واقتتلوا ، ثم انتصر بيـان بن قبجبي ، واستقر في ملك غزنة .

وفيها توفي صاحب مكة أبو نمي محمد بن أبي سعد بن علي بن قتـــادة بن أريس بن مطاعن بن عبـــد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن الحسن بن علي رضي الله عنهم ، واختلف بنوه وهم رميثة وحميضة وأبو الغيث وعطيفة ، فتغلب رميثة وحميضة على مكة شرفها الله تعالى . ثم قبض بيبرس الجاشنكير على رميثة وحميضة في هذه السنة لما حج وتولاها أبو الغيث ، وبعد سنين أطلق رميثة وحميضة فغلبا على مكة وهرب عنها أبو الغيث ، ثم اقتتل رميثة وحميضة ، فانتصر حميضة واستقر في مكة ، ثم كان منه ما سيذكر .

سنة اثنتين وسبعمائة :

فتح جزيرة ارواد

في المحرم منها فتحت جزيرة أرواد في بحر الروم قبالة انطرسوس قريباً من الساحل اجتمع فيها كثير من الفرنج وبنوا فيهـا سوراً وتحصنوا وصاروا

---

١ – قال الملك المؤيد ابو الفداءفي تاريخه : وأخذنا من سفح قلعتها شيئاً كثيراً من جفال الأرمن وعدنا ووصلنا حاب تاسع عشر ذي القعدة منها ودخل زين الدين كتبغا حماه في السابع والعشرين من الشهر وقد ابتدأ به المرض .

Marfat.com

يطلعون منها ويقطعون الطريق على المترددين في ذلك الساحل والنائب بالساحل إذ ذاك اسندمر الكرجي . فسأل إرسال أسطول إليهـــا فعمرت الشواني وسارت إليها من الديار المصرية في بحر الروم ووصلتهـــا في المحرم ، وجرى قتال شديد ونصر الله المسلمين وملكوا الجزيرة وقتلوا وأسروا جميع أهلهـا وخربوا أسوارها وعادوا بالأسرى والمغنم .

عودة التتر الى مهاجمة الشام

وفيها عادت التتر إلى قصد الشام ونزلوا أزوار الفرات مدة وسار منهم نحو عشرة آلاف وأغاروا على القرينين ونواحيها، وكانت العساكر قد اجتمعت بحماه عند كتبغا نائبهـــا وهو مريض من عوده من سيس مسترخي الأعضاء فأرسل كتبغا جماعة من العسكر إلى التتر الذين أغـــاروا على القرينين ومنهم اسندمر نائب الساحل وجماعة من عسكر حلب وحماه ، ومنهم المؤلف رحمه الله تعالى ، وذلك في سابع شعبان منها . واتفقوا مع التتر على الكوم قريب عرض يوم السبت عاشر شعبان سلخ آذار وصبر الفريقان ثم انهزم التتر وترجل منهم جماعة كثيرة وأحاط المسلمون بهم بعد فراغ الوقعة وبذلوا لهم الأمـــان فلم يقبلوا وقاتلوا بالنشاب وعملوا السروج ستائر وناوشهم العسكر القتال من الضحى إلى انفراك الظهر ثم حملوا فقتلوهم عن آخرهم وكان هذا عنوان النصر الثاني، وعادوا منصورين فوصلوا حماه يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان ثاني نيسان.

هزيمة التتر وإبادة جيوشهم

وفيها بعد كسرة التتر على الكوم سارت جموع التتر العظيمـــة صحبة قطلو شاه نائب قازان ووصلوا حمـــاه واندفع كتبغا في محفة والعساكر الذين كانوا بحماه بين أيديهم ، **وأخر المؤلف**[1] رحمه الله تعالى لكشف التتر فوصل

---

١ – المؤلف المقصود هنا ، هو الملك المؤيد عمـــاد الدين اسماعيل أبي الفداء مؤلف « المختصر في أخبار البشر » ، وليس الشيخ زين الدين بن الوردي .

التتر حماه يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان وشاهدهم المؤلف بظاهر حماه فسار وأعلم كتبغا على القطيعة بالحال ، فسارت العساكر الاسلامية إلى دمشق ووصلت أوائل المصريين صحبة بيبرس الجاشنكير واجتمعت بمرج الزنبقية ظاهر دمشق ثم ساروا إلى مرج الصفر لما قاربهم التتر ، وانتظروا وصول السلطان . وعبر التتر على دمشق طالبين للعسكر ووصلوا اليهم عند شقحب بطرف مرج الصفر وساعة وصول التتر إلى الجيش وصل السلطان بباقي العساكر والتقى الجمعان بعد العصر نهار السبت ثاني رمضان منها في العشرين من نيسان ، واشتد القتال وتكردست التتر على الميمنة واستشهد من المسلمين خلق منهم رأس الميمنة الحسام أستاذ الدار ، وكان برأس الميمنة أيضاً قبجق فاندفع هو وباقي الميمنة بين أيدي التتر وأنزل الله نصره على القلب والميسرة ، فهزموا التتر وكثر القتل فيهم فولى بعض التتر مع توليه منهزمين ، وتأخر بعضهم مع جوبان ، وحال الليل بين الفريقين فنزل التتر على جبل بطرف مرج الصفر وأوقدوا النيران وأحاط المسلمون بهم .

وعند الصباح إبتدر التتر الهرب من الجبل وتبعهم المسلمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وتوحل في موحلة في طريقهم عالم عظيم منهم ، فأسر بعضهم وقتل بعضهم ، وساق سلار في جمع كثير في أسرهم إلى القرينين ، ووصلوا الفرات وهو في غاية الزيادة فالذي عبر هلك ، وساروا على جانب الفرات إلى جهة بغداد فانقطع أكثرهم ومات جوعاً على شاطىء الفرات وأخذت العرب منهم خلقاً وهذه بتلك وعادت العساكر إلى أماكنها .

وفيها ليلة الجمعة عاشر ذي الحجة **توفي زين الدين كتبغا** نائب حماه من مماليك السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي رقي حتى تسلطن وتلقب بالعادل وملك مصر والشأم سنة أربع وتسعين ، ثم خلع وأعطي صرخد سنة ست وتسعين وستمائة وجرى له ما قدمناه ؛ عاد من مرج الصفر

Marfat.com

إلى حماه وتوفي بعد مدة يسيرة . وجهز المؤلف[1] رحمه الله يلتمس من السلطان ملك حماه كاهله فوجد قاصده الأمر قد فات وقررت لقبجق المقيم بالشوبك ووعد المؤلف بحماه وحصل الاعتذار بوصول قاصده بعد انفصال الأمر فيها .

وفيها توفي فارس الدين البلي الظاهري النائب **بحمص** . **وفيها** توفي القاضي تقي الدين محمد بن دقيق العيد قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية إمام فاضل زاهد متقشف ، وولي موضعه القاضي بـــدر الدين محمد بن جماعة الحموي .

قلت : وما أحسن قول ابن دقيق العيد :

أتعبت نفسك بين ذلة كادح طلب الحياة وبين حرص مؤمل
وأضعت عمرك لا مسرة ماجن حصلت فيه ولا وقـار بجمل
وتركت حظ النفس في الدنيا وفي الأخرى ورحت عن الجميع بمعزل

وقوله :

كم ليلة فيك وصلنـا السرى لا نعرف الغمض ولا نستريح
واختلف الأصحاب ماذا الذي يزيل عنهم تعبـاً أو يريح
فقيـل تعريسهم ساعـة وقيل بل ذكراك وهو الصحيح

وقوله :

وكافات الشتاء تعد سبعـاً وما لي طاقـة بلقاء سبع
إذا ظفرت بكاف الكيس كفى فذلك مفرد يأتي بجمـع

وفيها زلزلت البلاد فانهدم بعض سور قلعة حماه وغيرهـا ، ومات تحت ردمهـا بالديار المصرية خلق كثير ، وخربت من أسوار الاسكندرية ستاً وأربعين بدنة .

---

١ – اعتذر السلطان للمؤلف (أبي الفدا) ، فيما بعد عن تمليكه حماه بأشغال تعوقه وتشغله وبأن خطابه وصل بعد أن ملك السلطان حماه لقبجق، كما سيأتي في أحداث سنة تسع وسبعمائة . وسيأتي أيضاً ذكر وعد السلطان بتولية المؤلف لحماه ، عندما قدم عليه بدمشق ، ثم اعتذاره إليه ثانياً ومنحها لأسندمر . في ص ٣٦٧ .

Marfat.com

سنة ثلاث وسبعمائة :

وفيها توفي **قازان بن ارغون** بن ابغا بن هولاكو بن طلو بن جنكيز خان بنواحي الري في أواخر السنة وملك سنة اربع وتسعين وستمائة فملكه نحو ثمان سنين وعشرة اشهر، غمه كسر عسكره فلحقته حمى حادة ومات مكموداً. وملك بعده اخوه خربنده وجلس في الثالث والعشرين من ذي الحجة، وتلقب الجايتو سلطان .

ذكر قدوم قبجق الى حماه :

لما أُعطي قبجق حماه ارتجعت منه الشوبك وكان مقيماً بها ، ودخل حماه صبيحة يوم السبت الثالث والعشرين من صفر ، ونزل بـدار الملك المظفر ، واستقرت قدمه بحماه .

وفيها يوم الأحد خامس جمادى الاولى توفيت عمة المؤلف رحمها الله تعالى مؤنسة خاتون بنت الملك المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وأمها غازنة خاتون بنت السلطان الملك الكامل ، ومولد مؤنسة سنة ثلاث وثلاثين وستمائـــة . عملت بحماه المدرسة الخاتونية بوقف جليل ، وهي آخر من بقي من أولاد الملك المظفر .

قلت : وفيها في المحرم توفي الامام القدوة الزاهد ولي الله الشيخ ابراهيم ابن احمد الرقي بدمشق ، وكانت جنازته مشهورة وحمل على الرؤوس وعاش بضعاً وخمسين. وكان صابراً على مر العيش، عارفاً بالتفسير والحديث والأصلين، حسن العبارة ، وله خطب وأشعار في الزهـــد ، ومولده بالرقة سنة سبع واربعين وستمائة .

وفيها توفي في صفر خطيب دمشق شيخ دار الحديث زين الدين عبد الله ابن مروان الفارقي وله سبعون سنة ، والله أعلم. **وفيها** خلا غالب الاصطبلات لموت الخيل . **وفيها** توجه المؤلف رحمه الله لحجة الاسلام وحج من مصر سلار

Marfat.com

وكثير من الأمراء وقفوا الاثنين والثلاثاء إحتياطاً . **وفي أواخرها** جرد عسكر مصر وقبجق وقره سنقر بعسكر حماه وحلب الى بلاد سيس ، وفتحوا تل حمدون بالأمان وهدموها ، وكان المؤلف بالحجاز .

سنة اربع وسبعمائة :

وفيها وصل من المغرب كثير صحبتهم رسول أبي يعقوب يوسف بن يعقوب المريني ملك الغرب الى مصر بهدية عظيمة خيل وبغال نحو خمسمائة بسروج ولجم ملبسة بالذهب المصري .

وفيها وصل الى مصر صاحب دنقلة أياي الاسود بهدية عظيمة رقيق وهجن وأبقار ونمور وشب وسنباذج ، وطلب نجدة من السلطان فجرد معه عسكراً مقدمهم طقصباً نائب قوص. **وفيها** أعيد رميثة وحميضة إبنا ابي نمي الى ملك مكة . **وفيها** توفي جماز بن شيحة صاحب المدينة الشريفة وملكها بعده إبنه منصور . **وفيها** وصل المؤلف رحمه الله تعالى الى حماه في عاشر صفر من الحج بعد زيارة القدس الشريف والخليل صلى الله عليه وسلم .

سنة خمس وسبعمائة :

في المحرم منها أرسل قره سنقر نائب حلب مع مملوكه قشتمر عسكراً الى سيس . وكان قشتمر ضعيف العقل مشتغلا بالخمر فاستهان بالعدو فجمع صاحب سيس سنباط من الارمن والفرنج والتتر ووصلوا على غرّة وقاتلوهم قرب اياس فانهزم الحلبيون يبتدرون الطريق وقتل منهم وأسر غالبهم واختفى من سلم في تلك الجبال ولم يصل الى حلب منهم إلا القليل عراة رجالة .

وفيها قطع خبز بدر الدين بكتاش أمير سلاح لكبره . **وفيها** أفرج عن الحاج بهادر الظاهري إعتقله لاجين . **قلت وفيها** في شوال توفي خطيب دمشق ومحدثها الشيخ شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع أخو الفركاح الفزاري .

والله أعلم . **وفيها** عصي أهل كيلان ، فسار قطلو شاه نائب خربندة لقتالهم، فكبسوه وقتلوه وجماعة من المغل .

ذكر اعتقال ابن تيمية بمصر

وفيها أحاطت عساكر الشام بجبال الظنينين المنيعة ، وكانوا عصـــاة مارقين ، وترجلوا عن الخيل وصعدوا في تلك الجبال من كل جانب ، وقتلوا وأسروا جميع من بها من النصيرية والظنينين ، وأمنت الطرق بعـدهم وكانوا يختطفون المسلمين ويبيعونهم من الكفار ، وكان الذي أفتى بذلك ابن تيمية وتوجه مع العسكر . **وفيها** استدعى الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية [1] من دمشق إلى مصر وعقد له مجلس واعتقل بما نسب اليه من التجسيم .

سنة ست وسبعمائة :

ذكر بعض ملوك بني مرين

وفيها قتل أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن حمامة المريني ملك المغرب وهو محاصر تلمسان من سنين كثيرة فلم يبق عندهم قوت شهر ففرج الله عنهم بقتله ، وذلك انه اتهم وزيره بحرمه ، واتهم زمامـــه عنبراً بمواطأة الوزير على ذلك وأمر بقتلهما ، ومروا بعنبر على الخدام فقال لهم : قد أمر بقتلي ، وسيقتلكم كلكم بعدي ، فهجم بعض الخدام بسكين على أبي يعقوب وقد خضب لحيتـــه بحناء ونام على قفاه فضربه في جوفه وهرب وأغلق الباب عليه فصاحت امرأة بخدمه فلحقوه وبـه رمق ، فأوصى إلى ابنه أبي سالم ومات . ولما جلس سالم قصده ابن عمه أبو ثابت عامر بن عبـد الله بن يعقوب بن الحق ، وقيل : أن أبا ثابت هو عامر بن عبد الله بن يوسف ابن أبي يعقوب فيكون ابن أخي أبي سالم ، لا ابن عمه .

وانضم مع أبي ثابت يحيى بن يعقوب عم أبي سالم ، فهرب أبو سالم منهما فأرسلا من تبعه وقتله وجاء برأسه . وملك أبو ثابت منتصف هـذه السنة ،

---

(١) أنظر ترجمة ابن تيمية ص ٤٤ من الجزء الثاني لفوات الوفيات .

Marfat.com

وأمر بقتل الخادم قاتل عمه ، فقتل ثم قتل الخدام بأسرهم وألقوا في النـــار وأباد كل خادم في مملكته . ثم وثب أبو ثابت على عمه يحيى ، فقتله ثاني يوم استقراره ثم سار إلى فاس وأرسل مستحفظاً من بني عمه اسمه يوسف بن أبي عباد إلى مراكش ، ثم خلع يوسف المذكور طاعة أبي ثابت عامر المذكور ، وكان منه ما سيذكر . **وفيها** توفي بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح بين قطع خبزه ووفاته أربعة اشهر .

سنة سبع وسبعمائة :

وفي أواخرها بطنجة توفي أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف أبي يعقوب ابن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن حمامة ملك الغرب ، وملكه سنة وكسراً. وملك بعده ابن عمه علي بن يوسف ثم خلعه الوزير وجماعـة بعد يومـــين ، وملكوا سليمان بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو ، فأعطى وأنفق ، وأطلق المكوس ، واعتقل علي بن يوسف المخلوع بطنجة ، واستقر ملكه . **وفيها** قتل برلغي أحد مقدمي المغل المقيمين ببـــلاد الروم صاحب سيس هيتوم بن ليفون بن هيتوم ، بعد أن ذبح ابن أخيه بروس الصغير على صدره وملك بعده أوسين أخو هيتوم ، ومضى الناق أخو هيتوم صحبـــة برلغي إلى خربندة وشكاه ، فأمر خربندة ببرلغي فقتل بالسيف .

قلت وفيها في الخامس والعشرين من شهر جمادى الأولى توفي شيخنا العارف القـدوة ذو الكرامات عبس بن عيسى بن علي بن علوان السرحاوي العليمي . وفيها نزل كراي المنصوري عن اقطاعه وعن الامرة ، وبقي بطالا حـــتى أقطعـه السلطان فيما بعد واستنابه بدمشق . **وفيها** توفي ركن الدين بيبرس العجمي الصالحي الجالق آخر البحرية وقد أسنّ .

سنة ثمان وسبعمائة :

وفيها يوم السبت الخامس والعشرين من رمضان ، خرج السلطان من مصر متوجهاً إلى الحجاز الشريف ومعه أمراء ، منهم عز الدين ايدمر الخطيري ،

Marfat.com

وحسام الدين قره لاجين ، وسيف الدين آ ل ملك وعيَّد بالصالحيـة ، ثم سار ووصل الكرك عاشر شوال ، ونائبها جمال الدين أقوش الأشرفي ، فاحتفـل بسماط وعبر السلطان على جسر القلعة ، والأمراء ماشون بين يديه والمماليك حول فرسه وخلفه ، فسقط بهم جسر القلعة ، وقد حصلت يد فرس السلطان وهو راكبه داخل عتبة الباب ، وأحس الفرس بسقوط الجسر فأسرع حتى كاد يدوس الأمراء بين يديه ، وسقط من مماليك السلطان خمسة وثلاثون وغيرهم من أهل الكرك ولم يهلك غير مملوك واحد ليس من الخواص ، ونزل في الوقت السلطان عند الباب وأحضر الجنوبات والحبال ورفعوا الذين سقطوا وداووهم فصلحوا قريباً ، وسعادة السلطان ولله الحمد خارقة للعوائد فإن هذا الجسر يقارب إرتفاعه خمسين ذراعاً .

بيبرس يتولى السلطة

ولما استقر السلطان بالكرك ، أمر أقوش نائبها والأمراء الذين حضروا معه بالمسير إلى مصر ، وأعلمهم أنه جعل الحجاز وسيلة إلى المقـــام بالكرك وسببـه استيلاء سلار وبيبرس الجاشنكير على المملكة والأموال ، ومحاصرتهما له بالقلعـــة وغير ذلك . ووصلت الأمراء مصر ، وأعلموا من بها بذلك . فاتفقوا على سلطنة بيبرس ونيابة سلار كما كان ، وركب بيبرس بشعار السلطنة إلى الإيوان الكبير بقـلة قلعة الجبـل وجلس على سرير الملك يوم السبت الثالث والعشرين من شوال منهـــا ، وتلقب بالمظفر ركن الدين بيبرس المنصوري وأرسل إلى الشام خلف النواب .

وفيها ملكت الاستبار[1] جزيرة رودس من الاشكري صاحب قسطنينية ، فصعب على التجار الوصول في البحر إلى هذه البلاد لمنع الاستبار من يصل إلى بلاد الإسلام .**وفيها** مات الأمير خضر بن الملك الظاهر بيبرس بباب القنطرة جهزه الأشرف وأخاه إلى قسطنطينية فبقي مدة وتوفي سلامش هنـاك ، ثم عاد خضر وأقام بالقاهرة حتى توفي .

---

(١) من الفرنج ، وجاء الاسم « الفرنج الاستبتار » في ج ٤ ص ٥٥ ـ المختصر .

سنة تسع وسبعمائة :

وفيها وصل من مصر جمال الدين اقوش الموصلي قتّال السبع مملوك لؤلؤ صاحب الموصل، ولاجين الجاشنكير الزير تاج في ألفي فارس من مصر، وجرد قبجق المؤلف رحمه الله تعالى في جماعة من عسكر حماه فدخلوا حلب يوم الخميس تاسع عشر ربيع الآخر ، الخامس والعشرين من أيلول ، وكان النائب بحلب قره سنقر ، ووصل الحاج بهادر الظاهري في جماعة من عسكر دمشق فاستمال قره سنقر الناس إلى طاعة مولانا السلطان باطناً ، وأخذ يقبح عندهم طاعة الملك المظفر بيبرس .

العودة الثالثة للسلطان الملك الناصر الى السلطنة

وفيها سار جماعة من المماليك على حمية إلى الكرك وأعلموا السلطان بما الناس عليه من طاعته ومحبته فأعـــاد خطبته بالكرك ، ووصلته مكاتبات عسكر دمشق يستدعونه ، وكذلك مكاتبات حلب فسار بمن معه من الكرك في جمادى الآخرة منها ، ووصل إلى حمان قرية قريبة من رأس الماء فعمل أقوش الأفرم عليـه وأرسل قره بغا مملوك قره سنقر إليه برسالة كذب عن قره سنقر وكان قره بغا قد وصل إلى الأفرم بمكاتبة تتعلق به خاصة فأرسله الأفرم إلى السلطان فسار من دمشق ولاقى السلطان بحماه وأنهى إلى السلطان ما حمله الأفرم من الكذب المقتضي رجوع السلطان فظنه السلطان حقاً ورجع إلى الكرك فاستدعته العساكر ثانيـاً وانحلت دولة بيبرس وجوهر بالخلاف ، وبلغ ذلك العساكر المقيمين بحلب فساروا بغير دستور .

وسار المؤلف بمن معه من عسكر حماه بعدهم ولمـا تحقق السلطان صدق الطاعة خرج من الكرك ثانياً وساق وخرجت عساكر دمشق لطاعته وتلقته وهرب الافرم نائب دمشق، ووصل السلطان دمشق يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان منها الموافق لعشرين كانون وهيئت له قلعة دمشق فلم ينزل بها ونزل بالقصر

الأبلق وأرسل الافرم يطلب الامان من السلطان فأمنه وقدم الى طاعته ، وسار قبجق من حماه بالعسكر الحموي واسندمر بعسكر الساحل ووصلوا دمشق وقدم المؤلف رحمه الله تعالى تقدمة منها مملوكه طغز تمر فقبلها ووعده بحماه ووصل قبلهم بكتمر أمير جندار من صفد . ولما تكاملت العساكر الشامية عند السلطان احضر الى دمشق حواصل الكرك وأنفق في العسكر وسار بهم من دمشق يوم الثلاثاء تاسع رمضان عاشر شباط ، وبلغ بيبرس ونائبه سلار ذلك فجردا عسكراً ضخماً مع برلغي وغيره فساروا الى الصالحية وأقاموا بها وبرلغي من أكبر أصحاب بيبرس وكان الشاعر أراده بقوله :

فكان الذي استنصحت أول خائن وكان الذي استصفيت من أعظم العدى

وسار السلطان بالعساكر والفصل شتاء والخوف شديد من الامطار والوحل فقدَّر الله الصحو والدفء حتى وصلوا غزة يوم الجمعة تاسع عشر رمضان فقدم الى طاعته عسكر مصر شيئاً فشيئاً برلغي وغيره بعدة كثيرة من العسكر ثم تتابعت الاطلاب من الامراء والمماليك والاجناد يقبلون الارض ويسيرون صحبته . ولما تحقق بيبرس ذلك خلع نفسه من السلطنة ، وأرسل بيبرس الدواتدار وبهادر يطلب الامان وان يعطيه إما الكرك أو حماه أو صهيون وان يكون معه من مماليكه ثلاثمائة فأجيب الى مائة مملوك وإلى صهيون ، وهرب الجاشنكير من قلعة الجبل الى جهة الصعيد ، وخرج سلار الى طاعة السلطان ، وتلقاه يوم الاثنين التاسع والعشرين من رمضان قاطع بركة الحجاج وقبل الارض وضرب للسلطان الدهليز بالبركة في النهار المذكور ، وأقام بها يوم الثلاثاء سلخ رمضان وعيّد يوم الاربعاء بالبركة .

ورحل السلطان في نهاره والعساكر المصرية والشامية في خدمته وعلى رأسه الجتر ووصل وصعد قلعة الجبل واستقر على سرير ملكه بعد العصر من نهار الاربعاء مستهل شوال منها رابع آذار وهي سلطنته الثالثة .

وفي يوم الجمعة ثالث شوال الثالث من وصول السلطان سار سلار من قلعة

Marfat.com

الجبل الى الشوبك أنعم بها عليه وقطع خبزه من الديار المصرية ، واستناب السلطان قبجق بحلب وارتجع منه حماه ، وسار قبجق من مصر يوم الخميس تاسع شوال ، ورسم لعسكر حمـــاه بالمسير معه ، واعتذر السلطان للمؤلف رحمه الله بأنه إنما أخر تمليكه حماه لمهمات وأشغال تعوقه وأنه لا بد من إنجاز وعده فعاد مع قبجق الى الشأم ، ثم رسم السلطان للافرم بصرخد فسار اليها واستناب قره سنقر بالشام والحاج بهادر الظاهري بحماه، ثم ارتجعها منه وقرره بنيابة الفتوحات والحصون بعد عزل اسندمر عنها .

وكان قد حصل بين المؤلف رحمه الله تعالى وبين اسندمر عداوة مستحكمة لميله الى أخيه الامير بدر الدين حسن ، وقصد ان يعدل بحماه عنه اليه فلم يوافقه السلطان على ذلك ، فلما رأى ان السطان يعطي المؤلف تغمده الله برحمته حماه طلبها أسندمر لنفسه فما أمكن السلطان منعه منها ، فرسم له بحماه ، وتأخر حضوره لأمور اقتضت ذلك . واستناب السلطان سيف الدين بكتمر الجوكندار بالديار المصرية ولما هرب بيبرس الجاشنكير أخـــذ معه أموالاً وخيولاً وتوجه إلى جهة الصعيد ، ولما استقر السلطـان أرسل فارتجع منه ما أخذ من الخزائن بغير حق .

ثم قصد بيبرس المسير إلى صهيون فبرز من أطفيح إلى السويس وسار إلى الصالحية ثم إلى العنصر قرب الداروم ووصل إلى قره سنقر وهو متوجـه إلى نيابة الشأم المرسوم بالقبض على بيبرس فركب قره سنقر وكبسه وقبض عليه بالمكان المذكور وعاد به إلى الحظارة فوصل من عند السلطان اسندمر الكرجي وتسلمه وعاد قره سنقر إلى الشام وأوصل اسندمر بيبرس إلى قلعـة الجبل واعتقل يوم الخميس رابع عشر ذي القعدة منهـــا فكان آخر العهد به ومدة ملكه أحد عشر شهراً .

تفانى الرجال على حبها وما يحصلون على طائل

قلت : وأما سلار فاشتد خوفه ووجله بالشوبك فنزح إلى البرية ثم خذل

Marfat.com

وأرسل يطلب أماناً ليقيم بالقدس فأجيب وساقه حتفه إلى القاهرة فأحضره السلطان وعاتبه ثم اعتقل ومنع من الزاد حتى مات جوعـــاً وفي اهرائه نحو مائتي ألف أردب وقيل : وجد وقد أكل خفه ، وكان من التتار العويرامية ومات في جمادى الأولى سنة عشر وسبعمائة ، ووقفت على مسودة بمـا وجد في داره من صناديق ضمنها جواهر وفصوص ماس ولآلىء كبار ومصاغ وعقود وقناطير مقنطرة ذهباً وفضة وسروج مزركشة وأقمشة وعدد وخيل وجمال وغير ذلك مما يفوت الحصر . والله أعلم .

وفيها غلب ببان بن قبجي على مملكة أخيـه كتلك واتفق موت كتلك عقيب ذلك فاستنجد ابنه قشتمر وطرد عمه ببان واستقر في ملك أبيه كتلك وقيل : ان الذي طرد ببان هو أخوه منغطاي بن قبجي . **وفيها** وردت الأخبـــار أن الفرنج قصدوا نصر بن محمد بن الأحمر ملك غرناطة بالأندلس فاستنجد بسليمان المريني صاحب مراكش واقتتلوا قرب غرناطـــة فقتل من الفريقين عـالم عظيم ثم هزم الله الفرنج . **وفيها** تزوج خربنده ملك التتر بنت الملك المنصور غازي بن قره أرسلان صاحب مـاردين وحملت إلى الأردو .

قلت : وهذا آخر ما وقف عليه المؤلف رحمه الله تعالى فيما علمت ، ومن **هنا شرعت في التذييل عليه فقلت** : **وفيها** أعاد السلطان قاضي القضاة تقي الدين سليمان بن حمزة المقدسي الحنبلي إلى القضاء بدمشق وخلع عليه وكان قد عزله الجاشنكير من نحو ثلاثة أشهر بشهاب الدين بن الحافظ .

وفيها هاجت القيسية واليمانية بحوران على عادتهم وحشدوا وبلغت المقتلة قرب السويداء نحو ألف نفس. **وفيها** توفي شمس الدين سنقر الأعسر من أعيان الأمراء ذوي السطوة ولي الشدّ بالشام والوزارة بمصر .

سنة عشر وسبعمائة :

وفيها وصل أسندمر إلى حماه نائباً عليهـا وعلى المعرة وتعرض إلى أموال

Marfat.com

الناس . **وفيها** صرف ابن جماعة عن قضـــاء الديار المصرية ، وولي مكانه جمـــال الدين الزرعي ، وصرف شمس الدين السروجي ، وطلب القاضي شمس الدين بن الحريري فولي قضـاء الحنفية بالديار المصرية فتوفي السروجي المذكور بعد أيام قليلة . **وفيها** مات بطرابلس نائبها الحاج بهادر الحموي وقد كبر ومات بحلب نائبها سيف الدين قبجق المنصوري بالإسهال ونقل إلى تربته بحماه ثم ناب بحلب اسندمر فسار في حلب بسيرته في حماه . **وفيها** استنـاب السلطان بحماه عماد الدين اسماعيل بن الملك الأفضل علي بن المظفر محمود صاحب حماه . **قلت** :

وفـاز المؤيد في يومـــه بما كان يرجوه في أمسه
وكم قد شكى الحيف من دهره فأنصفـه الدهر من نفسه

وفيها تحوّل الأفرم من صرخد إلى نيابة طرابلس . **وفيها** في رمضان توفي بتبريز الشيخ قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي صـاحب التصانيف وهو في عشر الثمانين ، كان غزير العلم واسع الصدر ، حسن الأخلاق وجيهـاً عند التتر وغيرهم . **قلت** :

لقد عدم الإسلام حبراً مبرزاً كريم السجايا فيه مع بعده قرب
عجبت وقد دارت رحا العلم بعده وهل للرحا دور وقد عدم القطب

سنة إحدى عشرة وسبعمائة :

في أولها نقل قره سنقر من دمشق إلى نيابة حلب وولي نيابة دمشق كراي المنصوري . وكان شيخنا صدر الدين بن الوكيل قد انتقل من دمشق إلى حلب خوفاً من قره سنقر فلما وصل قره سنقر إلى العين المبـاركة بالقرب من حلب خرجنا مع الشيخ للقاء قره سنقر فأقبل عليـه ، وشكى إلى صدر الدين من الدماشقة ، فقال صدر الدين : أنا رجل لست من دمشق وإنمـــا أنا من أهل المغرب وهنأه الشيخ صدر الدين بقصيدة جيدة أولها :

Marfat.com

هب النسيم فعاش من نفحاتـــه وسرى سمير البرق في لمحاتـــه
يطوي إلى حلب الفلا والشوق كل ردائه والوجـــد بعض حداته
ما لاح برق بالعواصم ساطع إلا حـكاه القلب في خفقاته
حيا الحيـــا حيا بمنعرج اللوى بانوا فبان الصبر عن باناته
حيوا على الوادي فأحيوا ميتـاً مضنى قتيل ظبائه وظباتـــه
يا سعد ساعدني وكن لي مخبراً فالخبر عزّ عن الكئيب بذاته
هاتيك للساري تشب على الغضا أم ذاك نور لاح في مشـكاته
أم هذه حلب بنائبها أشرقت شمس الممالك من سما بصفاته
شمس سما فوق السماك محـــله وسبى سناه البدر في هالاته
بالسيف والقلم ارتقى فمضاء ذا لعداته ومضي ذا لعداتـــه
ما البحر من نظرائه وكفاته بل ذاك من وكفاته وكفاته
فالعلم بين بيانـــه وبنانـــه والحلم من أدواته ودواتـــه
وحديث كل الجود عنه مسند متواتر قد صح عنـد رواته
يروي فيروى كل ظمآن الحشا فالناس بين رواتـه ورواته
يا مالك الأمراء بل يا شمسهم يا من أضاء الكون من بهجاته
قد كان في حلب وفي سكانهـــا شوق إليك يشب في لفحاتـه
يبكي لغيبتك السحاب وروضها يرجو اللقا فافتر ثغر نباتـه
وتمايلت أغصانهـــا طرباً وقد غنّى الحمـــام ورنّ في باناته
وأتيتها بالعدل تشرق ربعهـــا وتزيل ظلماً زاد في ظلماتـه
فتباشرت سكانهـــا وربوعهـا ودعوا لمالكهـــا على عوداته
الناصر الملك الذي خجل الحيا من جوده والليث من سطواتـه
اسكندر الدنيا وكسرى عصره لو عاش تبع مات من تبعاته
من أطد الدنيا وسكن بيدهـا أو ضم بيت الملك بعد شتاته
تشتاقه بغـداد وهي عروسه خطبته واشتاقت إلى خطباته
فالله ينصره ويحرس ملكه ويمتع الدنيـــا بطول حياته

Marfat.com

وفيها في ربيع الآخر أعيد ابن جماعـــة إلى قضاء الديار المصرية وتقرر للزرعي المصروف قضاء العسكر . وفيها في جمـادى الأولى عزل كراي عن نيابة دمشق وقيد وحبس هو وقطلو بك نائب صفد بالكرك وقبض قبلها على اسندمر من حلب وسجن بالكرك ، وفرح الناس بنكبته فرحاً شديداً ، ثم ناب بدمشق جمال الدين أقوش الأشرفي الذي يعرف بنائب الكرك . وفيها توفي الحافظ البارع قاضي القضـــاة سعد الدين مسعود بن احمد الحارثي الحنبلي بمصر .

سنة اثنتي عشرة وسبعمائة :

ذكر هروب الأفرم وقراسنقر الى خربندا

وفيها في أولها تسحب من دمشق عز الدين الزردكاش وبلبـان الدمشقي وأمـــير ثالث إلى الأفرم نائب طرابلس ثم ساقوا بمماليكهم إلى قره سنقر المنصوري وكان قد سبقهم وأقام بالبرية في ذمام مهنا بن عيسى ملك العرب ، فاحتيط على أموالهم وأملاكهم ثم عبروا الفرات إلى خربنـــده ملك التتر فاحترمهم وأقبل عليهم .

وفيها **مات صاحب ماردين الملك** المنصور غازي بـــن المظفر أرسلان الارتقي في عشر السبعين ، ودولته نحو عشرين سنة . وملك بعده إبنه علي ، فعاش بعده سبعة عشر يوماً ومات ، فملك أخوه الملك الصالح. وفيها أمسك من حمص نائبها بيبرس العلائي، ومن دمشق بيبرس المجنون ، وبيبرس التاجي وطوغان وسيف الدين كشلي والبرواني وحبسوا بالكرك ، وأمسك بمصر جماعة . وفيها في ربيع الأول طلب إلى مصر أقوش الكركي نائب دمشق . وفيها في ربيع الآخر قدم ملك الامراء سيف الدين تنكز الناصري نائباً بالشام وحضر يوم الجمعة بالجامع الاموي ، وأوقد له الشمع ، وولي نيابـــة مصر بعده سيف الدين أرغون الدواتدار الناصري .

Marfat.com

ذكر الخوف من هجوم التتر

وفيها في أوائل رمضان قويت أراجيف مجيء التتر ، وأجفل النـــاس ونازل خربنـــده بجيوشه الرحبة فحاصرها ثلاثة وعشرين يوماً ورموها بالمجانيق وأخذوا في النقوب ، ثم أشار رشيد الدولة على خربنده بالعفو عن أهلها وأشار عليهم بالنزول إلى خدمة الملك ، فنزل قاضيها وجماعة وأهدوا الخربنده خمسة افراس وعشرة اباليج سكر ،فحلفهم على الطاعة ورحل عنهم.

وأمـــا أهل الشام فجفلوا من كل جانب لتأخر الجيوش المنصورة عنهم يسيراً لأجل ربيع خيلهم . ثم جاءت الأخبار في آخر رمضان برحيل التتر وحصل الأمن وضربت البشائر ، وأما السلطان فإنه عيّد وسار فوصل دمشق في الثالث والعشرين من شوال ، وكان يوماً مشهوداً ونزل بالقصر وصـــلى الجمعة وعمل دار العدل بحضور القضاة وكثر الدعاء له ، وفي ذي القعدة توجه السلطان إلى الحج .

وفيها مات طقطقاي ملك القفجاق وله ثلاثون سنـة وجلس على السرير وهو ابن سبع سنين مات كافراً يعبد الاصنام ، وكان يحب أهل الخير من كل ملة ويرجح المسلمين ، ويحب الحكماء وجيوشه كثيرة جداً ، وقع بينه وبين أعداء له حرب فجرد من كل عشرة واحداً فبلغت عدة المجردين مائتي الف فارس وخمسين الف فارس . وكان له ابن بديع الحسن ، ونوى إن ملك البلاد أن لا يترك في مملكته غير الاسلام فمات في حياة والده ، وترك ولداً وعهد اليه جده فلم يتم أمره ، وملك بعده أزبك خان بن أخيه ، وهو شاب مسلم شجاع متسع المملكة مسيرتها ستة أشهر لكن مدائنها قليلة .

سنة ثلاث عشرة وسبعمائة :

وفيها وصل السلطان من الحجاز في حادي عشر المحرم وصلى بجامع دمشق جمعتين ثم سار إلى مصر . **وفيها** كان روك اقطاعات الجيوش المنصورة .

Marfat.com

وفيها توفي بحلب المعمر علاء الدين بيبرس التركي العديمي ، وقد نيف على السبعين .

سنة اربع عشر وسبعمائة :

في رجب منها توفي بحلب نائبها سيف الدين سودي ، وكان مشكور السيرة ودفن بالمقام ، وبنيت عليه تربة ورتب عليه قراء وما يليق به . **وفيه** توفي بهاء الدين علي بن أبي سوادة ، صاحب ديوان الانشاء بحلب ، وله نظم ونثر متوسط وينسب إلى التشيع . **وفيه** توفي محيي الدين محمد بن أبي حامد المهذب المعري ، ناظر بيت المال بحلب فجأة ، وبيتهم بالمعرة بيت كبير خرج منهم فضلاء ، وقراء وعلماء ومؤرخون وشعراء ، وكان جدهم المهذب ابن محمد بدلاً من الأبدال فيما يذكر .

وفيها ولي بحلب بعد سودي الأمير علاء الدين الطنبغا الصالحي الحاجب ، فانتفعت به حلب وبلادها ، وعمر جامعه بالميدان الأسود ، ونقل إليه أعمده عظيمة من قورس ، وعمرت بسبب هذا الجامع أماكن كثيرة حوله . **وفيها** في رجب مات بمصر شيخ الحنفية رشيد الدين اسماعيل بن عثمان بن المعلم وقد كان عرض عليه قضاء دمشق فامتنع . **قلت :**

أقسمت بالله لقد كان في ترك الرشيد الحكم رأي سديد
ففاز من حجر عظيم وهل يرضى بضرب الحجر وهو الرشيد

وفيها قدم سلطان جيلان شمس الدين دوباح ليحج فمات بقباقب من ناحية تدمر ونقل فدفن بقاسيون ، وعملت له تربة حسنة وعاش أربعاً وخمسين سنة ، وهو الذي رمى خطلو شاه بسهم فقتله وانهزم التتر وهلك خطلو شاه على كفره وهو مقدم العدو في ملحمة شقحب .

Marfat.com

سنة خمس عشرة وسبعمائة :

ذكر فتوح ملطية

وفيها في أولها سار ملك الأمراء سيف الدين تنكز بجيش دمشق وتقدمه ستة آلاف من عسكر مصر إلى حلب ثم سار من حلب لغزو ملطية[1] فصبحوها يوم الحادي والعشرين من المحرم وإذا أهل ملطية قد تهيؤوا للحصار والدفع عن أنفسهم؛ فلما عاينوا كثرة الجيوش المحمدية خرج القاضي والوالي في جماعة يطلبون الأمان على أنفسهم وأموالهم فأمنهم ملك الأمراء دون النصارى . ثم دخل العسكر ملطية ، وقتلوا بها خلقاً من النصارى ، وسبوا ونهبوا ، وتعدى الأذى من أوباش الجيش إلى المسلمين ، ثم القيت فيها النار وخرب من سورها ، ثم ساروا بعد ثلاث بالغنـــائم ، وقطعوا الدربند ، وضربت البشائر وزينت البلاد .

وفيها في المحرم مات بالموصل عالم تلك الأرض السيد ركن الدين حسن ابن محمد بن شرفشاه الحسيني الاستراباذي صاحب التصانيف وكان ابن سبعين سنة . **وفيها** في شعبان سار شطر جيش حلب لحصار قلعة عرقينة من أعمال آمد فتسلموها بالأمان بلا كلفة ، وقتلوا بهـــا طائفة ، وسلخ أخو مندوه وعلق على القلعة وأغار العسكر على قرى الأرمن والأكراد ورجعوا سالمين بالمـــكاسب .

وفيها في ذي القعدة وكنت [2] مقيماً بدمشق توفي فجأة قاضي القضاة

---

(١) ذكر أبو الفدا في هذا الموضع ، سبب الغزوة . قال : إن المسلمين الذين كانوا بها قد اختلطوا بالنصارى ، حتى انهم زوجوا الرجل النصراني بالمسلمة ، وكانوا يراسلون التتر ، ويعرفونهم بأخبار المسلمين . كما أنهم قاموا بأسر بعض « غيارة » المسلمين الذين كانوا يغيرون من حصون الأطراف على بلاد الروم وقتلوا جماعة منهم بعد أسرهم . كما أورد أبو الفدا فتح ملطية بتفصيل أكثر . ص ٧٤ / ج ٤ – المختصر .

(٢) الحديث هنـــا على لسان أبي الفداء . وليس حديث ابن الوردي .. وهكذا حتى كلمة « قلت » .

تقي الدين سليمان بن حمزة المقدسي الحنبلي وله ثمان وثمانون سنة ، وكان مسند الشأم في وقته ، حسن الوجه محبوب الشكل طيب الأصل رحمه الله تعالى . **وفيها** في سادس جمادى الآخرة توفي بهـــاء الدين عبد السيد كان ديان اليهود بدمشق فأسلم هو وأولاده وحسن إسلامه . **قلت :**

وعمر إسلامـــه بيته وخرّب أبيات أخصامه
وأحزن ذلك حزانهم وأفرح موسى بإسلامه

سنة ست عشر وسبعمائة :

في المحرم منها تكملت تفرقة المثالات بالاقطاعـــات بعد الروك وأبطل السلطان بعض المكوس بالديار المصرية[1] . **وفيها** في ثاني عشر المحرم توفي الشيخ ناصر الدين أبو بكر المعروف **بابن السلار** فاضل شاعر حسن العبارة من بيت إمارة . **وفيها** في سادس عشر صفر قرىء تقليد الامام الزاهد قاضي القضاة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مسلم بقضاء الحنابلة بدمشق بعد وفاة القاضي تقي الدين بنصف شهر واستناب الشيخ شرف الدين بن الحافظ المقدسي.

وفيها في ربيع الآخر قدم الأمير فضل بن عيسى أخو مهنا الى دمشق ومعه مرسوم ان يكون عوضاً عن أخيه مهنا في إمرة العرب بسبب دخول مهنا مع قره سنقر الى بلاد التتر . **وفيها** في آخر ربيع الآخر باشر قاضي القضاة نجم الدين بن صصري مشيخة الشيوخ بدمشق عند الصوفية بالسميساطية، إختاره الصوفية وسألوا توليته عليهم . **وفيها** في رمضان توفي الشيخ الامام محب الدين ابو الحسن علي بن تقي الدين ابي الفتح محمد بن مجد الدين علي بن

---

(١) بدأ أبو الفدا في « المختصر » حوادث السنة ، بذكر حصول سيول عظيمة في بلاد حلب وحماة وحمص ، وغرق أهل ضيعة من بلاد حمص بما يلي جوسيه . كذلك تحدث أبو الفدا طويلاً في هذه السنة عن سيره إلى مصر وعوده إلى المعرة ، وتكريم السلطان له .

Marfat.com

وهب المعروف **بابن دقيق العيد** بالقاهرة، ودفن عند والده بالقرافة وهو زوج إبنة الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين رحمه الله تعالى .

وفيها في شوال توفيت والدة الشيخ تقي الدين بن تيمية، وهي ست النعم بنت عبدوس الحرانية، ولدت تسعة بنين ولم ترزق بنتاً وكانت صالحة خيرة . **وفيها** في ذى القعدة وصل بكتمر الحاجب منعماً عليه بعد السجن وتوجه الى نيابة صفد ونقل قاضي صفد حسام الدين القرمي الى قضاء طرابلس، وتولى قضاء صفد شرف الدين بن جلال الدين النهاوندي .

موت خربنده بن ارغون

وفيها في ذي القعدة وصلت الاخبار بموت خربنده واسمه خدا بنده محمد ابن ارغون بن ابغا بن هولاكو، ملك العراق وخراسان وعراق العجم والروم واذربيجان والبلاد الارّانية وديار بكر ، وجاوز الثلاثين من العمر ، وكان مغرى باللهو والكرم والعمارة ، أقام سنة في أول ملكه سنياً ثم ترفض الى ان مات وجرت فتن في بـــلاده بسبب ذلك ودفن في مدينته التي أنشأها السلطانية الغياثية .

وفيها في ذي القعدة أيضاً توفي بدمشق نجم الدين بن البصيص المقدم في الكتابة كتب الناس نحو خمسين سنة وله شعر وأخلاق حميدة .

وفيها وصلت الاخبـار باستقرار ابي سعيد بن خربنده في مملكة والده وعمره إحدى عشرة سنة وان أرباب دولتهم مصادرون مطلوبون بالأموال ، وأن خربنده سم وقتل جماعـــة ممن اتهم بذلك من الرجال والنساء ، وتولى تدبير الدولة والجيوش الأمير جوبان ، واستمر في الوزارة علي شاه التبريزي ووصل الخبر في التاريخ المذكور ان الامير حميضة بن ابي نمي الحسني المكي[1]

---

١ – ذكر ما جرى لحميضة المذكور ، والدرفندي نائب السلطنة ، وما كان بينهما وبين خربندا ، بتفصيل اكثر في المختصر لأبي الفدا ، ص ٨١ ج ٤ .

Marfat.com

كان قد لحق بخربنده وأقام في بلاده أشهراً وطلب منه جيشاً يغزو بهم مكة وساعده جماعة من الرافضة على ذلك فجهزوا له جيشاً من خراسان واهتموا بذلك فقدر الله موت خربنده وبطل ذلك وفرح المسلمون بموته وباهانة الرافضة في بلاده ، وعادت الخطب بذكر الشيخين (رض) فلقد كان أهل السنة به في غم شديد، وجرت فتن وحروب بسبب ذلك باصفهان وبغداد واربل وغيرها. ثم ان محمد بن عيسى أخا مهنا وقع على حميضة فقهره وأخذ ما معه من الاموال والأغنام وغيرها ، ودشر حميضة ومن كان معه من اعيان دولة التتر وكان محمد بن عيسى ببلاد التتر خارجاً عن طاعة السلطان فابيض وجهه بهذه الواقعة وحضر فأكرمه السلطان .

وفيها في أواخرها توفي شيخنا صدر الدين محمد بن زين الدين عثمان وكيل بيت المال العثماني بالقاهرة شيخ الفنون والعلوم وبحر المنثور والمنظوم كان حسن الشكل وافر الفضل ومع فضائله التامة قريباً الى العامة ، إن تكلم في الفقه فبحر زاخر أو في الطب فطبيب ماهر أو في النحو أحيا سيبويه ، أو في الحديث فالمعول عليه أو في الاصول فهو الاملم أو في الادب فالحارث بن همام ، أو في الجد أسال المدامع أو الهزل أذهل السامع ، حفظ المقامات في مدة قصيرة وديوان المتنبي في أيام يسيرة ، وحرص على العلم وتعب وخلط جداً بلعب ، ثم هجر الاوطان واتصل بالسلطان وأكب في آخر عمره على تحقيق العلوم وتعليمها والأعمال بخواتيمها ، وله موشحات مأثورة وأشعار مشهورة منها :

أعنّي على ما دهاني أعني فإني بليت بظبي أغن
جنى إذ جنيت جنا وجنتيه فباللحظ يجني وباللحظ أجني
إذا قلت ثغرك صن باللثام يقول سيحميه صارم جفني
وإن قلت قد عاد سيف الجفون كليلاً يقول عذاري مني

Marfat.com

سنة سبع عشرة وسبعمائة :

في المحرم منها توفي الشيخ علي الختني الشافعي المحدث الصالح ، كان كثير الاشتغال والفضيلة رحمه الله تعالى . **وفيها** في صفر شرع في عمارة جامع ظاهر دمشق خارج باب النصر قبالة حكر السماق بمرسوم السلطـان وحضر القضاة لتحرير قبلته .

ذكر السيول تخرب بعلبك

وفيها في صفر كان سيل ببعلبك خرب سور البلد وحائط الجـامع وذلك مع رعد عظيم ، وخرب فوق ثلث البلد وعدم تحت الردم خلق كثير وعظم الندب والعويل في أقطار البلد ومن لطف الله تعالى مجيئه نهاراً ، ووجد الشيخ علي بن محمد بن الشيخ علي الحريري غريقاً في الجامع مع خلق ،وكان يوماً عظيماً ، ولقد أخبر الثقاة أنه نزل من السماء عمود عظيم من نار في أوائل السيل ورؤي من الدخان وسمع من الصرخان في الأكوان أمر عظيم كاد يشق القلوب . **قلت:**

سيل طغى في بعلبك وراعـد ولهيب نار ثار للتعـذيب
فلئن تركّب ثم مازج سورها فلبعلبك المزج في التركيب

وفيها في ربيع الأول توفي الفقيه المقرىء شهاب الدين أحمد الرومي إمـام الحنفية بجامع دمشق بنى على الشرف زاوية حسنة نزهة ، وكان فيـه حسن تلقي وإعانة للضعيف . **وفيها** في جمادى الآخرة خلص بهـادر من سجن الكرك وحمل إلى القاهرة مكرماً ففرح الناس به فانه كثير الصدقات وافر العقل . **وفيها** توفي بدر الدين أبو القاسم أخو الشيخ تقي الدين بن تيميـة ، وكان فقيهاً ساكناً قليل الشر رحمه الله تعالى. **وفيها** توفي قاضي القضاة بدمشق جمال الدين أبو عبـد الله الزواوي المالكي . **وفيها** أبطلت الخمور والفواحش بالسواحل وأبطلت مكوس كثيرة ففرح المسلمون بذلك وتوفرت الأدعيـة

Marfat.com

للسلطان أعز الله نصره . وفيها رسم السلطان أن يعمر ببلاد النصيرية في كل قرية مسجد ويمنعوا من الخطاب .

وفيها اجتمع إلى ماردين قفل كبير تجار وجفال من الغلا وقصدوا الشام فلما وصلوا الى خان التاجر أدركتهم فرقة من التتر من أمراء سوتاي النائب بديار بكر إلى حدود العراق ، واحتجوا عليهم بحجج وصاروا كلما أمسكوا منهم جماعة أبعدوا بهم وقتلوهم فأكثر الباقون الصراخ فمال التتر عليهم بالنشاب حتى قتلوا الجميع وبقي من أولاد الجفال نحو سبعين صبياً فقالوا : من يقتل هؤلاء منا؛فقتلهم تتري وأعطوه عن كل صبي ديناراً،وبلغ القتلى تسعمائة رجال ونساء وصبيان وتألم الناس لذلك ، ثم ان سوتاي أمسك من الحرامية وحبسهم وأوصل بعض المال إلى مستحقيه بعد غرامة ما بين النصف إلى الثلث .

وفيها خرج جماعة من النصيرية عن الطاعة وأقاموا شخصاً زعموا أنه المهدي وقاتلوا المسلمين وادعوا أنهم كفرة فكسرهم عسكر المسلمين وقتل مقدمهم وخلقاً منهم ومزقهم الله كل ممزق فللّه الحمد .

سنة ثمان عشرة وسبعمائة :

ذكر مجاعة شديدة بالعراق

وفيها كان بديار بكر والموصل واربل وماردين والجزيرة وميا فارقين غلاء وجلاء حتى بيعت الأولاد وأُكلت الميتة ، وكان الشخص إذا امتنع من شراء أولاد المسلمين تجعل المرأة نفسها نصرانية ليرغب في الشراء ، نسأل الله العافية ونعوذ بالله من الجوع فإنه بئس الضجيع ، ونزح من اربل جماعة إلى جهة مراغة فأهلكهم الثلج في الطريق ،وكان سبب الغلاء جراداً وعدم المطر سنتين وجور التتر لموت خربنده ، وتغير الدول والغارات ، فسبحان الفعال لما يريد .

وفيها في صفر وصل إلى دمشق وأمر ببناء جامع بالقبيبات وتوجه إلى القدس وعاد إلى القاهرة ، وشرع في بناء الجامع . وفيه ثارت ريح عاصف

Marfat.com

من جهة البحر على بيوت التركمان ، عند قرية المعيصرة من الجون من عمـــل طرابلس فتكوّنت عموداً أغبر صورة تنين متصل بالسحاب ، فمـــا تركت شيئاً من البيوت والأثاث وأهلكت جماعة وخطفت جملين ، وارتفعت بهما في الجو مقدار عشرة ارماح ، وطوت الريح قدور النحاس والصاجات وصارت قطعاً ، وكان إلى جانبهم عرب فخطفت لهم أربعة جمال إلى الجو ، فتقطعت الجمال قطعاً ، وأهلكت دواب كثيرة ، ووقع بعدها مطر وبرد كبار البردة ثلاث آواق ودونها كأشطاف الحجارة منهـا مثلث ومربع ، وأصاب ذلك أربعاً وعشرين قرية ، وكتب بذلك محضر وثبت عند قاضي طرابلس فنسأل الله العافية .

وفيه توفي الشيخ القدوة العالم بقية السلف محمد بن أبي بكر بـــن قوام البالسي بزاويته بالصالحية . **قلت** : ومنّ الله عليّ بزيارته حياً ، ثم بعد وفاته أخبرني الشيخ المقري الصالح محمد بن شامة الساكن بالبـــاب قال : صحبت الشيخ محمد المذكور من دمشق قاصدين باب بزاعا ، فلما كنا تحت جبل لبنان وقد انقطعنا عن الرفقة قليلا ، قلت للشيخ : يا سيدي يقولون أن في هـذا الجبل أولياء لله تعالى ؟ فقال : نعم. فقلت : يا سيدي لو اريتني منهم احدا ؟ وإذا رجل في الهواء ، أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول : السلام عليك يا شيخ محمد. فردّ الشيخ عليه السلام ، ثم نظر إليّ وقال : سمعت؟ فقلت : نعم ثم سألته عن شكله ؟ فقال : قد خط عذاره . وأخبرني غير واحد من أهل الباب ممن أصدقه أن الشيخ لما قدم إلى الباب ودخل على الجبانة قال لمن معه هذا رجل قد قام إليّ من قبره ، وعليه جبة صوف وله ست أصابع على كل كف فسألته الجماعة أن يريهم قبره ، فمال بهم إلى قبر وقال : هذا ففحصوا عن صاحب القبر ، فإذا هو كما وصف ، وأخبر من رآه حياً أنـه كان له ست أصابع على كل كف .

وفيها في جمادى الآخرة ، ورد مرسوم السلطان **بمنع الشيخ تقي الدين بن**

Marfat.com

تيمية من الفتوى ، في مسألة الحلف بالطلاق ، وعقد لذلك مجلس ونودي به في البلد . **قلت** : وبعد هذا المنع والنداء ، أحضر إليَّ رجـــل فتوى من مضمونها أنــه طلق الرجل امرأته ثلاثاً جملة بكلمة أو بكلمات في طهر أو أطهار قبل أن يرتجعها أو تقضي العدة ، فهذا فيه قولان للعلماء أظهرهما أنه لا يلزمه إلا طلقة واحدة ولو طلقها الطلقة بعد أن يرتجعها أو يتزوجها بعقد جديد وكان الطلاق مباحاً فإنه يلزمه ، وكذلك الطلقة الثالثة إذا كانت بعد رجعة أو عقد جديد وهي مباحة فانها تلزمه ، ولا تحل له بعد ذلك إلا بنكاح شرعي لا بنكاح تحليل والله أعلم . وقد كتب الشيخ بخطه تحت ذلك ما صورته : هذا منقول من كلامي ، كتبه أحمد بن تيمية . وله في الطلاق رخص غير هذا أيضاً ، لا يلتفت العلماء إليها ولا يعرجون عليها .

وفيها قتــل رشيد الدولة طبيب خربنــده ، إتهمه جوبان بأنـــه غش خربنده في المداواة وقطع رأسه إلى تبريز وأحرقت جثته واستأصلوا أملاكه وأمواله وجواهره ، واختلف في طويته فقال الشيخ تاج الدين الأفضلي التبريزي قتل الرشيد أعظم من قتل مائة ألف من النصارى ، وقال قاضي الرحبـــة رأيت منه شفقة على أهل الرحبة وسعياً في حقن دمائهم يعني أيام حصارهـا وإنما كان يتبع أعداءه صـالحين كانوا أو فسقة . **وفيها** في رجب توفي الشيخ الإمام الزاهد بقية السلف أبو الوليد إمـــام المالكية . وفي آخر الشهر ورد الخبر انه كان بظاهر حمص سيل خرب حائط الميدان وبعض خان السبيل .

وفيها في شعبان شرع في بناء الجامع ظـــاهر باب الشرقي أمر بعمارته الصاحب شمس الدين غبريال ناظر دمشق . **وفيه** أقيمت الجمعة بالجامع الذي أمر نائب الشام ببنائه خارج باب النصر وخطب فيـــه الشيخ كريم الدين الفجقيري . **وفيه** أيضاً كمل بنـــاء الجامع بالقبيبات ، وخطب فيه الشيخ شمس الدين بن الرزين . **وفيها** توفي الشيخ مجـد الدين التونسي الأصولي المقري النحوي بدمشق . **وفيها** نهي المنجمون بدمشق ان يكتبوا على التقـــاويم النجومية أحكاماً .

Marfat.com

سنة تسع عشرة وسبعمائة :

وفيها في صفر إستسقى بالناس وخطبهم القاضي الصالح صدر الدين سليمان الجعفري وخرج النائب والأمراء والعالم خاضعين وتبركوا به فسقوا ثاني يوم . **وفيها** في ربيع الآخر توفي الشيخ القدوة نصر المنبجي بالحسينيـة ، وكانت له عبادات كثيرة وصلاة ذكر وحج ومجاورة وأوقات معينـة نحو نصف السنة لا يجتمع فيها بأحد ، وكان لا يخرج من زاويته إلا لصلاة الجمعة خاصة، وسمع الحديث وقرأ القرآن بالروايات وتفقه وقصده العلمـاء والوزراء والأمراء رحمـه الله . **وفيها** في رجب اختلف التتر وقتل منهم نحو ثلاثين ألفاً وأكثر حتى كاد يزول ملكهم واستحالوا على مقـدم جيوشهم جوبان نائب السلطنة لأبي سعيد وكرهوا نيابته .

سنة عشرين وسبعمائة :

وفيها في أولها ركب الملك المؤيد صاحب حماه بشعار السلطنـة على حماه وبلادها وكان يوماً مشهوداً . **وفيها** في ثالث المحرم توفيت والدتي رحمها الله تعالى[1] وكانت من الصالحات ، جدّها ولي الله الشيخ نصير من رجال شط الفرات وينتسب الى أويس القرني رضي الله عنه . **وفيها** في ربيع الآخر عقد السلطان الملك الناصر على بنت الملك التي حملت اليه من بلاد القفجاق ، وفيها عاثت عساكر المسلمين في بلاد سيس سبعة عشر يوماً ، وقطعوا الأشجار وحرقوا وغرق من عسكر الشام في نهر جهان نحو الف فارس . **وفيها** نفي فحليس العرب مهنا وأولاده ومن معهم من الشام ، ومنعوا الميرة . **وفيها** في جمادى الأولى توفي جمال الدين ابراهيم بن القاضي شهاب الدين احمد بن أبي

---

(١) والدة أبي الفداء . إذ أن ابن الوردي لا يقصد نفسه بالحديث إلا إذا سبقته كلمة (قلت) .

Marfat.com

بكر بن حرز الله الأربدي ، ووقع عقب الجنـــازة مطر كثير في وسط حزيران .

ذكر الغارة على سيس وبلادها

وفيها في جمادى الآخرة قتل الأمير عز الدين حميضة بن الأمير الشريف أبي نمي صاحب مكة ، وكان قد خرج عن طاعة السلطان ، وولى السلطان بمكة أخاه سيف الدين عطيفة . **وفيه** توجه قرطاي نائب طرابلس وعسكر من مصر إلى بلاد الأرمن وكانوا فوق عشرين الفاً وغرق منهم جماعة بجهان وأربعة أمراء وحاصروا سيس وأحرقوا دار الملك وقطعوا الأشجار وعاثوا بالمصيصة وخربوا أسوار أدنة ، وعاثوا بطرطوس وأحرقوا الزروع ورجعوا فلم يعدم بهم بجهان[٢] سوى شخص واحد ، وعند جهان بلغهم موت صاحب سيس وهو الذي تملك بعد والده الذي حضر الى دمشق سنة قازان ووصلوا حلب وساقوا خلف مهنا وأولاده وأتباعه وامرائه وعدتهم إثنان وسبعون أميراً ووصلوا الى عانه والحديثة وعادوا وبعد ذلك دخل الحلبيون الى بلد الأرمن مرات وغنموا ، وفي المرة الرابعة كمن لهم الفرنج والأرمن وخرجوا عليهم فقتلوا من المسلمين وأسروا .

---

(١) جاء في تقويم البلدان ص ٥٠ « نهر جيحان » ، وتسميه العامة « جهان » . كما ورد في تاريخ أبي الفدا « جيحان » . ويلاحظ أن هناك اختلافاً كبيراً في حوادث هذه السنة وما يليها ، بين ابن الوردي وأبي الفداء سواء كان هذا الاختلاف في توقيت الأحداث، أو تفصيلها ، أو العناية بذكر احدهما لأخبار لم يوردها الآخر . على سبيل المثال : وردت « الاغارة على سيس وبلادها » مفصلة في تاريخ أبي الفدا ، وبهـــا تفسير لكلمة ابن الوردي المذكورة هنا « ولم يعدم منهم بجهان سوى شخص واحد » . وتفسيرها أن العساكر عند هجومهم وصلوا نهر جيحان وكان زائداً ، فاقتحموه ، فغرق من العساكر جماعة كثيرة كان غالبهم من التراكمين . وبعد حصارهم لقلعة سيس وغنمهم ، وعند عودتهم قطعوا جيحان وكان قد انحط ، فلم يغرق أحد .

Marfat.com

ذكر غزوة عظيمة بالأندلس

وفيها وصل كتاب إلى القاهرة ثم إلى دمشق بغزوة عظيمة [1] وقعت في المغرب في العـــام الماضي وذلك أن جيشاً من الروم يعسر إحصاؤه ويبعد استقصاؤه حشد عليهم وأقبل اليهم ، وناهيك من جيش اشتمل على خمســـة وعشرين سلطاناً ووصلوا إلى غرناطة قريباً من جبل البيرة فملأوا البسيط والله من ورائهم محيط ، ولما استقروا هناك أيقن المسلمون بالهلاك ، ثم أغارت سرية من الجيش على ضيعة فخرج اليهم جملة من فرسان الأندلس الرمـــاة ومنعوهم وتبعوهم الليل كله فاستأصلوهم بالقتل والأسر ، وكان ذلك أول النصر ، وأصبح الناس يوم الاثنين المبارك على المسلمين وعزموا على الخروج لأعداء الله يوم عيدهم وكان الرابع والعشرين من حزيران فلما علم وزير سلطانهم بذلك حذرهم غضب السلطان عليهم بالتشعيث عليـه في عيده فنزل المسلمون عن خيلهم متضرعين إلى الله عالية أصواتهم بالدعاء والضجيج .

وعند ذلك ركب الروم جمعاً ومالوا على المسلمين ميلة شنعاء فما راع المسلمين بحمد الله حـالهم « وإذ يوحي ربك إلى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب » فلما رأى أعداء الله المسلمين قد ثبتوا توقفوا وبهتوا وخرج من الفريقين فرسان ثم مال المسلمون على أعداء الله يقتلون فيهم كيف شاؤوا من الساعة السابعة إلى الغروب ، وفي الليل ضـاقت عليهم الأرض وهرب بعضهم من بعض وغاب المسلمون في تقتيلهم ثلاثة أيام ثم داموا شهراً ينتهبونهم بالقتل والأسر ، وخرج أهل غرناطة اليهم فغنموا ما لا يحصى وأسروا الجم الغفير من رجـال ونساء وأولاد وبقي المسلمون يجيئون مواضع الجيش نحواً من عشرة أيام ويحمدون الله على هذا النصر الذي ما طمعوا ببعضه

---

(١) ورد ذكر هذه الغزوة مختصراً في تاريخ أبي الفـدا ، في حوادث سنة تسع عشرة وسبعمائة وليس في هذه السنة ص ٨٥ - ج ٤ .

Marfat.com

وحزر الحذاق عدة القتلى بخمسين الفاً أو ستين الفـــاً ، ووقعوا في واد فقتل منهم مثل ذلك ومزقوا كل ممزق ، ووجد الملوك الخمسة والعشرون ومنهم الملك الكبير مقتولين بالمحلة فلعب النـــاس بجيفهم وعلقوا على باب غرناطة ، وكان قوت الأسرى الذين أسروا منهم كل يوم بخمسة آلاف درهم ، وزعم الناس أن الفيء من الذهب والفضة كان سبعين قنطاراً ، وأما الدواب والعدد فشيء لا يوصف ، وبقي البيع في الأسارى والدواب ستة أشهر وملّ الناس من طول البيع . وجملة فرسان المسلمين في ذلك اليوم ألفان وخمسمائة فارس لم يستشهد منهم سوى أحد عشر رجلاً . فلا يجزع جيش من قلة وما النصر إلا من عند الله . **وفيها** وقع بالديار المصرية مرض كثير قلّ أن سلمت منه دار وغلت الأدوية وكان الموت قليلاً .

حبس ابن تيمية بدمشق :

وفيها في رجب عقد لابن تيميـــة بدمشق مجلس بدار السعادة وعاتبوه بمسألة الطلاق وحبسوه بالقلعة .

وفيها في شعبان توفي الشيخ الأديب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن سباع الصائغ ، كان فاضلاً يقرىء الأدب في دكانـه ، شرح الدريدية جيداً وشرح ملحة الاعراب وقصيدة ابن الحاجب في العروض ، وله قصيدة تائية ألفا بيت ذكر فيها العلوم والصنائع . وما أحسن قوله :

يا ذا الذي لولاه ما حرّكت يد الهوى من باطني ساكنا
رفقاً بقلب لم يزل خافقـــاً وأنت مـا زلت به ساكنا

وفيه أمسك علم الدين الجاولي بغزة وحمل إلى الاسكندرية وكان قد تهيأ للحج وهيأ طعاماً كثيراً وغيره . **وفيه** أريقت الخمور في خندق قلعة المدينة السلطانية وأحرقت الظروف وذلك انه وقع ثم برد كبار وزن البردة ثمانية عشر درهماً وأهلك مواشي وأعقبه سيل مخوف فسأل أبو سعيد الفقهـاء عن سببه

Marfat.com

فقالوا من الظلم والفواحش فأبطل الحانات في مملكتـــه وأبطل مكس الغلة . وفيها في ذي الحجة توفي بحلب قاضي القضـــاة كمال الدين عمر بن العديم ودفن بالمقام ، ونقل ابنه قاضي القضاة ناصر الدين محمد من قضاء حمـــاه إلى حلب عوضاً عنه .

سنة إحدى وعشرين وسبعمائة :

وفيها أهدى أبو سعيد إلى السلطان صناديق ودقيقاً وجمالاً وتحفاً . وفيها أخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية من القلعة بعد العصر بمرسوم السلطان ومـدة إقامته في القلعة خمسة أشهر وثمانية عشر يومـاً . وفيها في شهر ربيع الآخر حفر السلطان حفيراً قرب بحر النيل ، وكان جواره كنيسة فأراد هدمها فلما شرعوا في هدمها قام الصوت في القاهرة ومصر بهدم الكنائس فلم يبق بمصر والقاهرة كنيسة حتى حاصروها ، منها ما هدم ، ومنها ما نهب ومنها ما لم يصلوا اليه فغضب السلطان ، واستفتى القضاة فأفتوه بتعزيرهم فأخذ جماعة من الحبس فشنق وقطع أيديا وخزم حتى سكنوا ، واختفى النصارى أيامـــاً ، وجرى ذلك في الفيوم وأحرقوا الأموات المدفونين في كنائسها . وفيه أمسك سيف الدين جوبان أحد أمراء دمشق وحمل إلى القاهرة لسوء مراجعته للنائب وعوتب بالقاهرة وأعطي خبزاً يليق به .

حرائق عظيمة بالقاهرة

وفيه وقع بالقاهرة حريق عظيم أتلف أملاكاً وأتعب الناس حتى أطفىء ، ثم في الغد وقع حريق أعظم منه في موضع آخر وقرب من دار كريم الدين فنزل الأمراء والنائب من القلعة خوفـــاً على دار كريم الدين لكونها خزانة المسلمين وأحدقوا بها حتى أطفئت . وتوالى الحريق بالقاهرة وتحير السلطان والرعية له ، وتتبع ذلك فقيل : انه وجد بعض النصارى ومعه آلة الحريق كالنفط وغيره ، فأخذوا وعرضوا على السلطان فذكر بعضهم ان القسيسين

Marfat.com

اتفقوا على هذا بسبب ما حصل من التعرض إلى كنائسهم وانهم رتبوا أربعين نفساً من النصارى يلقون النار في بيوت المسلمين ومساجدهم فحرق بعضهم .

ثم أن جمعاً قصدوا كريم الدين وهجموا عليه بالحجارة فهرب منهم فأمسك السلطان جماعة من المسلمين وقطع أيدي أربعة وقيد جماعة ، ثم نودي على النصارى أن يخرجوا بالثيـــاب الزرق والعمائم الزرق وأن يجعل الجرس في أعناقهم في الحمام ويركبوا عرضاً ولا يستخدموا في ديوان ، فعند ذلك خف الإحراق بعد ان كان أمراً عظيمـاً ، وكم سقط بـه دار وكم خرج منه حريم مكشفات حتى قنت النـــاس له في الصلوات ، وأعدّوا الدنان مملوءة ماء في الأسواق فالله يهلك أعداء الاسلام . وأخبر ابن الأيدمري ان له ربعاً وقعت فيه النار تسعاً وعشرين مرة . ونسب ذلك إلى النصارى فأمسك منهم جماعة فأقروا بذلك فأحرق منهم خمسة وضرب عنق سادس وأسلم منهم جماعـة ، وسار كل نصراني يظهر بالقاهرة يضرب وربما قتل والحريق لم ينقطع بالكلية. وفي ثاني جمادى الآخرة أمسك نصرانيان من الفرما وصلبا وسمرا وطيف بهما على جملين بالقاهرة ومصر . **قلت** :

عدمتكم نصـارى مصر كفوا فكم آذيتمونا من طريق
حريق النار قد عجلتموه فأجلنـا لكم نار الحريق

ذكر ما جرى ببغداد : وفيها في آخر جمادى الآخرة ، ورد كتاب من بغداد مؤرخ بالحادي والعشرين من جمادى الآخرة ، وفيه انه جرى ببغداد شيء ما جرى من زمان الخليفة الى الآن ، وذلك انهم خربوا البازار من أوله الى آخره وما يعلم ما غرموا عليه إلا الله تعالى ، ما تركوا بالبلد خاطئة إلا توّبوها وزوجوها وأراقوا الشراب ، ومنعوا الناس من العصير ونودي أن من تخلف عنده شيء من الشراب حلّ ماله ودمه للسلطان ، فطلع بعد ذلك عند شخص جرّة فقتلوه ، وعند آخر جرتان فقطعوا رأسه . وعلموا اليهـود والنصارى بالعلائم وأسلم جماعة ، وفي كل يوم جمعة يسلم جمع ولله الحمد .

Marfat.com

وفيها في تاسع عشري رجب خربت الكنيسة المعروفة بالقرايين من اليهود بدمشق ، واجتهد المسلمون في هدمها ، واليهود في إبقائها ، وأثبت اليهود عند بعض القضاة انها قديمة ، وأثبت المسلمون انها محدثة ، وتألم المسلمون فأعان الله وأذن بهدمها ، وكان مبدؤها بيتاً صغيراً فوسعت وكانت في داخل درب الفواخير غالب أهله اليهود . **وفيها** في رمضان أُقيمت الجمعة بالجامع الكريمي بالقابون ، وحضره القضاة الأربعة . **وفيها** أغار نائب الروم تمرتاش ابن جوبان على سيس ، فخرب وحرق ونهب . ونقل من خط بدر الدين العزازي أن كلبة ولدت بالقاهرة في هذه السنة ثلاثين جرواً ، وانها احضرت بين يدي السلطان فعجب منها وسأل المنجمين عن ذلك ، فلم يكن عندهم علم من ذلك .

سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة :

ذكر فتوح آياس

وفيها في ربيع الآخر جاءت البشرى بفتح آياس [1] ، وبعدها نصب المنجنيق على حصنها الأطلس الذي في البحر فلما رأى الأرمن ذلك نقلوا أموالهم وأولادهم في المواكب ، وعملت الأكلال ، ومشى الناس عليها ، وكان طول الجسر الذي عمل بالاكلال ثلاثمائة ذراع ، وكانت ثلاثة أبرجة في البحر الأطلس والشمعة والاياس ، فلما تعرضوا لسب النبي ﷺ ألقى الله في قلوبهم الرعب وهزمهم . **قلت** :

ما ذكروا المصطفى بسوء ... إلا وسيق البلا إليهم
فحبه رحمة علينا ... وسبّه نقمة عليهم

---

(١) آياس ، بلدة كبيرة على ساحل البحر ، ص ٢٤٧ من الجغرافيا « لأبي الفداء » . وهي من بلاد سيس ، وذكر أبو الفدا في تاريخه هذا الفتح مختصراً .

Marfat.com

وقاسى العسكر في هدم الابراج مشقة ،فإنها كانت مكلبة بحديد ورصاص وعرض السور ثلاثـــة عشر ذراعاً بالنجاري ، ونقبت الأبراج من اسفل ، وعلقت بالأخشاب ، وألقي عليها الحطب وحب القطن والزيت ، وأحرقت فتساقطت جميعها ، ثم نصب على جهان عشرة مراكب ، وعبر الجند وغيرهم عليها فقتلوا من الأرمن طائفة كثيرة وأسروا جماعة ، وأحضر من القتلى نحو مائتي رأس رموا عند باب قلعة كبرا ، ثم تفرقت الإغارات في بـــلد سيس وعادوا سالمين .

وفيها في شعبان عقد الأمير أبي بكر بن ارغون النائب ، على ابنـــة السلطان ، وختن يومئذ جماعة من أولاد الامراء بحضور السلطان ومد سماطاً عظيما ونثر عليهم مال كثير . **وفيه** ورد كتاب من القاهرة أن السلطان الملك الناصر نصره الله أبطل مكس المأكول بمكة زادها الله شرفـــاً ، وعوض عطيفة صاحب مكة بثلثي بلد دمامين من صعيد مصر . **وفيها** في شوال توفي شمس الدين محمد المغربي ، وهو الذي بنى بالصنمين خاناً للسبيل ، وحصل للناس به نفع عظيم .

سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة :

وفيها في ربيع الأول [1] توفي قاضي القضاة نجم الدين أحمد بن صصرى[2] الشافعي التغلبي بدمشق فجأة ببستانه بالسهم ، كان رحمه الله وجزاه عنـــا خيراً سريع الحفظ ، حلو اللفظ ، عالي الهمة وافر النعمة ، يبذل في اعزاز الشرع نفائس ماله ، ويقاتل عن اصحابه ، ويذب عن عماله، وكان بدمشق في زمانه من العلماء رؤوس ، فكان يكاثر بسرعة حفظه وذكائه ويشيد الدروس،

---

(١) ذكر أبو الفدا في المختصر ، وكذا ذكر غيره في تواريخهم ، في بداية هذه السنة ، أن أرض الشام أجدبت ، وأن المطر قد انحبس عن دمشق وحلب ، ولم ينبت بها شيء من الزرع،وسموها «السنة الحمراء». وقد ذكر ابن الوردي حدوثها في سنة أخرى غير هذه السنة.

(٢) وردت في تاريخ أبي الفدا : ابن صقري ، ص ٩٢ – ج ٤ .

Marfat.com

ولقد كاد يعم باحسانه الآفاق ، حتى قيل مات بموته مكارم الأخلاق .قلت :

مات والله ابن صصرى رحم الله ابن صصرى
مات جود وسخـاء وعطـــاء كان غمرا
مات صدر الشأم لكن لا يهاب الموت صدرا
كان بالعافـين برّاً ولمـن يرجـوه بحرا

وفيه قتل الشيخ الصالح النحوي ضياء الدين عبد الله الصوفي تحت القلعة ظاهر القاهرة وذلك أنه صعد إلى القلعة بسيف مشهور ، فضرب به وجه نصراني بالقلعة ، فدخل به الى السلطان فظنه جاسوساً فضربت عنقه غلطاً رحمه الله تعالى . **وفيها** في ربيع الآخر توفي شهاب الدين أحمد بن قطينة الزرعي التاجر المشهور ، بلغت زكاة ماله سنة قازان خمسة وعشرين الفاً والله أعلم بما تجدد له بعد ذلك.**وفيه** تولى القاضي جمال الدين إبراهيم الأذرعي قضاء دمشق عوضاً عن ابن صصرى. **وفيه** ورد الخبر بالقبض على كريم الدين وكيل السلطان والحوطة على أمواله وأملاكه ، كان قد بلغ من الترقي والسعادة والتصرف في المملكة ما لا مزيد عليه ، وبنى جوامع وله على الناس مكارم . ولعمري ما أنصف فيه القائل :

اللعب بالدينين يقبح بالفتى والرأي صدق القلب والتسليم
هذا كريم الدين لولا نصره دين النصارى مات وهو كريم

ثم وصل الخبر بالقبض على كريم الدين الصغير ناظر الدواوين ، وأخـذ أمواله فأظهرت العامة السرور بذلك ودعوا للسلطان .

وفيه تولى أمين الملك الوزارة بالقاهرة، وكان مقيما بالقدس،فسر الناس به . **وفيها** في يوم الجمعة منتصف شهر رمضان المعظم **توفي والدي**[1] **بالمعرة** وحكى لي من حضر غسله انه رحمه الله لما أجلس على المغتسل ، وارتفعت عنه الأيدي جلس على المغتسل مستقلا ساعة ، وفاحت رائحة طيبة ظاهرة جداً فتواجد الحاضرون وغلبهم البكاء . نسبته رحمه الله تعالى الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه من ولد عبد الرحمان بن أبي بكر .

(١) والد المؤلف ابن الوردي – مظفر بن عمر .

Marfat.com

وفيها في ذي الحجة ، توفي الفقيه شرف الدين محمد بن سعد الدين سعد الله في وادي بني سالم ، وحمل على اعناق الرجال الى المدينة النبوية ، وصلى عليه بالروضة الشريفة ، ودفن بالبقيع شرقي قبة عقيـل بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان فقيهاً صالحاً ؛ تفقه على ابن تيمية وخدمه وتوجه معـــه الى الديار المصرية .

سنة اربع وعشرين وسبعمائة :

وفي ربيع الاول منها ، حمل كريم الدين الذي كان وكيل السلطان من القدس الى الديار المصرية فحبس ، وأُخذت بقية أمواله وذخائره وحمل الى الصعيد الى قوص. **وفيها** في ربيع الآخر ورد مرسوم السلطان باطلاق مكس الغلة بالبلاد الشامية . **وفيه** عزل القاضي جمال الدين ابراهيم الأذرعي عن الحكم بدمشق ،وعرض على شيخنا برهان الدين بن الشيخ تاج الدين النزاري فامتنع . **وفيها** في جمادى الآخرة باشر القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحمان القزويني الحكم بدمشق . **وفيه** رسم السلطان للأمراء والأجناد ، بحفر خليج من رأس الخور الى حيث ينتهي الى سرياقوس ، بسبب ما انشأه السلطان من البستان والقصر بالمكان المذكور وأنفق عليه ما لا يحصى .

وفيها في أول رجب قـــدم الملك شرف الدين موسى بن أبي بكر ملك التكرور للحج وصحبته أكثر من عشرة آلاف تكروري ، ومملكته متسعة ، قيل سعتها ثلاث سنين ، وتحت يده أربعة عشر ملكاً ، وحضر بين يـدي السلطـان لتقبيل يده فأمر بتقبيل الأرض فامتنع فأكره على ذلك ولم يمكن من الجلوس، وبعث إلى السلطان نحواً من أربعين الف دينار وإلى الناس عشرة آلاف دينار ، ولما خرج من عند السلطان قدّم له حصـان أشهب وخلع عليه خلعة سنية وهيأ له السلطان من الهجن والآلات للحج أشياء كثيرة ، وكذلك نائب السلطنة وأنزل بالقرافة الكبرى .

Marfat.com

وفيها في تاسع عشر شهر رجب **توفي قاضي القضاة زين الدين عبدالله** بن محمد بن عبد القادر الشافعي الخليلي قاضي حلب بها ، ودفن في المقام وبنيت عليه بماله تربة بوقف أمر بها السلطان لعدم الوارث له . كان رحمه الله حسن السمت طويل الصمت ، عقله أكثر من علمه ، صافياً جاهه ، مسدداً في حكمه ، حج مراراً ونظم في مدح النبي ﷺ أشعاراً ، وما أرق قوله :

لا تسأل يا حبيب قلبي ما تم عليّ في هواكا
العرض فقد سلوت عنه والنفس جعلتها فداكا

وقوله دو بيت :

يا عصر شبابي المفدى أرأيت ما أسرع ما بعدت عني ونأيت
قد كنت مساعدي على كيت وكيت واليوم فلو أبصرت حالي لبكيت

سأله بعض الجماعة عن قوله : كيت وكيت ما هو ؟ فقال ضاحكاً والله بالوالي ما أقوله لك ، وكان ينشد من شعر والده قاضي الخليل بيتين بديعين هما :

وعد الغصن بأن يحكي تثنيه فأخلف وأراد البدر أن يحكي سناه فتكلف

وسئل رحمه الله عن كرامات الأولياء من خرق العوائد كالمشي في الهواء وما أشبه ذلك أحق هي ؟ فأجاب بخطه : « كرامات الصالحين حق أؤمن بذلك من صميم قلبي وأعتقده اعتقاداً جازماً بتوفيق الله وهدايته وهذا هو مذهب أهل السُّنة وعليه جماهير الأمة المكرمة سلفاً وخلفاً ، ومصنفات الأئمة الأعلام الموثوق بنقلهم المرجوع إلى قولهم مشحونة بذلك ، ودلائله من الكتاب العزيز والسنة النبوية كثيرة ، ومن له صحبة مع القوم يرى من عجائب أحوالهم وغرائب أقوالهم وأفعالهم بحسب استعداده ما يثلج سويدا فؤاده . ولقد منَّ الله عليّ بصحبة بعضهم فعاينت من الكرامات في أقواله وأفعاله شيئاً كثيراً مع فرط قصوري وبعدي عن هذا المقام، فيا خيبة منكر ذلك ويا بعده عن أقصد المسالك ، وأنّى يرى ضوء الشمس فاقد البصر أو

Marfat.com

يشاهد الأعشى نور القمر فما في صلاح منكر ذلك مطمع ، فليصور نفسه بين يديه وليكبر عليها أربع – كتبه عبد الله بن محمد الشافعي » .

وفيها في شعبان وفى النيل ثمانية عشر ذراعاً وتسعة عشر إصبعاً وغرقت الأقصاب والسواقي وانهدم من البساتين والدور كثير ، ووصل كتاب الشيخ أبي بكر الرحبي ان للديار المصرية مائة وثلاثين سنة ما بلغ النيل الحد الذي بلغ هذه السنة وانه ثبت على البلاد ثلاثة أشهر ونصفاً . **وفيه** استناب القاضي جلال الدين القزويني في الحكم عنه بدمشق العلامة جمال الدين يوسف بن جملة وفخر الدين محمد بن علي المصري .

وفيه وصل البريد إلى دمشق بتقليد كمال الدين محمد بن علي بن الزملكاني بقضاء القضاة بحلب وأعمالها فامتنع وسأل نائب السلطان المراجعة في أمره فأجاب سؤاله فعاد الجواب بامضاء الولاية وامتثال مرسوم السلطان فتجهز إلى حلب مكرماً ، ووصل إلى حلب في يوم الاثنين الخامس والعشرين من شوال من السنة المذكورة ، ثم عمل درساً بالمدرسة السلطانية التي تحت القلعة فأجاد وأفاد بما لم يسمع بمثله ، ومدح يومئذ بمدائح ، **وعظّمه** الحلبيون وهابوه ، وأحبوه في أول أمره ثم تغير ذلك . **قلت** :

طالب الدنيا معني باعوجاج واستقامه
أمرنا فيها عجيب نسأل الله السلامه

وفيها في شوال توفي الشيخ شرف الدين محمد بن زين الدين أحمد بن المنجا الحنبلي المذهب الدمشقي المنشأ المعري الاصل، أفتى ودرّس وصحب ابن تيمية زماناً وأقام بمصر لما حبس ابن تيمية وعاد معه. **وفيه** وصل كريم الدين الصغير إلى دمشق على نظر الدواوين عوضاً عن الصاحب شمس الدين غبريال . **وفيه** توفي كريم الدين هبة الله المتشرف بالإسلام بأسوان ، وجد مشنوقاً بعمامته .

Marfat.com

وفيها في ذي القعدة وصلت هدايا عظيمة وتحف الى السلطان من ملك التتر . **وفيها** ناول جوبان [1] نائب السلطنة عن ابي سعيد الامير محمد حسيناً قدحاً ليشربه فلما صار في يده وجده خمراً فامتنع من شربه ، فقال جوبان : إن لم تشربه تؤدي ثلاثين تومانا من الذهب ، فقال : أنا أؤدي ذلك ، فرسم عليه بالمبلغ فمضى الى الأمير يلبي وهو ذو مال طائل ، فعامله على ذلك بربح عشرة تومانات وكتب عليه حجة فلما علم جوبان ذلك احضر محمداً حسيناً وقال:تغرم أربعين تومانا من الذهب ولا تشرب قدح خمر. قال : نعم. فأعجبه ذلك وخلع عليه ملبوسه جميعه ومزق الحجه وقرَّبه . **قلت** :

فاز حسيناً بالثنا والهنا بصبره عن قدح الخمر
بلي فعوفي واتقى فارتقى وهـذه عاقبـة الصبر

وفيها في ذي الحجة توفي الشيخ الامام ، بقية السلف عـلاء الدين بن الموفق ابراهيم بن داود بن العطار بدار الحديث النورية بدمشق ، تفقه على الشيخ محيي الدين النواوي وخدمه وعرف بصحبته ، ثم انه مرض بالفالج حتى مات رحمه الله .

---

(١) سبق أن ورد ذكر جوبان هذا في حوادث السنوات السابقة ، ولكن بدون تفصيل كاف ، وقد أورد أبو الفدا في المختصر ، تفصيلاً أكثر عن جوبان رأينا أن نلخصه هنا حتى يستطيع القارىء متابعة أمره : ذكر أبو الفدا بعنوان « ذكر المتجددات في بلاد الروم » ، ما كان بين جوبان وولده تمرتاش الذي ولاه والده بلاد الروم ، فاستولى عليها واستكثر من المماليك ، وقطع ما كان يحمل منها الى الاردو والخواتين ، وأهان رسل والده . فسار اليه والده فعزم على قتاله ، ولما اقترب جوبان بعساكره، انحاز عسكر تمرتاش وصاروا مع والده. فاستسلم تمرتاش لوالده الذي اعتقله وأقام حاكماً آخر مكانه . كما عاد أبو الفدا في ص ٩٦ من ج ٤ ، الى ذكر « أخبار أبي سعيد وجوبان » . ذكر فيها تفصيلات أخرى عما دار من صراع بين أبي سعيد ملك التتر وجوبان الذي قام بتدبير المملكة بعد وفاة خربنده .

Marfat.com

سنة خمس وعشرين وسبعمائة :

في جمادى الاولى منها وقع بالقاهرة مطر كثير ، قل أن يقع مثله ، وجاء سيل الى النيل فتغير وزاد أربع اصابع .

ذكر فيضان يغرق بغداد

وفيه وقع الغرق ببغداد ودام أربعة أيام وزاد الشط عظيماً وغرق دائر البلد ومنع الناس من الخروج من البلد وانحصروا ولم يبق حاكم ولا قاض ولا كبير ولا صغير إلا نقل التراب وساعد في عمل السكور[1] لمنع الماء عن البلد ، وبقيت بغداد كلها جزيرة في وسط الماء ودخل الماء إلى الخندق وغرق كل شيء حول البلد وخربت أماكن كثيرة وجميع الترب والبساتين والدكاكين والمصلى ووقعت مدرسة الجعفرية ومدرسة عبيد الله وغرقت خزانة الكتب التي بها وكانت تساوي أكثر من عشرة آلاف دينار ، وصار الرجل إذا وقف على سور البلد لا يرى مدّ البصر إلّا سماء وماء وغرق خلق واشتد الخطب وامتنع النوم من الضجات وخوف الغرق ، ودار الناس في الأسواق مكشفة رؤوسهم وعمائمهم في رقابهم والربعة الشريفة على رؤوسهم وهم يتلون ويستغيثون ويودع بعضهم بعضاً خائفين وجلين أن يخرق الماء من الخندق مقدار خرم إبرة فيهلكون ، وغلت الأسعار لذلك أياماً . ومن العجب أن مقبرة الإمام أحمد تهدمت قبورها ولم يتغير قبر الإمام أحمد وسلم من الغرق واشتهر ذلك واستفاض. ثم ورد كتاب ان الماء حمل خشباً عظيماً وزنت منه خشبة فكانت ستمائة رطل بالبغدادي وجاء على الخشب حيات كبار خلقهن غريب منها ما قتل ومنها ما صعد في النخل والشجر ومن الحيات كثير ميت . ولما نضب الماء نبت الأرض صورة بطيخ شكله على قدر الخيار وفي طعمه فجوجة وأشياء أخر من النبات غريبة الشكل، وما يحصي ما خرب من الجانبين إلا الله تعالى .

وفيها أفتى قاضي القضاة كمال الدين محمد بن علي بن الزملكاني بتحريم

---

(١) السكور جمع سكر ، وهو سد النهر .

Marfat.com

الاجتماع بمشهد روحين ودير الزربة وأشباهها ، ومنع من شد الرحـــال اليه ونودي بذلك في المملكة الحلبية فانه كان يشتمل على منكرات وبدع وعملت في تحريم ذلك المقامة المشهدية وهي طويلة ومشهورة .

وفيها في جمادى الآخرة فتح السلطان الملك الناصر الخانقاه التي أنشأها بسرياقوس وحضره الصوفية والقضاة ومشايخ البلد ، وسمع السلطان هناك على القاضي بدر الدين بن جمـــاعة عشرين حديثاً من تساعياته بقراءة ولده عز الدين عبد العزيز وخلع عليه خلعة سنية وأكرمه وعمل السلطان في الخانقاه المذكورة وليمة عظيمة ورتب فيهـــا الشيخ مجد الدين الاقصراوي وصوفية وخلع على قاضي القضاة بدر الدين وعلى جماعة من الشيوخ وفرق من الذهب والفضـــة على المشايخ نحو ثلاثين الف درهم . **وفيها** في رجب توفي الشيخ علم الدين طلحة بن يوسف كان رحمه الله فاضلاً في النحو والتصريف والقراءات ، حسن الوجه والخلق والصوت مشاركاً في علوم ، وكان اليه تدريس المدرسة الرواحية بحلب[1] .

سنة ست وعشرين وسبعمائة :

في ربيع الأول منها ضربت رقبة ناصر بن الهيتي بسوق الخيل ظـــاهر

---

(١) أضاف أبو الفداء في المختصر الى حوادث سنة ٧٢٤ « ذكر المتجددات باليمن » فقال : « لم يبق في هذه السنة في يد الملك المجاهد علي بن داود غير حصن تعز ، وخرج باقي ملك اليمن عنه وصار بيد ابن عمه صاحب الدملوه ، وتلقب بالملك الظاهر .

كما عاد أبو الفداء في حوادث سنة ٧٢٥ الى ذكر المزيد من أخبار اليمن فقال ان السلطان عندما بلغه اضطراب حال اليمن ، وفساد أحوال الرعية ، أرسل اليها جيشاً وقدم على الجيش ركن الدين بيبرس والأمير سيف الدين طينال . وتحرك الجيش من مصر في ربيع الأول ، ووصلوا اليمن ، فخرج اليهم الملك المجاهد ابن الملك المؤيد، وهو إذ ذاك شاب جاهل كان مقصراً في حق عساكره . فاستوحش منهم ، ودخل قلعة تعز وعصي بها . ولم يكن مع العساكر المصرية مرسوم بملك اليمن . بل بمساعدة المذكور وتقرير أمر ولايته ، فعادوا . ولقوا في طريقهم مشقة عظيمة من العطش والجوع . فوصلوا الى مصر في شوال ، ولم يعجب السلطان ما صدر منهم واعتقل مقدمهم بيبرس . انظر ص ٩٤ ج ٤ — المختصر .

Marfat.com

دمشق بحكم القاضي المـالكي بكفره وزندقته وتلاعبه بدين الإسلام ؛ صحب النجم بن خلكان المحلول عن دين الإسلام المفطر في رمضان الشارب الخمر عند أهل الكتاب ، حفظ ابن الهيتي في أول أمره التنبيه والقرآن ، فانسلخ من ذلك وهرب من الدماشقة سنين، ثم حضر إلى حلب وبها القاضي كمال الدين ابن الزملكاني رحمه الله تعالى . وكان القاضي المذكور قد رأى تلك الليلة في نومه كأن عقربا رأسه أسود ولون جسده عسلي يدب على كم النبي ﷺ فجاء نقيب الحكم بدر الدين محمد بن نجم الدين إسحاق وأزاح العقرب عن كم النبي ﷺ فأصبح القاضي كمال الدين متحيراً متخوفاً من ذلك ، ثم أن ابن الهيتي في اليقظة جاء إلى باب القاضي واستأذن في الدخول فأذن له فلمـــا وقع نظر القاضي عليه عرفه وقال له : ما جاء بك إليَّ يا كافر . ونظر إلى لباسه فإذا على رأسه مئزر صوف أسود وهو لابس دلقاً عسلياً فلما سمع النقيب المذكور قول القاضي له يا كافر أخذته زمعة ووجد وحمل ابن الهيتي بلا أمر من القاضي وأودعه السجن بالخندق الذي للقلعة . وهذا المنام من الآيات العجيبة ، ثم إن القاضي جهزه إلى دمشق محترزاً عليه فضربت عنقه والحمد لله على إعزاز الدين.

وفيه توفي جمال الدين حسن بن المطهر الحلي بالحلة من شيوخ الشيعة ولما ترفض خربندة احضر اليه وأكرم وجعل له أرزاق كثيرة. بلغت مصنفاته في الأصول وفقه الأمامية والنحو والمنطق مـــائة وعشرين مجلداً . **وفيه** شاع بدمشق إن الشمس تكسف بعد الظهر في الساعة السابعـــة من يوم الخميس الثامن والعشرين من ربيع الآخر ، وذكروا أن ذلك في جميع التقـــاويم ، وأن هذا حساب لا يخرم فتهيأ الناس للصلاة فلم تكسف فانكسف المنجمون لذلك ولله الحمد .

وفيها في جمادى الأولى قتل الراهب توما وكان أسلم وصار عنده حرص على الدين ولكنه ارتد إلى النصرانية وسبق عليه الشقاء في أم الكتاب، نسأل الله الوفاة على الإسلام. **وفيها** في شعبان **اعتقل الشيخ تقي الدين بن تيمية** بقلعة

Marfat.com

دمشق مكرماً راكباً وفي خدمته مشد الأوقاف والحاجب ابن الخطير وأخليت له قاعة ورتب له ما يقوم بكفايته، ورسم السلطان بمنعه من الفتيا وسبب ذلك فتيا وجدت بخطه في المنع من السفر ومن اعمال المطي إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين وحبس جماعة من أصحابه وعزر جماعة ثم أطلقوا سوى شمس الدين محمد بن أبي بكر إمام الجوزية فانه حبس بالقلعة أيضاً . **وفيه** وردت الأخبار إلى الشام أنه أجريت عين بازان[1] إلى مكة شرفها الله تعالى كان العراقيون قد شرعوا فيها من أول السنة والماء اليوم بمكة مثل المدينة الضعيف والقوي فيه سواء بحمد الله تعالى . **قلت** :

هل لي إلى مكة من عودة فأبلغ السؤل وأقضي الديون
غير عجيب جري عين بهـا فقد جرت شوقاً إليها العيون

وفيه أبطل السيد عطيفة مقام الزيدية ، وأخرج إمام الزيدية إخراجاً عنيفاً ، ونادى بالعدل في البلاد بمرسوم السلطان ، فسر المسلمون بذلك عظيماً.

وفيها ورد كتاب من بغداد إلى شمس الدين بن منتاب بدمشق يتضمن ان خياطاً مضى إلى الرباط الذي عمره محمد أغا وقال للصوفية اربطوا سراويلي واختموه وارصدوني فاني أريد أعمل أربعينية لا أذوق فيهـا شيئاً ولا أبول ولا أتغوط ، فختم سراويله بعض نواب محمد أغا وغيره عـدة ختوم وأقام بينهم أحد وأربعين يوماً . ثم جاء اليه سعد الدين وقـال له : أنا أحملك إلى بيتي وأقم عندي عشرة أيام أُخر ، فقال له الخياط : وإن شئت صبرت أربعين أخرى فحمله سعد الدين المذكور إلى داره وقفل عليـه الباب وأخذ المفتاح ودخل عليه بعد ستة أيام فاذا الخياط جالس شبعـان ريان كأنه أسد فتعجب من ذلك ، وكان مع سعد الدين جماعة من العلماء تكلموا مع الخيـاط فوجدوه خالياً من العلوم ، وقال : أنا لا أحفظ القرآن ولكن في هذه الساعة انشق الحائط وخرج لي منه رجلان ومعهما أربع رمانات فأكلتها ، فقيل له : فالغائط كيف تفعل به ؟ فاختلط في الجواب فتركوه .

---

(١) المؤسس للعين هو بازان الأمير ، فنسبت إليه . (المؤلف) .

Marfat.com

وفيها في ذي القعدة توفي قاضي القضـاة بدمشق شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مسلم الحنبلي الصالحي بالمدينـة النبوية ودفن بالبقيع جوار قبة عقيل رضي الله عنه مرض وخاف أن يموت دون المدينة فأعطاه الله مناه حج ثلاث مرات قبل ذلك ، ومدة ولايتـه إحدى عشرة سنة ، عمر الأوقاف وقدم المستحقين ولم يغير لبسه ولا هيئته ولا اتخذ مركوباً ، كان يدخل من الصالحية إلى دمشق ماشياً ، ولم يضف إلى نفسه مدرسة ولا نظراً بمعلوم ، ومناقبه كثيرة رحمه الله تعالى . **قلت** :

باشر بالعـدل والسكينة والسيرة البرة الأمينـة
ومن يعش مثل عيش هـذا يستأهل الموت بالمدينـة

وفيها توفي كمال الدين عبد الوهاب بن قاضي شهبة الفقيـه النحوي ، كان متقللاً وانتفع الناس بالاشتغال عليه ، وكان يعتكف شهر رمضان بكماله في الجامع رحمه الله[1] .

سنة سبع وعشرين وسبعمائة :

في آخر المحرم منها طلب ملك الأمراء علاء الدين الطنبغا الصـالحي النائب بحلب إلى الديار المصرية . **وفيها** في صفر وصل الأمير سيف الدين أرغون الناصري إلى حلب نائباً بها وكان حج من الديار المصرية هو وأتباعه وزوجة إبنه بنت السلطان فحين وصل إلى القاهرة رسم له بنيابة حلب . **وفيها** في ربيع الأول باشر الحكم بدمشق قاضي القضـاة عز الدين محمد بن قاضي القضاة تقي الدين الحنبلي عوضاً عن ابن مسلم ، وباشر التدريس بالمدرسة

---

(١) توفي يوم مستهل ذي الحجة من هـذه السنة ، بدر الدين حسن ، أخو مؤلف تاريخ أبي الفداء ، ولم يشر إلى وفاته ابن الوردي ، في حوادث هذه السنة . والملاحظ على تاريخ أبي الفداء في هذه السنوات ، اهتمام مؤلفه بذكر الحوادث التي اشترك فيها تفصيلاً ، وتلك التي تتصل به أو بعائلته ، وعدم ذكره الكثير من الحوادث الهامة ، التي أوردها ابن الوردي في كتابه هذا .

الجوزية . **وفيه** حاصر الأمير ودي بن جماز المدينة النبوية سبعة أيام ودخلوها وأحرقوا باب السويقة . **وفيها** في ربيع الآخر قدم نائب الشأم من مصر إلى دمشق وصحبته الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري أميراً بدمشق . **وفيه** توفي الشيخ بدر الدين محمد بن أبي الفتح الأطغاني بحلب أفتى زمـــاناً وناب القاضي كمال الدين محمد بن الخلكاني بحلب وكان متواضعاً حسن الاعتقـــاد مشاركاً في علوم جمة رحمه الله تعالى . **وفيها** في جمادى الأولى باشر القاضي برهان الدين الزرعي الحنبلي الحكم نيابة عن قاضي القضاة عز الدين الحنبلي .

وفيها في رابع عشر جمادى الأولى توفي الشيخ الامـــام شرف الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي أخو الشيخ تقي الدين وحضر جنازته عالم عظيم ، ومولده في حادي عشر المحرم سنة ست وستين وستمائة بحرّان ، ومناقبه جمة وعلومه كثيرة ، بارع في فنون عديدة من الفقه والنحو والأصول حسن العبـــارة قوي في دينه مليح البحث صحيح الذهن مستحضر لتراجم السلف عالم بالتواريخ ملازم لأنواع الخير وتعليم العلم عارف بالحساب زاهد شريف النفس قانع بالقليل شجاع مقدام مجاهد ، كان يخرج من بيته ليلاً ، ويأوي إلى المساجد المهجورة ، ولا يجلس في مكان معين . **وفيه** إنتزاع القاضي كمال الدين بن الزملكاني كنيسة اليهود المجاورة للمدرسة العصرونية بحلب وبنيت بها مأذنة وسميت الناصرية وكتب بذلك مكاتيب وشق على اليهود ذلك في أقطار الأرض ولله الحمد .

وفيها في جمادى الآخرة توجه إلى مصر قاضي القضاة جلال الدين محمد ابن عبد الرحمن الحـــاكم والخطيب بدمشق وباشر الحكم بالديار المصرية مع تدريس الصالحية والناصرية ودار الحديث الكاملية عوضاً عن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الحموي فانه استعفى من القضاء لكبر سنه وضعفه فأجيب إلى ذلك ورتب له كل شهر ألف درهم وعشرة أرادب قمح . **وفيه** رسم بقتل الكلاب بالديار المصرية . **وفيها** في رجب وصل الخطيب بدر الدين

محمد بن قاضي القضاة جلال الدين من القاهرة إلى دمشق متولياً الخطابة بالجامع الأموي بدمشق ، وتدريس المدرسة الشامية الجوّانية . **وفيه** عمل عرس الأمير سيف الدين قوصون على بنت السلطان ويطول شرح ذلك .

ذكر فتنة بالاسكندرية بين المسلمين والفرنج

وفيه بالاسكندرية جرت مخـــاصمة بين مسلم وفرنجي فضربه بالمداس فعظمت الفتنة وركب النائب بها وأغلق باب البلد من العصر إلى بعض الليل وحصلت مقتلة وزحم النائب وأحرق باب السلطان ويسمى باب اليهود ، ووقع بعض نهب في دور يلوذ أهلها بالنائب فكتب إلى السلطان بما وقع فغضب السلطان وأمر بالسيف في الاسكندرية وهدها إلى البحر ، وأخذ من التجار أموالاً عظيمة ووسَّط [1] نحو ثلاثين رجلاً وقت صلاة الجمعة ، ثم عزل النائب بعد ضربه وإهانته ، وقتل ناساً من الفقهاء والمدرسين الصالحين لأن بعضهم خرج وقت الفتنة يستغيثون في الشوارع إنكاراً لذلك . ولم يزل الأمر كذلك حتى قدم تاج الدين أبو إسحاق وكيل السلطان فسكن البلد ، وكانوا ممنوعين من الخروج والدخول . وكان سبب غضب السلطان أنه ظن أن الباب الذي أحرق هو باب الحبس الذي فيه جمـــاعةٌ من الأمراء ولم يكن الأمر كذلك ، ومن يومئذ صار لا يولي بها إلا قـــاضٍ شافعي ، وكتب أبو يحيى زكريا الطرابلسي كتاباً من الاسكندرية يقول فيه : إنا لله وإنا اليه راجعون فيما أصاب المسلمين بثغر الاسكندرية من الاحراق والضرب وأخذ الأموال وسفك الدماء ، فالله يعظم لنا ولكم الأجر . **قلت** :

تبارك الله ذو الجلال لقـــد أدهش عقلي زماننا الفاسد
مصادرات جرت وسفك دما وأصلها ضرب كافر واحـد

وفيها في شعبان **توفي قاضي القضاة صدر الدين علي بن الوكيل الحنفي بدمشق** ، كان كبير القدر صاحب املاك وثروة مكثراً من الفقه ومن ملح

---

(١) وسط توسيطاً : قطعه عرضاً . ويقابلها قده : قطعه طولاً .

Marfat.com

الاخبار ونكت الأشعار. وفيه طلب من حلب القاضي كمال الدين محمد بن علي ابن الزملكاني على البريد الى حضرة السلطان ليولى القضاء بالشام ، فتوفي بمدينة بلبيس وحمل الى القاهرة فدفن بالقرافة . كان رحمه الله غزير العلم كثير الفنون مسدد الفتاوي دقيق الذهن صحيح البحث حسن الخلق جميل الوجه طيب الصوت بعيد الصيت جيد الخط سخي النفس صحيح الاعتقاد بليغ النظم والنثر . ولقد رأيت كبار مشايخنا لا يعدلون به عالماً في زمانه ولا يشبهه عندهم أحد من أقرانه :

أفي الرأي يشبه أم في السخاء أم في الشجاعة أم في الأدب
فلسنا نرى بعده مثله فيا ليته ما تولى حلب

سئل رحمه الله تعالى ما الدليل على أن المرأة لا يجوز أن تكون قاضياً ، فأجاب: الدليل على ذلك قوله تعالى : « أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين » لأن من هو في الخصام لنفسه غير مبين لا يصلح لفصل خصومات غيره بطريق الأولى . ووقفت له على مكاتبة الي شيخنا قاضي القضاة شرف الدين هبة الله بن البارزي الحموي يطلب منه التيسير الذي وضعه على الحاوي ، أولها :

يا واحد العصر ثاني الشمس في شرف وثالث العمرين السالفين هدى
تيسيرك الشامل الحاوي البسيط له نهاية لم تنلها غاية أبدا
محرّر خص بالفتح العزيز ففي تهذيبه المقصد الأسنى لمن رشدا
وقد سمت همتي أن اصطفيه لها وان أعلمه الأهلين والولدا
فانعم به نسخة صحت مقابلة ولاح نورك في أثنائها وبدا

ولما وقف شيخنا قاضي القضاة شرف الدين المذكور على هذه المكاتبة سر بها ، وجهز له نسخة بالتيسير المطلوب ، وقال سبحان الله لقد كان الشيخ كمال الدين اكبر المنكرين عليّ في الاعتناء بالحاوي الصغير ثم لم ينتبه لقدره إلا وقد صرت فيه إماماً .

Marfat.com

فائدة : رأيت بعض الناس اعترض على الشيخ كمال الدين في هذا النظم في قوله :ثاني الشمس بسكون الياء من ثاني وهو منادى مضاف من حقه النصب، وفي قوله : أن اصطفيه لها بسكون الياء أيضاً ، ومن حقه النصب بأن ، وفي قوله : فانعم به نسخة بوصل الهمزة ومن حقها القطع لأنه فعل رباعي ، وهذا لقلة اطلاع هذا المعترض على غريب العربية فان مثل ذلك كلـــه جائز في ضرورة الشعر : شاهد الأول قول الشاعر :

يا دار هند عفت إلا أثافيهـــا —(وقول العرب : اعط القوس باريها)

وشاهد الثاني قول الشاعر : حتى لقد عفت أن أرويه في الكتب

وشاهد الثالث (قول) الشاعر :

ألا ابلغ حاتماً وأبا عليّ بأن عوانة الضبعي فرّا

وفيها وصل فخر الدين عثمان بن البارزي الحموي الى حلب متولياً قضاء القضاة بهـــا بعد العلامة كمال الدين بن الزملكاني رحمه الله وكان وصوله اليها يوم الاثنين في أواخر ذي القعدة من السنة المذكورة . **وفيها** في رمضان وصل الى دمشق مائة واربعون اسيراً من بلاد الفرنج وذلك ان قاضي القضاة جلال الدين أشهد عليه انه جعل لكل من يحضر أسيراً مبلغاً عينه ، وكتب بذلك مكتوباً وعرف الفرنج ذلك فجعلوا الأسرى من تجاراتهم وأحضروهم فأعطوا من وقـف الاسرى ستين الف درهم وأطلقوا الاسرى بحمد الله تعالى .

وفيها في ذي القعدة تولى الشيخ عـلاء الدين علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي الشافعي قضاء القضاة بدمشق المحروسة . **وفيها** في ذي الحجة قرىء مرسوم سلطاني بجامع دمشق بالتوصيـــة بالأوقاف وإيصالها الى مستحقيها وعمارتها ، واتباع شروط واقفيها والتأكيد في ذلك .

Marfat.com

سنة ثمان وعشرين وسبعمائة :

وفيها بني في وسط المسعى طهارة فيها بركة وبنى الجوبان نائب ملك التتر بالمدينة النبوية حماماً حسناً . **وفيها** في صفر وصل الى الشأم نائب الروم تمرتاش ابن الجوبان[1] ، وتلقته النواب وهو شاب حسن ، وذلك ان ابا سعيد لما قتل اخاه دمشق خواجه في شوال من العام الماضي أراد والدهما الجوبان محاربة ابي سعيد فلم يتفق له ذلك فهرب تمرتاش بحشمه وأمواله ولما وصل الى الديار المصرية أمر السلطان باكرامه واحترامه . **وفيه** وصل الماء الى القدس بعد عمل طريقه في ستة أشهر .

وفيها في ربيع الاول جدد سطح الكعبة الشريفة وأبوابها وبنيت طهارة مما يلي باب بني شيبة ، وأجريت عين ماء أخرى تعرف بعين جبل بقبة مما يلي حراء على مجرى العين الجوبانية ، ووصلت الى مكة انفق عليها قدر يسير نحو خمسة آلاف درهم . **وفيها** في جمادى الاولى كان حريق عظيم بدمشق في سوق الفرانين والقيسارية الجديدة والمسجد وذهب للناس اموال عظيمة . **وفيها** في خامس جمادى الآخرة توفي قاضي القضاة شمس الدين بن الحريري الحنفي بالسكتة ، ولي قضاء دمشق سنين ثم صرف ثم طلب الى مصر فولي القضاء بها ، وكانت له همة عالية وناموس وهيبة وسطوة على الامراء والمتجوّهين وأوراد رحمه الله تعالى ، وولي مكانه الشيخ برهان الدين ابراهيم ابن علي ابن قاضي حصن الاكراد وأكرمه السلطان وسرّ به . **وفيه** توفي بالقدس شيخنا العلامة شهاب الدين احمد بن جبارة المرداوي الحنبلي الزاهد الفقيه الأصولي المقري النحوي أقام رحمه الله بمصر دهراً وجاور بمكة ، ثم

---

١ – للمزيد من الاطلاع على أخبار ابي سعيد ، ملك التتر، وجوبان، وتمرتاش بن جوبان، ورسلهم الى السلطان ومقابلتهم له عند الأهرام بمصر،وما جرى في ذلك اليوم،كذلك للاطلاع على تفصيلات حوادث التتر وملوكهم في هذه الفترة ، تراجع صفحات ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ من الجزء الرابع من المختصر ، لأبي الفدا .

Marfat.com

قدم دمشق واشتغل الناس عليه بها مدة ، ثم أقام بحلب واشتغلنا عليه ثم بالقدس . وكان صالحاً صادقاً زاهداً قانعاً، وله مصنفات منها شرح الشاطبية أربع مجلدات. وفيها في شعبان قبض على تمرتاش بن جوبان ثم مات في شوال.

ذكر وفاة ابن تيمية

وفيها في ليلة الاثنين والعشرين من ذي القعدة توفي شيخ الاسلام تقي الدين ابو العباس احمد بن المفتي شهاب الدين عبد الحليم بن شيخ الاسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبدالله بن ابي القاسم بن تيمية الحراني الحنبلي[1] معتقلا بقلعة دمشق وغسل وكفن وأخرج وصلى عليه أولاً بالقلعة الشيخ محمد ابن تمام ، ثم بجامع دمشق بعد الظهر وأخرج من باب الفرج واشتد الزحام في سوق الخيل، وتقدم عليه في الصلاة هناك أخوه، وألقى الناس عليهم مناديلهم وعمائمهم للتبرك ، وتراص الناس تحت نعشه ، وحزرت النساء بخمسة عشر الفاً ، وأما الرجال فقيل : كانوا مائتي الف.وكثر البكاء عليه وختمت له عدة ختم وتردد الناس الى زيارة قبره اياماً، ورؤيت له منامات صالحة ورثاه جماعة.

قلت ورثيته أنا بمرثية على حرف الطاء فشاعت واشتهرت ، وطلبها مني الفضلاء والعلماء من البلاد وهي :

عثا في عرضه قوم سلاط ... لهم من نثر جوهره التقاط
تقي الدين أحمد خير حبر ... خروق المعضلات به تخاط
توفي وهو محبوس فريد ... وليس له إلى الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لألفوا ... ملائكة النعيم به أحاطوا
قضى نحباً وليس له قرين ... ولا لنظيره لف القماط

(١) اقتبس المؤلف – ابن الوردي – هذه النبذة من ترجمة الشيخ ابن تيمية ، عن«الدرة اليتيمة في السيرة التيمية » للامام الحافظ شمس الدين محمد الذهبي . هذا ولم يرد شيء من هذه التفاصيل أو حتى مجرد ذكر وفاة ابن تيمية في حوادث سنة ٧٢٨ في المختصر لأبي الفدا ، بل معظم ما ذكره أبو الفداء في هذه السنة وعدة سنوات قبلها ، أحداث وأخبار تتصل به ، مثل سفره وعوده واتصاله بالسلطان .. ولم يذكر ابن الوردي منها شيئاً .

فتى في علمه أضحى فريداً وحل المشكلات بـــه يناط
وكان إلى النقى يدعو البرايا وينهى فرقـــة فسقوا ولاطوا
وكان الجـــن تفرق من سطاه بوعظ للقلوب هـــو السياط
فيـا لله مـا قـد ضم لحـــد ويا لله مـــا غطّى البلاط
هم حسدوه لمـــا لم ينالوا مناقبه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عـــن طرائقه كسالى ولكن في أذاه لهـــم نشاط
وحبس الدر في الأصداف فخر وعنـــد الشيخ بالسجن اغتباط
بآل الهـــاشمي له اقتـداء فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا
بنـو تيميـة كانوا فبـــانوا نجوم العـــلم أدركها انهباط
ولكن يا ندامـة حابسيـــه فشك الشرك كان بـه يماط
ويا فرح اليهـــود بما فعلتم فإن الضد يعجبـــه الخباط
ألم يك فيكم رجـل رشيـد يرى سجن الإمام فيستشاط
إمـام لا ولاية كان يرجـو ولا وقف عـليه ولا رباط
ولا جاراكم في كسب مال ولم يعهـــد له بكم اختلاط
ففـيم سجنتموه وغظتمـــوه أمـا لجزا أذيتـــه اشتراط
وسجن الشيخ لا يرضاه مثلي ففيـه لقدر مثلكم انحطاط
أمـــا والله لولا كتم سري وخوف الشر لانحـل الرباط
وكنت أقول ما عندي ولكن بأهل العلم ما حسن اشتطاط
فما أحد إلى الإنصاف يدعـــو وكل في هـواه له انخراط
سيظهر قصـــدكم يا حابسيـه وننبئكم إذا نصب الصراط
فها هو مات عنكم واسترحتم فعاطوا ما أردتم أن تعاطوا
وحـلوا واعقـدوا من غـير رد عليكم وانطوى ذاك البساط

وكنت اجتمعت به رحمه الله تعالى بدمشق سنة خمس عشرة وسبعمائـة ، بمسجده بالقصاعين وبحثت بين يديه في فقه وتفسير ونحو ، فأعجبـه كلامي وقبل وجهي وإني لأرجو بركة ذلك ، وحكى لي عن واقعته المشهورة في

Marfat.com

جبل كسروان وسهرت عنده ليلة ، فرأيت من فتوّته ومروءته ومحبته لأهل العلم ولا سيما الغرباء منهم أمراً كثيراً ، وصليت خلفه التراويح في رمضان فرأيت على قراءته خشوعاً ورأيت على صلاته رقة حاشية تأخذ بمجامع القلوب.

مولده رحمه الله ورحمنا به ، بحرّان يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة ، هاجر والده به وبأخوته إلى الشام من جور التتر ، وعني الشيخ تقي الدين بالحديث ،ونسخ جملة ،وتعلم الخط والحساب في المكتب وحفظ القرآن ثم أقبل على الفقه ، وقرأ أياماً في العربية على ابن عبد القوي، ثم فهمها وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهمه ، وبرع في النحو ، وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً حتى سبق فيه ، وأحكم أصول الفقه ، كل هذا وهو إبن بضع عشرة سنة ، فانبهر الفضلاء من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وإدراكه ، ونشأ في تصون تام وعفاف وتعبد واقتصاد في الملبس والمأكل .

وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره ، فيناظر ويفحم الكبار ويأتي بما يتحيرون منه ،وأفتى وله أقل من تسع عشرة سنة ، وشرع في الجمع والتأليف ومات والده وله إحدى وعشرون سنة ، وبعد صيته في العالم فطبق ذكره الآفاق وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسي من حفظه فكان يورد المجلس ولا يتلعثم ، وكذلك الدرس بتؤدة وصوت جهوري فصيح يقول في المجلس أزيد من كراسين ، ويكتب على الفتوى في الحال عدة أوصال بخط سريع في غاية التعليق والاغلاق [1] .

---

(١) قال الشيخ العلامة كمال الدين بن الزملكاني علم الشافعية في خط كتبه في حق ابن تيمية : كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع انه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم بأن لا يعرفه أحد مثله ، وكانت الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا في مذاهبهم منه أشياء ، قال : ولا يعرف انه ناظر أحداً فانقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه أهله ، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ، اهـ — المؤلف .

Marfat.com

وكانت له خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث وبالعالي والنازل والصحيح والسقيم مع حفظه لمتونـه الذي انفرد به وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه أن يقال « كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث » ولكن الاحاطة لله غير أنه يغترف فيه من بحر وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي . وأما التفسير فسلم إليـه ، وله في استحضار الآيات للاستدلال قوة عجيبة ولفرط إمامته في التفسير وعظمـة إطلاعه بيَّن خطأ كثيراً من أقوال المفسرين،وكان يكتب في اليوم والليلة من التفسير أو من الفقـه أو من الأصلين أو من الرد على الفلاسفة والأوائل نحواً من أربعة كراريس ، قال وما يبعد ان تصانيفه الى الآن تبلغ خمسمائة مجلد .

وله في غير مسألة مصنف مفرد كمسألة التحليل وغيرهـا ، وله مصنف في الرد على ابن مطهر العالم الحلي في ثلاث مجلدات كبـار وتصنيف في الرد على تأسيس التقديس للرازي في سبع مجلدات ، وكتـاب في الرد على المنطق وكتاب في الموافقة بين المعقول والمنقول في مجلدين وقد جمع أصحابه من فتاويه ست مجلدات كبار . وله باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين قلَّ أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة ، وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة ، وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة [1] .

وله مصنف سماه السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعيـة ، وكتاب رفع الملام عن الائمة الأعلام وبقي عدة سنين لا يفتي بمذهب معين بل بمـا قام الدليل عليه عنده ، ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية ، واحتج لهـا

---

(١) قال القاضي المنشي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل‌الله في ترجمته : جلس الشيخ إلى السلطان محمود غازان حيث تجم الأسد في آجامها وتسقط القلوب دواخل أجسامها وتجد النار فتوراً في ضرمها والسيوف فرقاً في قرمها خوفاً من ذلك السبع المغتال والنمرود المحتال والأجل الذي لا يدفع بحيلة محتال فجلس اليه وأومأ بيده إلى صدره وواجهه ودرأ في نحره رطلب منه الدعاء.فرفع يديه ودعا دعاء منصف أكثره عليه وغازان يؤمن على دعائه ـ المؤلف.

ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها ، وأطلق عبارات أحجم عنهـــا الأولون والآخرون وهابوا وجسر هو عليها حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه وبدعوه وناظروه وكابروه وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي بل يقول الحق المر الذي أدى اليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعـة دائرته في السنن والأقوال وجرى بينه وبينهم حملات حربية ووقعات شامية ومصرية ، كان معظماً لحرمات الله دائم الابتهال كثير الاستعانة قوي التوكل ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يديمها ، وله من الطرف الآخر محبون من العلمـاء والصلحاء والجند والأمراء والتجار والكبراء وسائر العامة تحبه، بشجاعته تضرب الأمثال وببعضها يتشبه أكابر الأبطال ، ولقد أقامه الله في نوبة غـازان والتقى أعباء الأمر بنفسه واجتمع بالملك مرتين وبخطلو شاه وبولان ، وكان قبجق يتعجب من إقدامه وجرأته على المغل .

وكتب ابن الزملكاني على بعض تصانيف ابن تيمية هذه الأبيات :

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قـــاهرة هو بيننا أعجوبة العصر
هو آية في الخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجر

ولما سافر ابن تيمية على البريد إلى القاهرة سنة سبعمائة وحض على الجهاد رتب له مرتب في كل يوم وهو دينار وتحفة وجاءته بقجة قماش فلم يقبل من ذلك شيئاً . وقال القاضي أبو الفتح بن دقيق العيد : لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد . وحضر عنده شيخ النحاة أبو حيان وقال ما رأت عيناي مثله . وقـــال فيه على البديهة أبياتاً منها :

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا مقام سيد تيم إذ عصت مضر
فأظهر الحق إذ آثاره درست وأخمد الشر إذ طارت له الشرر
كنا نحدث عن حبر يجيء فها أنت الامام الذي قد كان ينتظر

Marfat.com

ولما جاء السلطان إلى شقحب والخليفة لاقـــاهما إلى قرن الحرة وجعل يثبتهما فلما رأى السلطان كثرة التتار قال : يا خالد بن الوليد قال قل يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين ، وقـــال للسلطان : اثبت فأنت منصور فقال له بعض الأمراء : قل إن شاء الله فقال : إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً . فكان كما قال. إنتهى ملخصاً.وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت اني ما رأيت بعيني مثله ولا رأى هو مثل نفسه في العلم ، وكان فيه قلة مداراة وعدم تؤدة غالباً ، ولم يكن من رجال الدول ولا يسلك معهم تلك النواميس ، وأعان أعـداءه على نفسه بدخوله في مسائل كبار لا يحتملها عقول أبناء زماننا ولا علومهم ، كمسألة التكفير في الحـلف بالطلاق ومسألة أن الطلاق بالثلاث لا يقع إلا واحدة ،وأن الطلاق في الحيض لا يقع،وساس نفسه سياسة عجيبة فحبس مرات بمصر ودمشق والإسكندرية، وارتفع وانخفض واستبد برأيه وعسى أن يكون ذلك كفارة له ، وكم وقع في صعب بقوة نفسه وخلصه الله .

وله نظم وسط ، ولم يتزوج ولا تسرَّى ولا كان له من العـلوم إلا شيء قليل وكان أخوه يقوم بمصالحه ، وكان لا يطلب منهم غداء ولا عشاء غالباً ، وما كانت الدنيا منه على بال . وكان يقول في كثير من أحوال المشايخ إنهـا شيطانية أو نفسانية فينظر في متابعة الشيخ الكتاب والسنة فإن كان كذلك فحاله صحيح وكشفه رحماني غالباً وما هـو بالمعصوم ، وله في ذلك عـدة تصانيف تبلغ مجلدات من أعجب العجب ، وكم عوفي من الصراع الجني إنسان بمجرد تهديده للجني ، وجرت له في ذلك فصول ولم يفعـل أكثر من أن يتلو آيات ويقول : إن لم تنقطع عن هذا المصروع وإلا عملنا معك حكم الشرع وإلا عملنا معك مـا يرضي الله ورسوله ، وفي آخر الأمر ظفروا له بمسألة السفر لزيارة قبور النبيين ، وأن السفر وشد الرحال لذلك منهي عنه لقوله ﷺ : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . مع اعترافه بأن الزيارة بلا شد رحل

Marfat.com

قربة ، فشنعوا عليه بها ، وكتب فيها جماعة بأنه يلزم من منعه شائبة تنقيص للنبوّة فيكفر بذلك .

وأفتى عدة بأنه مخطىء بذلك خطأ المجتهدين المغفور لهم ووافقه جماعة وكبرت القضية فأعيد الى قـــاعة بالقلعة فبقي بضعة وعشرين شهراً ، وآل الأمر إلى أن منع من الكتابة والمطالعة ، وما تركوا عنده كراساً ولا دواة ، وبقي أشهراً على ذلك ، فأقبل على التلاوة والتهجد والعبادة حتى أتاه اليقين فلم يفجأ الناس إلا نعيه وما علموا بمرضه فازدحم الخلق عند باب القلعة وبالجامع زحمة صلاة الجمعة وأرجح ، وشيعه الخلق من أربعة أبواب البلد وحمل على الرؤوس ، وعاش سبعاً وستين سنة وأشهراً ، وكان أسود الرأس قليل شيب اللحية ربعة جهوري الصوت أبيض أعين .

قلت تنقّص مرة بعض الناس من ابن تيمية عند قاضي القضاة كمال الدين ابن الزملكاني وهو بحلب وأنا حاضر فقال كمال الدين : ومن يكون مثل الشيخ تقي الدين في زهـــده وصبره وشجاعته وكرمه وعلومه ، والله لولا تعرضه للسلف لزاحمهم بالمناكب .والله أعلم [1]

وفيها[2] اشتهر موت الأمير شمس الدين قره سنقر[3] الجوكندار المنصوري باشر النيابة بمصر وبدمشق وبحلب ، وعمر جوامع ومساجد ، وكان ذا فهم ودهاء وهرب الى التتر فأقام عندهم محترماً ، وأقطعوه مراغة وجاوز التسعين. **وفيها** مات الأمير سيف الدين ايجية الأبوبكري وكان فيه خير. **وفيها** أخرج من سجن قلعة دمشق الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي إمـــام الجوزية بشرط أن لا يدخل في فتوى . **وفيها** يوم عرفة أخرج علم الدين الجاولي من الحبس . **وفيها** جاء سيل عظيم على عجلون خرب سوق التجار

---

(١) أورد هنا ابن الوردي هذه الفقرة فقط مسبوقة بكلمة « قلت » ، ومنتهية بكلمة « والله أعلم » ، رغم أن كل ما أورده عن ابن تيمية وغيره من الحوادث ، لم يرد بالمختصر لأبي الفدا. وسنورد تفسيراً لذلك في مكان آخر .

(٢) تابع حوادث وأخبار سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

(٣) أنظر ص ٢٣٨ من « درر المنتخبات » .

Marfat.com

والمارستان والدباغة وبعض الجامع ، وهلك جماعة وعدمت أموال قدرت بمائتي الف وسبعين الفاً .

سنة تسع وعشرين وسبعمائة :

وفي المحرم منها توجه القاضي محيي الدين بن فضل الله الى مصر وكتب السر للسلطان لفالج أصاب كاتب السر علاء الدين بن الأثير المعري الأصل ، وكتب السر بدمشق القاضي شرف الدين بن الشهاب محمود . **وفيها** حضر مع الركب العراقي في تابوت جوبان وولده ، وأرادوا دفنهما في الجوبانية غربي الحجرة النبوية وهي في غاية الحسن فأخر دفنهما حتى يأتي مرسوم السلطان بذلك . **وفيها** في المحرم مات بمصر المفتي الزاهد نجم الدين محمد بن عقيل البالسي الشافعي ، ناب عن ابن دقيق العيد وولي قضاء دمياط ، وكان من علماء مصر .

وفيها في صفر مات عامل بيت المال بدمشق ، وكان أولا سامرياً اسمه نفيس فسمي محمداً ، وحفظ القرآن ، وكان يقرأ في السبع بالحائط الشمالي . **وفيه** مات الفقيه الصالح شهاب الدين أحمد بن هلال الزرعي الحنبلي والد القاضي برهان الدين بدمشق . **وفيه** كمل ترخيم الحائط القبلي بجامع دمشق وزخرفته . **وفيها** في ربيع الأول توفي الأمير قطلبك الرومي بدمشق وكان حاجباً وهو الذي ولي عمارة قناة القدس . **وفيه** ظهر بالقاهرة ابن سالم والمخدوم ولهما أتباع حرامية كانوا يخطفون العمائم فأمسكوا وسمر بعضهم . **وفيها** في ربيع الآخر قدم أولاد قره سنقر المنصوري دمشق وأعطوا أملاكهم بها وأمر كبيرهم علاء الدين بها . **وفيه** مات الصدر الكبير نجم الدين علي بن هلال الأزدي بدمشق . كتب الطباق فأكثر وأوصى أن يكتب على قبره « يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » . **وفيه** دفن جوبان وإبنه بالبقيع ولم يمكنا من الدفن في الجوبانية . **وفيها** في جمادى الأولى **توفي شيخنا الشيخ برهان الدين ابراهيم بن الشيخ تاج الدين**

Marfat.com

عبد الرحمن بن ابراهيم بن سباع الفزاري بالبـــاذرانية ودفن عقيب الجمعة بالبـــاب الصغير وشيعه الخلق ، ومولده ربيع الأول سنة ستين ، درس بالباذرانية ، وله حلقة بالجامع ، جمع بين حسن الخلق والكرم وقضاء الحقوق ولين العريكة والصيانة والديانة ، وعرضت عليه المناصب الكبار وألح عليه فيها كالقضاء والخطابة بدمشق فتمنع . وساد في معرفة المذهب ، وله تأليف في الفرائض ، وله تعليقـــة على التنبيه نحو عشرين مجلداً تنبىء عن اطلاع عظيم وتحقيق . وله يد في الأصول ولا سيما مختصر ابن الحاجب وفي المنطق وكان كثير الديانة والورع والتقشف ، أفتى في شبيبته ونزل عن الخطابة بعد أن وليها ، وتصدى للاشتغال والفتوى ، وكان متحرزاً في نقله وفتاويه يقف مع النقل في الفتاوى تديناً ، متقللاً من الدنيا . رحمه الله تعالى .

قال لي يوماً قاضي القضاة شمس الدين محمد بن النقيب الشافعي أحسن الله عاقبته ، لقد تصدى الشيخ تاج الدين وولده برهـــان الدين لنفع هذه الأمة ثمانين سنة . **قلت** :

قد كان أعظمهم زهداً وأرفعهم مجداً وأسهرهم في العلم أجفانا
ما أودع الله من فضل لوالده إلا ونحن نراه في ابنه الآنا
إني لأصغر نفسي لازمـــاً أدبي من أن أقيم على البرهان برهانا

وفيه[1] مات بدمشق **شيخ الحنابلة مجد الدين اسماعيل** الحراني ومولده سنة ست وأربعين بحران . كان يقرىء الكافي والمقنع ، ويحفظ أحـــاديث الأحكام بلفظها معزوّة ويقال : إنه قرأ المقنع مـــائة مرة . وكان خيراً لا يغتاب أحداً ولا يخالط ولا يتكلف في ملبس ولا تودّد ، ومن كلامه: ما وقع في قلبي الترفع على أحد فاني خبير بنفسي ولست أعرف أحوال النـــاس . **وفيها** في جمادى الآخرة مات بمصر العالم البارع معين الدين هبة الله بن حشيش

---

(١) أي في جمادى الأولى من سنة تسع وعشرين وسبعمائة .

Marfat.com

ناظر الجيش فاضل ذكي أديب حسن المحاضرة كثير الاشتغال عارف بالحساب متواضع . **وفيه** تولى شهاب الدين أحمد بن جهيل تدريس الباذرانية موضع شيخنا برهان الدين . **وفيه** توفي الصاحب شرف الدين يعقوب بن جلال الدين عبد الكريم بمدينة حماة ، ودفن بتربة اسندمر ، باشر نظر المماليك بدمشق وحجابة الديوان بحلب ونظر الجيش بها ونظر طرابلس وغير ذلك ، وكان واسع الصدر كثير المكارم . رحمه الله تعالى .

وفيها في رجب مـــات الشيخ عبد الله أيبك المولة عتيق الحريري فجأة بالقاهرة وشيعه خلائق. كان لا يكلم أحداً ولا يستر عورته ويأكل في رمضان. **وفيها** في شعبان مات حسام الدين الخوارزمي حاجب الشأم ، وكان شيخاً مهيباً يرسل إلى المغرب ودفن بتربته بالقبيبات . **وفيها** في شوال توفي **قاضي القضاة شيخ الشيوخ علاء الدين** علي بن يوسف التبريزي ثم القونوي الشافعي ودفن بسفح قاسيون، كان محمود السيرة في قضائه متفنناً ومحاسنه جمة وتواضعه وآدابه وافرة وطاب الثناء عليه وشرح الحاوي في مجلدات ، ولمـــا بلغ السلطان وفاته تعجب وقال سبحان الله العظيم . وكان القاضي بدر الدين ابن جماعة عمره قاضياً ومات صوفياً وكان القونوي عمره صوفياً ومـــات قاضياً . **قلت :**

إن رمت تذكر في زمانك عالياً متواضعاً فابدأ بذكر القونوي
ولي القضاء وصار شيخ شيوخهم والقلب منه على التصوّف منطوي
زادوه تعظيماً فزاد تواضعـــاً الله أكبر هكذا البشر السوي

وفيه رسم ملك الأمراء سيف الدين تنكز بتوسعـــة الطرق بدمشق كسوق السلاح وباب البريد وسوق مسجد القصب وخارج باب الجـــابية وأصلحت قنى دمشق وخربت أملاك النـــاس وخسرت عليها أموال حتى عادت . **قلت** فقيل في ذلك :

يا جلق الفيحاء لا تفرحي بما جرى من سعة الطرق
قد كان في طرقك ضيق وقد أصبح منقولاً إلى الرزق

وفيها في ذي الحجة مات الصاحب الكبير عز الدين حمزة بن علي بن القلانسي الدمشقي ودفن بتربتهم بالصالحية ، ولي الوزارة ، وكان رئيس زمانه بدمشق . **وفيه** أخرجت كلاب دمشق وألقيت في الخندق وفصل بين الإناث والذكور بحائط لئلا تتوالد قيل كانت خمسة آلاف كلب .

قلت : لا يغتر أحد بقول النووي في الروضة يكره قتل الكلب الذى ليس بعقور كراهة تنزيه فان المصنفين مصرحون بالتحريم حتى النووي في شرح المهذب قال : وقال إمام الحرمين والأمر بقتل الكلاب منسوخ ، وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب مرة ، ثم صح أنه نهى عن قتلها ، قال : واستقر الشرع عليه على التفصيل المعروف فأمر بقتل الأسود البهيم ، وكان هذا في الابتداء وهو الآن منسوخ . هذا كلام إمام الحرمين ولا مزيد على تحقيقه . والله أعلم[1] .

سنة ثلاثين وسبعمائة :

وفيها في المحرم توفي القاضي علاء الدين علي بن الأثير كان كاتب السر بمصر ثم فلج وانقطع فولي مكانه القاضي محيي الدين بن فضل الله . **وفيه** مات الشيخ فتح الدين بن قرناص الحموي ولي نظر جامع حماه ، وله نظم . **وفيه** قدم قاضي القضاة علم الدين محمد بن أبي بكر الأخنائي صحبة نائب الشأم عوضاً عن القونوي . **وفيه** توفي الوزير الزاهد العالم أبو القاسم محمد بن الوزير الأزدي الغرناطي بالقاهرة قافلاً من الحج بلغ من الجاه ببلده إلى أنه كان يولي في الملك ويعزل ، وكان ورعاً شريف النفس عاقلاً أوصى أن تباع ثيابه وكتبه ويتصدق بها .

---

(١) لم يورد ابن الوردي هنا خبراً عن صاحب سيس ، ورد في بعض التواريخ الأخرى ، فقد ذكر أن ليفون بن أوشين لما اشتد ساعده ، قتل الحاكم – صاحب الكرك – وأرسل رأسه إلى السلطان فأرسل إليه تشريفاً وسيفاً وفرساً . أنظر ص ٩٩ ج ٤ . المختصر . لأبي الفدا .

وفيها في صفر مات بدمشق سيف الدين بهادر المنصوري بداره وشيعه النائب والأعيان . **وفيه** مات مسند العصر شهاب الدين أحمد بن أبي طالب الصالحي الحجار ابن شحنة الصالحية توفي بعد السماع عليه بنحو من ساعتين، كان ذا ذين وهمة وعقل وإليه المنتهى في الثبات وعدم النعاس ، وحصلت له للرواية خلع ودراهم وذهب وإكرام ، وشيعه الخلق والقضاة ونزل الناس بموته درجة . **وفيه** توفي قاضي القضاة فخر الدين عثمان بن كمال الدين محمد ابن البارزي الحموي الجهني قاضي حلب فجأة بعد أن توضأ وجلس بمجلس الحكم ينتظر إقامة العصر ، حج غير مرّة ، وكان يعرف الحاوي في الفقه وشرحه في ست مجلدات ، وكان يعرف الحاجبية والتصريف ، وكان فيه دين وصداقة رحمة الله تعالى .

وفيه في ربيع الآخر تولى قضاء القضاة بحلب القاضي شمس الدين محمد ابن النقيب نقل من طرابلس وولي طرابلس بعده شمس الدين محمد بن المجد عيسى البعلي سار من دمشق اليها . **وفيها** في جمادى الاولى أنشأ الامير سيف الدين مغلطاي الناصري مدرسة حنفية بالقاهرة ومكتب أيتام . **وفيها** في جمادى الآخرة مات الامير العالم سيف الدين أبو بكر محمد بن صلاح الدين ابن صاحب الكرك بالجبل وكان فاضلاً شاعراً . **وفيه** وصل الخبر بعافية السلطان من كسر يده فزينت دمشق وخلع على الامراء والاطباء. **وفيه** مات بمكة قاضيها الامام نجم الدين أبو حامد . **وفيه** مات الشيخ ابراهيم الهدمة ، وله كرامات وشهرة . **وفيه** حضرت رسل الفرنج يطلبون بعض البلاد فقال السلطان لولا أن الرسل لا يقتلون لضربت أعناقكم ثم سفروا . **وفيها** في رجب ماتت زوجة تنكز وعمل لها تربة حسنة قرب باب الخواصين ورباط . **وفيها** في رمضان مات قاضي طرابلس شمس الدين محمد بن مجد الدين عيسى الشافعي البعلي ، وكان صاحب فنون . قلت :

لقد عاش دهراً يخدم العلم جهده ... وكان قليل المثل في العلم والود
فلما تولى الحكم ما عاش طائلاً ... فما هنىء ابن المجد والله بالمجد

Marfat.com

وفيه أنشأ الأمير سيف الدين قوصون الناصري جامعاً عند جامع طولون عند دار قتّال السبع ، فخطب به أول يوم قاضي القضاة جلال الدين بحضور السلطان ، وقرر لخطابته القاضي فخر الدين محمد بن شكر . **وفيها** في شوال مات رئيس الكحالين نور الدين علي بمصر . **وفيه** احترقت الكنيسة المعلقة بمصر وبقيت كوماً . **وفيه** قدم رسول صاحب اليمن بهدية فقيد وسجن لأن صاحب الهند بعث إلى السلطان بهدايا فأخذها صاحب اليمن وقتل بعض من كان معها وحبس بعضهم .

وفيها في ذي القعدة مات الامير علاء الدين قلبرس بن الأمير علاء الدين طبرس بدمشق بالسهم وكان مقدم ألف ، وله معروف وخلف أموالاً ، ومات الامير سيف الدين كوليجار المحمدي . **وفيها** بدمشق في ذي الحجة مات المعمر المسند زين الدين ايوب بن نعمة ، وكانت لحيته شعرات يسيرة ، وكان كحالاً . ومات بها ايضاً الصالح الزاهد الشيخ حسن المؤذن بالمأذنة الشرقية بالجامع ، وكان مجاوراً به . ومات بدر الدين محمد بن الموفق ابراهيم بن داود ابن العطار اخو الشيخ علاء الدين ببستانه وصلاح الدين يوسف بن شيخ السلامية صهر الصاحب وشيعه الخلق وفجع به أبواه ، وكان شاباً متميزاً من ابناء الدنيا المتنعمين [1] .

سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة :

ذكر ثورة عبيد مكة

فيها وردت كتب الحجاج بما جرى بمكة شرفها الله تعالى حول البيت من ثورة عبيد مكة ساعة الجمعة بالوفد من النهب والجراحة ، وقتل جماعة من

---

(١) يلاحظ أنه في هذه السنة والتي قبلها ، وما يليها حتى نهاية هذا التاريخ ٤٤٩ هـ. تطابق ما أورده ابن الوردي مع ما ورد في « المختصر في أخبار البشر » لأبي الفدا ، تطابقاً حرفياً؛ هذا رغم ما ذكره ابن الوردي في المقدمة وكرره في أخبار سنة ٧٠٩ بقوله : «هذا آخر ما وقف عليه المؤلف رحمه الله تعالى فيما علمت ، ومن هنا شرعت في التذييل عليه » . وسنذكر تفسيراً لذلك في مكان آخر .

الحجاج ، وقتل أمير مصري وهو أيدمر أمير جندار وابنه، ولما بلغ السلطان ذلك غضب وجرد جيشاً من مصر والشأم للانتقام من فاعلي ذلك . **وفيها** في المحرم ايضاً مات الامير الكبير شهاب الدين طغان بن مقدم الجيوش سنقر الاشقر ودفن بالقرافة ، جاوز الستين ، وكان حسن الشكل . ومات الصالح كمال الدين محمد بن الشيخ تاج الدين القسطلاني بمصر سمع ابن الدهان وابن علاق والنجيب وحدث ، وكان صوفياً . **وفيها** في صفر مات قاضي القضاة عز الدين محمد ابن قاضي القضاة تقي الدين سليمان بن حمزة الحنبلي بدمشق بالدير، ومولده في ربيع الآخر سنة خمس وستين سمع من الشيخ وابن النجاري وأبي بكر الهروي وطائفة ، وأجاز له ابن عبد الدائم ، وكان عاقلاً ولي القضاء بعد ابن مسلم وحج ثلاث مرات .

وماتت ام الحسن فاطمة بنت الشيخ علم الدين البرزالي سمعت الكثير من خلق وحدثت وكتبت ربعة وأحكام ابن تيمية والصحيح وحجت ، وكانت تجتهد يوم الحمام أن لا تدخل حتى تصلي الظهر وتحرص في الخروج لإدراك العصر رحمها الله تعالى . **وفيها** في صفر أيضاً وصل نهر الساجور إلى نهر قويق وانصبا إلى حلب بعد غرامة أموال عظيمة ، وتعب من العسكر والرعايا بتولية الأمير فخر الدين طمان .

وفيها في ربيع الأول **مات بحلب الأمير سيف الدين أرغون الناصري** نائبها ، وخرجت جنازته بلا تابوت وعلى النعش كساء بالفقيري من غير ندب ولا نياحة ولا قطع شعر ولا لبس جل ولا تحويل سرج حسبما أوصى به ، ودفن بسوق الخيل تحت القلعة وعملت عليه تربة حسنة ولم يجعل على قبره سقف ولا حجرة بل التراب لا غير . وكان متقناً لحفظ القرآن مواظباً على التلاوة ، عنده فقه وعلم ، ويرد أحكام الناس إلى الشرع الشريف حتى كان بعض الجهال ينكر عليه ذلك ، وكتب صحيح البخاري بخطه بعدما سمعه من الحجاز ، واقتنى كتباً نفيسة وكان عاقلاً وفيه ديانة رحمه الله .

وفيها في صفر أيضاً ولي قضاء الحنابلة بدمشق الشيخ شرف الدين بن

الحافظ واستناب ابن أخيه القاضي تقي الدين عبد الله بن احمد . ومات القاضي الفقيه الأديب ضياء الدين علي بن سليم بن ربيعة الأذرعي الشافعي بالرملة ناب عن القاضي عز الدين بن الصائغ وناب بدمشق عن القونوي ، ونظم التنبيه في الفقه في ستة عشر ألف بيت وشعره كثير .

ومات الرئيس زين الدين يوسف بن محمد بن النصيبي بحلب سمع من شيخ الشيوخ عز الدين مسند العشرة وحدث ، قارب الثمانين .

وفيها في ربيع الآخر مات الأمير سيف الدين طرشي الناصري بمصر أمير مائة حج غير مرة ، وفيه ديانة . ومات الشيخ عـــلاء الدين بن صاحب الجزيرة الملك المجاهد إسحاق ابن صاحب الموصل لؤلؤ بمصر سمع جزء بن عرفة من النجيب والجمعة من ابن علاق، وكان جندياً له ميرة . ومات بحلب نور الدين حسن بن الشيخ المقري جمـــال الدين الفاضلي ، روى عن زينب بنت مكي ، وكان كاتباً بحلب . ومات الأمير علم الدين سنجر البرواني بمصر فجأة ، كان أمير خمسين من الشجعان. ومات الصالح المسند شرف الدين احمد بن عبد المحسن ابن الرفعة العدوي سمع وحدث. ومات ليلة الجمعة تاسع وعشري ربيع الآخر بدر الدين محمد بن ناهض إمام الفردوس بحلب سمع عوالي الغيلانيات[1] الكبير على القطب ابن عصرون وحدّث وله نظم . ومات رئيس المؤذنين بجـــامع الحاكم نجم الدين أيوب بن علي الصوفي وكان بارعاً في فنه ، له أوضاع عجيبة وآلات غريبة .

وفيها في جمادى الأولى عاد الأمير علاء الدين الطنبغا إلى نيابة حلب وفرح الناس به وأظهروا السرور . **وفيها** حضر بمكة الأمير رميثة بن أبي نمي الحسني وقرىء تقليده ، ولبس الخلعة بولاية مكة، وحلف مقدم العسكر الذين وصلوا اليه والأمراء له بالكعبة الشريفة ، وكان يوماً مشهوداً وكان وصول الجيش إلى مكة في سابع عشر ربيع الآخر . **وفيه** مات الامـــام الورع ، موفق الدين أبو الفتح الجعفري المالكي ، وشيعه خلق إلى القرافة ، وقارب السبعين

---

(١) الغيلانيات من أجزاء الأحاديث. انظر ص ٦٠ من الجزء الثاني من «كشف الظنون».

Marfat.com

ولم يحدّث . ومات العدل المعمر برهان الدين إبراهيم بن عبد الكريم العنبري ، باشر الصدقات والأيتام والمساجد ، وهو خال ابن الزملكاني . ومات القاضي تاج الدين بن النظام المالكي بالقاهرة ، ومات « **أبو دبوس** » المغربي بمصر ، قيل أنه ولي مملكة قابس ثم أُخذت منه ، فترح فأعطي إقطاعاً في الحلقة .

وفيها في جمادى الآخرة مات القاضي التاج أبو إسحاق عبد الوهاب بن عبد الكريم وكيل السلطان ، وناظر الخواص بمصر . **وفيه** وصل إلى دمشق العسكر المجرد إلى مكة ومقدمهم الجي بغا ، غابوا خمسة أشهر سوى أربعة أيام وأقاموا بمكة شهراً ويوماً ، وحصل بهم الرعب في قلوب العرب وهرب من بين أيديهم عطيفة والأشراف بأهلهم وثقلهم ، وعوض عن عطيفة بأخيه رميثة وقرر مكانه . **ومات الأمير حسام الدين** طرنطاي العادلي الدواتدار بمصر ، وكان ديّناً وله سماع ، ومات المجد بن اللفيتة ناظر الدواوين بالقاهرة ، ومات الرئيس تاج الدين بن الدمامليي كبير الكرامية بمصر ، قيل ترك مائة ألف دينار ، ووصل الحاج عمر بن جامع السلامي إلى دمشق من إصلاح عين تبوك جمع لها من التجار دون عشرين الفاً وأُحكمت .

وفيها في رجب **مات** بمصر العلامة فخر الدين عثمان بن إبراهيم التركماني سمع من الابرقوهي ، وشرح الجامع الكبير وألقاه في المنصورة دروساً ، وكان حسن الأخلاق فصيحاً ودرّس بها بعده ابنه . **ومات** بمصر القاضي جمال الدين بن عمر البوزنجي المالكي معيد المنصورة . **وفيها** في شعبان كان بدمشق ريح عاصفة حطمت الاشجار ، ثم وقع في تاسعه برد عظيم قدر البندق. **وفيه** جاء من الكرك الملك أحمد بن مولانا السلطان الملك الناصر وختن بعد ذلك بأيام وأنفذ إلى الكرك أخ له اسمه إبراهيم . **ومات** سيف الدين كشتمر الطباخي الناصري بمصر كهلاً ، تفقه لأبي حنيفة وكان دينـــاً ، وأحدثت بالمدرسة المعزية على شاطىء النيل الخطبة ، وخطب عز الدين عبد الرحيم بن الفرات حنفي رتب ذلك سيف الدين طقز دمر أمير الجيش .

وفيها في رمضان قدم دمشق العلامة تاج الدين عمر بن علي اللخمي بن الفكهاني

Marfat.com

المالكي من الإسكندرية لزيارة القدس والحج فحدّث ببعض تصانيفه ، وسمع الشفاء وجامع الترمذي من ابن طرخان وصنّف جزءاً في أن عمل المولد في ربيـــع الأول بدعة . **وفيها** في ذي القعـدة مات الصاحب تقي الدين بن السلعوس بالقاهرة فجأة ، حج وسمع من القارون . **ومات** القاضي جمال الدين أحمد بن محمـد القلانسي التميمي ، درس بالأمينية والظاهرية وعمل الانشاء بدمشق . **وفيها** في ذي الحجة **مات الامير نجم الدين البطاحي** ولي أستـــاذدارية السلطنة ، ومات أمين الدين بن البض ، أنفق أموالاً في بناء خان المزيرب وفي بناء مسجد الذباب والمأذنة ، قيل أنفق في وجوه البر مائتي الف وخمسين ألفاً ومات بدمشق الأمير ركن الدين عمر بن بهادر ، وكان مليح الشكل وجاء التقليد بمناصب جمال الدين بن القلانسي لأخيه .

سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة :

في المحرم منها توفي الشيخ الكبير العابد المقري ، أبو محمـــد بن سلطان القرامزي الحنبلي بجوبر ودفن بتربة له جوار قبة القلندري بدمشق . وكان مشهوراً بالمشيخة يتردد اليه الناس ،سمع من ابن أبي اليسر وابن عساكر وحدث بدمشق ومصر ، وقرأ بالروايات على الشيخ حسن الصقلي. ومات الامير الكبير علم الدين الدميثري ولي نيابة قلعة دمشق مدة . وحصل بحمص سيل عظيم هلك به خلائق . ومات بحمام تنكز بها نحو مائتي امرأة وصغير وصغيرة وجماعة رجال دخلوا ليخلصوا النساء ، وهلك بعض المتفرجـــين بالجزيرة وانهدمت دار المستوفي وهلك ابنه وصاروا يخرجون الموتى من بواليع الحمام والقمين ، وكان بالحمام عروس فلهذا كثر النساء بالحمام . ومات بمصر الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي وزر بمصر وحج بالمصريين .

ذكر وفاة أبي الفداء

ومات السلطان الملك المؤيد اسماعيل بن الملك الأفضل علي صاحب حماه وله تصانيف حسنة مشهورة ، منها أصل هذا الكتاب ونظم الحاوي وشرحه

Marfat.com

شيخنا قاضي القضاه شرف الدين بن البارزي شرحاً حسناً ، وله كتاب تقويم البلدان وهو حسن في بابه ، تسلطن بحماه في أول سنة عشرين بعد نيابتهـــا رحمه الله تعالى . وكان سخياً محباً للعلم والعلماء ، متقناً يعرف علوماً ، ولقد رأيت جماعة من ذوي الفضل يزعمون أنه ليس في الملوك بعد المأمون أفضل منه رحمه الله تعالى .

وفيها في صفر مات قاضي الجزيرة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن نصر الشافعي ، وكان له تعلق بالدولة ومكاتبة من بلده ، ثم تحـــول إلى دمشق . **وفيه** تملك حماه **السلطان الملك الافضل** ناصر الدين محمد بن الملك المؤيد على قاعدة أبيه وهو ابن عشرين سنة . **وفيها** في ربيع الأول مات بالقاهرة القاضي الإمام المحدث تاج الدين أبو القاسم عبد الغفار بن محمد بن عبد الكافي بن عوض السعدي سعد خدام الشافعي ، ولد سنة خمسين ومائتين تفقه وقرأ النحو على الأمين المحلي وسمع من ابن عزون وابن علان وجماعة ، وارتحل فلقي بالثغر عثمان بن عوف وعمل معجمه في ثلاث مجلدات ، وأجاز له ابن عبد الدائم ، وروى الكثير ، وخرّج أربعين تساعيات وأربعين مسلسلات . وكان حسن الخط والضبط متقناً ، ولي مشيخة الحديث بالصاحبية وأفتى ، وذكر أنـه كتب بخطه أزيد من خمسمائة مجلد . ومات بدمشق العلامة رضي الدين ابراهيم ابن سليمان الرومي الحنفي المعروف بالمنطقي بدمشق بالنورية ، وكان ديناً متواضعاً محسناً الى تلامذته حج سبع مرات . ومات الامير علاء الدين طنبغا السلحدار عمل نيابة حمص ثم نيابة غزة وبها مات ، وحج بالشاميـــين سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

ومات بمكة خطيبها الإمام بهاء الدين محمد بن الخطيب تقي الدين عبد الله ابن الشيخ المحب الطبري له نظم ونثر وخطب ، وفيه كرم ومروءة وفصاحة وخطب بعده أخوه التاج علي . **وفيها** في ربيع الآخر ركب بشعار السلطنة الملك الأفضل الحموي بالقاهرة وبين يديه الغاشية ، ونشرت العصائب السلطانية

Marfat.com

والخليفية على رأسه وبين يديه الحجاب وجماعة من الامراء وفرسه بالرقبة وبالشبابة وصعد القلعة هكذا . **وفيها** في جمادى الاولى **مات** قاضي القضاة بدمشق شرف الدين أبو محمد عبد الله بن الإمام شرف الدين حسن بن الحافظ أبي موسى بن الحافظ الكبير عبد الغني المقدسي الحنبلي فجأة ، كان شيخاً مباركاً. **ومات** فخر الدين علي بن سليمان بن طالب بن كثيرات بدمشق. **ومات** بالاسكندرية الصالح القدوة الشيخ ياقوت الحبشي الاسكندري [1] الشاذلي ، وكانت جنازته مشهورة ، وقد جاوز الثمانين ، كان من أصحاب أبي العباس المرسي .

وفيها في رجب مات الإمام الصالح عز الدين عبد الرحمان بن الشيخ العز ابراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي الحنبلي سمع أباه وابن عبد الدائم وجماعة ، وكان خيراً بشوشاً رأساً في الفرائض . **ومات** بدمشق الناصح محمد ابن عبد الرحيم بن قاسم الدمشقي النقيب الجنائزي، كان خبيراً بألقاب الناس يحصل الدراهم والخلع ويتقيه الناس عفى الله عنه . **ومات** بمصر فخر الدين بن محمد بن فضل الله كاتب المماليك ناظر الجيوش المصرية، كان له بر وعدمه الناس وعرفوا قدره بوفاته فانه كان يشير على السلطان بالخيرات ويرد عن الناس أموراً معظمات **قلت** :

وكم أمور حدثت بعده حتى بكت حزناً عليه الرتوت [2]
لو لم يمت ما عرفوا قدره ما يعرف الانسان حتى يموت

سمع من ابن الابرقوهي واحتيط على حواصله. ومات شيخ القراء شهاب الدين احمد بن محمد بن يحيى بن أبي الحزم سبط السلعوس النابلسي ثم الدمشقي ببستانه ببيت لهيا ، وكان ساكناً وقوراً . **ومات** بمصر الأمير سيف الدين

---

(١) ياقوت الحبشي مدفون بجامع سيدي ياقوت بالقرب من جامع «أبي العباس» في الاسكندرية.
(٢) الرتوت : جمع رت : تعني الرئيس .

Marfat.com

ايجية الدواتدار الناصري الفقيـــه الحنفي كهلاً ، وولي المنصب بعده الأمير صلاح الدين يوسف بن الأسعد ، ثم عزل بعد مدة .

وفيها في شعبان كان عرس الملك محمد بن السلطان على زوجته بنت بكتمر الساقي وشوارها ألف ألف دينـــار مصرية ، وذبح خيل وجمال وبقر وغنم وأوز ودجاج فوق عشرين ألف رأس وحمل له ألف قنطـار شمع وعقد له ثمانية عشر ألف قنطار حلوى سكرية وأنفق على هذا العرس أشياء لا تحصى. **ومات** بالقاهرة جمال الدين محمد بن بـــدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك الطائي الجياني بلغ الخمسين ، وسمع من ابن النجـاري جزأ خرّجه له عمه ، وله نظم جيد ولم يحدث. **ومات الأمير** سيف الدين ساطي صهر سلار من العقلاء وفيه ديانة وله حرمة وافرة . ومات بدمشق أمين الدين سليمان بن داود الطبيب تلميذ العماد الدنيسري كان سعيداً في علاجه وحصل أموالاً ، كان مقدماً على المداواة ودرس بالدخوارية مدة وعاش نحو سبعين سنة . **قلت** :

مات سليمان الطبيب الذي أعدّه الناس لسوء المزاج
لم يفده طب ولم يغنـــه علم ولم ينفعه حسن العلاج

وفيه طغى مـــاء الفرات وارتفع ووصل إلى الرحبة وتلفت زروع ، وانكسر السكر بدير بسير كسراً ذرعه إثنان وسبعون ذراعـاً وحصل تألم عظيم وعملوا السكر فلما قارب الفراغ انكسر منه جانب وغلت الأسعار بهذا السبب وتعب الناس بصعوبة هـــذا العمل . **وفيها** في رمضان أمر بدمشق الأمير علي بن نائب دمشق سيف الدين تنكز ولبس الخلعة عند قبر نور الدين الشهيد المشهور باجابة الدعاء عنده ، ومشى الأمراء في خدمتـــه إلى العتبة السلطانية فقبلها. **وفيه** نقل من دمشق إلى كتابة السر بالأبواب السلطانية القاضي شرف الدين أبو بكر بن محمد بن الشيخ شهاب الدين محمود ، ونقل إلى دمشق القاضي محيي الدين بن فضل الله وولده. ومات بدمشق فجأة الأمير سيف الدين بلبان العنقاوي الزراق الساكن بالسبعة ،وقد جاوز السبعين،من أمراءالأربعين.

Marfat.com

ومات شيخ القراء ذو الفنون برهان الدين ابو إسحاق ابراهيم بن عمر الجعبري الشافعي بالخليل ومولده سنة أربعين وستمائة،وتصانيفه كثيرة ، اشتغل ببغداد وقرأ التعجيز على مصنفه بالموصل وأقام شيخاً أربعين سنة . **ومات** بمصر الأمير سيف الدين سلامش الظاهري أمير خمسين وقد قارب التسعين ، وكان ديّناً صالحاً .

وفيها في شوال توجه السلطـــان للحج بأهله ومعظم امرائه في حشمة عظيمة . ومات الامام شهاب الدين ابو أحمد عبد الرحمن بن محمد بن عسكر المالكي مدرس المستنصرية ببغداد وله مصنفات في الفقه، وكان حسن الأخلاق ولد في سنة اربع وأربعين بباب الازج . **وفيها** في ذي القعدة مات قاضي القضاة علم الدين محمد بن ابي بكر بن عيسى بن بدران السعدي المصري ابن الاخنائي بالعادلية بدمشق ودفن بسفح قاسيون ، كان من شهود الخزانة بمصر ثم جعل حاكماً بالإسكندرية ثم بدمشق وكتب الحكم لابن دقيق العيد ولازم الدمياطي مدة وسمع من أبي بكر بن الانماطي وجماعة،ومولده عاشر رجب سنة أربع وستين . وكان عفيفاً فاضلاً عاقلاً نزهاً متديناً محباً للحديث والعلم، شرح بعض كتاب البخاري . **وفيه** وفى النيل قبل النيروز بثلاثة وعشرين يوماً وبلغ احد عشر من تسعة عشر وهذا لم يعهد من ستين سنة وغرق أماكن وأتلف للناس من القصب ما يزيد على الف الف دينار وثبت على البلاد اربعة أشهر.

وفيها في ذي الحجة **مات** قطب الدين موسى بن أحمد بن حسان ابن شيخ السلاميـــة . وكان ناظر الجيش الشامي ومرة المصري ، ودفن بتربة أنشأها بجنب جامع الأفرم وعاش اثنتين وسبعين ورثاه علاء الدين بن غانم . **ومات** الشيخ الصالح المقري شمس الدين محمد بن النجم ابي تغلب بن أحمد بن أبي تغلب الفاروثي ويعرف بالمربي ، جاوز الثمانين ، كان معلماً في صنعة الاقباع ويقرىء صبيانه ويتلو كثيراً ، قرأ بالسبع على الكمال المحلي قديماً . ومات العلامة الخطيب جمال الدين يوسف بن محمد بن مظفر بن حماد الحموي

الشافعي خطيب جامع حماه كان عالماً ديناً سمع جزء الانصاري من مؤمل البالسي والمقداد القيسي وحدث واشتغل وأفتى ، وكان على قدم من العبادة والافادة رحمه الله تعالى . ومات العلامة شمس الدين ابو محمد عبد الرحمان ابن قاضي القضاة الحافظ سعد الدين مسعود بن أحمد الحارثي بالقاهرة تصدر للاقراء وحج مرات وجاور وسمع من العز الحراني وجماعة . وكان ذا تعبد وتصون وجلالة ، قرأ النحو على ابن النحاس والاصول على ابن دقيق العيد ، ومولده سنة إحدى وسبعين ، وولي بعده تدريس المنصورية قاضي القضاة تقي الدين . **ومات** كبير الامراء سيف الدين بكتمر الناصري الساقي بعد قضاء حجه وابنه الأمير أحمد أيضاً وخلف ما لا يحصى كثرة ، ماتا بعيون القصب بطريق مكة ونقلا الى تربتهما بالقرافة .

سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة :

فيها في المحرم أطلق الصاحب شمس الدين غبريال بعد مصادرة كثيرة . **ومات** بدمشق نقيب الأشراف شرف الدين عدنان الحسيني ولي النقابة على الأشراف بعد موت أبيه واستمر بها تسع عشرة سنة وهم بيت تشيع . **وفيها** في صفر وصل الخبر بموت محدث بغداد تقي الدين محمود بن علي بن محمود بن مقبل الدقوقي كان يحضر مجلسه خلق كثير لفصاحته وحسن آدابه ، وله نظم وولي مشيخة المستنصرية وحدث عن الشيخ عبد الصمد وجماعة وكان يعظ ، وحمل نعشه على الرؤوس وما خلف درهماً . **وفيه** قدم أمين الملك عبدالله الصاحب على نظر دمشق وهو سبط السديد الشاعر . **ومات** بدمشق الشيخ كمال الدين عمر بن الياس المراغي ، كان عالماً عابداً سمع منهاج البيضاوي من مصنفه . **وفيها** في ربيع الأول ولي القضاء بدمشق العلامة جمال الدين يوسف بن جملة بعد الاخنائي .

وفيها في ربيع الآخر توجه القاضي محيي الدين بن فضل الله وابنه إلى الباب الشريف وتحول إلى موضعه بدمشق القاضي شرف الدين أبو بكر بن محمد بن

Marfat.com

الشهاب بن محمود وولي نقابة الأشراف بدمشق عماد الدين موسى بن عدنان

ذكر تسلط لؤلؤ على حلب

وفي خامس عشر شعبان من سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة دخل الأمير بدر الدين لؤلؤ القندشي إلى حلب شادا على المملكة وعلى يده تذاكر وصادر المباشرين وغيرهم ، ومنهم النقيب بدر الدين محمد بن زهرة الحسيني والقاضي جمال الدين سليمان بن ريان ناظر الجيش وناصر الدين محمد بن قرناص عامل الجيش وعمه المحبي عبد القادر عامل المحلولات والحاج اسماعيل بن عبد الرحمن العزازي والحاج علي بن السقا وغيرهم ، واشتد به الخطب وانزعج به الناس كلهم حتى البريئون وقنت الناس في الصلوات . **وقلت** في ذلك :

قلبي لعمر الله معلول بما جرى للناس مع لولو
يا رب قد شرد عنا الكرى سيف على العالم مسلول
وما لهذا السيف من مغمد سواك يا من لطفه السول

كان هذا لؤلؤ مملوكاً لقندش ضامن المكوس بحلب ثم ضمر هو بعد أستاذه المذكور ثم صار ضامن العداد ثم صار أمير عشرة ، ثم أمير طبلخانات ثم صار منه ما صار ثم إنه عزل ونقل إلى مصر وأراح الله أهل حلب منه فعمل بمصر أقبح من عمله بحلب وتمكن وعاقب حتى نساء مخدرات وصادر خلقاً .

وفيها في جمادى الأولى **مات** عز القضاة فخر الدين بن المنير المالكي من العلماء ذوي النظم والنثر ، وألف تفسيراً وأرجوزة في السبع ، ومات قاضي المجدل بدر الدين محمد بن تاج الدين الجعبري . **ومات قاضي** القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الكناني الحموي بمصر له معرفة بفنون وعدة مصنفات حسن المجموع كان ينطوي على دين وتعبد وتصون وتصوف وعقل ووقار وجلالة وتواضع ، درس بدمشق ثم ولي قضاء القدس ثم قضاء الديار المصرية

Marfat.com

ثم قضاء الشأم ثم قضاء مصر ، وولي مشيخة الحديث بالكاملية ومشيخة الشيوخ وحمدت سيرته ورزق القبول من الخاص والعام وحج مرات وتنزه عن معلوم القضاء لغناه مدة ، وقل سمعه في الآخر قليلاً فعزل نفسه ومحاسنه كثيرة . ومن شعره :

لم أطلب العلم للدنيا التي ابتغيت من المناصب أو للجاه والمال
لكن متابعة الأسلاف فيه كما كانوا فقدر ما قد كان من حالي

وفيها في جمادى الآخرة مات الرئيس تاج الدين طالوت بن نصير الدين ابن الوجيه بن سويد بدمشق حدث عن عمر القواس ، وعاش خمسين سنة وهو سبط الصاحب جمال الدين بن صصري ، وكان فيه دين وبر وله أموال، ومات العلامة مفتي المسلمين شهاب بن أحمد بن جهبل الشافعي بدمشق ، درس بالصلاحية ، وولي مشيخة الظاهرية ثم تدريس الباذرانية ، وله محاسن وفضائل . ومات الأمير علم الدين طرقشي المشد بدمشق . **وفيها** في رجب مات الشيخ الامام القدوة تاج الدين بن محمود الفارقي بدمشق عاش ثلاثاً وثمانين سنة ، وكان عابداً عاقلاً فقيهاً عفيف النفس كبير القدر ، ملازماً للجامع ، عالج الصرف مدة ، ثم ترك واتجر في البضائع وحدث عن عمر بن القواس وغيره . ومات صاحبنا الأمير شهاب الدين احمد بن بدر الدين حسن ابن المرواني نائب بعلبك ، ثم والي البرّ بدمشق ، وكان فيه دين كثير التلاوة محباً للفضل والفضلاء ، ولي والده النيابة بقصير انطاكية طويلاً وبها مات .

وفيها في شعبان مات الخطيب بالجامع الأزهر علاء الدين بن عبد المحسن ابن قاضي العسكر المدرس بالظاهرية والأشرفية بالديار المصرية . **وفيه** دخل القاضي تاج الدين محمد بن الزين حلب متولياً كتابة السر ولبس الخلعة وباشر وأبان عن تعفف عن هدايا الناس . **وفيها** في رمضان مات بدمشق الامير علاء الدين أوران الحاجب وكان ينطوي على ظلم من أولاد الاكراد . **ومات** بحماه زين الدين عبد الرحمان بن علي بن اسماعيل بن البارزي المعروف بابن

Marfat.com

الولي ، كان وكيل بيت المال بها ، وبنى بها جامعاً وكانت له مكانة ومروءة ومنزلة عند صاحب حماه . **ومات** مسند الشام المعمر تاج الدين أبو العباس احمد بن المحدث تقي الدين إدريس ، كان فيه خير وديانة . **ومات** بحماه شيخ الشيوخ فخر الدين عبد الله بن التاج كان صواماً عابداً ذا سكينة سمع من والده. **ومات** الامام المؤرخ شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب الشافعي بالقاهرة، وله تاريخ في ثلاثين مجلداً وكان ينسخ في اليوم ثلاثة كراريس وفضيلته تامة ، عاش خمسين سنة . **ومات** الامام جمال الدين حسين بن محمود الربعي البالسي بالقاهرة قرأ بالروايات ، وكان شيخ القراء ، وله وظائف كثيرة أم بالشجاعي ثم أمّ بالسلطان نيفاً وثلاثين سنة وكان عالماً كثير التهجد .

وفيها في ذي القعدة أخذ حاجب العرب بدمشق علي بن مقلد فضرب وحبس وأخذ ماله وقطع لسانه . وعزل ناصر الدين الدواتدار وضرب وصودر وأخذ منه مال جزيل وأبعد الى القدس ، ثم قطع لسان ابن مقلد مرة ثانية فمات آخر اليوم . **قلت** :

أوصيك فان قبلت مني أفلحت ونلت ما تحب
لا تدن من الملوك يوماً فالبعد من الملوك قرب

ومات بحلب أمين الدين عبد الرحمان الفقيه الشافعي المواقيتي سبط الأبهري، وكان له يد طولى في الرياضي والوقت والعمليات ومشاركة في فنون، وكان عنده لعب فنفق عند الملك المؤيد بحماه ، وتقدم ثم بعده تأخر وتحول الى حلب ومات بها . **قلت** وأهل حماه يطعنون في عقيدته ويعجبني بيتان الثاني منهما مضمن لا لكونهما فيه فإن سريرته عند الله بل لحسن صناعتهما وهما :

الى حلب خذ عن حماة رسالة أراك قبلت الابهري المنجما
فقولي له ارحل لا تقيمن عندنا وإلا فكن في السر والجهر مسلما

Marfat.com

ومات الزاهد الولي أبو الحسن الواسطي العابد محرماً ببدر قيل انه حج وله ثمان عشرة سنة ، ثم لازم الحـج ، وجاور مرات ، وكان عظيم القدر منقبضاً عن الناس . **وفيها** في ذي الحجة مات الأمير الكبير مغلطاي ، كان مقدم ألف بدمشق. وماتت الشيخة المسندة الجليلة أم محمد أسماء بنت محمد بن صصرى أخت قاضي القضاة نجم الدين سمعت وحدثت وكانت مباركة كثيرة وحجت مرات ، وكانت تتلو في المصحف وتتعبد . **قلت** :

كذلك فلتكن أخت ابن صصرى تفوق على النساء صبى وشيبـــا
طراز القوم أنثى مثل هـــذي وما التأنيث لاسم الشمس عيبـا

ومات أيضاً بدمشق عز الدين ابراهيم بن القواس بالعقيبة ، ووقف داره مدرسة . وأمسك حاجب مصر سيف الدين الماس[1] وأخوه قره تمر ووجد لهما مال عظيم .

سنة أربع وثلاثين وسبعمائة :

في أول المحرم منها أُفرج عن الأمير بدر الدين القرماني والأمير سيف الدين إسلام وأخيه وخلع عليهم . وتوفي بالقدس خطيبه وقاضيه الشيخ عماد الدين

---

(١) جاء ذكر قتله في حوادث سنة ٧٣٤ في « النجوم الزاهرة » . قـــال : « وفيها توفي الأمير سيف الدين ألماس بن عبدالله الناصري حاجب الحجاب بالديار المصرية في محبسه خنقاً في ليلة ثاني عشر صفر ، وحمل من الغد حتى دفن بجامعه بالشارع خارج بابي زويلة . وكان من مماليك الناصر محمد ، اشتراه ورقاه وأمّره وجعله جاشنكيره ، ثم ولاه المحجوبية ، فصار في محل النيابة لشغور منصب النيابة في أيامه . فكان أكابر الأمراء يركبون في خدمته ويجلس في باب القلعة وتقف الحجاب في خدمته . ولا زال مقرباً عند السلطان حتى قبض عليه لأمور بلغته عنه ، منها : أنه كان اتفق مع بكتمر الساقي على قتل السلطان ، ومنها محبته لصبي من أولاد الحسينية وتهتكه بسببه ، وغير ذلك . ولمـــا حبسه السلطان منعه الطعام والشراب ثلاثة أيام ثم خنقه .. كان غتمياً لا يعرف من العربية شيئاً . وكان كريماً ويتباخل خوفاً من الملك الناصر . ولما مات وجد له أشياء كثيرة » .

Marfat.com

عمر النابلسي. **وفيها** في صفر مات قاضي القضاة جمال الدين أبو الربيع سليمان الأذرعي الشافعي ويكنى أبا داود أيضاً بالسكتة ، ولي القضـــاء بمصر ثم بالشأم مدة ، وكان عليه سكينة ووقار . وأحضر ناصر الدين الدواتدار إلى مخدومه سيف الدين تنكز فضرب وأهين وكمل عليه مال يقوم به . وحصلت صعقة أتلفت الكروم والخضروات بغوطة دمشق . **ومات** الأمير سيف الدين صلغنة الناصري ، وكان ديناً يبدأ الناس بالسلام في الطرقات . **ومات** بطرابلس نائبها الأمير شهاب الدين قرطاي المنصوري من كبار الأمراء ، حج وأنفق كثيراً في سبل الخير رحمه الله تعالى. **ومات** بحماه قاضي القضاة نجم الدين أبو القـاسم عمر بن الصاحب كمال الدين العقيلي الحنفي المعروف بابن العديم ، وكان له فنون وأدب وخط وشعر ومروءة غزيرة وعصبيـة لم تحفظ عليه انه شتم أحداً مدة ولايته ولا خيب قاصده . **قلت** :

قد كان نجم الدين شمساً أشرقت بحماة للداني بهـــا والقـاصي
عدمت ضياء ابن العديم فأنشدت مـات المطيع فيا هلاك العاصي

وفيها في ربيع الأول توفي الأمير سيف الدين طُرْنا الناصري[1] أمير مائة مقدم ألف بدمشق . **ومات** جمـــال الدين فرج بن شمس الدين قره سنقر المنصوري ورسم تنكز نائب السلطنة بعمارة باب تومـا وإصلاحه فعمر عمارة حسنة ورفع نحو عشرة أذرع ووسع وجدد بابه. **وفيها** في ربيع الآخر وصل جمال الدين أقوش نائب الكرك إلى طرابلس نائباً بها عوضاً عن طرطاي رحمه الله تعالى ، ووصل سيل إلى ظاهر دمشق هدم بعض المساكن وخاف النـاس منه ، ثم نقص يومه ولطف الله تعالى . وتوفيت أم الخير خديجة المدعوة ضوء الصباح ، وكانت تكتب بخطهـا في الاجازات ودفنت بالقرافة . **وفيها** في جمادى الأولى توفي الفاضل بدر الدين محمد بن شرف الدين أبي بكر الحموي المعروف بابن السمين بحماه ، وكان أبوه من فصحاء القراء رحمهما الله تعـالى .

---

(١) سيف الدين بلبان (بفتح الباء واللام والباء) بن عبد الله المعروف بطرنا، نائب صفد.

Marfat.com

وفيها في جمادى الآخرة توفي بحلب شرف الدين أبو طالب عبد الرحمان ابن القاضي عماد الدين بن العجمي ، سمع الشمايل على والده وحدّث وأقام مع والده بمكة في صباه أربع سنين، وكان شيخاً محترماً من أعيان العدول وعنده سلامة صدر رحمه الله تعالى . **ومات** الأمير شمس الدين محمد بن الصيمري ابن واقف المارستان بالصالحية . **وفيها** في رجب وصل كتاب من المدينة النبوية يذكر فيه أن وادي العقيق سال من صفر وإلى الآن ، ودخل السيل قبة حمزة رضي الله عنه وبقي الناس عشرين يوماً ما يصلون إلى القبة وأخذ نخلاً كثيراً وخرب أماكن. **ومات** الأمير عز الدين نقيب العساكر المصرية ودفن بالقرافة، **ومات** الأمير ناصر الدين بن سويد التكريتي سمع على جماعة من أصحاب ابن طبرزد وحدّث وكان له بر وصدقات وحج مرات وجاور بمكة .

ومات الشيخ العالم الرباني الزاهد بقية السلف نجم الدين اللخمي القِبَائي [1] الحنبلي بحماه وكانت جنازته عظيمة وحمل على الرؤوس سمع مسند الدارمي وحدث . وكان فاضلاً فقيهاً فرضياً جليل القدر وفضائله وتقلله من الدنيا وزهده معروف نفعنا الله ببركته .

قلت : وقدم مرة إلى الفوعة وأنا بها فسألني عن الأكدرية [2] إذا كان بدل الأخت خنثى فأجبت انها بتقدير الأنوثة تصح من سبعة وعشرين وبتقدير الذكورة تصح من ستة والأنوثة تضر الزوج والأم ، والذكورة تضر الجد والأخت ، وبين المسألتين موافقة بالثلث فيضرب ثلث السبعة والعشرين وهو تسعة في الستة تبلغ أربعة وخمسين ومنها تصح المسألتان للزوج ثمانية عشر وللأم اثني عشر وللجد تسعة ولا يصرف إلى الخنثى شيء والموقوف خمسةعشر ، وفي طريقها طول ليس هذا موضعه ، فأعجب الشيخ رحمه الله تعالى ذلك .

---

(١) القباب المنسوب اليها قرية من قرى أشموم الرمان متصلة بثغر دمياط . - المؤلف .
(٢) مسألة الأكدرية مشروحة ومعروفة في كتب الفرائض.

Marfat.com

وفيها في شعبان مات فجأة الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد ابن احمد **بن سيد الناس اليعمري** أخـــذ علم الحديث عن ابن دقيق العيد والدمياطي ، وكان أحد الأذكياء الحفاظ له النظم والنثر والبلاغة والتصانيف المتقنة وكان شيخ الظاهرية وخطيب جـامع الخندق . وفيها يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر رمضان انفصل القاضي جمال الدين يوسف بن جملة الحجي الشافعي من قضاء دمشق وعقد له مجلس عند نائب السلطنة تنكز وحكم بعزله لكونه عزر الشيخ الظهير الرومي فجاوز في تعزيره الحد ورسم على القـاضي المذكور بالعذراوية ، ثم نقل إلى القلعة فان القاضي المالكي حكم بحبسه وطولع السلطان بذلك فأمر بتنفيذه . **قلت** : وأعجب بعض الناس حبسه أولاً ، ثم رجع الناس إلى أنفسهم فأكبروا مثل ذلك . ومما **قلت** فيه :

دمشق لا زال ربعها خضر بعدلهـا اليوم يضرب المثل
فضا من المكس مطلق فرح فيها وقاضي القضاة معتقل

ونفي الشيخ الظهير إلى بلاد المشرق ، وكانت مدة ولاية القاضي المذكور سنة ونصفاً سوى أيام فكان الناس يرون ان حادثـــة القاضي وحبسه بالقلعة بقيامه على ابن تيمية جزاء وفاقاً .

ومات الشيخ سيف الدين يحيى بن احمد بن أبي نصر محمد بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر **الجيلي** بحماه . وكان شهماً سخياً رحمه الله تعالى . وفي منتصف الشهر وجد بالقاهرة يهودي مع مسلمة من بنات الترك فرجم اليهودي وأحرق وأخذ ماله كله ، وكان متمولاً ، وحبست المرأة . وحكى لي عدل انه أخذ منه ألف ألف درهم وثلاث صواني[1] زمرد . **قلت**[2] :

---

(١) الصواني جمع صينية ، والصيني معرب « جيني » : الأواني المعروفة .
(٢) القائل هنا ، هو مؤلف هذا الكتاب ابن الوردي وليس أبو الفداء . وكذا ما ورد من شعر في الصفحات اللاحقة رغم عدم وجود عبارة (والله أعلم) في نهاية القول .

Marfat.com

هذا تعدّى طوره فنـاله ما ناله
فأعدموه عرضه وروحه ومـاله

وفيها عزل الأمير سيف الدين بلبان عن ثغر دمياط وأخـذ منه مال وحبس . **وفيها** في شوال توفي الصاحب شمس الدين غبريال وكان قد أخذ منه ألفا ألف درهم ، وكان حسن التدبير في الدنيويات وأسلم سنة إحدى وسبعمائة هو وأمين الملك معاً . **وفيه** بالقاهرة خصي عبد أسود كان يتعرض إلى أولاد الناس فمات . **قلت :**

يعجبني وفـاة من فيـه فساد وأذى
لا حبذا حياتـه وإن يمت فحبـذا

ومات الامام شمس الدين محمد بن عثمان الأصفهاني المعروف بابن العجمي الحنفي ، كان مدرّساً بالاقبالية وحدث بالمدينة النبوية ، ودرس أيضاً بالمدرسة الشريفة النبوية وحدث بدمشق وكان فاضلاً وجمع منسكاً على المذاهب . **ومات** الشيخ الزاهد ناصر الدين محمد بن الشرف صالح بجباه ، أقام أكثر من ثلاثين سنة لا يأكل الفاكهة ولا اللحم ، وكان ملازماً للصوم لا يقبل من أحد شيئاً . **قلت :**

زرته مرتين والحمـد لله فعاينت خير تلك الزياره
كان فيه تواضع وسكون وصلاح بادٍ وحسن عبـاره

وفيه كتب بدمشق محضر بأن الصاحب غبريال كان احتاط على بيت المال واشترى أملاكاً ووقفها وليس له ذلك فشهد بذلك جماعة منهم ابن الشيرازي وابن أخيه عماد الدين وابن مراجل وأثبت عند برهان الدين الرزمي ونفذوه وامتنع المحتسب عز الدين بن القلانسي من الشهـادة بذلك فرسم عليه وعزل من الحسبة . **قلت :**

فديت أمرأً قد راقب الله ربه وأفسد دنيـاه لإصلاح دينه
وعزل الفتى في الله أكبر منصب يقيه الذي يخشى بحسن يقينه

Marfat.com

وفيها في ذي القعدة تولى قضاء قضاة الشافعية بدمشق شهاب الدين محمد ابن المجد عبد الله بن الحسين ، درس وأفتى قديماً وضاهى الكبار وتنقلت به الأحوال وهو على ما فيه غزير المروءة سخي النفس متطلع إلى قضاء حوائج الناس ، واستمر قاضياً إلى ان كان ما سيذكر . **وفيها** توجه مهنا بن عيسى أمير العرب إلى طاعة السلطان بعد النفرة العظيمة عنه سنين ومعه صاحب حماه الملك الأفضل فأقبل السلطان على مهنا وخلع عليه وعلى أصحابه مائة وستين خلعة ورسم له بمال كثير من الذهب والفضة والقماش وأقطعه عدة قرى وعاد إلى أهله مكرماً . **ومات** المجوّد الأديب بدر الدين حسن بن علي بن عدنان الحمداني ابن المحدث. **وفيها** أظن في ذي الحجة مات القاضي مجد الدين حرمي بن قاسم الفاقوسي الشافعي وكيل بيت المال ومدرس قبة الشافعي ، وكان معمراً . وألزمت النصارى واليهود ببغداد بالغيار ثم نقضت كنائسهم وديارتهم وأسلم منهم ومن أعيانهم خلق كثير منهم سديد الدولة وكان ركناً لليهود عمر في زمن يهوديته مدفناً له خسر عليه مالاً طائلاً فخرب مع الكنائس وجعل بعض الكنائس معبداً للمسلمين ، وشرع في عمارة جامع بدرب دينار ، وكانت بيعة كبيرة جداً . واشتهر عن جماعة من العوام في قرية بتي بالعراق انهم دخلوا على مريض منهم فجعل يصيح أخذني المغول خلصوني منهم وكرر ذلك فاختلس من بينهم حياً فكان آخر عهدهم به . وكان الرجل من فقهاء القرية يتولى عقود أنكحتهم؛ إن في ذلك لعبرة . وأطلق ببغداد مكس الغزل وضمان الخمر والفاحشة وأعطيت المواريث لذوي الأرحام دون بيت المال وخفف كثير من المكوس ولله الحمد .

سنة خمس وثلاثين وسبعمائة :

في المحرم منها رجع حسام الدين مهنا من مصر مكرماً . **ومات** الأمير بدر الدين كيكلدي عتيق شمس الدين الأعسر بدمشق وخلف أولاداً وأملاكاً. **ومات** الأمير **بكتمر الحسامي** بمصر ، جدّد جامع قلعة مصر . **ومات** الملك

Marfat.com

العزيز بن المغيث بن السلطان الملك العادل بن الكامل كتب الكثير وعمّر . **وفيها** في صفر وصل إلى دمشق كاتب السر القاضي جمال الدين عبد الله ابن القاضي كمال الدين بن الأثير صاحب الانشاء بدلاً عن شرف الدين حفيد الشهاب محمود . **ومات** شيخ المؤذنين وأنداهم صوتاً برهان الدين ابراهيم الواني سمع من ابن عبد الدائم وجماعة وحدث . **ومات** بدمشق المسند المعمر بدر الدين عبدالله بن أبي العيش الشاهد وقد جاوز التسعين سمع من مكي بن قيس بن علان ، وكان يطلب علم السماع وتفرد بأشياء . **ومات** بدمشق تقي الدين عبد الرحمان بن الفويرة الحنفي .

وفيها في صفر أمر السلطان بتسمير رجل ساحر اسمه ابراهيم . **وفيها** في ربيع الأول مات الشيخ أبو بكر بن غانم بالقدس ، وكان له مكارم ونظم . ومات المحدث أمين الدين محمد بن ابراهيم الواني روى عن الشرف ابن عساكر وغيره ، وكان ذا همة ورحلة وحج ومجاورة ، وكانت جنازته مشهودة وطاب الثناء عليه . **ومات** نظام الدين حسن ابن عم العلامة كمال الدين بن الزملكاني وقد جاوز الخمسين ، وكان مليح الشكل لطيف الكلام ناظراً بديوان البر . **ومات** كبير المجوّدين الخطيب بهاء الدين محمود بن خطيب بعلبك السلمي بالعقبة ، وتأسف الناس عليه لدينه وتواضعه ، وحسن شكله وبراعة خطه وعفته وتصوُّنه ، كتب عليه خلق ، وكتب صحيح البخاري بخطه . وعمر الأمير حمزة بدمشق حماماً عند القنوات وأدير فيه أربعة وعشرون جرناً [1] وأوجر كل يوم بأربعين درهماً ، وعظم حمزة وأقبل عليه تنكز بعد الدواتدار ، ثم طغى وتجبر وظلم ، وعظم الخطب به فضربه تنكز وحبسه ، ونقل إلى القلعة ثم حبس بحبس باب الصغير ، ثم أُطلق أياماً وصودر ، ثم أُهلك سراً بالبقاع قيل غرق وقطع لسانه من أصله ، وهو الذي أتلف أمر الدواتدار وابن مقلد

---

(١) الجرن : حوض الحمام . وأصل معناه : حجر يتوضأ منه - المؤلف .

Marfat.com

وابن جملة وله حكايات في ظلمه ، ورفع فيه يوم أُمسك تسعمائة قصة وبولغ في ضربه ورمي بالبندق في جسده وما رقّ عليه أحد . **قلت** :

لو تفطن العاتي الظلوم لحاله لبكى عليها فهي بئس الحال
يكفيه شؤم وفاته وقبيح مـا يثنى عليه وبعـــد ذا أهوال

وفيها في ربيع الآخر ، توفي الفقير الصالح اللازم لمجالس الحديث أبو بكر ابن هارون الشيباني الجزري ، روى عن ابن النجاري . **وقدم** على نيابـــة طرابلس سيف الدين طينال الناصري عوضاً عن أقوش الكركي بقلعة دمشق ثم نقل إلى الاسكندرية . **وفيها** في جمادى الأولى مات علاء الدين علي بـــن السلعوس التنوخي ، وقد باشر صحابة الديوان بدمشق ثم ترك . واحتيط بمصر على دار الأمير بكتمر الحاجب الحسامي ونبشت فأخذ منها شيء عظيم. **وفيها** في جمادى الآخرة مات مشددار الطراز سيف الدين علي بن عمر بن قزل، سبط الملك الحافظ ووقف على كرسي وسيع بالجامع . **ومات** ببعلبك الفقيه أبو طاهر سمع من التاج عبد الخالق وعدة وكتب وحدّث وعمل ستر ديباج منقوش على المصحف العثماني بدمشق بأربعة آلاف درهم وخمسمائة . **قلت**:

ستروا المكرّم بالحرير وستره بالدر والياقوت غـــير كثير
ستروه وهـــو من الغواية سترنا عجـــبي لهذا الساتر المستور

ومات فجأة التاجر علاء الدين علي السنجاري بالقاهرة ، وهو الذي أنشأ دار القرآن بباب الناطفانيين [1] . **قلت** :

مـــا مات مَنْ هذي صفـاته فوفاة ذا عندي حيـــاته
إن مـات هـــذا صورة أحيتـــه معنـى سالفـاته

ومات بمصر الواعظ شمس الدين حسين وهو آخر أصحاب الحافظ المنذري

---

(١) النطفاني : هو الذي يعمل « الناطف » . وهو ما يسمى بالعامية « غزل البنات » .

Marfat.com

سمع من جماعة ، وكان عالماً حسن الشكل . **ومات** الفاضل الأديب زكي الدين المأمون الحميري المصري المالكي بمصر ولي نظر الكرك والشوبك وعمّر نحو تسعين سنة . **وفيها** في رجب مات الفقيه محمد بن محيي الدين محمد بن القاضي شمس الدين بن الزكي العثماني شاباً، درس مدة بدمشق . **ومات** الحافظ قطب الدين الكلبي بالحسينية ، حفظ الألفية والشاطبية وسمع من القاضي شمس الدين ابن العماد وغيره ، وحج مرات وصنّف ، وكان كيساً حسن الأخلاق مطرحاً للتكلف طاهر اللسان ، مضبوط الأوقات ، شرح معظم البخاري وعمل تاريخاً لمصر لم يتمه ، ودرّس الحديث بجامع الحاكم ، وخلف تسعة أولاد ، ودفن عند خاله الشيخ نصر المنبجي .

وفيه أخرج السلطان من حبس الاسكندرية ثلاثة عشر نفراً ، منهم نمر الساقي الذي ناب بطرابلس،وبيبرس الحاجب، وخلع على الجميع . **وفيه** طلب قاضي الاسكندرية فخر الدين بن سكين ، وعزل بسبب فرنجي . **وفيها** في شعبان مات المفتي بدر الدين محمد بن الفويرة الحنفي ، سمع وحدّث . **ومات** القاضي زين الدين عبد الكافي بن علي بن تمام ، روى عن الأنماطي وأخذ عنه ابن رافع وغيره . **ومات** عز الدين يوسف الحنفي بمصر ، حدّث عن ابراهيم وناب في الحكم . **وفيها** في رمضان مات صاحبنا شمس الدين محمد بن يوسف التدمري خطيب حمص ، كان يفتي ويدرّس ، وتولى قضاء الاسكندرية العماد محمد بن إسحاق الصوفي .

أهل أياس يحرقون المسلمين

وفيها في شوال قدم عسكر حلب والنائب من غزاة بلد سيس ، وقد خربوا في بلد أذنة وطرسوس ، وأحرقوا الزروع واستاقوا المواشي ، وأتوا بمائتين وأربعين أسيراً ، وما عدم من المسلمين سوى شخص واحد غرق في النهر وكان العسكر عشرة آلاف سوى من تبعهم ، فلما علم أهل أياس بذلك أحاطوا بمن عندهم من المسلمين التجار وغيرهم ، وحبسوهم في خان ثم أحرقوه

Marfat.com

فقل من نجا . فعلوا ذلك بنحو ألفي رجل من التجار البغاددة وغيرهم في يوم عيد الفطر فللـّه الأمر .

احتراق حوانيت حماه :

واحترق في حماه مائتان وخمسون حانوتـاً ، وذهبت الأموال ، واهتم الملك بعمارة ذلك ، وكان الحريق عند الفجر إلى طلوع الشمس . وذكر أن شخصاً رأى ملائكة يسوقون النار ، فجعل ينادي : أمسكوا يا عبـاد الله لا ترسلوا . فقالوا : بهذا أُمرنا ، ثم إن الرجل توفي لساعته . وناب بدمشق في القضاء شهاب الدين أحمد بن شرف الزرعي الشافعي قاضي حصن الأكراد . وورد الخبر بحريق انطاكية قبل رجوع العسكر ، فلم يبق بها إلا القليل ولم يعلم سبب ذلك .

وفيها في ذي القعدة توفيت زينب بنت الخطيب يحيى بن الإمام عز الدين ابن عبد السلام السلمي سمعت من جماعة ، وكان فيها عبادة وخير وحدثت . **ومات** الطبيب جمال الدين عبدالله بن عبد السيد **ودفن** في قبر أعده لنفسه ، وكان من أطباء المارستان النوري بدمشق ، وأسلم مع والده الذبان سنة إحدى وسبعمائة . **ومات** حسام الدين مهنا بن عيسى أمير العرب وحزن عليه آله وأقاموا مأتماً بليغاً ولبسوا السواد أناف على الثمانين ، وله معروف من ذلك مارستان جيد بسرمين ، ولقد أحسن برجوعه إلى طاعة سلطان الإسلام قبل وفاته ، وكانت وفاته بالقرب من سلمية . **ومات** المحدث الرئيس العالم شمس الدين محمد بن أبي بكر بن طرخـــان الحنبلي سمع من ابن عبد الدائم وغيره ، وكان بديع الخط وكتب الطباق ، وله نظم . **وفيها** في ذي الحجة مات الفقيه الزاهد شرف الدين فضل بن عيسى بن قنديل العجلوني الحنبلى بالمسمارية ، كان له اشتغال وفهم ويد في التعبير ، وتعفف وقوة نفس ، عرض عليه خزن المصحف العثماني فامتنع رحمه الله تعالى .

Marfat.com

ذكر عمارة قلعة جعبر

وفيها وصل الأمير سيف الدين أبو بكر البـــاشري إلى حلب وصحب معه منها الرجال والصناع وتوجه إلى قلعة جعبر وشرع في عمارتها وكانت خراباً من زمن هولاكو ، وهي من أمنع القلاع ، تسبب في عمارتهـــا الأمير سيف الدين تنكز نائب الشأم،ولحق المملكة الحلبية وغيرها بسبب عمـــارتها ونفوذ ماء الفرات إلى أسفل منها كلفة كثيرة .

سنة ست وثلاثين وسبعمائة :

فيهـــا في المحرم باشر السيد النقيب الشريف بدرالدين محمد بن السيد شمس الدين بن زهرة الحسيني وكالة بيت المال بحلب مكان شيخنا القـــاضي فخر الدين أبي عمر وعثمان بن الخطيب زين الدين علي الجبريني . **وفيها** في المحرم نزل نائب الشأم الأمير سيف الدين تنكز بعسكر الشأم إلى قلعة جعبر وتفقدها وقرر قواعدها وتصيد حولها،ثم رحل فنزل بمرج بزاعا،ومد له نائب حلب الأمير علاء الدين ألطنبغا به سماطاً ثم سافر إلى جهة دمشق . **وفيها** في صفر طلب من البلاد الحلبية رجال للعمل في نهر قلعة جعبر ورسم أن يخرج من كل قرية نصف أهلهـــا وجلا كثير من الضياع بسبب ذلك ، ثم طلب من أسواق حلب أيضاً رجال واستخرجت أموال وتوجه النائب بحلب إلى قلعة جعبر بمن حصل من الرجال وهم نحو عشرين ألفاً .

وفيها في جمادى الآخرة وصل البريد إلى حلب بعزل القاضي شمس الدين محمد بن بدر الدين أبي بكر بن ابراهيم بن النقيب عن القضاء بالمملكة الحلبية وبتولية شيخنا قاضي القضاة فخر الدين أبي عمر وعثمان بن خطيب جبرين مكانه ولبس الخلعة وحكم من ساعته ، واستعفيته من مبـــاشرة الحكم بالبر في الحال فأعفاني وكذلك أخي بعد مدة فأنشدته ارتجالاً :

جنبتني وأخي تكاليف القضا وكفيتنا مرضين مختلفين
يا حيّ عالمنـــا لقد أنصفتنا فلك التصرف في دم الأخوين

Marfat.com

وفيه، أعني ذي الحجة، توجه الأمير عز الدين ازدمر النوري نائب بهسنى لمحاصرة قلعة درنده بمن عنده من الأمراء والتركمان وفتحت بالأمان في منتصف المحرم سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

ذكر وفاة الشيخ الزاهد مهنا الفوعي

وفيها أعني سنة ست وثلاثين وسبعمائة توفي الشيخ العارف الزاهد مهنا ابن الشيخ ابراهيم بن القدوة مهنا الفوعي بالفوعة في خـــامس عشر شوال ورثيته بقصيدة أولها :

اسأل الفوعة الشديدة حزناً عن مهنا هيهات أين مهنـــا
أين من كان أبهج النـــاس وجهاً فهو أسمى من البدور وأسنى

ومنهـــا :

أين شيخي وقدوتي وصديقي وحبيـبي وكل مـــا أتمنى
كيف لا يعظم المصـــاب لصدر نحن منه مودّة وهو منـــا
جعفري الســلوك والوضـع حتى قـال عيسى عنـــه مهنا مهنا
أيّ قلب به ولو كان صخراً ليس يحكي الخنساء نوحاً وحزنا
أذكرتنا وفاتـــه بأبيـه وأخيـه أيام كانوا وكنـــا

وهي طويلة . كان جده مهنا الكبير من عباد الأمـــة وترك أكل اللحم زماناً طويلاً لما رأى من اختلاط الحيوانات في أيام هولاكو لعنه الله ، وكان قومه على غير السنة فهدى الله الشيخ مهنا من بينهم وأقام مع التركمان راعياً ببرية حران فبورك للتركمان في مواشيهم ببركته ، وعرفوا بركته ، وحصل له نصيب من الشيخ حياة بن قيس بحران وهو في قبره، وجرت له معه كرامات فرجع مهنا إلى الفوعة وصحب شيخنا تاج الدين جعفر السراج الحلبي وتلمذ له وانتفع به وصرفه مهنا في ماله وخلفه على السجادة بعد وفاته ودعا إلى الله تعالى ، وجرت له وقائع مع أهله وقاسى معهم شدائـــد وبعد صيته وقـُصد

Marfat.com

بالزيارة من البعد ، وجاور بمكة شرفها الله تعالى سنين ثم بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وجرت له هناك كرامات مشهورة بين أصحابه وغيرهم منها ان النبي ﷺ رد عليه السلام من الحجرة وقال : وعليك السلام يا مهنا ، ثم عاد إلى الفوعة وأقام بها إلى ان توفي رحمه الله تعالى في المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة .

وجلس بعده على سجادته ابنه الشيخ ابراهيم فسار أحسن سير ودعا إلى الله تعالى على قاعدة والده ، ورجع من أهل بلد سرمين خلق إلى السنة ، وقاسى من أهله شدائد وسببه قتل ملك الأمراء بحلب يومئذ سيف الدين قبجق الشيخ الزنديق منصوراً من تار وجرت بسبب قتله فتن في بلد سرمين، ولم يزل الشيخ ابراهيم على أحسن سيرة وأصدق سريرة إلى ان توفي إلى رحمـــة الله تعالى في ذي الحجة سنة ست عشرة وسبعمائة .

وجلس بعده على سجادتــه ابنه الشيخ الصالح اسماعيل بن الشيخ ابراهيم ابن القدوة مهنا فسار أحسن سير وقاسى من الشيعة غبوناً ولم يزل على أحسن طريقة إلى ان توفي إلى رحمة الله تعـــالى في ثامن صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة . وجلس بعده على السجادة أخوه لأبويه الشيخ الصالح مهنا بن ابراهيم ابن مهنا إلى ان توفي في خامس عشر شوال سنة ست وثلاثين وسبعمائة كما مر، وتأسف الناس لموته فانه كان كثير العبادة حسن الطريقة عارفاً .

وجلس بعده على السجادة أخوه لأبيه الشيخ حسن ، وكان شيخنا عبس يحب مهنا هذا محبة عظيمة ويعظمه ويقول عنه: مهنا مهنا، يعني انه يشبه في الصلاح والخير جدّه . وهم اليوم ولله الحمد بالفوعة جماعة كثيرة وكلهم على خير وديانة ، وقد أجزل الله عليهم المنة وجعلهم بتلك الأرض ملجأ لأهل السنة . ولو ذكرت تفاصيل سيرة الشيخ مهنا الكبير وأولاده وأصحابه وكراماتهم لطال القول والله تعالى أعلم .

Marfat.com

وفاة أبو سعيد بن خربندة

وفيها مات القان أبو سعيد بن خربندة بن أرغون بن ابغا بن هولاكو صاحب الشرق ، ودفن بالمدينة السلطانية وله بضع وثلاثون سنة ، وكانت دولته عشرين سنة ، وكان فيه دين وعقل وعـدل ، وكتب خطاً منسوباً وأجاد ضرب العود . وباشتغال التتار بوفاته تمكّنا من عمارة قلعة جعبر بعد ان كانت هي وبلدهـا داثرة من أيام هولاكو فلله الحمد . **وفيها** توفي بدمشق الإمامان : مدرس الناصرية كمال الدين احمد بن محمد بن الشيرازي وله ست وستون سنة وقد ذكر لقضاء دمشق،ومدرس الأمينية قاضي العسكر علاءالدين علي بن محمد بن القلانسي وله ثلاث وستون سنة ، وناظر الخزانة عز الدين احمد بن محمد العقيلي بن القلانسي المحتسب بها .

سنة سبع وثلاثين وسبعمائة :

وفيها في ربيع الأول توفي الأمير الشاب الحسن جمال الدين خضر بن ملك الأمراء علاء الدين ألطنبغا بحلب ودفن بالمقام ثم عمل له والده تربة حسنة عند جامعه خارج حلب ونقل اليها ، وكان حسن السيرة ليس من اعجاب أولاد النواب في شيء . ومما قلت فيه تضميناً :

أيبست أفئدة بالحزن يا خضر فالدمع يسقيك إن لم يسقك المطر
منها خلقت فلم يسمح زمانك ان يشين حسنك فيه الشيب والكبر
فان رددت فما في الرد منقصة عليك قد ردّ موسى قبل والخضر

وإن كان يتضمن هذا التضمين القول بموت الخضر عليه السلام . **وفيه** باشر تاج الدين محمد بن عبد الكريم أخو الصاحب شرف الدين يعقوب نظر الجيوش المنصورة بحلب فما هني بذلك واعترته الأمراض حتى مات رحمه الله في سابع جمادى الآخرة من السنة المذكورة . وباشر مكانه في شعبان منها القاضي جمال الدين سليمان بن ريان . **قلت** :

Marfat.com

ما الدهر إلا عجب فاعتبر أسرار تصريفاته واعجب
كم باذل في منصب ماله مات وما هني بالمنصب

الأرمن يسلمون البلاد والقلاع للمسلمين

وفيها في رمضان المعظم وصل إلى حلب من مصر عسكر حسن الهيئة مقدمه الحاج ارقطاي وعسكر من دمشق مقدمهم قطلبغا الفخري وعسكر من طرابلس مقدمه بهادر عبد الله وعسكر من حماه مقدمه الأمير صارم الدين أزبك، والمقدم على الكل ملك الأمراء بحلب علاء الدين الطنبغا، ورحل بهم الى بلاد الأرمن في ثاني شوال منها ونزل على ميناء آياس وحاصرها ثلاثة أيام ، ثم قدم رسول الأرمن من دمشق ومعه كتاب نائب الشام بالكف عنهم على ان يسلموا البلاد والقلاع التي شرقي نهر جيهان فتسلموا منهم ذلك وهو ملك كبير وبلاد كثيرة كالمصيصة وكويرا والهارونية وسرفندكار وآياس وباناس وبخيمة والنقير التي تقدم ذكر تخريبها وغير ذلك ، فخرب المسلمون برج آياس الذي في البحر ، واستنابوا بالبلاد المذكورة نواباً ، وعادوا في ذي الحجة منها والحمد لله . **قلت** : وهذا فتح اشتمل على فتوح وترك ملك الأرمن جسداً بلا روح خائفاً على ما بقي بيده على الاطلاق ، وكيف لا ومن خصائص ديننا سراية الاعتاق، فيا له فتحاً كسر صلب الصليب وقطع يد الزنار وحكم على كبير أناسهم المزمل في بجاده بالخفض على الجوار . **والله أعلم** [1] .

---

(١) يلاحظ القارىء في هذه الصفحات والصفحات التالية ، وضوح الفقرات المحددة بدايتها بكلمة (قلت) ونهايتها بكلمة (والله أعلم) ، على النمط الذي ذكره ابن الوردي في مقدمة الكتاب . ويلاحظ أيضاً ، أن هناك بعض اختلافات بين الكتابين في عدة مواقع ، وإضافات لم يسبقها ابن الوردي بكلمة (قلت) ولم ينهها بكلمة (والله أعلم) ، مثال ذلك ما ورد في حوادث سنة ٧٢٣ ، ص ٩٢ – ج ٤ – من المختصر لأبي الفدا ، و ص ٣٩٠ – ٣٩١ من هذا الجزء – لابن الوردي : فقد أورد ابن الوردي ذكر وفاة قاضي القضاة نجم الدين أحمد بن صصري مفصلاً، كما ذكر قتل الشيخ الصالح النحوي ضياء الدين عبدالله الصوفي،ووفاة شهاب الدين أحمد بن قطيفة الزرعي التاجر ، ووفاة =

وفيها في ذي الحجة توفي الأمير العابد الزاهد صارم الدين ازبك المنصوري الحموي بمنزلة نزلها مع العسكر عند آياس ، وحمل إلى حماه فدفن بتربته كان من المعمرين في الأمارة ومن ذوي العبادة والمعروف وبنى خاناً للسبيل بمعرة النعمان شرقيها ، وعمل عنده مسجداً وسبيلاً للماء وله غير ذلك رحمه الله ذكر لي جماعة بحلب وهو مسافر إلى بلاد الأرمن انه رؤي له بحماه منام يدل على موته في الجهاد وحمله إلى حماه وحوله الملائكة . **قلت** : ولقد تجمل لهذا الجهاد وتحمل وتكلف لمهمه وتكفل حتى كأنه توهم فترة سلاحه من الكفاح فرسم ان تحد السيوف وتعتقل الرماح فلاح على حركاته الفلاح وسيحمد سراه عند الصباح . **والله أعلم** .

وفيها وقف الأمير الفاضل صلاح الدين يوسف بن الأسعد الدواتدار [1] داره النفيسة بحلب المعروفة أولاً بدار ابن العديم مدرسة على المذاهب الأربعة وشرط ان يكون القاضي الشافعي والقاضي الحنفي بحلب مدرسيها ، وذلك عند عوده من بلد سيس صحبة العسكر منصرفاً إلى منزله بطرابلس . **قلت** : ولقد كانت الدار المذكورة باكية لعدم بني العديم فصارت راضية بالحديث عن

= والده مظفر بن عمر ، ووفاة الفقيه شرف الدين محمد بن سعد الدين .

وقد كانت بداية تذييل ابن الوردي كما كانت نهاية تسجيل أبو الفدا لتاريخه ، كانتا موضع خلاف بين المؤرخين والمحققين ، يعود إلى أن معظم طبعات تاريخ أبي الفدا تشمل تسجيلاً للحوادث حتى سنة ٧٤٩ رغم وفاته سنة ٧٣٢ ، ورغم تحديد ابن الوردي نهاية تاريخ أبي الفداء وبداية تذييله على أصله في سنة ٧٠٩ ، وأن هذا التسجيل ينطبق حرفياً على ما أورده ابن الوردي في تاريخه . كما ذكرنا من قبل في حاشية ص ٤١٨ ، والمؤكد أن ما ورد في تاريخ ابن الوردي ابتداء من عام ٧٣٢ هو من تأليف ابن الوردي . وأن النساخ أخطأوا فجمعوا ما أرخه ابن الوردي إلى تاريخ أبي الفدا . إذ من غير المعقول أن يؤرخ أبي الفداء بعد وفاته لمدة ١٧ سنة . بالاضافة إلى ما ورد في ص ٤٤١ من قول ابن الوردي : « واستعفيته من الحكم في البر ، فأعفاني في الحال » .. ومثاله كثير .

(١) دواتدار : « دواة دار » — معناها حافظ الدواة .

Marfat.com

القديم نزع الله عنها لباس البأس والحزن، وعوضها بحلة يوسف عن شقة الكفن فكمل رخامها وذهبهـــا وجعل ثمال اليتامى عصمة للأرامل مكتبها ، وكملها بالفروع الموصلة والأصول الممرعة ، وجملها بالمرابع المذهبة والمذاهب الأربعة ، وبالجملة فقد كتبها صلاح الدنيـــا في ديوان صلاح الدين إلى يوم العرض وتلا لسانُ حسنها اليوسفي ، وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ، ولما وقف الأمير صلاح الدين المذكور على هذه الترجمة تهلل وجهه ، وقال ما معناه : يا ليتك زدتنا من هذا .

وفيها توفي الشيخ الكبير الشهير المتزهد محمد بن عبدالله بن المجد المرشدي بقريته من عمل مصر ، له أحوال وطعام يتجاوز الوصف ، ويقال : إنه كان مخدوماً . قيل أنه أنفق في ثلاث ليال ما يساوي خمساً وعشرين ألفاً رحمه الله تعالى ونفعنا به .

سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة :

كشف تابوت سيدنا زكريا

فيها في المحرم توفي ناصر الدين محمد بن مجد الدين بن قرفاص ، دخل بلاد سيس لكشف الفتوحات الجهانية فتوفي هناك رحمه الله تعالى ، ودفن بتربة هناك للمسلمين . **وفيها** في صفر توفي بدر الدين محمد بن ابراهيم بن الدقـــاق الدمشقي ناظر الوقف بحلب ؛ وفي أيام نظره فتح الباب المسدود الذي بالجامع بحلب شرقي المحراب الكبير لأنه سمع أن بالمكان المذكور رأس زكرياء النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم ، فارتاب في ذلك فأقدم على فتح الباب المذكور بعد أن نهي عن ذلك فوجد باباً عليه تأزير رخام أبيض ، ووجد في ذلك تابوت رخام أبيض فوقه رخامة بيضاء مربعة فرفعت الرخامة عن التابوت فإذا فيها بعض جمجمة فهرب الحاضرون هيبة لها ، ثم رد التـــابوت وعليه غطاؤه إلى موضعه وسد عليه البـــاب ووضعت خزانة المصحف العزيز على

الباب ، وما أنجح الناظر المذكور بعد هذه الحركة ، وابتلي بالصرع إلى أن عض على لسانه فقطعه ومات ، نسأل الله أن يلهمنا حسن الأدب .

ذكر أخبار العلامة ابن كاتب قطلوبك

وفيها في أواخر ربيع الأول قدم إلى حلب العلامة القاضي فخر الدين محمد بن علي المصري الشافعي المعروف بابن كاتب قطلوبك واحتفل به الحلبيون ، وحصل لنا في البحث معه فوائد منها قولهم إذا طلب الشافعي من القاضي الحنفي شفعة الجار لم يمنع على الصحيح لأن حكم الحاكم يرفع الخلاف ، قال وهذا مشكل فإن حكم الحاكم ينفذ ظاهراً بدليل قوله ﷺ : فإنما أقطع له قطعة من نار، وأما كون القاضي لا ينقض هذا الحكم فتلك سياسة حكمية. **ومنها** قولهم يقضي الشافعي الصلاة إذا اقتدى بالحنفي علم أنه ترك واجباً كالبسملة يعني على الصحيح ، ولا يقضي المقتدي بحنفي افتصد ولم يتوضأ. قال: وهذا مشكل فإن الحنفي إذا افتصد ولم يتوضأ وصلى فهو متلاعب على اعتقاده فينبغي أن يقضي الشافعي المقتدي به ، وإذا ترك البسملة فصلاته صحيحة عنده فينبغي أن لا يقضي الشافعي المقتدي به وفيه نظر . **ومنها** قولهم في الصداق أن قيمة النصف غير نصف القيمة هذا معروف ولكنه قال قول الرافعي وغيره أن الزوج في مسائل التشطير يغرمها نصف القيمة لا قيمة النصف مشكل . وكانوا بدمشق لا يساعدونني على استشكاله حتى رأيته لإمام الحرمين ، وذلك لأن القيمة خلف لما تلف وإنما يستحق نصف الصداق فليغرمها قيمة النصف لا نصف القيمة .

ومنها أنه ذكر أن الشيخ صدر الدين لما قدم من مصر قال لقد سألني ابن دقيق العيد عن مسألة أسهرته ليلتين وصورتها : رجل قال لزوجته : إن ظننت بي كذا فأنت طالق، فظنت به ذلك. قالوا : تطلق، ومعلوم أن الظني لا ينتج قطعياً فكيف أنتج هنا القطعي ؟ قال العلامة فخر الدين : وكنت يومئذ صبياً فقلت : ليس هذا من ذلك فإن المعنى إن حصل لك الظن بكذا

Marfat.com

فأنت طالق والحصول قطعي فينتج قطعياً ، فقال صدر الدين : بهذا أجبته .
ومنها قولهم إذا ادعى على امرأة في حبالة رجل إنهـــا زوجته فقالت : طلقتني، تجعل زوجته ويحلف أنه لم يطلق. رأى في هذه المسألة ما يراه شيخنا قاضي القضاة شرف الدين بن البارزي وهو أن المراد بذلك امرأة مبهمة الحال.

ومنها إنما انعقد السلم بجميع ألفاظ البيع ، ولم ينعقد البيع بلفظ السلم لأن البيع يشمل بيع الأعيان وبيع ما في الذمة ، فصدق البيع عليهما صدق الحيوان على الانسان والفرس ، فان الحيوان جنس لهذين النوعين ، وكذلك البيع جنس لهذين النوعين، بخلاف السلم فإنه بيع ما في الذمة فلا يصدق على بيع العين كالنوع لا يصدق على الجنس ولذلك تسمعهم يقولون الجنس يصدق على النوع ولا عكس . **ومنها** قولهم يسجد للسهو بنقل ركن ذكرى إن أريد به أنه ترك الفاتحة مثلا في القيام ، وقرأها في التشهد سهواً فهذا يطرح غير المنظوم وإن فعل ذلك عمداً بطلت صلاته وان أُريد غير ذلك فما صورته ؟ **فأجاب** إن صورة المسألة أن يقرأ الفاتحة في القيام ، ثم يقرأها في التشهد مثلا فوافق ذلك جوابنا فيها .

ومنها أنهم قالوا خمس رضعات تحرّم ، بشرط كون اللبن المحلوب في خمس مرات على الصحيح ، ثم ذكروا قطرة اللبن تقع في الحب وهذا تناقض فقال لا تناقض فالمراد بقطرة اللبن في الحب إذا وقعت تتمة لما قبلها ، وهذا حسن مهم **فان شيخنا لفراره** من مثل ذلك شرط أن يكون اللبن المغلوب بما شيب به قدراً يمكن أن يسقى منه خمس دفعات ، لو انفرد عن الخليط ، ولا شك أن هذا قول ضعيف والصحيح عند الرافعي أن هذا لا يشترط والتناقض يندفع بما تقدم من جواب العلاّمة فخر الدين . ا هـ.

وفيها وأظنه في ربيع الآخر ورد الخبر إلى حلب بأن نائب الشام تنكز قبض على علم الدين كاتب السر القبطي الأصل بدمشق ، وولى موضعه القاضي شهاب الدين يحيى بن القاضي عماد الدين اسماعيل بن القيسراني الخالدي وعذب

النائب العلم المذكور وعاقبه وصادره ، وبينه وبين العلامة فخر الدين المصري قرابة فلحقه شؤمه ولفحه سمومه وسافر من حلب خائفاً من نائب الشام فلما وصل دمشق رسم عليه مدة ، وعزل عن مدارسه وجهـــاته ثم فك الترسيم عنه وبعد موت تنكز عادت اليه جهاته وحسنت حاله ولله الحمد .

وفيها في رجب ورد الخبر بوفاة القاضي شهاب الدين بن المجد عبـــد الله قاضي القضاة الشافعي بدمشق صدمت بغلته به حائطاً فمات بعد أيام ، وخلق الناس موضع الصدمة من ذلك الحائط بالخلوق ، ومن لطف الله به أن السلطان عزله بمصر يوم موته بدمشق . وعزل القاضي جلال الدين محمد القزويني عـن قضاء الشافعية بمصر ، ونقله إلى القضاء بالشام موضع ابن المجد ورسم بمصادرة ابن المجـــد فلما مات صودر أهـله وكان ابن المجد فيـه خير وشر ودهـاء مروءة . **قلت** :

لا ييـــأسنّ مخلط من رحمـة الله العفو
دليل هـــذا قوله وآخرون اعـترفوا

وولي بعد جلال الدين قضاء الديار المصرية قاضي القضـاة عز الدين عبـد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، وأحسن السيرة . وعزل القاضي برهان الدين بن عبد الحق أيضاً عن قضاء الحنفية بالديار المصرية وولى مكانه القاضي حسام الدين الغوري قاضي القضاة ببغداد كان الوافد إلى مصر عقيب الفتن الكائنة بالمشرق لموت أبي سعيد . **وفيها** في رجب أيضـــاً باشر القاضي بهاء الدين حسن بن القاضي جمال الدين سليمان بـــن ريان مكان والده نظر الجيوش بحلب في حياة والده وبسعيه له .

وفيها في رجب مات بحلب فاضل الحنفية بها الشيخ شهاب الدين أحمـــد ابن البرهان بن داود ولي قضاء عزاز ، ثم نيابة القضاء بحلب مدة ثم انقطع إلى العلم وله مصنفات ،وولي ابنه داود جهاته . **وفيها** في رمضان توفي القاضي

Marfat.com

محيي الدين يحيى بن فضل الله [1] كاتب السر بمصر ، وقد ناف على التسعين وله نظم ونثر .

وفيها أخرج الخليفة أبو الربيع سليمان المستكفي بالله من مكانه بمصر عنفاً إلى قوص ، وقلت في ذلك مضمناً من القصيدة المشهورة لأبي العلاء بيتاً وبعض بيت :

أخرجوكم إلى الصعيد لعذر غير مجد في ملتي واعتقادي
لا يغيركم الصعيد وكونوا فيه مثل السيوف في الاغماد

وفيها في رمضان أيضاً ، ورد الخبر إلى حلب بوفاة العلامة زين الدين محمد بن أخي الشيخ صدر الدين بن الوكيل المعروف **بابن المرجل** من أكابر الفقهاء المفننين المدرّسين الأعيان المتأهلين للقضاء بدمشق :

أدينه تندب أم سمته أم عقله الوافر أم علمه
فاق على الأقران في جدّه فمن رآه خاله عمه

وتولى تدريس الشامية البرانية مكانه ، القاضي جمال الدين يوسف بن جملة فمات **ابن جملة** ، قيل أنه ما ألقى فيها إلا درساً أو درسين لاشتغاله بالمرض ، وولاها بعده القاضي شمس الدين محمد بن النقيب بعد أن نزل عن العادلية .

وفيها في ثالث شوال ورد الخبر بوفاة العلامة شيخ الإسلام زين الدين محمد ابن الكناني علم الشافعية بمصر ، وصلي عليه بحلب صلاة الغائب ، كان مقدماً في الفقه والاصول ، معظماً في المحافل متضلعاً من المنقول ، ولولا انجذابه عن علماء عصره وتيهه على فضلاء دهره لبكى على فقده أعلامهم ، وكسرت له محابرهم وأقلامهم ، ولكن طول لسانه عليهم هوّن فقده لديهم . **قلت** :

---

(١) هو القاضي الرئيس محيي الدين يحيى بن فضل الله بن مجلي العمري القرشي . كان كاتباً للسر بالشام ثم بمصر . وآخر من ولي من بني فضل الله كتابة السر بالديار المصرية . النجوم الزاهرة — ج ٩ ص ٣١٦ .

فجعت بكثبانهـــا مصر فبمثـــله لا يسمح الدهـــر
يا زين مذهبه كفى أسفاً أنّ الصدور بموتك انسروا
ما كان من بأس لو انك بالـ علمـــاء برّ أيهـا البحـر

وفيها في شوال أيضاً رسم ملك الأمراء بحلب الطنبغا بتوسيع الطرق التي في الاسواق اقتداء بنائب الشام تنكز فيما فعله في أسواق دمشق كما مر ، ولعمري قد توقعت عزله عن حلب لما فعل ذلك **فقلت** حينئذ :

رأى حلباً بلداً داثراً فزاد لاصلاحهـــا حرصه
وقاد الجيوش لفتح البلاد ودق لقهر العدى فحصـــه
وما بعد هذا سوى عزله إذا تم أمر بـدا نقصـــه

وفيها في عاشر شوال ، ورد الخبر بوفاة الفاضل المفتي الشيخ بدر الدين محمد بن قاضي باريان الشافعي بحماه . كان عارفاً بالحاوي الصغير ، ويعرف نحواً وأصولاً وعنده ديانة وتقشف ، وبيني وبينه صحبة قديمة في الاشتغال على شيخنا قاضي القضاة شرف الدين بن البارزي وسافر مرة إلى اليمن رحمه الله ونفعنا ببركته . **قلت** :

فجعت حماة ببدرها بل صدرها بل بحرها بل حبرها الغوّاص
الله أكبر كيف حـــال مدينة مات المطيع بها ويبقى العاصي

وفيه ولي قضاء الحنفية بحماه جمال الدين عبدالله بن القاضي نجم الدين **عمر ابن العديم** شاباً ، أمر بعد عزل القاضي تقي الدين بن الحكيم فإن صاحب حماه آثر أن لا ينقطع هذا الأمر من هذا البيت بحماه لما حصل لأهل حمـــاه من التأسف على والده القاضي نجم الدين وفضائله وعفته وحسن سيرته رحمه الله تعالى، وجهز قاضي القضاة ناصر الدين محمد بن قاضي القضاة كمال الدين عمر بن العديم صاحبنا شهاب الدين أحمد بن المهاجر إلى حماه نائباً عن القـــاضي جمال الدين المذكور إلى حين يستقل بالأحكام وخلع صاحب حماه عليهما في

يوم واحد . **وفيه** ورد الخبر أن الأمير سيف الدين أبا بكر النابيري قدم من الديار المصرية على ولاية برّ دمشق . **وفيها** في ذي القعدة توفي بدمشق العلامة القاضي جمال الدين يوسف بن جملة الشافعي معزولاً عن الحكم من سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، كان جم الفضائل غزير المادة صحيح الاعتقاد عنده صداقة في الأحكام وتقديم للمستحقين وكان قد عطف عليـــه النائب وولاه تدريس مدارس بدمشق . **قلت** :

بكت المجـــالس والمدارس جملة لك يا ابن جملة حين فاجأك الردى
فاصعد إلى درج العلى واسعد فمن خدم العلوم جزاؤه أن يصعدا

وفيها في ذي القعدة **توفي شيخي** المحسن إليّ ومعلمي المتفضل عليّ **قاضي القضاة شرف الدين أبو القاسم هبة الله** بن قاضي القضاة نجم الدين أبي محمد عبد الرحيم بن قاضي القضـــاة شمس الدين أبي الطاهر ابراهيم بن هبة الله بن المسلم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد البـــارزي الجهني الحموي الشافعي علم الأئمة وعلامة الأمة ، تعين عليه القضاء بحماه فقبله ، وتورع لذلك عن معلوم الحكم من بيت المال فما أكله بل فرش خده لخدمة النـــاس ووضعه ، ولم يتخذ عمره درة ولا مهماز ولا مقرعة ولا عزر أحداً بضرب ولا اخراق ولا أسقط شاهداً على الإطلاق ، هذا مع نفوذ أحكامه وقبول كلامه والمهابة الوافرة والجلالة الظاهرة والوجه البهي الأبيض المشرب بحمرة واللحية الحسنة التي تملأ صدره والقامة التامة والمكارم العامة والمحبة العظيمة للصالحين والتواضع الزائد للفقراء والمساكين ، أفنى شبيبته في المجـــاهدة والتقشف والأوراد ، وأنفق كهولته في تحقيق العلوم والإرشاد ، وقضى شيخوخته في تصنيف الكتب الجياد ، وخطب مرات لقضاء الديار المصرية فأبى وقنع بمصره ، واجتمع له من الكتب ما لم يجتمع لأهل عصره ، وكف بصره في آخر عمره فولي ابن ابنه مكانه ، وتفرغ للعلوم والتصوف والديانة ، وصار كلما علت سنه لطف فكره وجاد ذهنه وشدت الرحال اليه ، وصار المعول في الفتاوى عليه

Marfat.com

واشتهرت مصنفاته في حياته بخلاف العادة ، ورزق في تصـــانيفه وتآليفه السعـــادة :

فمنها في التفسير : كتاب البستان في تفسير القرآن مجلدان ، وكتاب روضات جنات المحبين إثني عشر مجلداً . **ومنها** في الحديث : كتاب المجتبى مختصر جامع الأصول، وكتاب المحتبى، وكتاب الوفا في أحاديث المصطفى ، وكتاب المجرد من السند ، وكتاب المنضد شرح المجرد أربع مجلدات . **ومنها** في الفقه : كتاب شرح الحاوي المسمى بإظهار الفتاوي من أغوار الحاوي ، وكتاب تيسير الفتاوي من تحرير الحاوي وهما أشهر تصانيفه ، وكتاب شرح نظم الحاوي أربع مجلدات، وكتاب المغني مختصر التنبيه، وكتاب تمييز التعجيز.

ومنها في غير ذلك : كتاب توثيق عرى الايمان في تفضيل حبيب الرحمن، والسرعة في قراءات السبعة ، والدراية لأحكام الرعاية للمحاسبي وغير ذلك . حدثني رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة قال رأيت الشيخ محيي الدين النووي بعد موته في المنام فقلت له : ما تختـــار في صوم الدهر ؟ فقال فيه إثنى عشر قولاً للعلماء، فظهر لشيخنا أن الأمر كما قال وإن لم تكن الأقوال مجموعة في كتاب واحد؛ وذلك أن في صوم الدهر في حق من لم ينذر ولم يتضرر به أربعة أقوال : الاستحباب وهو اختيار الغزالي وأكثر الأصحاب ، والكراهة وهو اختيار البغوي صاحب التهذيب ، والإباحة وهو ظاهر نص الشافعي لأنه قال لا بأس به ، والتحريم وهو اختيار أهل الظاهر حملاً لقوله ﷺ فيمن صام الدهر «لا صام ولا أفطر» على أنه دعاء عليه. وفي حق من نذر ولم يتضرر به خمسة اقوال الوجوب وهو اختيار أكثر الأصحاب والاستحباب والإباحة والكراهة والتحريم . وفي حق من يتضرر بأن تفوته السنن أو الاجتماع بالأهل ثلاثة أقوال التحريم والكراهة والإباحة ولا يجيء الوجوب ولا الاستحباب فهذه اثنى عشر قولاً في صوم الدهر . وهذا المنام من كرامات الشيخ محيي الدين والقاضي شرف الدين رضي الله عنهما . والله أعلم.

وأخبرني **حين أجازني** أنه أخذ الفقه من طريق العراقيين عن والده وجده أبي الطاهر ابراهيم وهو عن القاضي عبدالله بن ابراهيم الحموي عن القاضي أبي سعد بن أبي عصرون الموصلي عن القاضي أبي علي الفارقي عن الشيخ أبي اسحاق الشيرازي عن القاضي أبي الطيب الطبري عن أبي الحسن الماسرجسي عن أبي الحسن المروزي ، ومن طريق الخراسانيين عن جده المذكور عن الشيخ فخر الدين عبد الرحمن بن عساكر الدمشقي عن الشيخ قطب الدين مسعود النيسابوري عن عمر بن سهل الدامغاني عن حجة الإسلام أبي حامد الغزالي عن إمام الحرمين أبي المعالي الجويني عن والده أبي محمد الجويني عن الإمام أبي بكر القفال المروزي عن أبي اسحاق المروزي المذكور عن القاضي أبي العباس بن شريح عن أبي القاسم الأنماطي عن أبي اسماعيل المزني والربيع المرادي كلاهما عن الإمام الأعظم أبي عبدالله محمد بن ادريس الشافعي وهو أخذ عن إمام حرم الله مسلم بن خالد الزنجي عن أبي جريح عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهم ، وعن إمام حرم رسول الله ﷺ مالك عن نافع عن ابن عمر وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم عن نبينا سيد المرسلين محمد بن عبدالله بن عبد المطلب صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أفضل صلواته عدد معلوماته . وله نظم قليل فمنه ما كتب به إلى صاحب حماه يدعوه إلى وليمة :

طعام العرس مندوب اليه وبعض الناس صرّح بالوجوب
فجبرا بالتناول منه جرياً على المعهود في جبر القلوب

ومن نثره الذي يقرأ طرداً وعكساً قوله : (سور حماه بربها محروس) .

ولما بلغني خبر وفاته كتبت كتاباً إلى ابنه القاضي نجم الدين عبد الرحيم ابن القاضي شمس الدين ابراهيم بن قاضي القضاة شرف الدين المذكور . **صورته** وينهى أنه بلغ المملوك وفاة الحبر الراسخ بل انهداد الطود الشامخ وزوال الجبل الباذخ الذي بكته السماء والأرض وقابلت فيه المكروه بالندب

Marfat.com

وذلك فرض ، فشرقت أجفان المملوك بالدموع واحترق قلبه بين الضلوع ، وساواه في الحزن الصادر والوارد، واجتمعت القلوب لما تم لمأتم واحد فالعلوم تبكيه والمحاسن تعزي فيه والحكم ينعـــاه والبر يتفدّاه والاقلام تمشي على الرؤوس لفقده والمصنفات تلبس حداد المداد من بعده . ولمـا صلي عليه يوم الجمعة صلاة الغائب بحلب اشتد الضجيج وارتفع النشيج وعلت الأصوات فلا حزن قلقه ولا عام إلا طار لبه فإنه مصـــاب زلزل الأرض وهدم الكرم المحض وسلب الأبدان قواها ومنع عيون الأعيان كراها ، ولكن عزى الناس لفقده كون مولانا الخليفة من بعده فإنه بحمد الله خلف عظيم لسلف كريم ، وهو أولى من قابل هذا الفادح القادح وسلم إلى الله سبحانه يحيي ما كانت الحياة أصلح ويميت إذا كانت الوفـــاة أروح . وقد نظم المملوك فيه مرثية أعجزه عن تحريرها اضطرام صدره وحمله على تسطيرها انتهاب صبره، وها هي:

برغمي أن بيتكم يضام ويبعد عنكم القاضي الإمام
سراج للعلوم أضـــاء دهراً على الدنيـــا لغيبته ظلام
تعطلت المكارم والمعـــالي ومات العلم وارتفع الطغام
عجبت لفكرتي سمحت بنظم أيسعدني على شيخي نظام
وأرثيـــه رثاء مستقيماً ويمكنني القوافي والكلام
ولو أنصفته لقضيت نحبي ففي عنقي له نعم جسام
حشا أذنيّ درّاً ساقطتـه عيوني يوم حمّ له الحمـــام
لقد لؤم الحمام فإن رضينا بما يجنى فنحن إذاً لئـام
ألا يا عامنا لا كنت عامـــاً فمثلك ما مضى في الدهر عام
أتفجعنـا بكتانيّ مصر وكان به لساكنها اعتصام
وتفتك بابن جملة في دمشق وبعلوهـــا لمصرعه القتام
وكان ابن المرحل حين يبكي لخوف الله تبتسم الشآم
وحبر حماة تجعله ختامـاً أذاب قلوبنا هـذا الختام
ولمـا قام ناعيه استطارت عقول الناس واضطرب الأنام

Marfat.com

ولو يبقى سلونا من سواه فإن بموتـه مات الكرام
أألهو بعدهم وأقر عينـاً حلال اللهو بعدهم حرام
فيا قاضي القضاة دعاء صب برغمي أن يغيرك الرغـام
ويا شرف الفتاوى والدعاوى على الدنيـا لغيبتك السلام
ويا ابن البارزي إذا برزنا بثوب الحزن فيك فلا نلام
سقى قبراً حللت به غمام من الأجفـان إن بخل الغمام
إلى من ترحل الطلاب يومـاً وهل يرجى لذي نقص تمام
ومن للمشكلات وللفتـاوى وفصل الأمر إن عظم الخصام
وكان خليفـة في كل فن وعينا للخليفة لا تنـام
ألا يا بابه لا زلت قصداً لأهل العلم يغشاك الزحام
فإن حفيد شيخ العصر باق يقل به على الدهر المـلام
أنجم الدين مثلك من تسلى إذا فدحت من النوب العظام
وفي بقياك عن ماض عزاء قيامك بعده نعم القيـام
إذا ولى لبيتكم إمـام عديم المثل يخلفه إمـام
وفي خير الأنام لكم عزاء وليس لساكن الدنيا دوام
أنا تلميذ بيتكم قديمـاً بكم فخري إذا افتخر الأنام
وإن كنتم بخير كنت فيه ويرضيني رضـاكم والسلام
لكم مني الدعاء بكل أرض ونشر الذكر ما ناح الحمـام

سنة تسع وثلاثين وسبعمائة :

فيها في المحرم توفي بمصر شيخنا قاضي القضاة فخر الدين عثمان بن زين الدين علي بن عثمان المعروف **بابن خطيب جبرين** قاضي حلب وابنه كمال الدين محمد وذلك ان الشناعات كثرت عليه فطلبه السلطان على البريد اليه فحضر عنده وقد طار لبه وخرج وقد انقطع قلبه وتمرّض بمصر مدة وأراحه الله بالموت

Marfat.com

من تلك الشدة[1] وحسب المنايا أن يكن أمانيا . ولقد كان رحمه الله فاضلاً في الفقه والأصول والنحو والتصريف والقراءات مشاركاً في المنطق والبيان وغيرهما ، وله الشرح الشامل الصغير ويدل حله إياه على ذكاء مفرط ، وله شرح مختصر ابن الحاجب في الأصول وشرح البديع لابن الساعاتي في الأصول أيضاً وفرائض نظم وفرائض نثر ومجموع صغير في اللغـــة وغير ذلك ، كان رحمه الله سريع الغضب سريع الرضى كثير الذكر لله تعالى . **قلت** :

من هو فخـر الدين عثمان في مراحم الله وإحسانـه
مات غريباً خائفاً نازحـاً عن أنس أهليه وأوطانـه
وبعض هذي فيه ما يرتجى له بـه رحمـــة ديانه
فقل لشانيـه ترفق ففي شأنك ما يغنيك عن شانه

ورأيت مكتوباً بخطه هذه الكلمات وكنت سمعتها من لفظـــه قبل ذلك وهي : الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع ومحو الأسباب أن تكون أسبـاباً نقص في العقل فمن جعل السبب موجبـــاً فقد أخطأ ومن محاه ولم يجعل له أثراً فقد أخطأ ومن جعل السبب سبباً والمسبب هو الفاعل فقد أصاب ، ومولده رحمه الله بمصر في العشر الأواخر من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستمائة .

وفيها في العشر الأوسط من ربيع الآخر توفي السيد الشريف بـدر الدين محمد بن زهره الحسيني نقيب الأشراف وكيل بيت المال بحلب ، ومن الاتفاق انه مات يوم ورود الخبر بعزل ملك الأمراء عـــلاء الدين ألطنبغا عن نيابة حلب وكان بينهما شحناء في الباطن . **قلت** :

---

(١) قال في النجوم الزاهرة : تولى قضاء حلب سنة ست وثلاثين وسبعمائة ، فتكلم فيه (بضم التاء وكسر اللام) ، فطلبه الملك النـــاصر وطلب ولده ، فروّعهما الحضور قدامه لكلام أغلظه لهما ، فنزلا مرعوبين ومرضا بالبيمارستان المنصوري ، فمـات ولده قبله ، وتوفي هو بعده بيوم أو يومين ، ودفن بمقابر الصوفية . وجبرين : قرية من قرى حلب .

قد كان كل منهما يرجو شفا أضغانه
فصار كل واحـــد مشتغلاً بشانـــه

كان السيد رحمه الله حسن الشكل وافر النعمة معظماً عند النـاس شهماً ذكياً ، وجدّه الشريف أبو ابراهيم هو ممدوح أبي العـلاء المعري كتب إلى أبي العلاء القصيدة التي أولها :

غير مستحسن وصال الغواني بعد ستين حجـــة وثماني

ومنها :

كل عـلم مفرّق في البرايا جمعته معرّة النعمان

فأجابه أبو العلاء بالقصيدة التي أولها :

عللاني فإن بيض الأمـاني فنيت والظلام ليس بفاني

ومنها :

يا أبا ابراهيم قصر عنك الشعر لمـا وصفت بالقرآن

وفيها في العشر الأول من جمادى الأولى قدم الأمير سيف الدين طرغاي إلى حلب نائباً بها وسرَّ الناس بقدومه وأظهروا الزينـــة وصحبته القاضي شهاب الدين أحمد بن القطب كاتب السر مكان تاج الدين بن الزين خضر المتوجه إلى مصر صحبة الأمير عـــلاء الدين الطنبغا ، وكان رنك المنفصل جوكانين ورنك المتصل خونجا فقال بعض الناس في ذلك :

كم أتى الدهر بطرد وبعكس وببـدع
راح عنا رنك ضرب وأتانا رنـــك بلع

وفيها في السابع والعشرين من جمـادى الأولى ورد الخبر إلى حلب بوفاة قاضي القضاة جـلال الدين محمد بن عبد الرحمن **القزويني** قاضي دمشق بها كان رحمه الله إماماً في علم المعاني والبيان له فيه مصنفات جامعة متقنة وله

Marfat.com

يد في الأصولين ويحل الحاوي . وكان كبير القدر واسع الصدر ، ولي أولاً خطابة دمشق ثم قضاءها ثم قضاء مصر ثم قضاء دمشق حتى مات بها سامحه الله تعالى ، وبلغني ان بينه وبين الإمام الرافعي قرابة وقرب العهد بسيرته يغني عن الإطالة ، وبنى على النيل داراً قيل بما يزيد على ألف ألف درهم فأخذت منه ، ثم أخرج إلى دمشق قاضياً كما تقدم .

وفيها في جمادى الآخرة ورد الخبر إلى حلب بوفاة الشيخ بدر الدين أبي اليسر محمد بن القاضي عز الدين محمد بن الصائغ الدمشقي بها ، كان نفعنا الله به عالماً فاضلاً من الدنيا زاهداً جاءته الخلعة والتقليد بقضاء دمشق فامتنع أتم امتناع واستعفى بصدق إلى أن أعفي ، فمن يومئذ حس ظن الناس به وفطن أهل القلم وأهل السيف لجلالة قدره . **قلت** :

ما قضاء الشام إلا شرف ولمن يتركه أعلى شرف
يا أبا اليسر لقد أذكرنا فعلك المشكور أفعال السلف

وفيه ورد الخبر أن الأمير علاء الدين الطنبغا ، وصل من مصر إلى غزة نائباً بها فسبحان من يرفع ويضع ألا له الخلق والأمر ، جرت بينه وبين نائب الشام الأمير سيف الدين تنكز شحناء اقتضت نقلته من حلب وتوليته بعدها غزة فإن نائب الشام متمكن عند السلطان رفيع المنزلة .

وفيها في أوائل رجب توفي بمعرة النعمان بن شيخنا العابد ابراهيم بن عيسى بن عبد السلام . وكان من عباد الأمة ويعرف الشاطبية والقراءات ، وله يد طولى في التفسير وزهادته مشهورة ، كان أولاً يحترف النساجة ثم تركها وأقبل على العبادة والصيام والقيام ، ونسخ كتب الرقائق وغيرها فأكثر ووقف كتبه على زوايا وأماكن . وهو من أصحاب الشيخ القدوة مهنا الفوعي نفعنا الله ببركتهما ، وكان داعياً إلى السنّة بتلك البلاد ، وتوفي بعده بأيام الشرف حسين بن داود بن يعقوب الفوعي بالفوعة ، وكان داعياً إلى التشيع بتلك البلاد . **قلت** :

Marfat.com

وقام لنصر مذهبه عظيما وحدّد ظفره وأطال نابه
تبارك من أراح الدين منه وخلص منه أعراض الصحابة

وفيه ورد الخبر بوفاة الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله المعروف بابن المهاجر الحنفي بحماه نائباً عن قاضيها جمال الدين عبد الله بـن العديم حسبما تقدم ذكره . كان فاضلا في النحو والعروض ، وله نظم حسن ولهج في آخر وقته بمدائح الرسول ﷺ . **وفيه** ورد الخبر إلى حـلب أن الشيخ تقي الدين علي بن السبكي تولى قضاء القضاة الشافعية بدمشق المحروسة بعد أن حدث الخطيب بدر الدين محمد بن القاضي جلال الدين نفسه بذلك وجزم به وقبل الهناء ، فقال فيه بعض أهل دمشق :

قد سبك السبكي قلب الخطيب فعيشه من بعدها ما يطيب

وفيه طلب القاضي جمال الدين سليمان بن ريان على البريد من حلب إلى دمشق لمباشرة نظر الجيوش بالشام ، واستمر بدمشق إلى أن نكب تنكز كما سيأتي فعزل بالتاج اسحاق ثم حضر إلى حلب وأقام بداره بالمقام . **وفيها** في شعبان قدم الأمير الفاضل صلاح الدين يوسف الدواتدار شادا بالمملكة الحلبية . **وفيها** في رمضان ورد الخبر أن الأمير سيف الدين أبا بكر البـانيري باشر النيابة بقلعة الرحبة ، وهو الذي كان تولى تجديد عمـارة جعبر كما تقـدم فقال فيه بعض الناس :

يا باذلاً في جعـبر جهـده ما خيب السلطان مسعاكا
عوّضك الرحبة عن ضيق ما قاسيت قد أفرحنا ذاكا
فضاجع البق وناموسهـا لولا ضجيعـاك لزرناكا

وفيه شرع نائب الشام تنكز ، في الرجوع من متصيده بالمملكة الحلبية وكان قد حضر اليها من شعبان ، ومعه صاحب حماه الملك الأفضل وحريم وحظايا وحشم وحمام ، ولحق الفلاحين والرعية بذلك كلفة وضرر كبير . واجتمع

Marfat.com

نائب الشام وصاحب حماه على إعادة بدر الدين محمد بن علي المعروف بابن الحمص رامي البندق المشهور إلى منزلته من الرمـاية ، بعد أن كان قـد أسقط على عـادتهم وأسقطوا من كان أسقطـه ، **واجتمعت أنا** بابن الحمص المذكور بحلب فسألته أن يريني شيئاً من حذقه في البندق فرمى إلى حائط فكتب عليه بالبندق ما صورته محمد بن علي بخط جيد ثم أمر غلامه فصار الغلام يرمي بندقاً إلى الجو ، وهو يتلقاه فيصيبه في سرعة على التوالي فجاء من ذلك بالعجب العجيب .

وفيه نادى منـاد في جامع حلب وأسواقهـا ، وقدامـــه شاد الوقف بدر الدين يتليك الاسندمري من أُمراء العشرات بما صورته : معاشر الفقهاء والمدرسين والمؤذنين وأرباب وظائف الدين قد برز المرسوم العالي أن كُلّ من انقطع منكم عن وظيفته وغمز عليه يستأهل ما يجري عليه . فانكسرت لذلك قلوب الخاص والعام ، وعظم به تألم الأنام ، وظهر مشد الوقف المذكور عن بغض وعناد لأهل العلم والدين ، فوقع منه يوم عيد الفطر كلمة قبيحة أقامت عليه الناس أجمعين وعقد له بـدار العدل يوم العيـد مجلس مشهود وأفتينا بتجديد إسلامه وعزله وضربه وهو ممدود ، ونودي عليه في الملأ جزاء وفاقاً ، وقطعنا أن لحوم العلماء مسمومة اتفاقاً ، ولولا شفاعة الشافعي فيـه لدخل نار مالك بما خرج من فيه ، ولو كان براً لما خاض هذا البحر ولجمع قلبه ومذبحه بين الفطر والنحر ، وبالجملة فقد ذاق مرارة القهر والقسر فإن نداءه الذي انكسر به القلب انقلب به الكسر .

وفيها في تاسع شوال وصل إلى حلب قاضي القضاة ، زين الدين عمر ابن شرف الدين محمد بن البلفيائي المصري الشافعي ، وباشر الحكم من يومه وخرج النائب والأكابر لتلقيه ، وسر به الناس لما سمعوا من ديانته بعد شغور المنصب نحو عشرة أشهر من حاكم شافعي . **وفيها** حج الأمير سيف الدين بشتك الناصري من مصر وأنفق في الحج أموالاً عظيمة ، وكان صحبته على ما

بلغني ستمائة راوية وتكلم الناس في القبض عليه عند عوده بمدينة الكرك فما أمكن ذلك ودخل مصر وصعد القلعة ، فتلقاه السلطان بالحسنى .

سنة أربعين وستمائة :

فيها في المحرم ورد الخبر بوفاة الشيخ علم الدين أبي محمد القاسم بن يوسف البرز إلى المحدث الدمشقي بخليص مريداً للحج رحمه الله تعالى . كان حسن الأخلاق كثير الموافاة للناس محبوباً اليهم ، وله تصانيف في الحديث والتاريخ والشروط ، وكان حسن الأداء كثير البكاء في حال قراءة الحديث فصيحاً . رحمه الله تعالى .

وفيها في المحرم بلغنا **شنق المؤيد شرف الدين أبي بكر** الواعظ المحتسب نائب الوكالة باللاذقية ، خافوا بطرابلس من طول لسانه واتصاله بأعيان المصريين وقامت عليه بينة بألفاظ تقتضي انحلال العقيدة ، فحملوا عبد العزيز المالكي قاضي القدموس على الحكم بقتله ، وشارك في واقعته القاضي جلال الدين عبد الحق المالكي قاضي اللاذقية ، فتعب القاضيان بحريرته وقاسيا شدائد .

وفيها في صفر وردت البشارة بقبض الملك الناصر على النشو شرف الدين القبطي الأصل [1]، وأنه وأخاه رزق الله تحت العقوبة ، ثم قتل أخوه

---

(١) أورد ابن تغري بردي في « النجوم الزاهرة » قصة النشو هذا مفصلة في أكثر من عشر صفحات ، عند ترجمته للملك الناصر ص ١٢١ – ١٤٣ – من ج ٩ ، ثم أوردها مختصرة في حوادث سنة ٧٤٠ قال : وتوفي شرف الدين عبد الوهاب ابن التاج فضل الله المعروف بالنشو ناظر الخاص الشريف تحت العقوبة . كان هو وأبوه واخوته يخدمون الأمير بكتمر الحاجب ، ثم خدم النشو هذا عند الأمير أيدغمش . فلما جمع السلطان في بعض الأيام كتّاب الأمراء رآه واقفاً وراء الجماعة وهو شاب نصراني طويل حلو الوجه .. فحادثه ورتبه مستوفياً ، وأقبلت سعادته ..

.. وقال الصلاح الصفدي « ولما كان في الاستيفاء وهو نصراني الأصل كانت أخلاقه =

Marfat.com

نفسه وأوقدت لهلاكها الشموع بالقاهرة ، كان النشو قد قهر أهـــل القاهرة وبالغ في الطرح والمصادرة ، فعظمت به المصيبة وقتل خلقاً تحت العقوبة فأتى الناس في هلاكه بيوت المسألة من أبوابها ، وبنت الأوتاد نظم الدعوات على أسبابها وطلبوا لبحر ظلمه المديد من الله خبناً وبتراً فدارت الدوائر عليـه بهذه الفاصلة الكبرى . **قلت** :

النشو لا عدل ولا معرفه قد آن للأقدار أن تصرفه
من أتلف الناس وأموالهم يحق للسلطان أن يتلفـــه

وفيه قدم الأمير المكاص الغشوم المشوم **لؤلؤ القندشي** إلى حلب منفياً من مصر بلا اقطاع . **وفيه** عزل قاضي القضاة بحلب زين الدين عمر البلفيائي عنها لوحشة جرت بينه وبين طرغاي نائب حلب فكاتب فيه فعزل ، وهو فقيه كبير مقتصد في المأكل والملبس . **قلت** :

كان والله عفيفـــاً نزهاً وله عرض عريض مـــا اتهم
وهو لا يدري مداراة الورى ومـداراة الورى أمـر مهم

وفيها في ربيع الأول عزل الأمير صلاح الدين يوسف بن الأسعد الدواتدار عن الشد على المال والوقف بحلب ونقل الى طرابلس ضاق طرغاي من جيرتـه فعمل عليه ، وكان قد عزم على تحرير الأوقاف بحلب فما قدر . **قلت** :

لقد قالت لنا حلب مقالاً وقد عزم المشد على الرواح
إذا عم الفساد جميع وقفي فكيف أكون قابلة الصلاح

= حسنة وفيه بشر وطلاقة وجه وتسرع لقضاء حوائج الناس ، وكان الناس يحبونه . فلما تولى الخاص وكثر الطلب عليه وزاد السلطان في الانعامات والعـــمائر ، ساءت أخلاق النشو وأنكر من يعرفه . وفتح أبواب المصادرات » . وعندما قبض عليه زينت القاهرة زينـــة هائلة دامت سبعة أيام وعملت أفراح كثيرة .

Marfat.com

وفيها في جمادى الآخرة ولي القاضي برهان الدين ابراهيم بن خليل بن ابراهيم الرسعني قضاء الشافعية بحلب بذل لطرغاي نائبها مالاً ، فكاتب في ولايته وهو أول من بذل في زماننا على القضاء بحلب ، وكان القضاة قبله يخطبون ويعطون من بيت المال حتى يلوا ولذلك لم يصادف راحة في ولايته . ويعجبني قول القائل :

فلان لا تحزن إذا نُكبت واعرف ما السبب
فما تولى حاكم بفضة إلا ذهب

وفيها توفي طقتمر الخازن نائب قلعة حلب وخلف مالاً طائلاً . كانت تصدر منه في الدين ألفاظ منكرة واشترى قبل وفاته داراً عند مدرسة الشاذبخت وعمل فيها تصاوير وكثر الطعن عليه بسببها . **قلت** :

ما حلّ فيها زحل إلا لنحس المشتري
فانعدمت صورته من شؤم تلك الصور

ذكر وفاة المستكفي بالله

وفيها في شعبان توفي الخليفة أبو الربيع سليمان المستكفي بالله[1] فى قوص، وقد تقدم أنه أخرج إلى الصعيد سنة ثمان وثلاثين وخلافته تسع وثلاثون سنة ولله قولي على لسانه : مثلي يعيش بالموت ويبلغ المنى بالفوت، إلى كم لهم العيشة الرطبة ولي مجرد الخطبة فلهم الملك الصريح ولسليمان الريح .

---

(١) هو المستكفي بالله أبو الربيع سليمان ابن الخليفة الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ابن الحسن بن أبي بكر الهاشمي العباسي . كان حشماً كريماً فاضلا . كان أخرجه الملك الناصر أبي قوص لما كان في نفسه منه في القيام بنصرة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير ، وتولى الخلافة من بعده ولده أبو العباس أحمد ولقب بالحاكم على لقب جده بعهد منه اليه . وكان الناصر منع الحاكم من الخلافة وولى غيره . فلم يتم له ذلك ، وولى الحاكم هذا . — النجوم الزاهرة — ج ٩ — ص ٣٢٢ .

Marfat.com

أحمد الله الذي جنبني كلف الملك وأمراً صعبا
لم أجد للملك ماء صافياً فتيممت صعيداً طيبا

وفيها بعد موت المستكفي **بويع بالخلافة أبو اسحاق ابراهيم** ابن أخ المستكفي . **وفيها** كان الحريق بدمشق وذهبت فيه أموال ونفوس واحترقت المنارة الشرقية والدهشة[1] وقيسارية القواسين وتكرر، وأقرت طائفة من النصارى بدمشق بفعله فصلب تنكز منهم أحد عشر رجلاً ثم وسطوا بعد أن أخذ منهم ألف ألف درهم وأسلم ناس منهم وبيعت بنت الملين بمال كثير فاشتراها تنكز وعملت المقامة الدمشقية في هذا المعنى : وسميتهـــا صفو الرحيق في وصف الحريق ، وختمتها بقولي :

وعادت دمشق فوق ما كان حسنها وأمست عروساً في جمـال مجـدد
وقالت لأهل الكفر موتوا بغيظكم فمـــا أنـا إلا للنـــبيّ محمد
ولا تذكروا عندي معـــابد دينكم فما قصبـــات السبق إلا لمعبد

وفيها في ذي الحجة باشر القاضي ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يعقوب كتابة السر بحلب وسررنا به .

ذكر إهلاك تنكز

وفيه قبض على تنكر نائب الشأم وأهلك بمصر رسم السلطان لطشتمر حمص أخضر وكان نائباً بصفد أن يأتيه من حيث لا يحتسب ويقبض عليه ، وما أشبه تمكنه عند السلطان الملك الناصر إلا بجعفر عند الرشيد والرشيد أضمر إهلاك جعفر ست سنين حتى قتله والملك النـــاصر أضمر إهلاك تنكز عشر سنين وهو يخوله ويعظمه وينعم عليه وفي قلبه له مـــا فيه حتى قبض عليه . وكان تنكز عظيم السطو شديد الغضب قتل خلقاً منهم عماد الدين اسماعيل بن مزروع الفوعي نائب فحليس بدمشق وعلي بن مقلد حـــاجب

---

(١) هو المسجد الذي ينسب إليه أبو الخطيب الدهشة ، صاحب التقريب .

Marfat.com

العرب والأمير حمزة رمـــاه بالبندق ثم أهلكه سراً وغيرهم . وله بدمشق والقدس وغيرهما آثار حسنة وأوقاف ، وقتل أكثر الكلاب بدمشق ثم حبس الباقي ، وحال بين إناثها وذكورها ، ولما استوحش من السلطان عزم على نكثه من جهة التتر ، وأخذ السلطان من أمواله ما يفوت الحصر ، زعم بعضهم أنه يقارب مال قارون . وكان قبل ذلك قد تبرم من نقيق الضفادع فأخرجها من الماء ، فقال بعض الناس فيه :

تنكز تنكز بدمشق تيهاً وذلك قد يدل على الذهاب
وقالوا للضفادع ألف بشرى بميتتـه فقلت وللكـلاب

وتولى دمشق بعده ألطنبغا الحاجب الصالحي ، كان تنكز قد سعى عليه حتى نقل من نيابة حلب إلى نيابة غزة فأورثه الله أرضه وديارة . **وفيها** بعد حادثة تنكز **عوقب أمين الملك** عبـــدالله [1] الصاحب بدمشق ، واستصفي ماله ومات تحت العقوبة ، قبطي الأصل ، وكان فيه خير وشر ووزر بمصر ثلاث مرات . وفيه يقول صاحبنا الشيخ جمال الدين بن نباتة المصري :

لله كم حـال امرىء مقتر قضيت في القـدس بتنفيسه
كم درهم ولى ولكنـــه قد أخذ الأجر على كيسه

وقال فيه أيضاً :

روت عنك أخبار المعالي محاسن كفت بلسان الحال عن لسن الحمد
فوجهك عن بشر وكفك عن عطا وخلقك عن سهل ورأيك عن سعد

---

(١) هو الوزير الصاحب أمين الدين أمين الملك أبو سعيد عبدالله بن تاج الرياسة ابن الغنام. مات تحت العقوبة مخنوقاً يوم الجمعة رابع جمادى الأولى . ووزر ثلاث مرات بمصر ، وباشر نظر الدولة واستيفاء الصحبة، وتنقل في عدة خدم بمصر ودمشق وطرابلس نصرانياً ومسلماً ، ولما أسلم حسن إسلامه ، وكان رضي الخلق ـ ذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة وفاته في سنة ٧٤١ .

Marfat.com

سنة إحدى وأربعين وسبعمائة :

فيها في المحرم وسّط بدمشق **طغية وجنغية** من أصحـــاب تنكز وكانا ظالمين . **وفيها** عزل طرغاي عن حلب وكان على طمعه يصلي ويتلو كثيراً . **وفيها** توفي الشيخ محمد بن أحمد بن تمام زاهـــد الوقت بدمشق . **وتوفي الملك** أنوك ابن الملك الناصر وكان عظيم الشكل . **وفيها** ضربت رقبة عثمان الزنديق بدمشق على الإلحـــاد والباجر بقية سمع منه من الزندقة ما لم يسمع من غيره لعنه الله . **وتوفي الأمير صلاح الدين** يوسف ابن الملك الأوحد، وكان من أكابر أمراء دمشق ومن بقايا أجواد بني شيركوه ، وكان تنكز على شممه بدمشق ينزل إلى ضيافتـــه كل سنة فينفق على ضيافة تنكز نحو ستين ألف درهم .

وفاة الملك الناصر محمد بن المنصور

وفيها توفي السلطان الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحي رحمه الله تعالى وله ستون سنة بعد ان خطب له ببغداد والعراق وديار بكر والموصل والروم ، وضرب الدينار والدرهم هناك باسمه كما يضرب له بالشأم ومصر، وحجّ مرات وحصل لقلوب الناس بوفاته ألم عظيم فإنه أبطل مكوساً، وكان يستحيي أن يخيب قاصديه ، وأيامـــه أيام أمن وسكينة وبنى جوامع وغيرها ولا تسليط لؤلؤ والنشو على الناس في آخر وقته. **وعهد لولده السلطان الملك المنصور أبي بكر** فجلس على الكرسي قبل موت والده ، وضربت له البشائر في البلاد . ولي من تهنئة وتعزية في ذلك :

ما أساء الدهر حتى أحسنا رق فاستدرك حزناً بهنا
بينما البأساء غمت من هنا وإذا النعماء عمت من هنا
فبحق أن يسمى محزنا وبصدق حين يدعى محسنا
فلئن أوحشنا بـــدر السما فلقد آنسنا شمس السنا

Marfat.com

علمـــاً أبدله من عـلم ظاهر الاعراب مرفوع البنا
فجزى الله بخير من نأى ووقى من كل ضير من دنا

أجل والله لقـد أساء الدهر وأحسن وأهزل وأسمن وأحزن وسر وعق وبرّ إذ أصبح الملك وباعه بفقد الناصر قاصر قد ضعف أركانه ومات سلطانه فما له من قوة ولا ناصر فأمسى بحمد الله وقـــد ملأ القصور بالمنصور سروراً وأطاعه الدهر وأهله فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً .

وفيها ورد إلى حلب زائراً صاحبنا **التاج اليماني** عبد الباقي بن عبد المجيد ابن عبدالله النحوي اللغوي الكاتب العروضي الشاعر المنشي وجرت معه بحوث. **منها مسألة نفيسة** وهي ما لو قال له عندي اثنى عشر درهماً وسدساً كم يلزمه ؟ فاستبهمت هذه المسألة على الجماعة فيسر الله لي حلهـــا فقلت : يلزمه سبعة دراهم إذ المعنى اثني عشر دراهم وأسداساً فيكون النصف دراهم وهي ستة دراهم والنصف أسداساً وهي ستة أسداس بدرهم فهذه سبعة ، ولو قال اثنى عشر درهماً وربعاً لزمه سبعة ونصف ، ولو قال اثنى عشر درهماً وثلثاً لزمه ثمانية أو ونصفاً فتسعة وهكذا . ومما أنشدني لنفسه قوله :

تجنب أن تذم بك الليالي وحاول أن يذم لك الزمان
ولا تحفل إذا كملت ذاتاً أصبت العز أم حصل الهوان

وقوله :

بخلت لواحظ من أتانا مقبلاً بسلامها ورموزهن سلام
فعذرت نرجس مقلتيه لأنها تخشى العـــذار فانه نمام

وفيها نقل طشتمر حمص أخضر من نيابة صفد إلى نيابة حلب . **وفيها** في ذي الحجة وصل إلى حلب الفيل والزرافة جهزهما الملك النـاصر قبل وفاته لصاحب ماردين . **وفيها** فتح الأمير علاء الدين أيدغدي الزراق ومعه بعض عسكر حلب قلعة خندروس من الروم كانت عاصية وبها أرمن وتتر يقطعون

الطرقات . **وفيها** صلي بحلب صلاة الغائب على الشيخ عز الدين عبد المؤمن بن قطب الدين عبد الرحمن بن العجمي الحلبي [1] توفي بمصر ، وكان عنـده تزهد وكتب المنسوب . **وفيها** توفي بآياس نائبها الأمير علاء الدين مغلطاي الغزي ، تقدمت له نكاية في الأرمن ونقل إلى تربته بحلب .

سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة :

في المحرم منهـا بايع السلطان الملك المنصور أبو بكر بن الملك الناصر **الخليفة الحاكم بأمر الله** أبا العباس أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان ، كان قد عهد إليه والده بالخلافة فلم يبايع في حيـاة الملك الناصر فلما ولي المنصور بايعه وجلس معه على كرسي الملك وبايعه القضاة وغيرهم . **وفيها** في صفر توفي شيخ الاسلام الحافظ جمـال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن المزي الدمشقي بها، منقطع القرين في معرفة أسماء الرجال مشاركاً في علوم ، وتولى مشيخة دار الحديث بعده قاضي القضاة تقي الدين السبكي .

خلع السلطان الملك المنصور أبي بكر

وفيها في صفر خلع السلطان الملك المنصور أبو بكر بن الملك. احتج عليه قوصون الناصري ولي نعمة أبيه بحجج ونسب إليه أموراً [2] وأخرجه إلى

---

(١) هو الشيخ المعتقد عز الدين عبد المؤمن بن قطب الدين أبي طالب بن محمد بن الكحال أبي القاسم عمر بن عبـد الرحيم بن عبد الرحمن بن عبد الحسن المعروف بابن العجمي الحلبي الشافعي . توفي بمصر . وكان قد تزهد بعد الرياسة ، وحج ماشياً من دمشق وجاور بمكة . وكان لا يقبل لأحد شيئاً ، بل كان يقتات من وقف أبيه بحلب ، وكانت له مكارم وصدقات وشعر جيد — النجوم الزاهرة ؛ ص ٣٢٧ ، ج ٩ .

(٢) ذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ، تفصيلاً كاملاً لما أخذه قوصون على الملك المنصور ، وقصة خلعه ، وجاء فيها : « وكان سبب خلعـه ان المنصور كان قد قرب الأمير يلبغا اليحياوي وشغف به كثيراً ، وعكف على اللهو وشرب الخمر وسماع الملاهي ، فشق ذلك على الأمير قوصون وغيره لأنه لم يعهد من ملك قبله شرب خمر ، فحملوا الأمير طقزدمر =

Marfat.com

قوص إلى الدار التي أخرج الملك الناصر والده الخليفة المستكفي إليهـا جزاء وفاقاً ، ثم أمر قوصون والي قوص فقتله بهـــا وأقام في الملك أخاه الملك الأشرف كجك (أي الصغير) وهو ابن ثمان سنين . فقلت في ذلك :

سلطاننا اليوم طفل والأكابر في خلف وبينهم الشيطان قد نزغا
وكيف يطمع من مسته مظلمـة أن يبلغ السؤل والسلطان ما بلغا

وفيها في جمادى الآخر جهز قوصون مع الأمير قطلبغا الفخري الناصري عسكراً لحصار السلطان أحمد بن الملك الناصر بالكرك ، وسار الطنبغا نائب دمشق والحاج ارقطاي نائب طرابلس بإشارة قوصون إلى قتال طشتمر بحلب لكون طشتمر أنكر على قوصون ما اعتمده في حق أخيه المنصور أبي بكر ونهب الطنبغا بحلب مال طشتمر وهرب طشتمر إلى الروم واجتمع بصاحب الروم ارتنا، ثم إن الفخري عاد عن الكرك إلى دمشق بعد محاصرة أحمد بها أياماً وبعد أن استمال الناصر أحمد الفخري فبايعه ولما وصل الفخري إلى دمشق بايع للناصر من بقي من عسكر دمشق المتأخرين عن المضي إلى حلب صحبة الطنبغا ، هذا كله والطنبغا ومن معه بالمملكة الحلبية ، ثم سار الفخري إلى ثنية العقـــاب وأخذ من مخزن الأيتام بدمشق أربعمائه الف درهم ، وكان الطنبغا قد استدان منه مائتي الف درهم ، وهو الذي فتح هذا الباب .

ولما بلغ الطنبغا ما جرى بدمشق رجع على عقبه فلمـــا قرب من دمشق أرسل الفخري اليه القضاة وطلب الكف عن القتال في رجب فقويت نفس

= النائب على محادثته في ذلك وكفه عنه ، فزاده لومه إغراء وأفحش في التجاهر باللهو، حتى تكلم به كل الأمراء والأجناد والعامة . فصار يطلب الغلمان لاحضار المغاني . فلما زاد أمره، تحدث قوصون في الأمر مع بعض خواصه ووبخهم ، فدخلوا وعرفوا السلطان كلامه وزادوا في القول ، فأخذ جلساء المنصور في الوقيعة في قوصون والتحدث في القبض عليه وعلى غيره من الأمراء . وعرف قوصون بالأمر ، وانقطع عن الصلاة، وبعث في طلب المماليك السلطانية وواعدهم على الركوب وملأهم بكثرة المواعيد. واستعد لحصار المنصور بالقلعة وانزاله وخلعه ». انتهى ملخصاً – انظر ص ١٢/١١ . ج ١٠ ، النجوم الزاهرة .

Marfat.com

الطنبغا وأبى ذلك وطال الأمر على العسكر فلمـــا تقاربوا بعضهم من بعض لحقت ميسرة الطنبغا بالفخري ثم الميمنة وبقي ألطنبغا والحـــاج أرقطاي والمرقبي وابن الأبي بكري في قليل من العسكر فهرب الطنبغا وهؤلاء إلى جهة مصر فجهز الفخري وأعلم الناصر بالكرك ، **وخطب للناصر أحمد** بدمشق وغزة والقدس فلما وصل الطنبغا مصر وهو قوي النفس بقوصون قدر الله سبحانه تغير أمر قوصون وكان قد غلب على الأمر لصغر الأشرف .

فاتفق أيدغمش الناصري أمير آخور ويلبغا الناصري وغيرهما وقبضوا على قوصون ونهبت دياره واختطف الحرافيش وغيرهم من دياره وخزائنـــه من الذهب والفضة والجواهر والزركش والحشر والسروج والآلات ما لا يحصى لأن قوصون كان قد انتقى عيون ذخائر بيت المال، واستغنى من دار قوصون خلق كثير وقتل على ذلك خلق وأرسلوا قوصون إلى الاسكندرية[1] وأهلك بها ، وقبضوا على الطنبغا وحبسوه بمصر، ولما بلغ طشتمر بالروم ما جرى رجع من الروم إلى دمشق فتلقاه الفخري والقضاة ثم رحل الفخري وطشتمر إلى مصر بمن معهما .

وفيها في شهر رمضان سافر الملك الناصر أحمد من الكرك فوصل مصر وعمل أعزية لوالده وأخيه وأمر بتسمير والي قوص لقتله المنصور . **وخلع الأشرف كجك الصغير** وجلس الناصر[2] على الكرسي هو والخليفة ، وعقد

---

(١) بعد أن قبض على قوصون ، استمر بسجن الاسكندرية حتى عـــاد الملك الناصر أحمد من الكرك وجلس على كرسي الملك بقلعة الجبل ، واتفق رأي الأمراء على قتل قوصون، فجهزوا لقتله شهاب الدين أحمد بن صبح إلى الاسكندرية ، فتوجه إليها وخنق قوصون ، وألطنبغا نائب الشام . قال ابن تغري بردي : « وكان أميراً جليلاً كريماً خيراً شجاعاً ، وكان يعطي العطايا الهائلة » .

(٢) هو السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون . قال ابن تغري بردي : هو الخامس عشر من ملوك الترك بالديار المصرية ، والثالث من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون .

بيعته قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، ثم أعدم الطنبغا والمرقبي . **وفيها** كسر حسن بن تمرتاش بن جوبان من التتر طغاي بن سوتاي في الشرق وتبعه إلى بلد قلعة الروم فاستشعر الناس لذلك .

عزل الملك الأفضل صاحب حماه

وفيها عزل الملك الأفضل محمد بن السلطان الملك المؤيد صاحب حماه والمعرة وبارين وبلادهن ونقل إلى دمشق من جملة أمرائها: تغيرت سيرة الأفضل وما كان فيه من التزهد قبل عزله وحبس التاج ابن العز طاهر بن قرناص بين حائطين حتى مات وقطع أشجار بستانه وظهر في الليل من بعض أعقاب أشجار البستان التي قطعت نور فما أفلح بعد ذلك . وتولى نيابة حماه بعده مملوك أبيه سيف الدين طقز تمر .

وفيها عزل عن قضاء الحنفية بحماه القاضي جمال الدين عبدالله بن القاضي نجم الدين بن العديم ، وتولى مكانه القاضي تقي الدين محمود بن الحكم . **وفيها** أهلك طاجار الدواتدار وكان مسرفاً على نفسه . **وفيها** توفي الأفضل[1] صاحب حماه معزولاً ، ونقل إلى تربته بحماه فخرج نائبها للقاء تابوته وحزن عليه وحلف أنه ما تولى حماه إلا رجاء أن يردها إلى الأفضل مكافأة لإحسان أبيه . **وفيها** في جمادى الأولى توفي القاضي برهان الدين ابراهيم الرسعني قاضي الشافعية بحلب ، وكان متعففاً ويعرف فرائض رحمه الله تعالى . **وفيها** في جمادى الأولى أيضاً **عوقب لؤلؤ القندشي** بدار العدل بحلب حتى مات واستصفي ماله وشمت به الناس . **قلت** :

ألؤلؤ قد ظلمت الناس لكن بقدر طلوعك اتفق النزول
كبرت فكنت في تاج فلما صغرت سحقت سنة كل لولو

---

(١) هو الملك الأفضل علاء الدين علي ابن الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ابن الملك الأفضل علي ابن الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان الأيوبي .

Marfat.com

وفيها توفي الأمير بدر الدين محمد ابن الحاج أبي بكر أحد الأمراء بحلب ، كان من رجال الدنيا ، وله مارستان بطرابلس ، وارتفع به الدهر وانخفض ، ودفن بتربة في جـــامع أنشأه بحلب بباب انطاكية . **وفيها** توفي الخطيب بدر الدين محمد ابن القاضي جلال الدين **القزويني خطيب دمشق** ، وتولى السبكي الخطابة وجرى بينه وبين تاج الدين عبد الرحيم أخي الخطيب المتوفى وقائع ، وفي آخر الأمر تعصبت الدماشقة مع تاج الدين فاستمر خطيباً . **وفيهـــا** في شهر رمضان وصل القاضي علاء الدين علي بن عثمان الزرعي المعروف **بالفرع** إلى حلب قاضي القضاة ، ولاّه الطاغية الفخري بالبذل فاجتمع الناس وحملوا المصحف وتضرروا من ولاية مثله ، فرفعت يده عن الحكم فسافر اياماً ثم عاد بكتب فما التفتوا اليها فسافر إلى مصر وحلب خالية عن قاضٍ شافعي .

وفيها في شوال عمّ الشام ومصر جراد عظيم ، وكان أذاه قليـــلا . **وفيها** في ذي الحجـة وصل أيدغمش النـاصري إلى حلب نائباً بها في حشمة عظيمة وأحسن وعدل وخلع على كثير على الناس ، وأقام بحلب إلى صفر ثم نقل إلى نيابة دمشق ، وتأسف الحلبيون لانتقاله عنهم . **قلت** :

يعرف من تقبـــله أرضنا من لزم الأوسط من فعله
لا تقبل المسرف في جوره كلا ولا المسرف في عـدله

ونقل طقزتمر من حماه إلى حلب ، مكان أيدغمش ودخلهـــا في عشري صفر ؛ وتولى نيابة حماه مكانه الأمير العالم علم الدين الجاولي ، ثم نقل الجاولي إلى نيابة غزة ، وولي نيابة حماه مكانه آل ملك ، ثم بعده الطنبغا الماردينى كل هـــذا في مدة يسيرة ، وجرى في هذه السنة من تقلبات الملوك والنواب واضطرابهم ما لم يجر في مئات من السنين . **قلت** :

عجائب عامنا عظمت وجلت أعاماً كان أم مائتين عامـــا
تصول على الملوك صيال قاض قليل الدين في مال اليتامى

وفيها في ذي الحجة وصل إلى حلب القاضي حسام الدين الغوري قاضي

Marfat.com

الحنفية بمصر ، الوافد اليها من قضاء بغداد منفياً من القاهرة لما اعتمده في الأحكام ولمعاضدته لقوصون ولسوء سيرته فإنه قاضي تتر . ولي بيتان في ذم حمام هما :

حمامكم في كل أوصافه يشبه شخصاً غير مذكور
شديد برد وسخ موحش قليل ماء فاقد النور

فغيرهما بعض الناس فجعل البيت الأول كذا :

حمامكم في كل أوصافه يشبه وجه الحاكم الغوري

وتممه بالبيت الثاني على حاله .

وفيها في ذي الحجة سافر السلطان الناصر أحمد إلى الكرك ، وأخذ من ذخائر بيت المال بمصر ما لا يحصى ، وصحب طشتمر والفخري مقيدين فقتلهما بالكرك قتلة شنيعة ، ويطول الشرح في وصف جرأة الفخري وإقدامه على الفواحش حتى في رمضان ، ومصادرته للناس حتى أنه جهز من صادر أهل حلب فأراح الله العالم منه ، وحصن الناصر الكرك واتخذها مقاماً له .

سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة :

ذكر ولاية الملك الصالح اسماعيل

فيها في المحرم انقلب عسكر الشام على الملك الناصر أحمد وهو بالكرك وكاتبوا إلى مصر **فخلع الناصر** وأجلس أخوه السلطان الملك الصالح اسماعيل [1] على الكرسي بقلعة الجبل واستناب آل ملك . **وفيها** في ربيع

---

(١) هو السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ابن السلطان اسماعيل ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون . السلطان السادس عشر من ملوك الترك بالديار المصرية . اتفق الأمراء على توليته لما بلغهم عن حسن سيرته . كان يصوم يومي الأثنين والخميس . ويشغل أوقاته بالصلاة وقراءة القرآن . وحلفوا له الأمراء والعساكر وحلف لهم ألا يؤذي أحداً وألا يقبض على أمير بغير ذنب .

Marfat.com

الآخر حوصر السلطان أحمد بالكرك ، واحتج عليه أخوه الصالح بما أخذه من أموال بيت المال ، وحصل بنواحي الكرك غلاء لذلك .

وفيها في جمادى الآخرة توفي نائب دمشق أيدغمش ، ودفن بالقبيبات ، ويقال أن دمشق لم يمت بها من قديم الزمان إلى الآن نائب سواه ، وتولاها مكانه طقز تمر نائب حلب . **وفيها** في رجب وصل الأمير علاء الدين ألطنبغا الماردانى نائباً إلى حلب . **وفيها** في شهر رمضان توفي الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليماني الأديب وقد أناف على الستين وتقدم ذكر وفوده الى حلب رحمه الله تعالى، وزر باليمن وتنقلت به الاحوال ، وله نظم ونثر كثير وتصانيف. **وفيها** في شوال خرج الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي من مصر بعسكر لحصار الكرك ، وكذلك من دمشق فحاصروا الناصر بها بالنفط والمجانيق وبلغ الخبز أوقية بدرهم ، وغلت دمشق لذلك حتى أكلوا خبز الشعير . **وفيها** وصل علاء الدين القرع إلى حلب قاضياً للشافعية ، وأول درس ألقاه بالمدرسة قال فيه كتاب الطهارة باب الميات فأبدل الهاء بالتاء ، فقلت أنا للحاضرين لو كان باب الميات لما وصل القرع اليه ، ولكنه باب الألوف ، ثم قال : قال الله تعالى وجعلها كلمة باقية في عنقه مكان في عقبه. **فقلت أنا لا والله**، ولكنها في عنق الذي ولاه ، فاشتهرت عني هاتان التنديدتان في الآفاق .

وفيها في ربيع الآخر **عزل الأمير** سليمان بن مهنا بن عيسى عن إمارة العرب وولاها مكانه الأمير عيسى بن فضل بن عيسى ، وذلك بعد القبض على فياض بن مهنا بمصر ، وكان سليمان قد ظلم وصادر أهل سرمين وربط بعض النساء في الزناجير وهجم عبيده على المخدرات ، فأغاثهم الله في وسط الشدة ثم أُعيد بعد مدة قريبة إلى الإمارة .

وفيها توفي بحلب الأمير الطاعن في السن سيف الدين يلبصطي التركماني الأصل رأس الميمنة بها ، وكان قليل الأذى مجموع الخاطر . **وفيها** توفي بحلب طنبغا حجي ، كان جهزه الفخري اليها نائباً عنه في أيام خروجه بدمشق ،

Marfat.com

وهو الذي جبى أموالاً من أهل حلب وحملهـــا إلى الفخري وأخذ لنفسه بعضها وباء بإثم ذلك . **وفيها** توفي بحلب الشيخ كمال الدين المهمازي ، كان له قبول عند الملك الناصر محمد ، ووقف عليه حمام السلطان بحلب وسلم اليـــه تربة ابن قره سنقر بها ، وكان عنده تصوُّن ومروءة . **قلت** :

لوفاة الكمال في العجم وهن فلقد أكثروا عليه التعازي
قل لهم لو يكون فيكم جواد كان في غنية عن المهمازي

وفيها في رجب اعتقل القرع بقلعة حلب معزولاً ، ثم فك عنه الترسيم وسافر إلى جهة مصر. **وفيها** في رجب توفي بطرابلس نائبها ملك تمر الحجازي ووليها مكانه طرغاي ، وفيه تولى نيابة حماه يلبغا التجبـــاوي . **وفيها** في شعبان وصل القاضي بدر الدين ابراهيم بن الخشاب على قضاء الشافعية بحلب فأحسن السيرة . **وفيها** توفي بحلب الحاج علي بن معتوق الدبيسري ، وهـــو الذي عمر الجامع بطرف بانقوسا ، ودفن بتربته بجانب الجامع . **وفيها** توفي بهادر التمرتاشي بالقاهرة وكان بعـد وفاة الملك الناصر من الأمراء الغالبـين على الأمر .

سنة أربع وأربعين وسبعمائة :

وفيها أغارت التركمان مرات على بلاد سيس فقتلوا ونهبوا وأسروا وشفوا الغليل بما فتكت الأرمن ببـــلاد قرمان . **وفيها** في شهر صفر توفي الأمير علاء الدين ألطُنْبُغَا الماردانى (١) نائب حلب ، ودفن خـارج باب المقام ، وله بمصر جامع عظيم ، وكان شاباً حسناً عاقلاً ذا سكينة . **وفيها** مزقنـا

---

(١) هو الأمير علاء الدين ألطنبغا بن عبدالله الماردانى الناصري الساقي ، نائب حلب . كان أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون وأحد من شغف بمحبته ورقاه في مدة يسيرة حتى جعله أمير مائة ومقدم ألف ، وزوجه بابنته . توفي ولم يبلغ من العمر خمساً وعشرين سنة . وهو صاحب الجامع المعروف به خارج « باب زويلة » بمصر .

Marfat.com

كتاب فصوص الحكم بالمدرسة العصرونية بحلب عقيب الدرس وغسلناه وهو من تصانيف ابن عربي تنبيهاً على تحريم قنيته ومطالعته . **وقلت فيه** :

هذي فصوص لم تكن بنفيسة في نفسهـــا
أنا قد قرأت نقوشها فصوابها في عكسهـــا

وفيها توفي بحلب الأمير **سيف الدين بهادر** المعروف بحلاوة أحد الأمراء بها ، وله أثر عظيم في القبض على تنكز ، وكان عنده ظلم وتوعد أهل حلب بشر كبير فأراحهم الله منه . **قلت** :

حلاوة مرّ فمـا أملحه أن يدفنا
إلى البلى مسيّراً وفي الثرى مكفنا

وفيها في صفر بلغنا انه توفي **الشيخ شهاب الدين** أحمد بن المرحل النحوي الحراني الأصل المصري الدار والوفاة ، كان متضلعاً من العربية وعنده تواضع وديانة ، فقلت له مرة وهو بحلب ان أبا العباس ثعلباً أجاز الضم في المنادى المضاف والشبيه به الصالحين للألف واللام فاستغرب ذلك وأنكره جداً ، ثم طالع كتبه فرآه كما نقلت، فاستحيا من إنكار ذلك مع دعواه كثرة الإطلاع . **فقلت** :

من بعد يومك هـــذا لا تنقل النقل تغلب
لو انك ابن خروف ما كنت عندي كثعلب

وفيها في ربيع الأول وصل يلبغا التجباوي إلى حلب نائبـاً وهو شاب حسن ، كان الملك الناصر يميل إليه وأعطاه مرة أربعمائة ألف درهم ، ومرة مائة فرس مسوّمة وغالب مال تنكز ، وتولى نيابـة حماه مكانه سيف الدين طقز تمر الأحمدي وعنده عقل وعدل وعند يلبغا عفـــاف عن مال الرعية وسطوة وحسن أخلاق في الخلوة . **وفيه** سافر قاضي القضاة بحلب بدر الدين ابراهيم بن الخشاب إلى مصر ذاهباً بنفسه عن مساواة القرع وذلك حين بلغه

تطلب القرع بحلب ، ولابن الخشاب يد طولى في الأحكام وفن القضاء متوسط الفقه . **وفيه** توفي سليمان **بن مهنا** أمير العرب ، وفرح أهل اقطاعه بوفاته . والقاضي شرف الدين أبو بكر بن محمد بن الشهـاب محمود الحلبي كاتب السر وكيل بيت المال بدمشق توفي بالقدس الشريف ، كتب السر بالقاهرة للملك الناصر محمد أولاً .

ذكر المسير إلى بلاد سيس

وفيه وصل عسكران من حماه وطرابلس للدخول إلى بلاد سيس لتمرد صاحبها كنداصطبل الفرنجي ولمنعـــه الحمل ومقدم عسكر طرابلس الأمير صلاح الدين يوسف الدواتدار أنشدني بحلب في سفرته هذه البيتين للإمـام الشافعي قيل انهما تنفعان لحفظ البصر :

يا ناظريّ بيعقوب أعيذكما بما استعاذ به إذ خانه البصر
قميص يوسف ألقاه على بصري بشير يوسف فاذهب أيها الضرر

فأنشدت بيتين لي ينفعان إن شاء الله تعالى لحفظ النفس والدين والأهل والمال ، وهما :

أمررت كفا سبحت فيها الحصى وروّت الركب بمـــاء طاهر
على معـاشي ومعـادي وعلى ذرّيتي وباطني وظـاهري

وفيها في جمادى الأولى عاد العسكر المجهز إلى بلد سيس وما ظفروا بطائل وكانوا قد أشرفوا على أخذ أذنه ، وفيها خلق عظيم وأموال عظيمة وجفال من الأرمن فتبرطل أقسنقر مقدم عسكر حلب من الأرمن وثبط الجيش عـن فتحها ، واحتج بأن السلطان ما رسم بأخذها ، وتوفي أقسنقر المذكور بعد مدة يسيرة بحلب مذموماً وأبى الله أن يتوفاه ببلاد سيس مغازياً .

وفيها نقلت **جثة تنكز** من ديار مصر إلى تربته بدمشق وتلقاها النـــاس

Marfat.com

ليلا بالشمع والمصاحف والبكاء ، ورقوا له ووقع بدمشق عقيب ذلك مطر فعدّوا ذلك من بركة القدوم بجثته . وفيها في جمادى الأولى توفي بدمشق الإمام العلامة شمس الدين محمد **بن** عبد الهادي ، كان بحراً زاخراً في العلم. وفيه **قتل الزنديق ابراهيم** بن يوسف المقصاتي بدمشق لسبه الصحابة وقذفه عائشة رضي الله عنها وعنهم ووقوعه في حق جبريل عليه السلام .

وفيها في العشرين من شهر رجب توفي بجبرين الشيخ محمد ابن الشيخ نبهان كان له القبول التام عند الخاص والعام ، وناهيك أن طشتمر حمص أخضر على قوة نفسه وشممه ، وقف على زاويته بجبرين حصة من قرية حريثان لها مغل جيد ؛ وبالجملة فكأنما ماتت بموته مكارم الأخلاق ، وكاد الشام يخلو من المشهورين على الاطلاق . **قلت** :

وكنت إذا قابلت جبرين زائراً يكون لقلبي بالمقابلة الجبر
كأن بني نبهان يوم وفاته نجوم سماء خرّ من بينها البدر

زرته قبل وفاته رحمه الله ، فحكى لي قال : حضرت عند الشيخ عبس السرجاوي وأنا شاب وهو لا يعرفني فحين رآني دمعت عينه وقال : مرحباً بشعّار نبهان . وأنشد :

وما أنت إلا من سليمى لأنني أرى شبها منها عليك يلوح

وحكى لي مرة أُخرى قال : حضرت بالفوعة غسل الشيخ ابراهيم ابن الشيخ مهنا لما مات ، وقرأنا عنده سورة البقرة وهو يُغسل ، فلما وصلنا إلى قوله تعالى : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا رفعنا أيدينا للدعاء» فرفع الشيخ ابراهيم يديه معنا للدعاء وهو ميت على المغتسل . ومحاسن الشيخ محمد وتلقيه للناس وتواضعه ومناقبه ومكاشفاته كثيرة مشهورة . رحمه الله ورحمنا به آمين .

Marfat.com

ذكر زلزال عظيم بحلب ونواحيها

وفيها في منتصف شعبان وقعت الزلزلة العظيمة وخربت بحلب وبلادها أماكن ولا سيما منبج فإنها أقلت ساكنها وأزالت محاسنهـــا وكذلك قلعة الراوندان . وعملت أنا في ذلك « رسالة » أولهـا نعوذ بالله من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، ونستعينه في طيب الاقامة بها وحسن الرحلة عنها ، نعم نستعيذ بالله ونستعين من سم هذه السنة فهي أم أربعة وأربعين ، وختمتها **بقولي :**

منبج أهلها حكوا دود قز عندهم تجعل البيوت قبورا
رب نعمهم فقد ألفوا من شجر التوت جنة وحريرا

والله أعلم . وصارت الزلازل تعاود حلب وغيرها سنة وبعض أخرى ، وفي الحديث ان كثرة الزلازل من أشراط الساعة .

وفيه توفي طرغاي نائب طرابلس[1] . **وفيه** بلغنـــا ان أرتنا صاحب الروم كسر سليمان خان ملك التتر قصده بالتتار إلى الروم فانكسر كسرة شنيعة ، ثم بلغنا ان الشيخ حسن بن تمرتاش بن جوبان قتل وهـذا من سعادة الاسلام فإن المذكور كان فاسد النية لكون الملك الناصر محمد قتل أباه وأخذ ماله كما تقدم . **وفيها** قطع خبز فياض بن مهنا بن عيسى فقطع الطرق ونهب . **وفيها** في شهر رمضان وصل إلى حلب قاضي القضـــاة نور الدين محمد بن الصائغ على قضاء الشافعية وهو قاض عفيف حسن السيرة عابد .

وفيها في شوال حاصر يلبغا النائب بحلب زين الدين قراجا بن دلغـادر التركماني بجبل الدلدل وهو عسر إلى جانب جيحان فاعتصم منه بالجبل وقتل

---

(١) هو الأمير سيف الدين طرغاي الجاشنكير الناصري نائب حلب وطرابلس . كان من أعيان مماليك الملك الناصر وأمرائه وكان شجاعاً مقداماً ، ولي الولايات والأعمال الجليلة — وطرغاي : اسم طير باللغة التركية .

Marfat.com

في العسكر وأسر وجرح وما نالوا منه طائلاً فكبر قدره بذلك واشتهر اسمه وعظم على النـــاس شره ، وكانت هذه حركة رديئة من يلبغا . **وفيها** توفي كمال الدين عمر بن شهاب الدين محمد بن العجمي الحلبي ، كان قـد تفنن وعرف أصولاً وفقهاً ، وبحث على شرح الشافية الكافية في النحو مرة وبعض أخرى، ودفن ببستانه رحمه الله ، وما خرج من بني العجمي مثله .

سنة خمس وأربعين وسبعمائة :

فيها في صفر حوصرت الكرك ونقبت وأخـذ الملك الناصر أحمد وحمل إلى أخيه الملك الصالح بمصر فكان آخر العهد به. **وفيها** وصل إلى ابن دلغادر أمان من السلطان وأفرج عن حريمه وكنّ بحلب واستقر في الابلستين .

ذكر وفاة أبي حيان

وفيها في ربيع الآخر بلغنـــا وفاة الشيخ أثير الدين « أبي حيان » [1] النحوي المغربي بالقـــاهرة ، كان بحراً زاخراً في النحو وهو فيه ظاهري ، وكان يستهزىء بالفضلاء من أهل القـــاهرة ويحتملونه لحقوق اشتغالهم عليه وكان يقول عن نفسه أنا أبو حيات بالتاء يعني بذلك تلاميذه . وله مصنفات جليلة منها تفسير القرآن العظيم وشرح التسهيل وارتشاف الضرب من ألسنة العرب مجلد كبير جامع ، ومختصرات في النحو ، وله نظم ليس على قـــدر فضيلته . فمن أحسنه قوله :

---

(١) هو أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي المغربي، المالكي ثم الشافعي . ولد بغرناطـــة سنة ٦٠٤ ، وقرأ القرآن بالروايات ، واشتغل وسمع الحديث بالأندلس وافريقية ومصر والحجـــاز ، واجتهد في طلب العلم حتى برع في النحو والصرف وصار فيهما إمام عصره . وهو الذي شجع الناس على قراءة مصنفات ابن مـالك ، وشرح لهم غوامضها . — انتهى ملخصاً عن « النجوم الزاهرة » لابن تغري بردي .

Marfat.com

وقابلني في الدرس أبيض ناعم وأسمر لدن أورثا جسمي الردى
فذا هزَّ من عطفيه رمحاً مثقفاً وذا سل من جفنيه عضباً مهندا

وفيها في جمادى الأولى توفي بحلب الحاج محمد بن سلمان الحلبي المعزم ، كان عنده ديانة وإيثار وله مع المصروعين وقائع وعجائب . **وفيه** توفي بطرابلس الأمير الفاضل صلاح الدين يوسف بن الأسعد الدواتدار أحد الأمراء بطرابلس وهو واقف المدرسة الصلاحية بحلب كما تقدم وكان من أكمل الأمراء ذكياً فطناً معظماً لرسول الله ﷺ حسن الخط ، وله نظم ، كان كاتباً ثم صار دواتدار قبجق بحماه ثم شاد الدواوين بحلب ثم حاجباً بها ثم دواتدار الملك الناصر ثم نائباً بالاسكندرية ثم أميراً بحلب وشاد المال والوقف ثم أميراً بطرابلس رحمه الله تعالى .

وفيها في شعبان بلغنا وفاة الشيخ نجم الدين القحفيزي بدمشق ، فاضل في العربية والأصلين ظريف حسن الأخلاق ، ومن ذلك أنه أنشد مرة قول الشاعر : أيا نخلتي سلمى .. الخ .. فقال له بعض التلامذة : يا سيدي وما تيس الماء ؟ فقال الشيخ إن شئت أن تنظره فانظر في الخابية تره .

وفيها توفي بدمشق قاضي القضاة جلال الدين الحنفي الأطروش . **وفيها** توفي الأمير علاء الدين أيدغدي[1] الزراق أتابك عسكر حلب مسناً وله سماع وحكي لي أنه حر الأصل من أولاد المسلمين وهو فاتح قلعة خندروس كما تقدم . وتوفي كندغدي[1] العمري نائب ألبيرة مسناً عزل عنها قبل موته بأيام وعزموا على الكشف عليه فستره الله بالوفاة ببركة محبته للعلماء والفقراء . وسيف الدين بلبان جركس نائب قلعة المسلمين طال مقامه بها وخلف مالاً كثيراً لبيت المال .

وفيها في شهر رمضان اتفق سيل عظيم بطرابلس هلك فيه خلق منهم ابنا القاضي تاج الدين محمد بن البارنباري كاتب سرها ، وكان أحد الابنين

---

(١) أيدغدي ، معربه : طلع القمر . وكذلك كندغدي ، معربه : طلعت الشمس .

الغريقين ناظر الجيش بها والآخر موقع الدست ورق الناس لأبيهما فقلت وفيه تضمين واهتدام :

وارحمتاه له فانّ مصابه بابن يبرحه فكيف ابنان
ما أنصفته الحادثات رمينه بمودّعين وما له قلبان

وزاد نهر حماه وغرق دوراً كثيرة ولطم العاصي خرطلة شيزر فأخذها وتلفت بساتين البلد لذلك ويحتاج إعادتها إلى كلفة كبيرة .

وفيها في ذي القعدة توفي بدمشق القاضي شمس الدين محمد بن النقيب الشافعي وتولى تدريس الشامية مكانه تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي ثم تولاها السبكي بنفسه خوفاً عليها ، كان ابن النقيب بقية الناس ومن أهل الإيثار وأقام حرمة المنصب لما كان قاضي حلب ، فقيهاً كبيراً محدّثاً أصولياً متواضعاً مع الضعفاء شديداً على النواب . **قال رحمه الله** : دخلت وأنا صبي اشتغل على الشيخ محيي الدين النووي فقال لي : أهلاً بقاضي القضاة فنظرت فلم أجد عنده أحداً غيري فقال اجلس يا مدرس الشامية وهذا من جملة كشف الشيخ محيي الدين . وابن النقيب حكى هذا بحلب قبل توليته الشامية ، وحكى لي يوماً وإن كنت قد وقفت عليه في مواضع من الكتب أنه رفع إلى أبي يوسف صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهما مسلم قتل كافراً فحكم عليه بالقود فأتاه رجل برقعة ألقاها إليه فيها :

يا قاتل المسلم بالكافر جُرت وما العادل كالجائر
يا من ببغداد وأعمالها من علماء الناس أو شاعر
إسترجعوا وابكوا على دينكم واصطبروا فالأجر للصابر

فبلغ الرشيد ذلك فقال لأبي يوسف تدارك هذا الأمر بحيلة لئلا تكون فتنة فطالب أبو يوسف أصحاب الدم ببينة على صحة الذمة وثبوتها فلم يأتوا بها، فأسقط القود ، وحكى لنا يوماً في بعض دروسه بحلب ان مسألة ألقيت

Marfat.com

على المدرسين والفقهاء بدمشق فما حلها إلا عامل المدرسة وهي : رجل صلى الخمس بخمسة وضوءات ، وبعد ذلك علم أنه ترك مسح الرأس في أحد الوضوءات فتوضأ خمس وضوءات وصلى الخمس ، ثم تيقن أيضاً أنه ترك مسح الرأس في أحد الوضوءات .

الجواب : يتوضأ ويصلي العشاء فيخرج عن العهدة بيقين لأن الصلاة المتروكة المسح أولاً إن كانت العشاء فقد صحت الصلوات الأربع قبلها ، وهذه العشاء المأمور بفعلها خاتمة الخمس ، وإن كانت غير العشاء ، فالعشاء الأولى والصلوات الخمس المعادة والعشاء الثالثة صحيحة وغايته ترك مسح في تجديد وضوء ولهذا يجب أن يشترط عدم الحدث إلى أن يصلي الخمس ثانياً .

قلت : التحقيق ان الوضوء ثانياً كان يغنيه عنه مسح الرأس وغسل الرجلين لأن الشرط انه لم يحدث إلى أن يصلي الخمس ثانياً وكذلك كان ينبغي للمجيب أن يقول له : إن كنت لم تحدث إلى الآن فامسح رأسك واغسل رجليك وصلِّ العشاء إذ الجديد عدم وجوب التتابع وإن كنت محدثاً الآن فلا بد من الوضوء كما قال .

وفيها استرجع السلطان الملك الصالح ما باعه الملك المؤيد وابنه الأفضل بحماه والمعرة وبلادهما من أملاك بيت المال وهو بأموال عظيمة وكان غالب الملك قد طرح على الناس غصباً وقد اشتريت به تقادم إلى الملك الناصر فقال بعض المعرّيين في ذلك :

طرحوا علينا الملك طرح مصادر ثم استردوه بلا أثمان
وإذا يد السلطان طالت واعتدت فيد الإله على يد السلطان

وكأنما كاشف هذا القائل فإن مدة السلطان لم تطل بعد ذلك .

Marfat.com

سنة ست وأربعين وسبعمائة :

دخلت والتتار مختلفون مقتتلون من حين مات القان أبو سعيد وبلاد الشرق والعجم في غلاء ونهب وجور ، بسبب الخلف من حين وفاته إلى هذه السنة .

وفاة السلطان الصالح وولاية الكامل شعبان

وفيها في ربيـــع الآخر **توفي السلطان الملك الصالح اسماعيل** ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، بوجع المفاصل والقولنج . وكان فيه ديانة ، ويقرأ القرآن وفي آخر يوم موته جلس مكانه أخوه السلطان الملك الكامل شعبان[1]، وأخرج آل ملك نائب أخيه إلى نيابة صفد ، وقماري إلى نيابة طرابلس .

وفيها في ربيع الآخر نقل يلبغا الناصري من نيابة حلب إلى نيابة دمشق مكان طقز تمر ، وسافر طقز تمر إلى مصر بعد المبالغة في امتناعه من النقلة من دمشق فما أُجيب إلى ذلك ، وتوفي طقز تمر بمصر بعد مدة يسيرة وكان عنده ديانة . **وفيه** وصل الأمير سيف الدين أرقطاي إلى حلب نائبـــاً ، وأبطل الخمور والفجور بعد اشتهارها ، ورفع عن القرى الطرح وكثيراً من المظـــالم ورخص السعر وسررنا به . **وفيها** عزل سيف بن فضل بن عيسى عن إمارة العرب ووليها أحمد بن مهنا ، وأُعيد إقطاع فياض بن مهنا اليه ورضي عنـه واستُعيد من أيـــدي العرب من الإقطـاعات شيء كثير ، وجعل خاصاً لبيت المال .

وفيها في جمادى الأولى صُلي بحلب صلاة الغـــائب على القـاضي عز الدين بن المنجا الحنبلي قاضي دمشق وهو معري الأصل . **وفيها** في شهر

---

(١) هو السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي . وهو السابع عشر من ملوك الترك بمصر .

Marfat.com

رمضان وصل القاضي بهاء الدين حسين بن جمال الدين سليمان بن ريان إلى حلب ناظراً على الجيش على عادته عوضاً عن القاضي بدر الدين محمـــد بن الشهاب محمود الحلبي ، ثم ما مضى شهر حتى أُعيد بدر الدين عوضاً عن بهاء الدين ، وهكذا صارت المناصب كلها بحلب قصيرة المدة كثيرة الكلفة . **قلت** :

ساكني مصر أين ذاك التأني والتأبي وما لكم عنه عذر
يخسر الشخص ماله ويقاسي تعب الدهر والولاية شهر

وفيها كتب على باب قلعة حلب وغيرها من القلاع نقراً في الحجر ما مضمونه مسامحة الجند بما كان يؤخذ منهم لبيت المال بعـــد وفاة الجندي والأمير وذلك احد عشر يوماً وبعض يوم في كل سنة وهذا القدر هو التفاوت بين السنة الشمسية والقمرية وهذه مسامحة بمال عظيم .

ذكر قتل الأرمن لملكهم

وفيها قتلت الأرمن ملكهم كند اصطبل الفرنجي ، كان علجاً لا يداري المسلمين فخربت بلادهم وملكوا مكانه . **وفيها** في أواخرها ملكت التركمان قلعة كابان وربضها بالحيلة ، وهي من أمنع قلاع سيس مما يلي الروم ، وقتلوا رجالها وسبوا النساء والأطفال ، فبـادر صاحب سيس الجديد لاستنقاذهـا فصادفه ابن دلغار ، فأوقع بالأرمن وقتل منهم خلقاً وانهزم الباقون . **قلت** :

صاحب سيس الجديد نادى كابان عندي عديل روحي
قلنا تأهب لغير هـــذا فذا فتوح على الفتوحِ

وبعد فتحها ، قصد النائب بحلب أن يستنيب فيها من جهة السلطان فعتا ابن دلغار عن ذلك ، فجهزوا عسكراً لهدمها ثم أخذتها الأرمن منه بشؤم مخالفته لولي الأمر وذلك في رجب سنة سبع وأربعين وسبعمائة . **وفيها** في ذي الحجة قبض على قماري الناصري نائب طرابلس ، وعلى آل ملك نائب صفد ، وولي طرابلس بيدمر البدري ، وصفد ارغون الناصري .

Marfat.com

سنة سبع وأربعين وسبعمائة :

دخلت والتتار مختلفون كما كانوا . **وفيها** في المحرم طلب الحاج أرقطاي نائب حلب إلى مصر ، وتمكن في مصر ، وارتفع شأنه وصار رأس مشورة مكان حسنكلي بن البابا ، فإنه توفي قبل ذلك بأيام . **وفيه** أقبل إلى حلب وبلادها من جهة الشرق جراد عظيم ، فكان أذاه قليلاً بحمد الله . **قلت** :

رجل جراد صدّها عن الفساد الصمد
فكم وكم للطـــفه في هذه الرجل يد

وفيها في ربيع الأول ، وصل إلى حلب الأمير سيف الدين طقتمر الأحمدي نائباً نقل اليها من حماه ، وولي حماه مكانه أسندمر العمري . **وفيها** في جمادى الأولى سافر القاضي ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يعقوب وولي كتابة السر بدمشق ، وتولى كتابة السر بحلب مكانه القاضي جمـــال الدين ابراهيم بن الشهاب محمود الحلبي .

وفيها في جمادى الأولى بلغنا أن نائب الشام يلبغا خرج إلى ظاهر دمشق خوفاً من القبض عليه وشق العصا وعاضد أُمراء مصر حـــتى خلع السلطان الملك الكامل شعبان وأجلسوا مكانه أخاه السلطان الملك المظفر أمير حـاج وسلموا اليه أخاه الكامل فكان آخر العهد به ، وناب عن المظفر بمصر الحاج أرقطاي المنصوري، ولما تم هذا الأمر تصدق يلبغا في المملكة الحلبية وغيرها بمال كثير ذهب وفضة شكراً لله تعالى، وكان هذا الملك الكامل سيىء التصرف يولي المناصب غير أهلهـــا بالبذل ، ويعزلهم عن قريب ببذل غيرهم ، وكان يقول عن نفسه أنا ثعبان لا شعبان .

وفيها في رجب توفي بحلب الأمير شهاب الدين قرطـاي الاسندمري من مقـــدمي الألوف أمير عفيف الذيل متصوّن . **وفيها** في مستهل رجب

Marfat.com

سافر طقتمر الأحمدي نائب حلب إلى الديار المصرية وسببه وحشة بينه وبين نائب الشام ، فإنه ما ساعده على خلع الكامل وحفظ أيمانه .

وفيها وقع الوباء ببلاد أزبك ، وخلت قرى ومدن من الناس ، ثم اتصل الوباء بالقرم حتى صار يخرج منها في اليوم ألف جنازة أو نحو ذلك ، حكى لي ذلك من أثق بـــه من التجار ، ثم اتصل الوباء بالروم وهلك منهم خلق . وأخبرني تاجر من أهل بلدنا قـــدم من تلك البلاد ، أن قاضي القرم قال : أحصينا من مات بالوباء فكانوا خمسة وثمانين الفاً ، غير من لا نعرفه ، والوباء بقبرس والغلاء العظيم أيضاً .

وفيها في شعبان ، وصل إلى حلب الأمـير سيف الدين بيدمر البدري نقل اليها من طرابلس وولي طرابلس مكانه ، وهذا البدري عنده حـــدة وفيه بدرة ويكتب على كثير من القصص بخطـه وهو خط قوي . **وفيها** توفي بطرابلس قاضيهـــا شهاب الدين أحمد بن شرف الزرعي ، وتولى مكانه القاضي شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف الحموي .

واقعـــة غريبـة بحلب

وفيها في ذي الحجة صدرت بحلب واقعة غريبة وهي : أن بنتاً بكراً من أولاد أولاد عمرو النيزيني كرهت زوجها ابن المقصوص فلقنت كلمـة الكفر لينفسخ نكاحها قبل الدخول ، فقالتها وهي لا تعلم معناها فأحضرها البدري بدار العدل بحلب ، وأمر فقطعت أُذناها وشعرها ، وعلق ذلك في عنقهـــا وشق أنفهـا وطيف بها على دابـة بحلب وبتيزين ، وهي من أجمـل البنات وأحياهن فشق ذلك على الناس ، وعمل النساء عليها عزاء في كل ناحيـة بحلب حتى نساء اليهود وأنكرت القلوب قبح ذلك ، ومـــا أفلح البدري بعدها . **قلت** :

Marfat.com

وضج الناس من بدر منير يطوف مشرعاً بين الرجال
ذكرت ولا سواء بها السبايا وقد طافوا بهنّ على الجمال

وفيه ورد البريد بتولية السيد عـــلاء الدين علي بن زهرة الحسيني نقابة الأشراف بحلب مكان ابن عمــه الأمير شمس الدين حسن بن السيد بدر الدين محمد بن زهرة وأعطي هذا إمارة طبلخانات بحلب .

سنة ثمان وأربعين وسبعمائة :

دخلت والتتار مختلفون . **وفيها** في ثالث المحرم وصل إلى حلب القــاضي شهاب الدين بن أحمد بن الرياحي على قضاء المالكية بحلب ، وهو أول مالكي استقضي بحلب ولا بد لها من قاض حنبلي بعد مدة لتكمل به العدة أسوة مصر ودمشق ، وفي السنة التي قبلهــا تجدد بطرابلس قاض حنفي مع الشافعي . **وفيها** في المحرم صلي بحلب صلاة الغائب على القـــاضي شرف الدين محمد بن أبي بكر بن ظافر الهمداني المالكي قاضي المالكية بدمشق وقـــد أناف على الثمانين ، كان ديناً خيراً متجملاً في الملبس وهو الذي عاضد تنكز على نكبة قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن جملة وها هم قد التقوا عند الله تعــالى .

وفيه ظهر بين منبج والباب جراد عظيم صغير من بزر السنة الماضية فخرج عسكر من حلب وخلق من فلاحي النواحي الحلبيــة نحو أربعة آلاف نفس لقتله ودفنه وقامت عندهم أسواق وصرفت عليهم من الرعية أموال ، وهذه سنة ابتدأ بها ألطنبغا الحاجب من قبلهم . **قلت :**

قصد الشأم جراد سنّ للغلات سنا
فتصالحنـــا عليه وحفرنا ودفنـــا

وفيها في المحرم ســـافر الأمير ناصر الدين بن المحسني بعسكر من حلب لتسكين فتنة ببلد شيزر بين العرب والأكراد قتل فيهـــا من الأكراد نحو خمسمائة نفس ونهبت أموال ودواب . **وفيها** في المحرم عزمت الأرمن على

Marfat.com

نكبة لأياس فأوقع بهم أمير آياس حسام الدين محمود بن داود الشيباني وقتل من الأرمن خلقاً وأسر خلقـاً وأحضرت الرؤوس والأسرى إلى حلب في يوم مشهود فلله الحمد . **وفيها** منتصف ربيـع الأول سافر بيدمر البدري نائب حلب إلى مصر معزولاً أنكروا عليـــه ما اعتمده في حق البنت من تيزين المقدم ذكرها وندم على ذلك حيث لا ينفعه الندم .

وفيه وصل إلى حلب نائبها أرغون شاه الناصري في حشمة عظيمة نقل إليها من صفد . **وفيه** قطعت الطرق وأخيفت السبل بسبب الفتنة بين العرب لخروج إمرة العرب عن أحمد بن مهنا إلى سيف بن فضل بن عيسى . **قلت** :

نريد لأهل مصر كل خير وقصدهم لنا حتف وحيف
وهل يسمو لأهل الشام رمح إذا استولى على العربان سيف

وفيها في ربيـع الآخر قدم على كركر ولختا ومـا يليها عصافير كالجراد المنتشر فتنازع الناس إلى شيل الغلات بداراً وهـذا مما لم يسمع بمثله . **وفيه** وصل تقليد القاضي شرف الدين موسى بن فياض الحنبلي بقضاء الحنابلة بحلب فصار القضاة أربعة ، ولما بلغ بعض الظرفاء ان حلب تجدد بها قاضيان مالكي وحنبلي أنشد قول الحريري في الملحة :

ثم كلا النوعين جاء فضله منكراً بعد تمـــام الجمله

وفيها في جمادى الأولى هرب يلبغا من دمشق بأمواله وذخائره التي تكاد تفوت الحصر خشية من القبض عليـــه ، وقصد البر فخانه الدليل وخذله أصحابه وتناوبته العربان من كل جانب وألزمه أصحابه قهراً بقصد حماه ملقياً للسلاح فلقيه نائب حماه مستشعراً منه وأدخله حماه ثم حضر من تسلمه من جهة السلطان وساروا به إلى جهة مصر فقتلوه بقاقون ودفن بها. وهذا من لطف الله بالاسلام فإنه لو دخل بلاد التتار أتعب الناس . ورسم السلطان بإكمال جامعه الذي أنشأه بدمشق وأطلق له ما وقفه عليه وهو جامع حسن بوقف كثير ،

Marfat.com

وكان يلبغا خيراً للناس من حاشيته بكثير . وكان عفيفاً عن أموال الرعية ، وما علمنا ان أحـــداً من الترك ببلادنا حصل له ما حصل ليلبغا ، جمع شمله بأبيه وأمه واخوته وكل منهم أمير إلى أن قضى نحبه رحمه الله تعالى .

وفيها في جمادى الآخرة نقل أرغون شاه من نيابة حلب إلى نيابة دمشق فسافر عاشر الشهر ، وبلغنا أنه وسّط في طريقه مسلمين وهـذا أرغون شاه في غاية السطوة مقدم على سفك الدم بلا تثبت ، قتل بحلب خلقـاً ووسّط وسمر وقطع بدويـاً سبع قطع بمجرد الظن بحضرته ، وغضب على فرس له قيمة كثيرة مرح بالعلافة فضربه حتى سقط ثم قام فضربه حتى سقط وهكذا مرات حتى عجز عن القيام فبكى الحاضرون على هذا الفرس . **فقيل فيه** :

عقلت طرفـك حتى أظهرت للنـاس عقلك
لا كان دهر يولي على بني الناس مثلك

وفيه اقتتل سيف بن فضل أمير العرب وأتباعه أحمـد وفياض في جمع عظيم قرب سلمية فانكسر سيف ونهبت جماله وماله ونجى بعد اللتيا والتي في عشرين فارساً ، وجرى على بلد المعرة وحماه وغيرها في هذه السنة بل في هذا الشهر من العرب أصحاب سيف وأحمد وفياض من النهب وقطع الطرق ورعي الكروم والزروع والقطن والمقاثي ما لا يوصف . **وفيه** انكسر الملك الأستر بن تمرتاش ببلاد الشرق كسرة شنيعة ثم شربوا من نهر مسموم فمـات أكثرهم ومزقهم الله كل ممزق ، وكان هذا المذكور رديء النية موتوراً فذاق وبال أمره .

وفيها في أواخرها وصل إلى حلب نائبا فخر الدين أياز نقل إليهـا من صفد .

قتل السلطان الملك المظفر

وفيها في رمضان قتل السلطان الملك المظفر أمير حاج ابن الملك الناصر بن

Marfat.com

قلاوون بمصر وأقيم مكانه أخوه **السلطان الملك الناصر حسن** . كان الملك المظفر قد أعدم أخـاه الأشرف كجك وفتك بالأمراء وقتل من أعيانهم نحو أربعين أميراً مثل بيدمر البدري نائب حلب ويلبغـا نائب الشام وطقتمر النجمي الدواتدار وأقسنقر الذي كان نائب طرابلس ، ثم صـار الغالب على الأمر بمصر أرغون العلائي والكتمر الحجازي وتتمش عبـد الغني أمير مائة مقدم ألف وشجاع الدين غرلو وهو أظلمهم ونجم الدين محمود بن شروين وزير بغداد ثم وزير مصر وهو أجودهم وأكثرهم براً ومعروفاً ، حكي لنا ان النور شوهد على قبره بغزة ، وكان المظفر قد رسم لعبد أسود صورة باباً أن يأخذ على كل رأس غنم تباع بحلب وحمـاة ودمشق نصف درهم ، فيوم وصول الأسود إلى حلب وصل الخبر بقتل السلطان فسرّ الناس بخيبة الأسود .

وفيها في شوال طلب السلطـان فخر الدين أياز نائب حلب إلى مصر وخافت الأمراء أن يهرب فركبوا من أول الليل وأحاطوا به فخرج من دار العدل وسلم نفسه إليهم فأودعوه القلعة ، ثم حمل إلى مصر فحبس وهو أحد الساعين في نكبة يلبغا ، وايضـاً فإنه من الجركس وهم أضداد لجنس التتار بمصر ، وكان المظفر قد مال عن جنس التتار إلى الجركس ونحوهم فكان ذلك أحد ذنوبه عندهم فانظر إلى هذه الدول القصار التي ما سمع بمثلهـا في الأعصار . **قلت** :

هذي أمور عظـام من بعضها القلب ذائب
ما حال قطر يليه في كل شهـرين نائب

وفيها في ذي الحجة ، وصل إلى حلب **الحاج أرقطاي** نائباً بعد أن خطبوه إلى السلطنة والجلوس على الكرسي بمصر فأبى ، وخطبوا قبلـه إلى ذلك الخليفة الحاكم بأمر الله فامتنع كل هذا خوفاً من القتل ، فلما جلس الملك الناصر حسن على الكرسي طلب الحاج أرقطاي منه نيـابة حلب ، فأجيب وأُعفي الناس من زينة الأسواق بحلب لأنها تكررت حتى سمجت . **قلت** :

Marfat.com

كم ملك جـاء وكم نائب يا زينة الأسواق حتّى متى
قد ذكروا الزينة حتى اللحى ما بقيت تلحق ان تنبتا

وفيه بلغنا أن السلطان أبا الحسن المريني صاحب المغرب ، انتقل من الغرب الجواني من فاس إلى مدينة تونس وهي أقرب الينا من فاس بثلاثـة أشهر وذلك بعد موت ملكها أبي بكر من الحفصيين بالفالج ،وبعد أن أجلس أبو الحسن ابنه على الكرسي بالغرب الجواني ، وقد أوجس المصريون من ذلك خيفة فإن بعض الأمراء المصريين الأذكياء أخبرني أن الملك الناصر محمـد كان يقول : رأيت في بعض الملاحم أن المغـاربة تملك مصر ، وتبيع أولاد الترك في سويقة مازن ، وهذا السلطان أبو الحسن ملك عـالم مجاهد عـادل ، كتب من مدة قريبة بخطه ثلاثة مصاحف ، ووقفها على الحرمـين وعلى حرم القدس وجهّز معها عشرة آلاف دينار اشترى بها أملاكاً بالشام ووقفت على القراء والخزنة للمصاحف المذكورة ، **ووقفت على نسخة توقيع بمسامحـة الأوقاف** المذكورة بمؤن وكلف وأحكار أنشأه صاحبنا الشيخ جمال الدين بن نباتة المصري أحد الموقعين الآن بدمشق ،أوله : الحمد لله الذي أرهف لعزائم الموحدين غرباً ، وأطلعهم بهممهم حتى في مطالع الغرب شهباً ، وعرف بين قلوب المؤمنين حتى كان البعد قرباً ، وكان القلبان قلباً ، وأيد بولاء هـذا البيت الناصري ملوك الأرض وعبيد الحق سلماً وحرباً ، وعضد ببقائه كل ملك إذا نزل البر أنبته يوم الكفاح أسلاً ، ويوم السماح عشباً ، وإذا ركب البحر لنهب الأعداء كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً، وإذا بعث هداياه المتنوعة كانت عراباً تصحب عرباً ، ورياضاً تسحب سحباً ، وإذا وقف أوقاف البر سمعت الآفاق من خط يده قرآناً عجباً واهتزت بذكراه عجباً .

ومنها : وذو الولاء قريب وإن نأت داره ، ودان بالمحبة وإن شطّ شط بحره ومزاره ، وهو بأخباره النيّرة محبوب كالجنة قبل أن ترى ، موصوف كوصف المشاهد وإن حالت عن الاكتحال بطلعته أميال السرى ، ولما كان

السلطان أبو الحسن سرّ الله ببقائه الإسلام والمسلمين ، وسره بمـــا كتب من اسمـه في أصحاب اليمين ، « وما أدراك ما أصحاب اليمين » هو الذي مد اليمين بالسيف والقلم ، فكتب في أصحابها ، وسطّر الختمات الشريفة فنصر الله حزبه بما سطّر من أحزابها ،ومد الرماح أرشية فاشتقت من قلوب الأعداء قليباً والأقلام أروية فشفت ضعف البصائر وحسبك بالذكر الحكيم طبيباً .

ومنها : ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدي وخط سطورها بالعربي وطالما خط في صفوف الأعداء بالهندي .

ومنها: وأمر بترتيب خزنة وقراء، على مطالع أُفقها ووقف أوقافها تجري أقلام الحسنات في اطلاقها وطلقها ، وحبس أملاكاً شاميـــة تحدث بنعم الأملاك التي سرت من مغرب الشمس إلى مشرقها ، ورغب في المسامحة على تلك الأملاك من أحكار ومؤونات وأوضاع ديوانية وضع بها خط المسامحة في دواوين الحسنات المسطّرات فأجيب على البعد داعيه ، وقوبل بالإسعاف والإسعاد وقفه ومساعيه . **وختمها** بقوله : والله تعالى يمتع من وقف هـــذه الجهات بما سطر له في أكرم الصحائف ، وينفع الجالس من ولاة الأمور في تقريرها ويتقبل من الواقف .

وفيه صلي بحلب صلاة الغائب على الشيخ شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز **الذهبي** الدمشقي منقطع القرين في معرفة اسماء الرجال محدث كبير مؤرخ من مصنفاته كتاب تاريخ الاسلام وكتاب الموت وما بعده وغير ذلك ، وكف بصره في آخر عمره ، ومولده سنة ثـلاث وسبعين وستمائة ، واستعجل قبل موته فترجم في تواريخه الأحياء المشهورين بدمشق وغيرهـا ، واعتمد في ذكر سير الناس على أحـــداث يجتمعون به وكان في أنفسهم من الناس فآذى بهذا السبب في مصنفاته أعراض خلق من المشهورين .

وفيها كان الغلاء بمصر ودمشق وحلب وبلادهن ، والأمر بدمشق أشد حتى انكشفت فيه أحوال خلق ، وجلا كثيرون منها إلى حلب وغيرها .

Marfat.com

وأخبرني بعض بني تيمية أن الغرارة وصلت بدمشق إلى ثلاثمائة ، وبيع البيض كل خمس بيضات بدرهم ، واللحم رطل بخمسة وأكثر ، والزيت رطل بستة أو سبعة .

وفيها في ذي الحجة قيد الأمير شهاب الدين أحمد بن الحـــاج مغلطاي القره سنقري وحمل إلى دمشق فسجن بالقلعة . وكان مشد الوقف بحلب وحاجباً ، وكان قبل هذه الحادثة قد سعى في بعض القضاة وقصد له إهانة بدار العدل فسلم الله القاضي ، وأصيب الساعي المذكور ، وربما كان طلبه من مصر يوم سعيه في القاضي ثم خلص بعد ذلك وأعيد إلى حلب وصلح حاله.

وفيها توفي بدمشق ابن علوي أوصى بثلاثـــين الف درهم تفرّق صدقة وبمائتي الف وخمسين الفاً تشترى بها أملاك وتوقف على البر فاجتمع خلق من الحرافيش والضعفاء لتفريق الثلاثين الفاً ونهبوا خبزاً من قدام الخبـــازين ، فقطع أرغون شاه نائب دمشق منهم أيدي خلق وسمر خلقـــاً بسبب ذلك فخرج منهم خلق من دمشق وتفرقوا ببلاد الشمال .

وفيها في ذي الحجة ضرب نيروز نائب قلعة المسلمين قاضيها برهان الدين ابراهيم بن محمد بن ممدود واعتقله ظلمـاً وتجبراً ، فبعد أيام قليلة طلب النائب إلى مصر معزولاً ، ويغلب على ظني انه طلب يوم تعرضه للقـــاضي فسبحان رب الأرض والسماء الذي لا يمهل من استطال على العلماء . **قلت** :

قل لأهل الجاه مهما رمتم عزاً وطاعـــه
لا تهينوا أهل علم فإذا هم سم ساعه

وفيه في العشر الأوسط من آذار وقع بحلب وبلادها ثلج عظيم وتكرر ، أغاث الله به البلاد ، واطمأنت به قلوب العباد ، وجاء عقيب غلاء أسعار وقلة أمطار . **قلت** :

Marfat.com

ثلج بآذار أم الـــكافور في مزاجه ولونـــه والمطعم
لولاه سالت بالغلا دماؤنا من عادة الكافور امساك الدم

وفيها جاءت ريح عظيمة قلعت أشجاراً كثيرة ، وكانت مراكب للفرنج قد لججت للوثوب على سواحل المسلمين فغرقت بهـــذه الريح ، وكفى الله المؤمنين القتال . **قلت :**

قل للفرنج تأدبوا وتجنبوا فالريح جند نبينـــا إجماعا
إن قلعت في البر أشجاراً فكم في البحر يوماً شجرت أقلاعا

وفيها توفي الحاج اسماعيل بن عبد الرحمن العزازي بعزاز ، كان له منزلة عند ألطنبغا الحاجب نائب حلب ، وبنى بعزاز مدرسة حسنة ، وساق اليها القناة الحلوة وانتفع الجامع وكثير من المساجد بهـذه القناة ، وله آثار حسنة غير ذلك رحمه الله تعالى .

سنة تسع وأربعين وسبعمائة :

دخلت السنة وقراجا بن دلغادر التركماني وجمائعـه قد شغبوا واستطالوا ونهبوا ، وتسمى بالملك القاهر وأبان عن فجور وحمق ظـاهر ودلاه بغروره الشيطان حتى طلب من صاحب سيس الحمل الذي يحمل الى السلطان .

رسالة بليغة للمؤلف عن وباء حلب

وفيها في شهر رجب وصل الوباء الى حلب كفانا الله شره ، وهذا الوباء قيل لنا انه ابتدأ من الظلمات من خمس عشرة سنة متقدمة على تاريخه وعملت فيه رسالة سميتها **النبأ عن الوباء. فمنها** : اللهم صل على سيدنا محمد وسلم ونجنا يجاهه من طغيان الطاعون وسلم،طاعون روّع وأمات وابتدأ خبره من الظلمات فواهاً له من زائر من خمس عشرة سنة دائر ، ما صين عنه الصين ولا منع منه

Marfat.com

حصن حصين، سل هندياً في الهند واشتد على السند وقبض بكفيه وشبك على بلاد أزبك وكم قصم من ظهر فيما وراء النهر ، ثم ارتفع ونجم وهجم على العجم وأوسع الخطا الى أرض الخطا ، وقرم القرم ورمى الروم يجمر مضطرم وجر الجرائر الى قبرص والجزائر ، ثم قهر خلقاً بالقـاهرة وتنبهت عينه لمصر فاذا هم بالساهرة، وأسكن حركة الاسكندرية فعمل شغل الفقراء مع الحريرية. ومنها :

اسكندرية ذا الوبا سبع يمدّ إليك ضبعه
صبراً لقسمته التي تركت من السبعين سبعه

ثم تيمم الصعيد الطيب وأبرق على برقـة منه صيب ، ثم غزى غزة وهز عسقلان هزة ، وعك الى عكا ، واستشهد بالقدس ، وزكى فلحق من الهاربين الأقصى بقلب كالصخرة ، ولولا فتح باب الرحمة لقامت القيامـة في مرة ، ثم طوى المراحل ونوى أن يحلق الساحل ، فصاد صيداً ، وبغت بيروت كيداً ، ثم سدد الرشق الى جهة دمشق ، فتربع ثمّ وتميد وفتك كل يوم بألف وأزيد فأقل الكثرة وقتل خلقاً ببثرة . ومنها :

أصلح الله دمشقاً وحماها عن مسبه
نفسها خست إلى ان تقتل النفس بحبه

ثم أمر المزة وبرز الى برزة وركب تركيب مزج على بعلبك وأنشـد في قارة قفا نبك ورمى حمص بجلل وصرفها مع علمه ان فيها ثلاث علل ثم طلق الكنه في حماه فبردت أطراف عاصيها من حماه :

يا أيها الطاعون ان حماة من خير البلاد ومن أعز حصونها
لا كنت حين شممتها فسممتها ولثمت فاها آخذاً بقرونها

ثم دخل معرة النعمان فقال لها : أنت مني في أمان ، حماه تكفيك فلا حاجة لي فيك :

Marfat.com

رأى المعرة عيناً زانها حور لكن حاجبها بالجور مقرون
ماذا الذي يصنع الطاعون في بلد في كل يوم له بالظلم طاعون

ثم سرى إلى سرمين والفوعة فشعث على السنة والشيعة ، فسنّ للسنة أسنته شرّعاً وشيع في منازل الشيعة مصرعاً، ثم أنطى انطاكية بعض نصيب ورحل عنها حياء من نسيانه ذكرى حبيب ، ثم قال لشيزر وحارم لا تخافا مني فأنتما من قبل ومن بعد في غنى عني ، فالأمكنة الردية تصح في الأزمنة الوبية ، ثم أذل عزاز وكلزة وأصبح في بيوتهما الحارث ، ولا أغنى ابن حلزة، وأخذ من أهل الباب أهل الألباب وباشر تل باشر ودلك دلوك وحاشر ، وقصد الوهاد والقلاع وقلع خلقاً من القلاع ، ثم طلب حلب ولكنه ما غلب.

ومنها : ومن الأقدار انه يتتبع أهل الدار ، فمتى بصق أحد منهم دماً تحققوا كلهم عدماً ، ثم يسكن الباصق الأجداث بعد ليلتين أو ثلاث :

سألت بارىء النسم في دفع طاعون صدم
فمن أحس بلع دم فقد أحس بالعدم

ومنها :

حلب والله يكفي شرها أرض مشقه
أصبحت حية سوء تقتل الناس ببزقه

فلقد كثرت فيها أرزاق الجنائزية فلا رزقوا ، وعاشوا بهذا الموسم وعرقوا من الحمل ، فلا عاشوا ولا عرقوا ، فهم يلهون ويلعبون ، ويتقاعدون على الزبون :

اسودّت الشهباء في عيني من وهم وغش
كادت بنو نعش بها أن يلحقوا ببنات نعش

ومما أغضب الإسلام وأوجب الآلام أن أهل سيس الملاعين مسرورون لبلائنا بالطواعين :

Marfat.com

سكان سيس يسرّهم ما ساءنا وكذا العوائد من عدو الدين
فالله ينقـــله اليهم عاجلاً ليمزق الطاغوت بالطاعون

ومنها : فان قال قائل هو يعدي ويبيد قلت : بل الله يبدي ويعيد، فان جادل الكاذب في دعوى العدوى وتأول ، قلنا : فقد قال الصادق ﷺ : فمن أعدى الأول استرسل ثعبانه وانساب ، وسمي طـاعون الأنساب وهـو سادس طاعون وقع في الإسلام ، وعندي أنه الموتان الذي أنذر به نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام كان وكان :

أعوذ بالله ربي من شر طاعون النسب بارودة المستعلي قد طار في الاقطار
ذولاب دها شاته ساعي لصارخ مارثى ولا فدا بذخـيره فتاشه الطيـار
يدخل الى الداريحلف ما أخرج إلا بأهلها معي كتاب القاضي بكل من في الدار

وفي هذا كفاية ففي الرسالة طول .

وفيها [1] أسقط القاضي المالكي الرياحي بحلب تسعة من الشهود ضربـة واحدة ، فاستهجن منه ذلك وأُعيدوا إلى عدالتهم ووظائفهم . **وفيها** قتل بحلب زنديقان أعجميان كانا مقيمين بدلوك . **وفيها** بلغنا وفاة القاضي زين الدين عمر البلفيائي بصفد بالوباء والشيخ ناصر الدين العطار بطرابس بالوباء ، وهو واقف الجامع المعروف به بها ، وفيها توفي القاضي جمال الدين سليمان بن ريان الطائي بحلب منقطعاً تاركاً للخدم ملازماً للتلاوة . **وفيها** بلغنا إن أرغون شاه وسّط بدمشق كثيراً الكلاب .

وفاة الأمير أحمد بن مهنـــا

وفيها توفي الأمير أحمد بن مهنا أمير العرب ، وفتّ ذلك في أعضاد آل مهنا ، وتوجه أخوه فياض الغشوم القاطع للطرق الظالم للرعية الى مصر لتولي الإمارة على العرب مكان أخيه أحمد ، فأجيب إلى ذلك فشكى عليه رجل

---

(١) أي في سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

Marfat.com

شريف أنه قطع عليه الطريق وأخذ ماله وتعرض إلى حريمه ، فرسم السلطان بإنصافه منه ، فأغلظ فياض في القول طمعاً بصغر سن السلطان فقبضوا عليه قبضاً شنيعاً . **وفيها** في سلخ شوال توفي قاضي القضاة نور الدين بن الصائغ بحلب وكان صالحاً عفيفاً ديناً لم يكسر قلب أحد ، ولكنه لخيريته طمع قضاة السوء في المناصب ، وصار المناحيس يطلعون إلى مصر ويتولون القضاء في النواحي بالبذل ، وحصل بذلك وهن في الأحكام الشرعية . **قلت** :

مريد قضاء بلدة له حلب قاعده
فيطلع في ألفه وينزل في واحده

وكان رحمه الله من أكبر أصحاب ابن تيمية ، وكان حامل رايته في وقعة الكسروان المشهورة .

وفيها في عاشر ذي القعدة توفي بحلب صاحبنا الشيخ الصالح زين الدين عبد الرحمن بن هبة الله المعري المعروف بإمام الزجاجية ، من أهل القرآن والفقه والحديث ، عزب منقطع عن الناس ، كان له بحلب دويرات وقفهن على بني عمه . وظهر له بعد موته كرامات ، منها : انه لما وضع في الجامع ليصلى عليه بعد العصر ظهر من جنازته نور شاهده الحاضرون ، ولما حمل لم يجد حاملوه عليهم منه ثقلاً حتى كأنه محمول عنهم فتعجبوا لذلك . ولما دفن وجلسنا نقرأ عنده سورة الأنعام شممنا من قبره رائحة طيبة تغلب رائحة المسك والعنبر ، وتكرر ذلك فتواجد الناس وبكوا وغلبتهم العبرة ، وله محاسن كثيرة ، ومكاشفات معروفة عند أصحابه رحمه الله ورحمنا به آمين .

وفاة شقيق المؤلف

وفي العشر الأوسط منه توفي أخي الشقيق وشيخي الشفيق القاضي جمال الدين يوسف ، ترك في آخر عمره الحكم وأقبل على التدريس والإفتاء ، وكان من كثرة الفقه والكرم وسعة النفس وسلامة الصدر بالمحل الرفيع

Marfat.com

رحمه الله تعالى ، ودفن بمقابر الصالحين قبلي المقـــام بحلب . **قلت :**

أخ أبقى ببذل المـال ذكراً وإن لاموه فيـه ووبخوه
أزال فراقه لذّات عيشي وكل أخ مفارقـــه أخوه

وفيه توفي الشيخ علي بن الشيخ محمد بن القدوة نبهان الجبريني ، بجبرين ، وجلس على السجادة ابنه الشيخ محمد الصوفي ، كان الشيخ علي بحراً في الكرم رحمه الله ورحمنا بهم آمين .

وفي الثامن والعشرين من ذي القعدة ورد البريـــد من مصر بتولية قاضي القضاة نجم الدين عبد القاهر بن أبي السفاح قضاء الشافعية بالمملكة الحلبيـة وسررنا بذلك ولله الحمد .

وفيه ظهر بمنبج على قبر النبي متّى وقبر حنظلة بن خويلد أخي خديجـة رضي الله عنها ، وهذان القبران بمشهد النور خارج منبج وعلى قبر الشيخ عقيل المنبجي وعلى قبر الشيخ ينبوب وهما داخل منبج ، وعلى قبر الشيخ علي وعلى مشهد المسيحات شمالي منبج أنوار عظيمة ، وصارت الأنوار تنتقل من قبر بعضهم إلى قبر بعض وتجتمع وتتراكم ودام ذلك الى ربع الليل حتى انبهر لذلك أهل منبج وكتب قاضيهم بذلك محضراً وجهزه الى دار العدل بحلب ، ثم أخبرني القاضي بمشاهدة ذلك أكابر وأعيان من اهل منبج أيضاً ، وهؤلاء السادة هم خفراء الشأم ونرجو من الله تعالى ارتفاع هـذا الوباء الذي كاد يفني العالم ببركتهم إن شاء الله تعالى . **قلت :**

اشفعوا يا رجـال منبج فينا لارتفاع الوبا عن البلدان
نزل النور في الظلام عليكم إن هذا يزيد في الإيمان

وفيها في ذي الحجة بلغنا وفاة القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري بدمشق بالطاعون،منزلته في الإنشاء معروفة وفضيلته في النظم والنثر موصوفة، كتب السر للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة بعد أبيه

Marfat.com

محيي الدين ، ثم عزل بأخيه القاضي علاء الدين ، وكتب السر بدمشق ثم عزل وتفرغ للتأليف والتصنيف حتى مات عن نعمة وافرة . دخل رحمه الله قبل وفاته بمدة معرة النعمان فنزل بالمدرسة التي أنشأتها ففرح لي بهـا وأنشد فيها بيتين أرسلهما إليّ بخطه وهما :

وفي بلد المعرّة دار علم بنى الوردي منها كل مجد
هي الوردية الحلواء حسناً وماء البئر منها ماء ورد

فأجبته بقولي :

أمولانا شهـــاب الدين إني حمدت الله إذ بك تمّ مجدي
جميع الناس عنـــدكم نزول وأنت جبرتني ونزلت عندي

☆

هذا آخر ما وجد من التاريخ لمؤلفه الشيخ
زين الدين عمر بن الوردي رحمه الله تعالى

Marfat.com

تقريظ للكتـــاب

كتبـــه الشيخ مصطفى سلامه

وقد أنشأ الهمام الفاضل والإمام الكامل لبيد عصره وأديب مصره حضرة الحبر الفهامة الشيخ مصطفى سلامة تقريظاً لختام طبع هذا الكتاب مشتملا على درر النكات واللطائف ، يعلن بما يطبع من الكتب النفيسة على ذمـــة جمعية المعارف .

يا من قصّ علينا أحسن القصص في كتابه ، ونصّ على الإجزال في توابه لمـــن اقتدى به ، صلّ على رسولك الأمين الآتي بالكتاب المبين وعلى آله وأصحابه ووفقنا للتأدب بآدابـه ، لنقوم بواجب ذكرك ، ونشكرك حق شكرك ونثني عليك الثناء الجميل ، ونحمدك بالاجمال والتفصيل على ما أنعمت به علينا في هذا العصر من النعم التي جلّت عن الحصر ،والمآثر الباهرة السامية والمنن الوافرة الوافية والمحاسن الظاهرة ، والمحامد المتواترة في دولة الخديو الأفخم الداور الأكرم ، ذي الفضل الجلي والقدر العلي أفندينا إسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي أيد الله توفيقه ، وجعل سعده رفيقه وحفظ جمع أنجـــاله وأسعدهم بحسن إقباله ،وأدام عظيم أفضاله وشريف أعماله وسدده في الاقوال والافعال وبلغه جميع الآمال .

فهو الذي رفع الفضل ، وبسط وطاء العدل وأعدّ أسباب التمدن ومد

Marfat.com

أطناب التفنن ، وأعاد وسائل العمارة وأفاد فضائل الحضارة ومهد التقدم ، وأرشد إلى حسن التعليم والتعلم ، وشيّد رسوم المعارف وأسبغ ظلها الوارف وجدّ في طلب ما ند ، وأسّس وجدد وزاول ما كان قاصياً ، وحاول ما راح متعاصياً ، واجتلب الكتب النادرة ، بتوجيه الهمـــة المبادرة والقول الفصل والفضل الجزل ، وأتحف منهـا أهل الوطن بما أسعد الفطن ، وسعى في تكثير قريبها وتيسير غريبها ، واردة صادرة ، ومحامدها بدائحه كالأمثال سائرة ، وفاقت بها مصر على غيرها ، ولا غرو فهي القاهرة نشر بهـــا للعلم أفضل علم وأيد الحكم منها بالحكم ، وأحيا ما كان في حيز العدم ، واستحدث ما لم يكن قديمـــاً وصار نفعه عميما ، من الفوائد الجديدة والعوائد المفيدة ، والفنون المتممة والكتب المترجمة ، وصرف لها حسن الرعاية ولحظها بعـين العناية حتى فازت كتب الفنون بتشييد رسوم التحقيق غب الدروس ، وتبسم لها الزمن بعد طول العبوس ، وأصبحت أفضل الأيادي التي طوّقت أجيـاد أهل الأوطان ، وأكمل المنن التي تحلى بها في عهـد الخديو الأفخم أهل العرفان ، فإنه ألف قلوبهم منها بعقود مرصّفة ، فحسن التناسب إذا لكل ألوف مؤلفة ، وأضحى القطر بها روضاً نضيراً وأهدى من طيب نشرها عبيراً وأثمر ينعها وارتفع وضعها ،وابتلج نورها وابتهج كل ناظر بمنظومها ومنثورها وسفُرت شقائقها ، وظهرت حقائقها ، وعظُمت على تفاوت درجاتها دقائقها ورقّ طبعها، وراق صنعها وعمّ نفعها ، واجتلى أهل الإقليم أنوارها الساطعة واجتنى كل طالب ثمراتها النافعة ، وما زالت القلوب اليهـــا مصروفة ، والأبصار والأسماع على محاسنها عاطفة ومعطوفة ، وكل من أهل الأوطان بذكرهـا لهج ، وبنشرها الذي يعطّر الكون مبتهج ، فقيّض الله منهم جمعية أدبية وأتاح لهم شركة خيرية مصرية ، وفقهم بها لحسن سلوكهم فقالوا : الناس على دين ملوكهم ، واقتدوا بمقصد وليّ النعم الذي شمل ببره جميع الأمم

وافتتحوا الباب إلى طريق الصواب ، وأرشدهم الله للسداد فتحلوا في التقليد بالاجتهاد وتسابقوا للغرض من إحياء المعارف بكل رأي مصيب ، واجتهدوا ولكل مجتهـد منهم نصيب ، فتوافقوا على طبـع الكتب الجليـلة التي نسخهـا قليـلة .

وشرعوا في جملة من ذلك جميلة وهي تاج العروس شرح القاموس ، وأسد الغابة في أسماء الصحابة ، وشرح المنيني على اليميني ، وألف باء في محاضرات الألباء،وهذا الكتاب المعتبر الموسوم **بتتمة المختصر في أخبار البشر**،وأزمعوا على التشبث بطبع غيرها ، والاستكثار من خيرها مثل حاشية أبي السعود على من لا مسكين، وعمدة ابن رشيق، وتاريخ تيمور ، وديواني المعري، وزهر الآداب لأبي إسحاق الحصري وغير ذلك من الكتب النفيسة ، التي هي من المعارف والفنون بمنزلة الأعضاء الرئيسية ، على أن كل ما طبع وتم يعلن لأربابه ليستلم وينشر الأول فالأول على حسب إعلان الشركة المفصل والغرض إتحاف الطالبين وإسعاف الراغبين بإشهار محامدها البينـة والحصول عليهـا بأثمان هينة لتدوم الرغبة في الاطلاع مع ما لا بد منه من الانتفاع، وقد حقق الموكلون بها القول بالعمل ، وبادروا بنشر ما نجز منها على وفق الأمل .

فكان القسم الأول من التاج أول بشائرها المستطابة ، ثم تلاه القسم الأول من أسد الغابة ، ثم الجزء الأول من هذا التاريخ الشهير ، ثم هذا الجزء الأخير وبه تم الكتاب الغني بشهرته عن الاسهاب .

ولعمري إنه غريب في فنه ، عجيب في حسنه لطيف في بابه شريف في إيجازه وإطنابه ، سلك أحسن السلوك في سير الملوك ، واهتدى لتتبع آثار الأول وأتى بأنباء الممالك والدول ، وأبدى أخبار الأخيار ، واستوفى ذكر وفيات الأعيان وملوك الأقطار مع حسن الاختصار ، فلو رآه ابن خلدون لسرّح في رياضه العيون ، وحذا حذوه في طويل عبره مقتفياً لجميل أثره ،

أو اطلع عليه ابن الأثير لقال : هذا أكمل من الكامل الكبير ، ولا غرو إن بهر وصفه وانتشر عرفه ، وطاب نشره الندي، فمؤلفه الفاضل الكامل الشيخ عمر بن الوردي ، وناهيك به من محقق ألمعي مدقق لوذعي ، **جعله لمختصر أبي الفداء تتمة** ، وضم اليه كل شاردة مهمة .

وأجاد بالتبيان نثره ونظمه حتى قال لسان الحال إن لمن البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة ، ولما كمل طبعه بأحسن كيفية على أجمل صورة بهية ، وكان أول كتاب تم لهذه الجمعية في ظل الحضرة الخديوية لاحت بـه دواعي الاستبشار ، وأرخت كمال طبعه ...

فقلت باختصار :

هذا الكتاب كروض حسن نضرته لطيف نشر سمى عن فكر واصفه
قد رق طبعاً وفي عصر الخديو أتى بكل فضـــل تليد بشر طارفه
ارّخه اجمـــل تاريـخ يؤرخه طبع التتمـة يبدي سعد عارفه

٧٤	١٢١١		٨١	١٢٧١	٢٦	١٣٤	٣٥٦
١٢٨٥			١٨٦٨				

وقلت أيضاً

كتاب فيه أبدى الفضل تمه لأخبـــار الأنام به تتمه
يعيد لك الزمان بمن تولى فتنظر أمة من بعد أمه
ويجلو كل إحسان وحسن يسرح فيه ذو العرفان فهمه
يفيد الحزم بالاسعاد عزماً ويولي العزم بالارشاد حزمه
ويدني كل أمر غاب قدماً متى يرمي الى الاغراض سهمه
وكم أهدى من الانشاء عقداً أجاد النثر بالتبيان نظمه
وكم أسدى لنا وعظاً ونصحاً ومكرمة ومأثرة وحكمه

Marfat.com

وكم نبأ عظيم أو حديث حديث أو قديم قد أتته
وكم فيه لطالبه معان محررة وفائدة مهمه
به سمح الزمان وكان قدما كسر في الصدور يروم كتمه
وقد وافى بعصر خديو مصر أدام الله في الاقطار حكمه
وقال الفضل للافضال أرخ كمال الطبع يسمو في التتمه

٩١ ١١٢ ١١٦ ٩٠ ٨٧٦

١٢٨٥

Marfat.com

وقائع مهمة بعد هذا التاريخ [1]

سنة	
٧٥٠	وفاة ابن الوردي صاحب هذا التاريخ
٧٥٨	عبور شهزادة سليمان باشا الى روم ايلي وفتح كليبولي
٧٦٢	اختراع المدفع
٧٦٣	فتح أدرنه في عهد السلطان مراد الأول
٧٨٠	ظهور امراء ذي القدرية
٧٨٤	ابتداء ملوك الجراكسة بمصر
٧٩١	فتح قوصوه
٧٩١	انتقال الشيخ محمد بهاء الدين النقشبند
٧٩٣	ذهاب يلدرم خان الى ديار افلاق
٧٩٦	فتح سلانيك ويكيشهر على يد يلدرم خان (الكاف في يكيشهر تقرأ نوناً)
٧٩٧	بناء الجامع الكبير في بروسا
٧٩٨	فتح نيكبولي
٨٠٨	انتقال عبد الرحمن بن خلدون
٨٣٥	فتح يانيه
٨٤٠	انتقال كمال باشا زادة شيخ الاسلام المشهور
٨٥١	اختراع فن الطبع

---

(١) أي بعد سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

Marfat.com

سنة

٨٥٦ بناء حصار روم ايلي بداخل خليج القسطنطينية

٨٥٧ فتح اسلامبول تاريخه (بلدة طيبة ٨٥٧)

٨٥٨ بناء السراي القديم في اسلامبول

٨٦٢ كشف آماريقا (أمريكا)

٨٦٥ انقراض دولة بني أيوب

٨٦٨ بناء جامع السلطان محمد في اسلامبول

٨٧٢ بناء السراي الجديد تاريخه (خلد الله عز صاحبه)

٨٧٨ اضمحلال حسن الطويل

٨٨٠ اطاعة منكلي كراي خان لآل عثمان

٨٩٢ توجه كمال رئيس بأسطول لغارة اسبانيا

٩٠٣ بناء جامع السلطان بايزيد في اسلامبول

٩٠٣ كشف طريق أميد بروني في نهاية جنوب افريقيا

٩١٨ قدوم السلطان سليم الأول الى استانبول

٩٢١ استملاك ممالك ذي القدرية

٩٢٢ بناء ترسانة (يعني دار الصناعة) لمراكب اسلامبول

٩٢٢ إطاعة أمراء الأكراد لآل عثمان

٩٢٢ اختراع ساعة الجيب

٩٢٢ فتح حلب والشأم في عهد السلطان سليم الأول

٩٢٢ وقعة مرج دابق

٩٢٣ فتح مصر ، تاريخه (فاتح ممالك العرب)

٩٣٢ حماية السلطان سليمان لفرنسا

٩٣٣ موكب نصر السلطان سليمان

٩٣٦ محاصرة ويانة الأولى بواسطة السلطان سليمان الأول

٩٤٤ تسخير عدن في عهد السلطان سليمان

Marfat.com

سنة	
٩٤٥	غزاة خير الدين باشا
٩٥٧	التحاق قرالية المجر الى امبراطورية أوستريا
٩٦٢	سفر سيدي رئيس الى الهند
٩٦٢	اختراع طبع الحروف بحروف الأرمني
٩٨٥	خروج أهل الاسلام من الأندلس
٩٨٧	شهادة صوقوللي محمد باشا
٩٨٧	إنشاء دار الرصد لتقي الدين في غلطة
١٠١٢	ظهور شرب الدخان بالممالك الإسلامية
١٠٢٠	فوت غازي مراد باشا
١٠٥٠	شيوع استعمال النشوق باسلامبول
١٠٥١	اختراع صحائف الوقائع بأوروبا
١٠٧٢	ارتحال كوبريلي محمد باشا
١٠٩٥	محاصرة ويانة الثانية في عهد السلطان محمد الرابع
١١١٦	وضع النظامات في الروسية في عهد بترو الكبير
١١٣٥	ظهور صنعة الطبع بالحروف التركية
١١٤٣	فتنة بطرونه خليل
١١٧٩	وفـاة محمد راغب باشا صاحب السفينة المطبوعة
١١٩٩	اختراع البالون
١٢٠٦	اختراع التلغراف
١٢١٢	احداث القناطر من الحديد
١٢١٣	استيلاء فرنسا على مصر
١٢١٥	اختراع لتوغرافيا (يعني الطبع على الرخام)
١٢١٨	استخلاص مصر من فرنسا
١٢٢٢	اختراع الوابور (يعني السفن البخارية)

Marfat.com

سنة

١٢٣٣ مصالحة أوروبا العمومية

١٢٤١ الوقعة الخيرية (يعني إزالة اليكيجررية) واتخاذ العساكر النظامية
(ويكي جري معناه عسكر جديد — والكاف تقرأ نوناً)

١٢٤٣ وضع دار الطب

١٢٥٣ إنشاء الجسر العتيق باسلامبول

١٢٥٤ وضع نظام القرانتينا هناك

١٢٥٥ التنظيمات الخيرية

١٢٦٠ إنشاء الجسر الجديد

١٢٦٣ تأسيس المكاتب الرشدية

* * *

٧٢٦ انتقال السلطان عثمان راضي ، مدفنه ببروسا

٧٦١ انتقال أور خان غازي كذلك

٧٩١ انتقال مراد خان غازي كذا

٨٠٥ انتقال يلدرم بايزيد خان غازي كذا

٨٢٤ انتقال السلطان محمد خان الأول كذا

٨٥٥ انتقال السلطان مراد خان غازي الثاني كذا

٨٨٦ انتقال أبو الفتح محمد خان الثاني مدفنه باسلامبول

٩١٨ انتقال بايزيد خان الغازي بن محمد كذا

٩٢٦ انتقال السلطان سليم الأول كذا

٩٧٤ » » سليمان الغازي الأول كذا

٩٨٢ » » سليم خان الغازي الثاني كذا

١٠٠٣ انتقال السلطان مراد خان الثالث غازي كذا

١٠١٢ » » محمد خان ثالث الغازي »

Marfat.com

سنة

١٠٢٦ انتقال السلطان احمد خان الغازي الاول . كذا

١٠٣١ » » عثمان خان الثاني الشهيد »

١٠٤٨ » » مصطفى خان المخلوع كذا

١٠٤٩ » » مراد خان الغازي الرابع فاتح بغداد كذا

١٠٥٨ » ابراهيم خان المخلوع كذا

١٠٨٠ » السلطان محمد خان الغازي الرابع المخلوع كذا

١١٠٢ » » سليمان خان الثاني كذا

١١٠٦ » » احمد خان الثاني »

١١١٥ » » مصطفى خان الثاني المخلوع كذا

١١٤٩ » » احمد الثالث الغازي المخلوع »

١١٦٨ » » محمود خان الغازي الأول »

١١٧١ » » عثمان خان الثالث »

١١٨٧ » » مصطفى خان الثالث كذا

١٢٠٣ » » عبد الحميد خان الغازي »

١٢٢٣ » » سليم الثالث المخلوع »

١٢٢٣ » مصطفى خان الرابع المخلوع »

١٢٥٥ » السلطان الغازي محمود خان الثاني كذا

١٢٧٧ » » عبد المجيد خان الغازي كذا

١٢٧٧ جلوس مولانا السلطان عبد العزيز خان بن السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان خلد الله ملكه

١٢١٩ حكومة الحاج محمد علي صاحب المجد بمصر ومولده في بلدة قوالة سنة ١١٨٣

١٢٢٤ ابتداء المآثر الجليلة بمصر وأولها سد الترعة الفرعونية أولاً في سنة ١٢٢٤ وثانياً في سنة ١٢٢٦

Marfat.com

سنة

١٢٢٧ اتخاذ ترسانة لانشاء السفن

١٢٢٧ اجلاء الوهابية من الحجاز وارسال مفاتيح الحرم لاسلامبول من طرف (محمد علي) صاحب المجد

١٢٣١ اصلاح سد أبي قير

١٢٣٢ فتح ترعة المحمودية

١٢٣٤ اتخاذ عساكر للجهادية

١٢٣٨ انشاء دار الطباعة ببولاق

١٢٤٥ انشاء الوقائع المصرية

١٢٥٠ استعمال وابورات البحر

١٢٦١ تمام إنشاء الجامع العالي بالقلعة العامرة، تاريخه للفاضل الشيخ محمد شهاب من قصيدة :

مبان اذا أمعنت فيها مؤرخاً تريك على قدر العزيز محمد

١٢٦٣ انشاء القناطر الخيرية ، تاريخها للفاضل الشيخ علي الدرويش من قصيدة (ابدأ بها القناطر الخيرية)

١٢٦٤ فراغ الحاج محمد علي صاحب المجد من الحكومة

١٢٦٤ تولية الحاج ابراهيم باشا أكبر أولاده ، تاريخها للفاضل الشيخ علي الدرويش في ثلاثة ابيات يستخرج منها ستة وستون تاريخاً بتقليب المهمل والمعجم :

تحلى رقي القدر بالملك والياً سمي خليل الله أهدى به العصر
بأكمل نفع أشرق السعد قد سما سمو بهيّ الرأي يخدمه الدهر
وزير خبير مسلم ومجاهد به لنداه دام قد فرحت مصر

١٢٦٤ انتقاله

١٢٦٥ تولية الحاج عباس باشا بعد عودته من الحجاز

Marfat.com

سنة

١٢٦٥ انتقـــال الحاج **محمد علي** صاحب المجد ، تاريخه للفاضل الشيخ محمد شهاب :

ودعاه رضوان أن زُر وأرخ زينت للقدوم عندي جنات

١٢٦٩ ابتداء انشاء طريق الحديد من مصر الى الاسكندرية وتمامها بينهما في عهد محمد سعيد باشا، وأما تفرّعها لجهات القطر فبعناية حضرة الخديو الافخم، وتاريخها للفاضل الشيخ مصطفى سلامة من قصيدة: (في بر مصر أنشىء الوابور)

١٢٧٠ انتقال الحاج عباس باشا

١٢٧٠ تولية محمد سعيد باشا

١٢٧١ انشاء التلغراف ، وأما توصيله للسودان وجهات القطر فبعنـــاية حضرة الخديو الأفخم

١٢٧٦ استعمال مجاري المياه بالاسكندرية

١٢٧٩ انتقال محمد سعيد باشا

١٢٧٩ حكومة (الخديو الافخم) في ٢٨ رجب سنة ١٢٧٩ ، تاريخها للفاضل الشيخ مصطفى سلامة من قصيدة :

أتى الملك اسماعيل بالبشر أرخوا بشائر اسماعيل في مصر اقبال

١٢٧٩ قدوم مولانا السلطان الى مصر ، تاريخه للفاضل الشيخ مصطفى سلامة : لقد شرف السلطان مصر بمجده

١٢٧٩ إعادة دار الطباعة ببولاق

١٢٧٩ إعادة المدارس المصرية

١٢٨٠ اتخاذ القونبانية العزيزية المصرية

١٢٨٣ تشكيل مجلس النواب ، تاريخه للفاضل الشيخ مصطفى سلامة من قصيدة : تقليد شورى مجلس النواب

Marfat.com

سنة

١٢٨٣ إنشاء الحوض بالسويس، تاريخه للفاضل الشيخ مصطفى سلامة من قصيدة : حوض السويس بدا بناء الداور

١٢٨٣ حصر الوراثة في أنجال الخديوي ، تاريخها للفاضل الشيخ مصطفى سلامة من قصيدة : (لأنجال اسماعيل دولته تبقى)

١٢٨٤ إنشاء المدارس بالاقليم المصري

١٢٨٤ الترع الاسماعيلية

» عنوان الخديوية، تاريخها للفاضل الشيخ مصطفى سلامة من قصيدة :

باقبال يقول المجـد أرخ قدوم عزيز مصر خديو ملك

١٢٨٥ الترعة الإبراهيمية

١٢٨٥ مشيرية دولتلو توفيق باشا ، تاريخها للفاضل الشيخ مصطفى سلامة من قصيدة :

(محمد توفيق أولى مشير)

١٢٨٥ استعمال مجاري المياه بمصر

١٢٨٥ تنوير طرقها بالغاز

» جلب حوض لتعمير السفن بالاسكندرية

» إنشاء طريق حديد من الزقازيق الى السويس ، تاريخه للفاضل الشيخ مصطفى سلامة من قصيدة وهي هذه :

Marfat.com

قصيدة الفاضل الشيخ مصطفى سلامة :

زمان التهاني زهى وابتسم ... وبالبشر وجه الأماني اتسم
وأمر الهنـــاء غدا نافذاً ... ورسم الثناء بذاك ارتسم
وأبناء مصر بدا سعدهم ... بعصر الخـديو ولي النعم
وأوطـانهم أصبحت جنة ... بها كل أمر جليل العظم
فكم من طريق حديد جديد ... قريب بعيد يكل الهمم
وكم من سلوك بحسن السلوك ... إشاراتهـــا أنبأت بالحكم
وكم من قناطر أو من جسور ... على النيل شهرتهـا كالعلم
وكم من مبان غدا وصفها ... كعقد لجيد المعالي انتظم
وماء جرى لشفاء الغليل ... ومنشأة أُنشئت من عدم
وكم من جداول أو كوثر ... وكم من غدير وبحر خضم
ونور به الليل كالصبح في ... هنا العصر يمحق ظلم الظلم
وبر على البر كالنيل مـذ ... وفى صح منه دليل الكرم
وكم من محاسن قد جدّدت ... محامدها لم تكن من قدم
وكم من مآثر في قطره ... تسامت على وصف كيف وكم
وكم من صراط هـدانا له ... به‌الشكر قد خصّ والنفع عم
غدا مستقيماً لينجو به ... من البحر من بحماه اعتصم
صراط قويّ قويم بديـــع ... على اليم أثبت منك القدم

Marfat.com

شبيه النطاق لإقليمنـــا وفي طرسه كسطور القلم
وعقد لأجيـــاد أوطاننا وواسطة لاتصـال الأمم
بساط طوى شقة البين بين روم وهند وأرض العجم
فعن أبيض البحر أو أحمر إذا شئت حدّث به لا جرم
طريق حكى مرهفاً منتضى به يقطع البحر رأس العشم
يسير القطـــار ووابوره كومض بريق يقود الديم
إذا قسته بانسحاب السحاب راح وفي القلب منه ضرم
بشائراً كما له قـــد شدا بها كل ثغر زها وابتسم
فأرخ بملك عزيز المـــنى بدا للسويس طريق وتم

٩٢ ٩٤ ١٣١ ٧ ١٩٦ ٣١٩ ٤٤٦

١٢٨٥

Marfat.com

الفهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
وصول ملك شاه إلى حلب ووفاة ابن دبيس	٧
ملك يوسف بن تاشفين غرناطة وانقراض دولة الصناهجة	٨
عبور السلطان نهر جيحون إلى بخارى	٩
توليد عميد الدولة وزارة الخليفة ، وملك المسلمين مرسية ، وملك الفرنج جميع بلاد صقلية .	١١
أمر ملك شاه بعمل الجامع المعروف بجامع السلطان ببغداد ، ووفاة الأمير أرتق	١١
نزول أقسنقر على حمص ووثوب ديلمي على نظام الملك .	١٢
خروج الحسين بن نظام الملك إلى بركيا روق ، ووفاة الخليفة المقتدي بأمر الله .	١٣
مقتل أقسنقر .	١٤
وفاة بدر الجمالي بمصر ، ووفاة المستنصر بالله ، ووفاة أمير مكة	١٤
نهوض القواد بسمرقند	١٥
وفاة المعتمد بن عباد	١٦

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
ترك الغزالي تدريس النظامية ، ووفاة أبي عبد الله بن أبي نصر الأندلسي ، ووفاة علي بن عبد الغني المقري الشاعر الضرير	١٧
ذكر ملك كربوغا الموصل ، واستيلاء عسكر خليفة مصر على القدس ومقتل أرسلان أرغون ، وابتداء دولة بيت خوارزم شاه .	١٧
خطابة الملك رضوان للمستعلي بأمر الله العلوي ، وقتل الباطنية ارغش النظامي ، والأمير برسق	١٨
حصر الفرنج إنطاكية ، وذكر ملك الفرنج بيت المقدس	١٩
قصد محمد ملكشاه بركياروق ، ودخول بركياروق بغداد ، ووفاة ابن جزلة الطبيب صاحب المنهاج	٢٠
استيلاء سقمان القطبي على خلاط	٢١
ملك ابن عمار مدينة جبلة ، وأخبار الباطنية	٢٢
ملك الفرنج سروج ، ووفاة المستعلي بأمر الله ومقابلة بركياروق لأخيه عند الري ، وموت كربوغا	٢٣
حصر صنجيل الفرنجي حصن ابن عمار ، وقتل المؤيد بن مسلم ، ووفاة أمير المدينة ، والمصاف بين بركياروق ومحمد ، واستيلاء بلك بن بهرام على عانة والحديثة ، وإغارة الفرنج على قلعة جعبر ، وصلح بركياروق ومحمد ، ومسير صنجيل من البحر ، ومحاصرته طرابلس .	٢٤
وفاة دقاق بن تتش ومسير صدقة بن مزيد ، واستيلاؤه على واسط ووفاة أمير الدولة ، ووفاة بركياروق بالسيل .	٢٦
وفاة سقمان بن أرتق بالخوانيق ، ونهب الباطنية الحجاج ، ومقاتلة الملك رضوان مع فرنج إنطاكية .	٢٧

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
مسير صدقة بن مزيد إلى الحلة ، واستيلاء الفرنج عليها ، وحال طرابلس مع الفرنج ، وقتل فخر الملك .	٢٨
ملك صدقة قلعة تكريت ، واقطاع السلطان محمد جاولي الموصل ، ووفاة سرخاب ، وقتل سيف الدولة .	٣٠
وفاة تميم بن المعز صاحب افريقية وحصر الموصل	٣٢
ملك الفرنج طرابلس وصيدا ، وقصد بردويل الفرنجي مصر ، وتجهيز عسكر لقتال الفرنج بالشأم	٣٣
وفاة حجة الاسلام الغزالي ، ووفاة صاحب بلاد الأرمن ، ووفاة قراجة صاحب حمص	٣٥
وفاة الملك رضوان صاحب حلب ، ووفاة اسماعيل بن أحمد البيهقي ووفاة محمد بن أحمد الشاشي الفقيه الشافعي	٣٦
قتل ألب أرسلان ، وارسال عسكر لقتال طغتكين،واستيلاء الفرنج على رفنية ، ووفاة صاحب افريقية ، وأخذ الموصل من أقسنقر البرسقي ، وموت جاولي	٢٨
وفاة السلطان محمد ، وهجوم الفرنج	٣٩
عزل السلطان محمود عن شحنكية بغداد ، ومسير دبيس إلى الحلة ووفاة المستظهر بالله	٤٠
مبايعة المسترشد ، ومسير جوسلين لكبس بني ربيعة	٤١
إبتداء أمر محمد بن تومرت ، وملك عبد المؤمن بافريقية	٤٣
إغارة جوسلين على العربان ، ووفاة الأمير علي صاحب افريقية ، وقتل بدر الجمالي ، وعصيان سليمان بن ايلغازي ، واقطاع السلطان محمود ميافارقين لايلغازي ، وتضعضع الركن اليماني	
من البيت الحرام، وترجمة أبي محمد القاسم علي بن محمد الحريري	٤٥
وفاة مؤيد الدين الطغرائي ، ووفاة علي بن جعفر المعروف	

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
بابن القطاع ووفاة ايلغازي بن أرتق ، ووقوع حرب بين دبيس وبين الخليفة ، واستيلاء الفرنج على خرت برت ، ووفاة قاسم أمير مكة	٤٩
وفاة ابن الخياط الدمشقي الشاعر ، وقتل بلك صاحب حلب ، وموت الحسن مقدّم الاسماعيلية	٥١
ملك البرسقي كفرطاب ، وموت سالم صاحب قلعة جعبر ، وقتل الباطنية اقسنقر البرسقي ، ووفاة أحمد أخو الغزالي ، وتولية شحنكية العراق لعماد الدين زنكي ، ووفاة محمد بن عبد الملك صاحب التاريخ ، ووفاة صاحب خلاط	٥٢
مسير السلطان سنجر من خراسان إلى الري ، وقتل الاسماعيلية ، وحصر الفرنج دمشق	٥٥
ملك الفرنج القدموس ، ووفاة بن هبة الله ، واشتداد ضرر الفرنج ووفاة الآمر بأحكام الله صاحب مصر	٥٦
ملك السلطان مسعود قلعة ألموت ، ووفاة ابراهيم الغزي وأسر دبيس	٥٧
وفاة السلطان محمود ، ووثوب الباطنية على بوري صاحب دمشق ، ووفاة حماد بن مسلم ، وقتل ابن الأفضل الجمالي ، وطلب مسعود أخذ السلطنة من ابن أخيه داود	٥٨
مسير زنكي مع دبيس لمقاتلة الخليفة ، وفتح شمس الملوك مدينة بانياس ، وحصر الموصل	٦٠
وفاة علي الهروي ، ووفاة أبي فليتة أمير مكة ، وتغلب شمس الملوك على حصن الشقيف ، وموت السلطان طغرل	٦١
وقوع الحرب بين المسترشد وبين السلطان مسعود ، وبيعة الراشد وقتل دبيس ، واستيلاء الفرنج على جربة	٦٢
خلع الراشد ، وولاية المقتفي ، وعزل الحافظ وزيره بهرام	٦٣

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
ملك زنكي حصن المجدل	٦٥
فعل ملك الروم بالشأم	٦٦
مقتل الراشد ، وقتل السلطان مسعود البخشي ، وتوالي زلازل بالشأم ، وحصر زنكي دمشق ، ووفاة هبة الله الاصطرلابي	٦٦
وصول رسول السلطان سنجر ببردة النبي ﷺ والقضيب إلى المقتفي	
والصلح بين السلطان مسعود وزنكي، ووفاة أبي القاسم الزمخشري	٦٩
فتح زنكي الرها ، ووفاة الجواليقي اللغوي ، ووفاة أبي بكر يحيى ابن بقى القرطبي الشاعر	٧١
حصر الفرنج طرابلس	٧٢
دخول نور الدين محمود بن زنكي بلاد الفرنج ، ومسير ملك الألمان ، وحصره دمشق	٧٤
ملك الفرنج طرطوشة ، ووفاة سيف الدين غازي ، ووفاة الحافظ لدين الله العلوي ، وبيعة ابنه الظافر	٧٥
وفاة الأرجاني والقاضي عياض	٧٨
أخذ العرب للحجاج بين مكة والمدينة، وأسر نور الدين لجوسلين	٧٨
ملك عبد المؤمن بجاية ، ووفاة السلطان مسعود ، وظهور الملوك الغورية ، وانقراض آل سبكتكين	٨٠
وفاة حسام الدين تمرتاش ، وانهزام السلطان سنجر من الأتراك	٨٣
وفاة بهرام شاه ، وتولية خسرو شاه ، ووفاة ابن القيسراني ، وابن منير الأطرابلسي	٨٤
قتل الظافر بالله أبي منصور اسماعيل بن الحافظ العلوي ، وحصر المقتفي لأمر الله تكريت ، وتغلب الفرنج بناحية دمشق	٨٦
حصر المقتفي دقوقا ، ووفاة خوارزم شاه اطسز ، ووفاة الملك مسعود وهرب سنجر من أسر الغز، ومبايعة عبد المؤمن لابنه	

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
محمد، واستعمال عبد المؤمن ابنه عبدالله بجاية، وسير الملك محمد ابن محمود السلجوقي لحصر بغداد	٨٧
وفاة الوأواء الحلبي الشاعر ، وأخبار بني منقذ	٨٩
وفاة السلطان سنجر السلجوقي ، واستيلاء أبي سعيد بن عبدالمؤمن على غرناطة ، وأخذ نور الدين بعلبك، وموت محمد الخجندي،	
وقصد ملك شاه قم وقاشان ، ووفاة معين الدين الحصكفي	٩٢
فتح المهدية ، ووفاة السلطان محمد بن محمود	٩٤
إزالة علي بن مهدي ملك بني نجاح	٩٥
مسير سليمان شاه إلى همدان وقتله ، ووفاة خليفة مصر ، ووفاة المقتفي لأمر الله	٩٦
مبايعة المستنجد بالله ، ووفاة خسرو شاه ، ووفاة ملكشاه ، ووفاة علاء الدين الحسين ملك الغور ، وقتل الملك الصالح طلائع بن رزيك الأرمني .	٩٨
منازلة نور الدين حارم ، وموت الكيا صاحب ألموت ، وترجمة الشيخ عدي بن مسافر	١٠٠
وزارة شاور للعاضد العلوي	١٠٤
ملك المؤيد أي به قومس ، وكبس الفرنج نور الدين ، وبذل شاور لنور الدين ثلث أموال مصر ، وفتح نور الدين قلعة حارم ،	
ووفاة جمال الدين وزير مودود	١٠٤
وفاة نصر ملك سجستان ، ووفاة الإمام عمر الخوارزمي خطيب بلخ ، ووفاة شاه مازندران ، وملك المؤيد أي به هراة ،	
ووفاة الشيخ عمر بن عكرمة ، ووفاة ابن صاعد	١٠٥
ترجمة الشيخ عبد القادر الجبيلي	١٠٧
عودة شيركوه الى مصر،وعصيان غازي ووفاة الشيخ ماجد الكردي	١١١

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
ملك نور الدين قلعة جعبر	١١٣
ملك شيركوه مصر ، وقتل شاور ، وابتداء الدولة الأيوبية	١١٥
كسر ايلدكز اينانج صاحب الري ، ووفاة أبي محمد الفارقي ، ووفاة ياروق ارسلان ، وحصر الفرنج دمياط	١١٨
محاصرة نورالدين الكرك ، وزلزلة الشأم ، وموت قطب الدين مودود ووفاةطغرل بك بن قاروت بك صاحب كرمان،ووفاة مجد الدين ابن الداية،ووفاةصاحب سلوان المطاع،ووفاة المستنجد بالله أبي المظفر يوسف،وانتزاع نورالدين الموصل من غازي وغزو صلاح الدين الفرنج.	١٢٠
وفاة القاضي ابن الجلال ، وذكر الخطبة العباسية بمصر ، وانقراض الدولة العلوية	١٢١
وفاة الأمير محمد بن مردبيس،وعبور الخطا نهر جيحون، ووفاة أبي محمد عبد الله الخشاب البغدادي	١٢٣
وفاة نصر الله بن قلاقس الشاعر ، ووفاة خوارزم شاه ارسلان ومسير شمس الدولة طغران شاه من مصر الى النوبة ، ووفاة شمس الدين ايلدكز واستيلاء نورالدين على مرعش،وحصر صلاح الدين الكرك،	
ووفاة أبي نزار النحوي	١٢٤
ملك توران شاه اليمن وقصيدة في المصريين	١٢٦
ملك صلاح الدين دمشق وحمص وحماه	١٢٨
وقوع الفتنة بين الخليفة وبين قيماز،وترجمة الشيخ قضيب البان ابو الكرامات	١٣٠
استنجاد غازي بصاحب حصن كيفا ، ومسير امير الحاج العراقي لعزل صاحب مكة	١٣٢
نهب صلاح الدين وتخريبه بلد الاسماعيلية ، وبناء صلاح الدين المدرسة على قبر الإمام الشافعي،ووفاة كمال الدين محمد الشهرزوري ووصول صلاح الدين الى عسقلان	١٣٣

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
وفاة صدقة بن الحسين ، ووفاة الحيص بيص الشاعر	١٣٥
فتح صلاح الدين حصناً كان بناه الفرنج ، ووفاة المستضيء بأمر الله الحسن	١٣٦
معارضة صلاح الدين أخاه توران شاه بالاسكندرية عن بعلبك ، ووفاة سيف الدين غازي ، ووفاة توران شاه بالاسكندرية ، واستيلاء	
عسكر صلاح الدين على اليمن ، ووفاة الملك الصالح اسماعيل	١٣٧
وفاة ابن الانباري النحوي ، وقصد صلاح الدين الشأم	١٣٨
وفاة فرخشاه وأبي العباس الرفاعي	١٤٠
ملك صلاح الدين لحلب وقبض مسعود على قيماز ، ومسير أبي يعقوب	
يوسف لحصر شنترين	١٤٢
إطلاق مسعود صاحب الموصل قيماز من الحبس ، وحصر السلطان	
الموصل ثانياً	١٤٣
ترجمة الشيخ حياة الحراني	١٤٤
مضايقة السلطان الكرك ، ووقعة حطين ، وفتح القدس	١٤٦
ملك السلطان طغرل بك كثيراً من البلاد ، وغزو شهاب الدين الغوري الهند	١٤٩
وفاة الدامغاني ، وتشتية السلطان بعكا	١٥٠
استنجاد قزل بالناصر على طغرل بك السلجوقي ، ووفاة محمد بن	
التعاويذي الشاعر ، ونزول السلطان بمرج عيون	١٥١
حصار عكا ، ووفاة محمد الاربيلي الشاعر	١٥٢
معاودة السلطان عن الخروبة الى قتال الفرنج	١٥٤
استيلاء الفرنج على عكا ، ووفاة المظفر	١٥٥
قتل قزل أرسلان ، وقتل شهاب الدين السهروردي الفيلسوف	١٥٦
عقد الهدنة مع الفرنج	١٥٨
وفاة قلج أرسلان ، وغزو شهاب الدين الغوري الهند ، وخروج	
طغرل بك من الحبس .	١٥٩

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
وفاة السلطان صلاح الدين	١٦٠
ملك خوارزم شاه الري	١٦٤
ملك ابن القصاب لهمدان	١٦٦
هزم يعقوب بن يوسف الفرنج ، وفتح قلعة بهنكر ، وانتزاع دمشق من الافضل .	١٦٧
وفاة ملكشاه ، ووفاة طغتكين ، واستيلاء الفرنج على قلعة بيروت	١٦٨
وفاة هزار ديناري ، ووفاة عماد الدين بن بقطر	١٦٩
محاصرة بارين ، ووقوع فتنة عظيمة بسبب فخر الدين الرازي	١٧١
محاصرة الافضل والظاهر لدمشق ، وترجمة القاضي الفاضل	١٧٢
وفاة عماد الدين الكاتب وفيها لطيفة أدبية	١٧٣
ملك ركن الدين سليمان ملطية ، وترجمة ابن الجوزي	١٧٦
وصول العادل الى حماه ، واسترجاع خوارزم شاه البلاد التي أخذها الغورية ، وحوادث باليمن .	١٧٨
وفاة غياث الدين الغوري ، ومهادنة صاحب حماه الفرنج	١٨٠
كسر خوارزم شاه ، ومهادنة العادل الفرنج ، وتوجه المنصور إلى مصر	١٨٢
قتل ملك الغورية ، وتزوج ابن البلهوان ببنت ملك الكرج ، ومنازلة العادل عكا	١٨٣
ملك غياث الدين انطاكية ، وملك الأوحد خلاط	١٨٥
اهتمام العادل بعمارة قلعة دمشق ، ومكاتبة ملوك ما وراء النهر	١٨٦
توجه الاشرف الى بلاده الشرقية ، وإجراء القناة من جيلان إلى حلب وقتل صاحب جزيرة ابن عمر.	١٨٨
وفاة فخر الدين الرازي ، وابن الاثير ، والمطرز النحوي ، وعود العادل الى دمشق .	١٨٩

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
وفاة نور الدين أرسلان شاه ، وفيها رسالة الفتوة مسير العادل الى مصر ، ووفاة الملك أيوب بن العادل ،	١٩٠
وقتل كيخسرو وإظهار الكيا شعائر الاسلام ،	
ووفاة أبي حامد بن منعة .	١٩٣
وفاة ابن سناء الملك،وعقد الملك الظاهر على ضيفة خاتون،	
وتعمير قلعة الطور ، وقتل طغرل بك	١٩٥
وفاة ميمون القصري ، ووفاة دلدرم ، ووفاة الهروي	١٩٧
وصول الفرنج الى عكا،وملك خوارزم شاه بلاد الجبل،	
ووفاة القاهر عز الدين مسعود .	١٩٩
قصد ملك الروم حلب ، ووفاة الملك العادل	٢٠٠
وفاة ابن العميدي ، ووفاة أرسلان شاه ، واستقلال	
بدر الدين لؤلؤ ، ووفاة صاحب سنجار .	٢٠٣
تخريب أسوار القدس،وهدم الفرنج دمياط،وظهور التتر	
وفتكهم في المسلمين .	٢٠٣
تحليف الملك المنصور لولده ، ووفاة كيكاوس ، ووفاة العكبري	٢٠٥
وفاة الملك المنصور صاحب حماه ، واستيلاء الناصر على حماه واستيلاء	
المظفر على خلاط وميافارقين ، ووفاة ابن حمويه ، ومسير التتر	
الى خوارزم شاه	٢٠٧
عود دمياط الى المسلمين	٢١١
استقلال بدر الدين لؤلؤ بملك الموصل ، وحج الملك المسعود يوسف	
ورحيل المعظم عن سلمية	٢١٣
حادثة غريبة،ووفاة يوسف المستنصر، ووصول التتر الى قرب تبريز ،	
واستيلاء غياث الدين على غالب مملكة فارس	٢١٤

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
وفاة ابن رواحة الحموي ، وقدوم جلال الدين من الهند ، ووفاة الملك الأفضل	٢١٦
وفاة الإمام الناصر ، ومبايعة ابنه الظاهر ، وفتح تفليس	٢١٨
وفاة الخليفة الظاهر ، وتولية المستنصر بالله ، ووفاة الملك المعظم	٢١٨
وفاة ملك المغرب وما كان بعده	٢٢٠
معاودة التتر بلاد جلال الدين ، وقدوم الامبراطور الى عكا	٢٢١
وفاة الملك المسعود ، وملك المظفر لحماه	٢٢٣
تسليم الأمجد بعلبك الى الأشرف ، وكسرة جلال الدين، وعودة التتر الى بلاد الاسلام	٢٢٥
تلخيص من تاريخ جلال الدين في شأن التتر	٢٢٧
وفاة عز الدين بن الاثير ، وآخر تاريخ الكامل	٢٣١
استيلاء العزيز على شيزر	٢٣٣
تعرض كيقباذ صاحب الروم لبلاد خلاط ، وقصد الملك الكامل له	٢٣٤
وفاة الآمدي	٢٣٥
وفاة الصلاح الاربلي ، ومعاودة الكامل الى مصر ووفاة ابن شداد قاضي عسكر صلاح الدين	٢٣٦
حصر كيقباذ حران ، ووفاة ابن الفارض ، وترجمة السهروردي	٢٣٧
مسير الناصر من الكرك الى بغداد	٢٣٩
وفاة ابن عنين	٢٤٠
عود الكامل الى مصر ، ووفاة الملك العزيز ، ودخول الناصر مصر	٢٤١
وفاة الملك الأشرف موسى	٢٤٢
استيلاء الصالح ايوب على دمشق	٢٤٥
إستيلاء الصالح اسماعيل على دمشق	٢٤٦
رفاة شيركوه صاحب حمص	٢٤٧
وفاة صاحب ماردين ، قبض الصالح ايوب على ايبك	٢٤٨

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
وفاة كمال الدين بن منعة	٢٥٠
وفاة ضيفة خاتون	٢٥٢
وفاة المستنصر بالله ، ومسير ناصح الدين الى صاحب الروم	٢٥٢
وصول الخوارزمية إلى غزنة	٢٥٣
وفاة الملك المظفر صاحب حماه	٢٥٤
وفاة المظفر صاحب ميافارقين ، ووفاة ابن أبي الدم	٢٥٥
وفاة الشيخ تقي الدين المحدث ، ووفاة السخاوي	٢٥٦
وفاة ابن الصائغ	٢٥٧
استدعاء الصالح أيوب لحسام الدين ، ووفاة عماد الدين داود	٢٥٨
عود الصالح الى مصر	٢٥٨
وفاة الملك العادل أبي بكر ، وإحضار عائشة خاتون إلى زوجهـــا المنصور ، ووفاة الشلوبيني	٢٥٩
تسليم حمص الى عسكر الناصر ، ووفاة ابن الحاجب، وفائدة نحوية	٢٦٠
وفاة عز الدين ايبك	٢٦٢
وفاة ابن البيطار ملك الفرنج دمياط ، واستجارة الناصر داود بصاحب حلب ، ووفاة الملك الصالح أيوب	٢٦٣
مقاتلة صاحب الموصل وعسكر الناصر	٢٦٤
وفاة المنشى النسوي ورحلة الفرنج إلى دمياط	٢٦٥
قتل الملك المعظم بن الصالح	٢٦٦
استيلاء الناصر على دمشق	٢٦٨
هدم سور دمياط ، ومسير الناصر من دمشق	٢٦٩
وفاة الصاحب جمال الدين يحيى	٢٧١
وفاة علم الدين قيصر ، ووفاة تاج الدين السراج	٢٧٣
ذكر دولة الحفصيين ملوك تونس	٢٧٥

الموضوع	الصفحة
وفاة المستنصر الثاني	٢٧٧
قتل ايبك التركماني خشداشة ، ومشي نجم الدين في الصلح بين المصريين والشاميين	٢٧٨
قتل شجرة الدر زوجها أيبك	٢٧٩
وصول الطوق ، والتقليد من الخليفة الى الملك الناصر	٢٨٠
ظهور النار بالحرة في المدينة المنورة	٢٨١
قصد هلاكو ملك التتر بغداد	٢٨٢
وفاة الملك الناصر داود	٢٨٦
وفاة غازنة خاتون ، وقصد التتر ميافارقين ، ووفاة الصاحب بهاء الدين	٢٨٧
وفاة المنذري والحسن الشاذلي	٢٨٨
وفاة الوزير ابن العلقمي ، ووفاة بدر الدين لؤلؤ	٢٨٩
مولد محمود بن الملك المنصور	٢٩٠
قصد هولاكو الشأم	٢٩١
انتصارات التتر واستيلائهم على حلب ثم ميافارقين	٢٩٢—٢٩٥
قتل نقيب دمشق	٢٩٦
هزيمة التتر وما قيل في ذلك من القصائد	٢٩٧
قبض الملك السعيد ، وعود التتر وانكسارهم	٣٠١
هزيمة التتر أمام حمص	٣٠٢
قتل الملك الناصر يوسف	٣٠٤
مسير الظاهر إلى الشأم . وانخساف سبع جزائر	٣٠٦
مبايعة أحمد بن الحسن الخليفة بمصر	٣٠٧
وفاة ابن العديم	٣٠٨
مسير الظاهر بيبرس الى الشأم ، وهدم كنيسة الناصرة	٣٠٩

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
قبض كيكاوس ، ووفاة شيخ الشيوخ بحماه ، وفتح الظاهر قيسارية الشأم ، وتجديد القضاة الأربعة بمصر	٣١٠–٣١١
هلاك هولاكو ، وخروج الظاهر لفتح القليعات وحلب	٣١٢
قدوم صاحب حماه بالاسكندرية	٣١٣
توجه الظاهر بيبرس الى الشأم ، وفتح يافا	٣١٣
تسلم الظاهر بلاطنس	٣١٤
عود الظاهر الى مصر ، ومنازلة التتر البيرة	٣١٦
وفاة تاج الدين الموصلي واعتقال الشيخ خضر العدوي ، وملك المريني مدينة سبتة	٣١٧
ذكر بنو مرين ، ومولد الملك المؤيد اسماعيل	٣١٧
وفاة النصير الطوسي وابن الأحمر صاحب الأندلس والصدر القنوي	٣١٩
موت الشهاب التلعفري	٣٢٠
وفات السلطان الظاهر بيبرس	٣٢٠
وفات الشيخ النووي ،ومسير السعيد بركة إلى الشام ووفاة كيكلوس	٣٢٣
سلطنة قلاوون ، ووفاة الملك السعيد بركة وانهزام سنقر الاشقر	٣٢٥
وصول السلطان المنصور الى غزة والمصاف بين المسلمين والتتر	٣٢٦
وفاة منكوتمر بن هلاكو ، ووفاة علاء الدين الجويني	٣٢٧
وفاة الكواشي ، ووفاة أبغا	٣٢٨
وفاة ابن خلكان ، ووفاة سلطان تلمسان البربري	٣٢٩
موت الأشكري صاحب قسطنطينية ، ووفاة السلطان المنصور صاحب حماه	٣٣٠
ركوب الملك المظفر بشعار السلطنة بدمشق ، وقتال السلطان قلاوون للفرنج .	٣٣٢

الموضوع	الصفحة
مولد الملك الناصر ، ومسير حسام الدين لمحاصرة الكرك ، ووفاة الشريشي	٣٣٣
محاصرة حسام الدين صهيون وفتح اللاذقية .	٣٣٤
وفاة الملك الصالح علي ، ووفاة الشيخ الجعبري	٣٣٤
فتح طرابلس ووفاة السلطان قلاوون	٣٣٥
فتح عكا	٣٣٦
وفاة صاحب ماردين ، وطلب المظفر والأفضل إلى مصر : واشارة إلى مولد المؤلف .	٣٣٩
قتل الملك الأشرف	٣٤٠
سلطنة الملك الناصر	٣٤١
جلوس كتبغا على سرير الملك ، وقتل كيختو ملك التتر .	٣٤٢
إسلام قازان ملك التتر	٣٤٣
وفاة صاحب اليمن عمر التركماني	٣٤٤
مسير كتبغا الى مصر	٣٤٥
تجريد العساكر إلى الشام	٣٤٦
فتح حموص وغيرها	٣٤٧
وفاة ابن واصل	٣٤٩
قتل الملك المنصور حسام الدين	٣٥٠
عود الملك الناصر الى مملكته	٣٥١
وفاة الملك المظفر صاحب حماه	٣٥٢
عبور قازان الفرات بجموع عظيمة ، وذكر المتجددات بعد الكسرة	٣٥٣
إستيلاء عثمان السبتاري على حماه	٣٥٤
عود التتر الى الشام	٣٥٥
إلزام اليهود بلبس العمائم الصفر ووفاة الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد	٣٥٦

الموضوع	الصفحة
وفاة قبجق صاحب غزنة ، ووفاه صاحب مكة أبي نمى وفتح جزيرة أرواد .	٣٥٧
هزيمة التتر وإبادة جيوشهم	٣٥٨
قدوم قبجق الى حماه	٣٦١
إعتقال ابن تيمية وذكر بعض ملوك بني مدين	٣٦٣
وفاة ابن علوان السرحاوي ، وخروج السلطان الى الحجاز	٣٦٤
وصول أقوش قتال السبع الى حلب ومسير السلطان من الكرك	٣٦٦
إبتداء تذييل ابن الوردي على الأصل	٣٦٩
إعادة ابن جماعة الى قضاء الديار المصرية ، ووفاة الحارثي الحنبلي	
وفاة المنصور غازي صاحب ماردين	٣٧٢
ذكر فتوح ملطية	٣٧٥
وفاة ابن دقيق العيد ، ووفاة خربندة	٣٧٧
وفاة صدر الدين بن الوكيل	٣٧٨
نزول سيل خرب سور بعلبك	٣٧٩
رسم السلطان بتعمير مساجد في بلاد النصيرية	٣٨٠
منع ابن تيمية من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق	٣٨١
وفاة مجد الدين الأصولي ، ونصر المنبجي ، واختلاف التتر	٣٨٣
وقوع غزوة عظيمة بالمغرب	٣٨٥
عقد المجلس على ابن تيمية ومعاتبته ، ووفاة ابن الصائغ	٣٨٦
إخراج ابن تيمية من القلعة ، ووقوع حريق عظيم بالقاهرة	٣٨٧
مجيء البشرى بفتح آياس	٣٨٩
وفاة ابن صصري	٣٩٠
تولية الأذرعي قضاء دمشق، والقبض على كريم الدين وكيل السلطان	٣٩١
قدوم ملك التكرور للحج	٣٩٢

الموضوع	الصفحة
ذكر الفيضان ببغداد	٣٩٦
ضرب رقبة ابن الهيتي بسبب زندقته	٣٩٧
اعتقال ابن تيمية	٣٩٨
إجراء عين بازان إلى مكة	٣٩٩
وفاة ابن قاضي شهبة	٤٠٠
وقوع فتنة بالاسكندرية	٤٠٢
وفاة صدر الدين بن الوكيل وابن الزملكاني	٤٠٢
فائدة نحوية ، وأمر السلطان بايصال الأوقاف إلى مستحقيها ، ووفاة القونوي	٤٠٤
وصول الماء إلى القدس ، وتجديد سطح الكعبة	٤٠٥
ترجمة ابن تيمية مستوفاة	٤٠٦
توجه القاضي محيي الدين بن فضل الله إلى مصر	٤١٣
وفاة مجد الدين الحراني ، وابن حشيش ناظر الجيش	٤١٤
وفاة القاضي التبريزي	٤١٥
وفاة ابن القلانسي وابن الأثير	٤١٦
وفاة ابن الشحنة ، وتولي ابن النقيب قضاء القضاة بحلب	٤١٧
ورود الكتب بما جرى بمكة ، ووصول نهر الساجور إلى نهر قويق	٤١٨
وفاة الأذرعي	٤٢٠
وفاة أبي الفتح المالكي وأبي دبوس ، وجمال الدين البوزنجي ومجيء الملك أحمد ، ووفاة ابن الفاكهاني	٤٢١
وفاة ابن القلانسي ونجم الدين البطاحي ، ووفاة القرامزي	٤٢٢
وفاة الملك المؤيد مؤلف أصل هذا الكتاب	٤٢٢
ركوب الملك الأفضل بشعار السلطنة	٤٢٣
وفاة ياقوت الحبشي ، وناظر الجيوش المصرية	٤٢٤

الموضوع	الصفحة
عرس الملك محمد على بنت بكتمر الساقي، ووفاة أمين الدين الطبيب وتولية شرف الدين كتابة السر	٤٢٥
وفاة الأمير سلامش الظاهري ، ووفاء النيل قبل النيروز ، ووفاة قطب الدين ناظر الجيش	٤٢٦
إطلاق الصاحب غبريال،ووفاة ابن متمبل وابن المراغي،وتوجه القاضي محيي الدين الى الباب	٤٢٧
دخول لؤلؤ القندشي الى حلب	٤٢٨
وفاة ابن المنير وتاج الدين الفارقي وابن قاضي العسكر بالقاهرة	٤٢٩
وفاه ابن الولي والإمام المؤرخ شهاب الدين احمد،وحبس حاجب العرب	٤٣٠
موت الأمير مغلطاي	٤٣١
وفاة أبي الربيع الاذرعي ووفاة ابن العديم،وموت سيف الدين الناصري، ونيابة اقوش بطرابلس	٤٣٢
سيلان وادي العقيق ودخوله الى قبة حمزة رضي الله عنه	٤٣٣
عزل يوسف بن جملة ، ووفاة الصاحب غبريال وابن العجمي	٤٣٤
عزل ابن القلانسي من الحسبة	٤٣٥
إقبال السلطان على مهنا بن عيسى ، ووفاة مدرس قبة الشافعي ، وإسلام سديد الدولة	٤٣٦
تولية ابن الاثير كتابة السر ، ووفاة ابن غانم ، وبناء حمام بدمشق	٤٣٧
وفاة ابن السلعوس ، ومصادرة الأمير بكتمر ، وعمل ستر ديباج على المصحف العثماني ، واطلاق المحبوسين من حبس الاسكندرية	٤٣٨
غزاة بلاد سيس	٤٣٩
وفاة زينب بنت الخطيب بن عبد السيد ، ووفاة مهنا	٤٤٠
إخراج رجال من حلب للعمل في قلعة جعبر وذهاب ازدمر لمحاصرة درنده	٤٤١
ترجمة ابن الفوعي	٤٤٢

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
وفاة أبي سعيد بن خربندة وخضر بن ملك الامراء طنبغا	٤٤٤
وصول العسكر من مصر الى حلب ، ووفاة ازبك المنصوري وإيقاف صلاح الدين داره النفيسة بحلب	٤٤٥
وفاة ابن قرفاص ، وابن الدقاق ناظر الوقف ، والكشف عن قبر زكريا عليه السلام	٤٤٧
قدوم ابن الكاتب الى حلب ومباحثة المؤلف ابن الوردي معه	٤٤٨
القبض على علم الدين كاتب السر القبطي الأصل	٤٤٩
وفاة قاضي القضاة بسبب صدمة بغلته،ووفاة فضل الله كاتب السر بمصر	٤٥٠
وفاة ابن المرحل وابن الكناني ، وتوسيع الطرق بحلب	٤٥١
تولية جمال الدين بن العديم على قضاء الحنفية بحماه	٤٥٢
وفاة ابن جملة وترجمة قاضي القضاة هبة الله شيخ المؤلف ومرثيته له	٤٥٣
وفاة ابن خطيب جبرين	٤٥٧
وفاة نقيب الأشراف بحلب	٤٥٨
وفاة جلال الدين القزويني قاضي دمشق	٤٥٩
وفاة ابن الصائغ وابن السبكي	٤٦٠
شنق ابن المؤيد الواعظ	٤٦٣
نفي لؤلؤ القندشي الى حلب	٤٦٤
تولية القضاء لبرهان الدين الرسعني ببذل المال ، ووفاة طقتمر الخازن ووفاة المستكفي بالله	٤٦٥
مباشرة القاضي ناصر الدين كتابة السر ، والقبض على تنكز وتولية الطنبغا دمشق	٤٦٦
وفاة ابن تمام وأنوك بن الملك الناصر ؛ ووفاة الأمير صلاح الدين يوسف	
ووفاة السلطان الملك الناصر ، ومعاهدة ولده الملك المنصور	٤٦٨
ورود التاج اليماني الى حلب زائراً ، ومبايعة الملك المنصور أبو بكر للخليفة الحاكم بأمر الله	٤٦٩

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
وفاة ابن المزني ، وخلع السلطان الملك الناصر	٤٧٠
القبض على الطنبغا ، وجلوس الناصر على الكرسي	٤٧٢
عزل الملك الأفضل ، وعزل القاضي ابن العديم ، ووفاة الافضل صاحب حماه ووفاة برهان الدين الرسعني	٤٧٣
وفاة الخطيب القزويني ، ووصول القاضي علاء الدين الزرعي الى حلب ، وتولي ايدغمش نيابة حلب ، ونقل طقز تمر من حماه الى حلب	٤٧٤
انقلاب عسكر الشام على الملك الناصر أحمد ، وخلع الناصر، وجلوس أخيه اسماعيل على الكرسي .	٤٧٥
وفاة الشيخ تاج الدين اليماني ، وخروج بيبرس الأحمدي لحصار الكرك وعزل الأمير سليمان بن مهنا ووفاة يلبصطي التركماني .	٤٧٦
وفاة المهمازي ، ووفاة الدبيسري وإغارة التركمان على بلاد سيس .	٤٧٧
وفاة شهاب الدين بن المرحل النحوي، ونيابة يلبغا التجباوي بحلب .	٤٧٨
وفاة سليمان بن مهنا أمير العرب ونقل جثة تنكز من ديار مصر إلى تربته بدمشق	٤٧٩
قتل الزنديق ابراهيم المقصاتي، ووفاة الشيخ محمد بن الشيخ نبهان	٤٨٠
وفاة أبي حيان النحوي	٤٨٢
وفاة صلاح الدين الدواتدار ، والشيخ القحفيزي ، ووفاة قاضي القضاة جلال الدين الأطروش ، والأمير ايدغدي ، ووقوع سيل بطرابلس	٤٨٣
وفاة ابن النقيب	٤٨٤
اختلاف التتار ، ووفاة الملك الصالح اسماعيل ، ونقل يلبغا الناصري من نيابة حلب الى نيابة دمشق	٤٨٦

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
قتل ملك الارمن ، وملك التركمان لقلعة كابان وربضها بالحيلة والقبض على قماري الناصري ، وتولية ابن الصاحب كتابة السر بدمشق	٤٨٧
وفاة شهاب الدين قرطاي، وسفر طقتمر نائب حلب الى الديار المصرية	٤٨٨
وقوع الوباء ببلاد ازبك ، ووقعة غريبة بحلب	٤٨٩
وصول ارغون شاه الى حلب ، وهرب يلبغا من دمشق ، وانكسار الاستر بن تمرتاش	٤٩١
وصول فخر الدين الى حلب ، وقتل الملك المظفر للناصر حسن	٤٩٢
رسالة بليغة لابن نباتة	٤٩٤
وقوع غلاء بمصر ، ووفاة ابن علوي	٤٩٥
وقوع ثلج عظيم بحلب وبلادها ومجيء ريح قلعت شجراً كثيراً ، ورسالة بليغة للمؤلف في أمر الطاعون	٤٩٦
وفاة القاضي البلفيائي ، ووفاة أحمد بن مهنا أمير العرب	٥٠٠
وفاة القاضي جمال الدين شقيق المؤلف	٥٠١
ظهور النور على مقابر الشهداء . ووفاة القاضي شهاب الدين ابن فضل الله العمري	٥٠٢

Marfat.com

Marfat.com

منشورات

دار المعرفة

بيروت - لبنان

اسم الكتاب	المؤلف		السعر الصافي ق.ل.
مصحف جوامعي		مجلد ممتاز	١٧٠٠
ديوان ابن نباتة المصري	ابن نباتة	مجلد	٦٠٠
ديوان ابن الرومي	شرح الشيخ محمد شريف سليم		٦٠٠
الياذة هوميروس ١/٢	سليمان البستاني	مجلدين	١٧٠٠
قصة الفلسفة	ول ديوارنت	مجلد	٥٠٠
القاموس العصري الجديد	نخبة من الأساتذة		٥٠٠
تفسير ابن كثير ١/٤	للامام اسماعيل بن كثير	٤ مجلدات	١٨٠٠
نهج البلاغة ١/٤	شرح الشيخ محمد عبده مجلد		٣٥٠
بغية الوعاة	للسيوطي الشافعي	مجلد	٨٠٠
كتاب المحلاة	للعاملي	مجلد	٣٥٠
الكامل ١/٢	للمبرد	مجلدين	٦٠٠
رأس المال ١/١٠	كارل ماركس	٥ مجلدات	٢٠٠٠
تاريخ ابن الوردي ١/٢	لابن الوردي	مجلدين	١٤٠٠
تاريخ أبي الفداء ١/٤	لأبي الفداء	مجلدين	١٢٠٠

Marfat.com

اسم الكتاب	المؤلف	السعر الصافي ق.ل.
تاريخ الطبري ١/١٣	للطبري ٦ مجلدات	٣٥٠٠
البداية والنهاية ١/١٤	أبو الفداء ابن كثير ٧ مجلدات	٧٥٠٠
مقدمة ابن خلدون	لابن خلدون مجلد	٤٥٠
تذكرة الحفاظ ١/٣	للامام الذهبي ٣ مجلدات	٣٠٠٠
فرقان القرآن ويليه الاسماء والصفات	للبيهقي مجلد	٦٠٠
رسائل ابن العربي	لابن العربي مجلد	٦٠٠
ديوان عمر ابن أبي ربيعة	عمر بن أبي ربيعة	١٢٥
شرح ديوان حسان بن ثابت	محمد نصرالله	١٢٥
الأدب العربي وتاريخه	دكتور ج . هيوارث	١٠٠
أخبار الشعراء	للصولي	١٢٥
سيرة الرسول	عن طبقات ابن سعد	١٢٥
السياسة الشرعية	لابن تيمية	١٠٠
البخلاء	للجاحظ	١٢٥
البؤساء	فيكتور هيجو	١٢٥
لماذا تأخر المسلمون	شكيب ارسلان	٧٥
ذهب مع الريح	مرغريت ميتشل	١٢٥
قصة مدنيتين	تشارلز ديكنز	١٢٥
الدكتور جيفاكو ١/٢	يوريس باسترناك	٢٥٠
لمحات من تاريخ العالم	جواهر لال نهرو	٢٠٠
مذكرات تشرشل ١/٢	خيري حماد	٦٠٠
الأرض ١/٢	اميل زولا	٢٥٠
كفاحي	ادولف هتلر	١٢٥
في ظلال المقصلة	فيكتور هيجو	٢٠٠

Marfat.com

اسم الكتاب	المؤلف	السعر الصافي
		ق.ل.
الاميركي البشع	ليدبر برويرودريك	١٢٥
مذكرات ديغول ١/٢	خيري حماد	٦٠٠
مذكرات تشرشل ١/٢	تشرشل	٢٥٠
استراتيجية حرب الانصار السوفياتية في الحرب العالمية	الجنرال ديكسون	١٢٥
حياتنا الجنسية	فريدريك كهن	١٠٠
الزنبقة السوداء	الكسندر دوماس	١٢٥
الفردوس المفقود	أرنست همنفواي	١٢٥
حياة امرأة	سومرست موم	١٢٥
الحب في التاريخ	سلامه موسى	٩٠
حياتي	مكسيم جوركي	١٢٥
الوصية الحمراء	كزافيه دي مونتين	١٢٥
الآمال الكبيرة	تشارلز ديكنز	١٢٥
الحلم	اميل زولا	١٢٥
ربيكا	دافن دي موريه	١٢٥
كيف تتكلم الانكليزية في خمسة أيام نخبة من الأساتذة		٤٠
زوربا	نيكوس كازانتزاكي	١٢٥
مذكرات تشي غيفارا	تشي غيفارا	١٢٥
السأم	البرتو مورافيا	١٢٥
الشك	كولن ديلسون	١٢٥
الاحتقار	البرتو مورافيا	١٢٥
الاخوة الأعداء	نيكوس كازانتزاكي	١٢٥

تحفة الجنس في أخبار الترنج

(تاريخ أصل الترنج)

للأستاذ المؤرخ

زين الدين [illegible]

تحقيق وتعليق

أحمد رفعت البدراوي

المجلد الثاني